الْمَثْنَوِيّ الْمَعْنَوِيّ

تأليف

جلال الدّين الرُّوميّ

ترجمة

د. علي عبَّاس زليخة

الكتاب الخامس

نسخة رينولد نيكلسون

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيم

وبِهِ نَسْتَعينُ وَعَلَيْهِ نَتَوَكَّلُ وَعِنْدَهُ مفاتيحُ القُلُوب

وَصَلَّى اللهُ على خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ أجْمَعين

هذا هُوَ المُجَلَّدُ الخامِسُ مِنْ كُتُبِ المَثْنَوِيّ والتِّبْيانِ المَعْنَوِيّ في بيانِ أنَّ الشَّريعَةَ كالشَّمْعِ تَوْضِحُ الطَّريقَ، وما لَمْ تَأْخُذِ الشَّمْعَ باليَدِ فَلَنْ تَسيرَ في الطَّريق، فإذا دَخَلْتَ في الطَّريقِ فَمَسيرُكَ فيها الطَّريقَة، فَإذا وَصَلْتَ إلى المَقْصُودِ فَتِلْكَ الحَقيقَة، لِذلِكَ قِيْلَ لَوْ ظَهَرَتِ الحَقائقُ لَبَطُلَتِ الشَّرائع، هذا كما لَوْ أنَّ النُّحاسَ صارَ ذَهَباً، أو كانَ مِنَ الأصْلِ ذَهَباً، فلا تكُونُ بِهِ حاجَةٌ لِعِلْمِ الكيمياءِ إذْ ذاكَ شَريعَةٌ، أو لِعِلاجِ نَفْسِهِ بالكيمياء فَتِلْكَ طَريقة، وكما قِيْلَ طَلَبُ الدَّليلِ بَعْدَ الوُصُولِ إلى المَدْلُولِ مَذْموم، حاصِلُ ذلِكَ أنَّ الشَّريعَةَ كَتَعَلُّمِ عِلْمِ الكيمياءِ مِنَ الأُسْتاذِ أو مِنَ الكِتاب، والطَّريقَةُ هِيَ اسْتِعْمالُ الأدْوِيَةِ وَتَطبيقُ الكيمياء على النُّحاس، والحَقيقَةُ صَيْرُوْرَةُ النُّحاسِ ذَهَباً. عُلَماءُ الكيمياءِ بِعِلْمِ الكيمياءِ سُعَداء، أنْ نَحْنُ نَعْلَمُ هذا العِلْم، والعامِلُونَ بالكيمياءِ سُعَداءُ أنْ نَحْنُ نَعْمَلُ مِثْلَ هذهِ الأعمال، وواجِدُو الحَقيقَةِ بالحقيقَةِ سُعَداءُ أنْ نَحْنُ صِرْنا ذَهَباً، وَتَحَرَّرْنا مِنْ عِلْمِ وَعَمَلِ الكيمياء، نَحْنُ عُتَقاءُ الله، أنْ كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُون. أو أنَّ مِثالَ الشَّريعَةِ مِثالُ تَعَلُّمِ الطِّبّ، والطَّرِيقَةُ هِيَ الوِقايَةُ وِفْقَ الطِّبِّ وَتناوُلُ الأدْوِيَة، والحَقيقَةُ وُجْدانُ الصِّحَّةِ الأبَدِيَّة، والكَونُ فارِغاً مِنَ الاِثْنَتَيْن. إذا ماتَ الآدَمِيُّ مِنْ هذِهِ الحَياةِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ الشَّريعَةُ والطَّريقَةُ وَبَقِيَتِ الحَقيقَة، فإذا كانَ يَمْلِكُ الحَقيقَةَ صَرَخَ *يا لَيْتَ قَومي يَعْلَمُونَ، بِما غَفَرَ لي رَبِّي*، وإنْ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُها صَرَخَ *يا لَيْتَني لَمْ أُوْتَ كِتابِيَهْ وَلَمْ أدْرِ ما حِسابِيَهْ، يا لَيْتَها كانَتِ القاضِيَة، ما أغْنى عَنِّي مالِيَهْ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطانِيَهْ*. الشَّريعَةُ عِلْمٌ

والطَّرِيْقَةُ عَمَلٌ والحَقيقَةُ الوُصُولُ إلى الله، *فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً ولا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدا*، وَصَلَّى اللهُ على خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ وَعِتْرَتِهِ وَسَلَّمَ تَسْليما.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيم

الشَّاهُ حُسامُ الدِّيْنِ نُورُ الأنْجُم، طالِبُ الشُّروعَ في السِّفْرِ الخامِس؛
أي ضِياءَ الحَقّ حُسامَ الدِّيْنِ الحَكيم، أنتَ لأساتِذَةِ الصَّفاءِ أُسْتاذ؛
لَو لَمْ يكُنِ الخَلْقُ مَحْجُوباً وَكدِراً، وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الحَلْقُ ضَيّقاً وَضَعيفاً؛
كُنْتُ أعْطَيْتُ في مَديحِكَ عَطاءَ المَعْنى، كُنْتُ فَتَحْتُ شَفَةً بِغَيْرِ هذا المَنْطِق؛
لكِنَّ لُقْمَةَ البازِ لَيْسَتْ لِتِلْكَ الصَّعْوَة، فالحِيْلَةُ الآنَ خَلْطُ الماءِ والزَّيْت؛
مَدْحُكَ للمَساجينِ حَيْفٌ، سأقُولُهُ في مَجْمَعِ الرُّوحانِيّين؛
شَرْحُكَ لأهْلِ الدُّنيا غبْنٌ، سأُحافِظُ عَلَيْهِ مَخْفِيَّاً كَسِرّ العِشْق؛
المَدْحُ تَعْريفٌ وَتَخْريقٌ للحِجاب، الشَّمْسُ فارِغَةٌ مِنَ الشَّرْحِ والتَّعْريف؛
مادِحُ الشَّمْسِ مَدَّاحُ نَفْسِه، أنْ عَيْناهُ مُضيئتانِ وما بِهِما رَمَد؛
ذَمُّ شَمْسِ العالَمِ ذَمٌّ للنَّفْس، أنِ العَيْنانِ عمياوانِ وَمُظْلِمَتانِ وَرَديئتان؛
أنتَ فاعْفُ عَنِ الشَّخْصِ الَّذي في الدُّنيا، صارَ حَسُوداً للشَّمْسِ المُبارَكَة؛
هَلِ اسْتَطاعَ أنْ يَحْجُبَها عَنِ العُيُون، وأنْ يَمْنَعَها عَنْ إعطاءِ الطَّراوَةِ للمُهْتَرِئ؛
أو أنْ يُقَلِّلَ مِنْ نُورِها بِلا حَدّ، أو أنْ تَكُونَ لَهُ قُدْرَةٌ لِيَقُومَ بِدَفْعِ جاهِها؛
كُلُّ شَخْصٍ يَكُونُ حاسِداً للعالَم، حَسَدُهُ ذاكَ يَكُونُ مَوتاً إلى الأبَد؛
قَدْرُكَ تَجاوَزَ إدراكَ العُقُول، العَقْلُ في الشَّرْحِ عَنْكَ أبو الفُضُول؛
رَغْمَ أنَّ هذا العَقْلَ عاجِزٌ عَنِ البيان، تَجِبُ الحَرَكَةُ في ذلِكَ بِعَجْز؛
إنَّ شَيْئاً كُلُّهُ لا يُدْرَكُ اِعْلَمُوا أنْ كُلُّهُ لا يُتْرَكُ
رَغْمَ أنَّهُ لا يُمْكِنُ شُرْبُ طُوفانِ السَّحاب، متى يُمْكِنُ العَمَلُ بِتَرْكِ شُرْبِ الماء؛
إذا كُنْتَ لا تُحْضِرُ ذاكَ السِّرّ بَيْنَنا، اجْعَلِ المَدارِكَ سَعيدَةً مِنَ القِشْر؛
النُّطْقُ بالنِّسْبَةِ لَكَ قِشْرٌ ولكِن، هُوَ عِنْدَ الأفْهامِ الأُخْرى لُبٌّ جَميل؛

السَّماءُ نِسْبَةً للعَرْشِ سُفْلِيَّةٌ، لكِنَّها نِسْبَةً للتُّرابِ عالِيَةٌ جِدّاً؛
أنا أَقُولُ وَصْفَكَ كَيْ يَسْلُكُوا الطَّريق، مِنْ قَبْلِ أنْ يَجْرَعُوا الحَسْرَةَ مِنْ فَوْتِ ذاك؛
أنتَ نُورُ الحَقّ وَجَذّابُ الرُّوحِ للحَقّ، والخَلْقُ في ظُلُماتِ الوَهْمِ والظَّنّ؛
التَّعْظيمُ شَرْطٌ حَتَّى هذا النُّورُ الجَميلُ، يَصيرُ مُكَحِّلاً لِغَيْرِ المُبْصِرينَ هؤلاء؛
المُسْتَعِدُّ حادُّ السَّمْعِ يَجِدُ النُّورَ، إذْ لَمْ يَكُنْ عاشِقاً للظُّلْمَةِ مِثْلَ الفَأْر؛
ضِعافُ النَّظَرِ المُتَجَوِّلُونَ في اللَّيْل، مَتى يَطُوفُونَ بِمَشْعَلَةِ الإيمان؛
المُشْكِلُ الصَّغيرُ صارَ معانِيَ دَقيقَةً،لأسيرِ الطَّبْعِ الَّذي صارَ مُعْتِماً مِنَ الدِّيْن؛
ما لَمْ تُهَيِّئْ سَدى وَلُحْمَةَ الفَضْل، لَنْ تَسْتَطيعَ العَيْنُ أنْ تَتَفَتَّحَ في الشَّمْس؛
ولَنْ يَسْمُوَ إلى أغْصانِ النَّخْلَةِ، مَنْ حَفَرَ الشُّقُوقَ في الأرْضِ كالفَأر؛
أرْبَعَةُ أوْصافٍ تَعْصِرُ قُلُوبَ البَشَرِ ، صارَ العَقْلُ مَصْلُوباً على هذِهِ الأرْبَعَة؛

تَفسير خُذْ أرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إلَيْك

أنتَ خَليلُ الوَقْتِ أي شَمْسَ العَقْل، احْذَرْ الأرْبَعَةَ مِنَ الطَّيرِ قاطِعَةَ الطَّريقِ؛
ذلِكَ أنَّ كُلَّ طائرٍ مِنْها شَبيهُ الغُراب، هُوَ لِعَقْلِ العاقِلِيْنَ قاتِلُ رُؤيَة؛
أرْبَعَةُ أوصافِ البَدَنِ مِثْلُ طُيُورِ الخَليل، ذَبْحُها يَمْنَحُ للرُّوحِ السَّبيل؛
أيْ خَليلُ في خلاصِ سَيِّئٍ وَحَسَن، اِقْطَعْ رُؤوسَها لِتُحَرِّرَ الأقْدامَ مِنَ القَيْد؛
أنتَ كُلٌّ وَهُمْ كُلُّهُمْ جَميعاً أجزاؤك، أطْلِقِ السَّراحَ لَها فأقْدامُها أقْدامُك؛
عالَمُ الرُّوحِ مِنْكَ في عذاب، فارِسٌ ظَهيرٌ لِمائَةِ جَيْش؛
ذاكَ أنَّ هذا الجَسَدَ مَقامُ الطِّباعِ الأرْبَعَة، فاسْمُها الطُّيُورُ الأرْبَعَةَ طَالِبَةُ الفِتْنَة؛
إنْ كُنْتَ تُريدُ للخَلْقِ حَياةَ الأبَد، اقطَعِ الرَّأْسَ مِنْ طُيُورِ شُؤمِ السُّوءِ الأرْبَعَة؛
ثُمَّ أعِدْها حَيَّةً مِنْ نَوعٍ آخَر، فلا يَكُونُ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ مِنْها ضَرَر؛
الطُّيُورُ الأرْبَعَةُ المَعْنَوِيَّةُ قاطِعَةُ الطَّريق، اتَّخَذَتْ لها وَطَناً مِنْ قُلُوبِ الخَلْق؛

ما دُمْتَ أميرَ جُمْلَةِ القُلُوبِ السَّوِيَّة، أنتَ خَليفَةُ الحَقّ في هذا الدَّور؛
اقْطَعْ رُؤوسَ هذِهِ الطُّيُورِ الأرْبَعَةِ الحَيَّةِ، اِجْعَلْ هذا الخَلْقَ غَيْرَ الدَّائمِ سَرْمَدِيَّاً؛
البَطُّ والغُرابُ والدِّيْكُ والطَّاووس، مِثالُ الأخْلاقِ الأرْبَعَةِ في النُّفُوس؛
البَطُّ الحِرْصُ والدِّيْكُ تِلْكَ الشَّهْوَة، والطَّاوُوْسُ الجاهُ والغُرابُ الأُمْنِيَة؛
أُمْنِيَتُهُ تِلْكَ أنْ يَكُونَ بالِغَ رَغْبَة، طامِعٌ بالتَّأبيدِ أوِ العُمْرِ الطَّويل؛
البَطُّ هُوَ الحِرْصُ فَمِنْقارُهُ في الأرْضِ، يَبْحَثُ في الرَّطْبِ واليابِسِ عَنِ الدَّفين؛
حَلْقُهُ لا يَكُونُ مُعَطَّلاً لَحْظَةً واحِدَة، لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الأحكامِ غَيْرَ أمْرِ كُلُوا؛
مِثْلَ المُغيرِ الَّذي أغارَ على مَنْزِلٍ، يَقُومُ على عَجَلٍ مُسْرِعاً بِمَلْأِ الخِرْج؛
يَضَعُ الغَثَّ والنَّفيسَ مَعاً في الخِرْجِ، يَضَعُ حَبَّاتِ الدُّرِّ مَعَ حَبَّاتِ الحِمَّص؛
لِئلَّا يَكُونَ مُغيرٌ آخَرُ يَجيء، يأخُذُ الأخْضَرَ واليابِسَ وَيَضَعُهُما في خِرْجِه؛
وَقْتٌ ضَيِّقٌ وفُرْصَةٌ قليلَةٌ وهُوَ مَخُوف، يَضَعُ تَحْتَ إبِطِهِ كُلَّ شَيْءٍ بلا وُقُوف؛
لا اعْتِمادَ لَهُ على سُلْطانِ نَفْسِهِ، بأنْ لا يَجيءَ مُغيرٌ آخَرُ مِنْ أمامِه؛
لكِنَّ المُؤمِنَ مِنْ اعْتِمادٍ على تِلْكَ الحَياة، يَقُومُ بالغارَةِ على مَهَلٍ وَفي أناة؛
إنَّهُ آمِنٌ مِنَ الفَوْتِ وَمِنَ العَدُوّ، لأنَّهُ عالِمٌ بِقَهْرِ المَلِكِ للعَدُوّ؛
وآمِنٌ مِنَ العَبيدِ الآخَرِيْنَ مِثْلِهِ، أنْ يَجِدَهُ مِنْهُمْ مُزاحِمٌ يَصْرِفُه؛
فَقَدْ رأى عَدْلَ الشَّاهِ في ضَبْطِ الحَشَم، فلا شَخْصَ يُورِدُ الظُّلْمَ على شَخْص؛
لا يُسْرِعُ لا جَرَمَ وَيَكُونُ ساكِنا، وَيَكُونُ مِنْ فَواتِ حَظِّ نَفْسِهِ آمِنا؛
فَعِنْدَهُ التَّأنِّي والصَّبْرُ والتَّحَمُّل، مَمْلُوءُ العَيْنِ وَمُؤثِرٌ وَطاهِرُ الجَيْب؛
فهذا التَّأنِّي انْعِكاسُ نُوْرِ الرَّحْمن، وَتِلْكَ العَجَلَةُ مِنْ هَزَّةِ الشَّيْطان؛
الشَّيْطانُ أخافَهُ مِنَ الفَقْر، فَجَرَّ دابَّةَ الصَّبْرِ بالعَقْر؛
اِسْمَعْ مِنَ القُرآنِ أنَّ الشَّيْطانَ في الوَعيد، قامَ بِتَهْديدِكَ مِنَ الفَقْرِ الشَّديد؛

لِتَأكُلَ القَبيحَ وَتَحْمِلَ القَبيحَ مِنَ العَجَل، بلا مُرُوءَةٍ بلا تَأَنٍ بلا ثَواب؛
لا جَرَمَ الكافِرُ يَأكُلُ بِسَبْعَةِ بُطُون، الدِّيْنُ والقَلْبُ ضَيّقانِ نَحيلانِ والبَطْنُ واسِع؛

في سَبَب ورود هذا الحَديث عن المُصْطَفى صَلَواتُ اللهِ عَلَيْه

أن:الكافِرُ يَأْكُلُ في سَبْعَةِ أمعاءٍ والمُؤمِنُ يَأْكُلُ في مِعاءٍ واحِد

صارَ كُفَّارٌ ضُيُوفاً على النَّبِيّ، جاؤوا إلى المَسْجِدِ وَقْتَ العِشاء؛
أنْ جِئنا إلى هُنا ضُيُوفاً أي شاه، أيْ مَنْ أنْتَ المُضَيِّفُ لِسُكَّانِ الأُفُق؛
جِئنا إلى هُنا مِنْ بَعيدٍ بلا زاد، هيَّا انْثُرْ على رُؤوسِنا الفَضْلَ والنُّور؛
قالَ أي صِحابي اقْتَسِمُوهُم، فَأَنْتُمْ مُمْتَلِئونَ مِنّي وَمِنْ طَبْعي؛
أجسامُ كُلِّ جَيْشٍ مَمْلُوءَةٌ مِنَ الشَّاه، مِنْ ذلِكَ يَضْرِبُونَ بالسَّيْفِ أعْداءَ الجاه؛
أنتَ بِغَضَبِ الشَّاهِ تَضْرِبُ بِذلِكَ السَّيْف، وإلَّا فأيُّ غَضَبٍ جاءَكَ على الإخْوان؛
تَقُومُ بِضَرْبِ أخٍ بلا ذَنْبٍ، بِدَبُّوسٍ بِعَشْرَةِ أمنانٍ مِنْ غَضَبِ الشَّاه؛
الشَّاهُ رُوحٌ واحِدٌ والجَيْشُ مِنْهُ مَمْلُوء، الرُّوحُ مِثْلَ الماءِ وهذِهِ الأجسامُ نَهْر؛
الماءُ رُوحُ الشَّاهِ فإنْ كانَ عَذباً، امْتَلأتْ جُمْلَةُ الأنْهارِ بالماءِ العَذْب؛
فإنَّ الرَّعِيَّةَ لا دِيْنَ لَهُمْ غَيْرُ دينِ الشَّاه، هكذا قَرَّرَ سُلْطانُ *عَبَس*؛
كُلُّ صاحِبٍ قامَ باخْتِيارِ ضَيْفٍ، وَبَقِيَ هُناكَ واحِدٌ ضَخْمٌ وبلا نَديد؛
بِجِسْمِهِ الضَّخْمِ لَمْ يَأْخُذْهُ أَحَدٌ، فَبَقِيَ في المَسْجِدِ كما تَبْقى الثُّمالَةُ في الجام؛
فأخَذَهُ المُصْطَفى بما أنَّ الجَمِيْعَ تَرَكَهُ، وكانَ في القَطيعِ سَبْعُ عِنازٍ حَلائِب؛
تِلْكَ العِنازُ كانَتْ مُقيمَةً في المَنْزِل، مِنْ أجْلِ أنْ تُحْلَبَ في أوقاتِ الطَّعام؛
الخُبْزَ والحِساءَ وَلَبَنَ كُلِّ العِنازِ، أَكَلَ أبُو القُحْطِ ذاكَ *عَوجُ بنُ غَزّ*؛
أهْلُ البَيْتِ صارُوا مُخالَطِيْنَ بالغَضَب، فَقَدْ كانُوا جَميعاً يُريدُونَ مِنْ ذلِكَ اللَّبَن؛
جَعَلَ ذاكَ النَّهِمُ مَعِدَتَهُ كالطَّبْل، أكَلَ نَصيبَ ثَمانِيَةَ عَشَرَ آدَمِيَّاً وَحْدَه؛

وَقْتَ النَّومِ ذَهَبَ وَجَلَسَ في الحُجْرَة، فقامَتْ خادِمَةٌ وَأَغْلَقَتِ البابَ مِنَ الغَضَب؛
وَوَضَعَتْ زَنْجيراً مِنَ الخارِجِ على الباب، فَقَدْ كانَتْ غاضِبَةً مِنْهُ وَمُتَأَلِّمَة؛
المَجُوسِيُّ في مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ أوْ عِنْدَ الفَجْرِ، جاءَتْهُ الحاجَةُ وَأَلَمَّ بِهِ أَلَمُ البَطْن؛
قامَ مِنَ الفِراشِ مُسْرِعاً جِهَةَ الباب، وَضَعَ اليَدَ على البابِ فَوَجَدَهُ مُقْفَلاً؛
عَمِلَ عامِلُ الحِيَلِ ذاك لِفَتْحِهِ كُلَّ حِيْلَةٍ، مِنْ كُلِّ نَوْعٍ وَلَمْ يَنْفَتِحْ ذلِكَ القِفْل؛
جاءَتِ الحاجَةُ إثْرَ الحاجَةِ والمَنْزِلُ ضَيِّقٌ، وَظَلَّ حَيْرانَ يَتَرَدَّدُ بلا عِلاج؛
عَمِلَ الحِيْلَةَ وَجَعَلَ الاِخْتِيارَ النَّومَ، فرأى النَّفْسَ في النَّوْمِ في خرابَةٍ؛
بِما أنَّ الخرابَةَ كانَتْ في خاطِرِه، جاءَ ذاكَ المكانُ في النَّومِ في مَنْظَرِه؛
وَحِيْنَ رأى النَّفْسَ في خَرابَةٍ خالِيَة، أَحْدَثَ في الحالِ إذْ كانَ مُحْتاجاً جِدَّاً؛
اسْتَيْقَظَ ورأى لِباسَ النَّومِ ذاكَ، مُمْتَلِئاً مِنَ الحَدَثِ فَجُنَّ مِنَ الاِضْطِراب؛
طَلَعَتْ مِنْ داخِلِهِ مِئَةُ صَرْخَةٍ، مِنْ هذِهِ الفَضِيْحَةِ الَّتي لا يُغَطِّيْها التُّراب؛
قالَ نَومي أسْوأُ مِنْ يَقَظَتِي، آكُلُ مِنْ هذِهِ الجَهَةِ وأُحْدِثُ مِنْ تِلْكَ الجِهَة؛
صارِخاً أنْ واثُبُورا واثُبُور، مِثْلَما الكُفَّارُ في قَعْرِ القُبُور؛
مُنْتَظِراً أنْ يَصِلَ هذا اللَّيْلُ لِنِهايَتِه، حَتَّى يَطْلَعَ صَوْتُ البابِ بالفَتْح؛
حَتَّى يَفِرَّ كالسَّهْمِ مِنَ القَوْس، كَيْ لا يَراهُ أَيُّ شَخْصٍ بِتِلْكَ الحال؛
هذِهِ القِصَّةُ طَويلَةٌ وأنا أخْتَصِر، عِنْدَما فُتِحَ ذلِكَ البابُ تَحَرَّرَ مِنَ الأَلَمِ والغَمّ؛

فَتْحُ المُصْطَفى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ بابَ الحُجْرَةِ للضَّيْف وإخْفاؤهُ النَّفْسَ حَتَّى لا يَرى الضَّيْفُ الفاتِحَ وَيَصِيْرَ خَجِلاً، وَخُرُوجُ الضَّيْف مُسْرِعاً للخارِج

المُصْطَفى جاءَ صَباحاً وَفَتَحَ الباب، أعطى الطَّريقَ صباحاً لِذَلِكَ الضَّالّ؛
فَتَحَ البابَ واخْتَفى المُصْطَفى، كَيْ لا يَصيرَ خَجِلاً ذلِكَ المُبْتَلى؛

حَتَّى يَخْرُجَ للخارِجِ وَيَمْضي بِجُرْأة، كَيْ لا يَرى مِنْ فاتِحِ البابِ الوَجْهَ والظَّهْر؛
أو أنَّهُ صارَ مَخْفِيَّاً خَلْفَ شَيْءٍ، أو أنَّهُ تَغَطَّى عَنْهُ بِغِطاءِ الله؛
صِبْغَةُ اللهِ حِيْناً تَضَعُ الغِطاء، غِطاءً بلا كَيْفٍ لِناظِرِ البَدَن؛
كي لا يرى الخَصْمَ مِنْ أمامِهِ، قُدْرَةُ اللهِ أكْثَرُ مِنْ ذاكَ بِكَثير؛
المُصْطفى كانَ يرى أحْوالَهُ في اللَّيْل، لكِنَّ أَمْرَ رَبِّهِ كانَ مانِعاً لَه؛
لِئلَّا يَفْتَحَ الطَّريقَ قَبْلَ الخَبْط، فلا يَقَعَ مِنْ تِلْكَ الفَضيحَةِ في بِئْر؛
لكِنْ كانَتِ الحِكْمَةُ وأمْرُ السَّماء، أنْ يرى النَّفْسَ على تِلْكَ الحال؛
كم مِنْ عَداوَةٍ كانَتْ صداقَةً، كَمْ مِنْ خرابَةٍ كانَتْ عِمارَة؛
جَلَبَ فُضُولِيٌّ قاصِداً ثيابَ النَّومِ، مَمْلُوءَةً بالحَدَث إلى أمامِ الرَّسُولِ؛
أنْ هذا كانَ فِعْلُ ضَيْفِكَ انْظُرْ، فَضَحِكَ مَنْ هُوَ رَحْمَةٌ للعالَمين؛
أنْ اجْلِبْ ذلِكَ الإبريقَ هُنا أمامي، حَتَّى أغْسِلَ كُلَّ هذا بِيَدِي؛
كُلُّ شَخْصٍ انْتَفَضَ أنْ لأجْلِ الله، أرواحُنا وأجْسامُنا لَكَ الفِداء؛
نَحْنُ نَغْسِلُ هذا الحَدَثَ فاتْرُكْهُ، هذا النَّمَطُ مِنْ شُغْلِ اليَدِ لا شُغْلِ القَلْب؛
أيْ لَعَمْرُكَ أَلَمْ يُقْسِمِ الحَقُّ بِعُمُرِكَ، فَجَعَلَكَ خَليفَةً وَأَجْلَسَكَ على الكُرْسِيّ؛
نَحْنُ مِنْ أَجْلِ خِدْمَتِكَ نَعيش، إذا قُمْتَ بالخِدْمَةِ ما نَكُونُ نَحْن؛
قالَ أعْلَمُ ذاكَ ولكِنْ هذِهِ ساعَة، غَسْلُ هذا بِها مِنِّي حِكْمَة؛
فَبَقَوا مُنْتَظِرينَ إذْ هذا قَوْلُ نَبِيّ، حَتَّى يُظْهِرَ ما تَكُونُ هذِهِ الأسرار؛
وراحَ المُخْتارُ يَغْسِلُ ذلِكَ الحَدَثَ، عَنْ أَمْرِ الحَقِّ بِجِدٍّ لا تَقْليداً وَرياءً؛
إذْ قَلْبُهُ كانَ يَقُولُ اغْسِلْ هذا، فإنَّ هُنا حِكْمَةً تَتْرى؛

سَبَبُ رُجُوعِ ذلِكَ الضَّيْفِ إلى مَنْزِلِ المُصْطَفى عليهِ السَّلام تِلْكَ السَّاعَةَ إذْ كانَ المُصْطفى يَغْسِلُ الفِراشَ المُلَوَّثَ بِيَدِهِ المُبارَكَة ، وَخَجَلُ الضَّيْفِ وَتَمْزيقُهُ الثَّوبَ، وَنَواحُهُ على نَفْسِهِ وَحالِ نَفْسِه

كانَ لِذلِكَ الكافِرِ هَيْكَلاً، افْتَقَدَهُ فَلَمْ يَجِدْهُ وَصارَ بلا قَرار؛
قالَ تِلْكَ الحُجْرَةُ الَّتي قَضَيْتُ بِها اللَّيْلَ، الهَيْكَلُ بِها، تَرَكْتُهُ هُناكَ مِنْ غَفْلَة؛
رَغْمَ أنَّهُ كانَ خَجِلاً غَلَبَ الحِرْصُ خَجَلَهُ، الحِرْصُ ثُعْبانٌ وَلَيْسَ شَيْئاً صَغيراً؛
راحَ يَجْري في طَلَبِ الهَيْكَلِ مُسْرِعاً، إلى بَيْتِ المُصْطَفى وَرَأى ذاك؛
ذاكَ الَّذي هُوَ يَدُ اللهِ كانَ يَغْسِلُ، ذلِكَ الحَدَثَ مَسْرُوراً بَعُدَتْ عَنْهُ عَيْنُ السُّوء؛
فراحَ مِنْ ذاكِرَتِهِ الهَيْكَلُ وَصارَ ظاهِراً، عَلَيْهِ الاِضْطِرابُ وَمَزَّقَ القَميص؛
يضربُ بِكِلْتا يَدَيْهِ على الوَجْهِ والرَّأْس، وَضَرَبَ الوَجْهَ بالحائِطِ وبالباب؛
هكذا حَتَّى أنَّ الدَّم صارَ جارِياً، مِنْ أنْفِهِ وَرَأْسِهِ وَرَحِمَهُ ذلِكَ الرَّئيس؛
أَطْلَقَ الصَّرَخاتِ واجْتَمَعَ عَلَيْهِ الخَلْق، والمَجُوسِيُّ يَقُولُ أَيُّها النَّاسُ احْذَرُوا؛
يَضْرِبُ الرَّأْسَ أنْ أَيْ بلا عَقْلِ رَأْس، يَضْرِبُ الصَّدْرَ أنْ أيْ بلا نُورِ صَدْر؛
وقامَ بالسُّجُودِ أنْ أَيْ كُلَّ الأرْض، هذا الجُزْءُ المَهِيْنُ خَجِلٌ مِنْك؛
أنتَ خاضِعٌ لأمْرِهِ وأنتَ الكُلِّيّ، وأنا الجُزْئِيُّ ظالِمٌ وَقَبيحٌ وَغَوِيّ؛
أنتَ الكُلِّيُّ خائفٌ راجِفٌ مِنَ الحَقّ، وأنا الجُزْئِيُّ في خِلافٍ وَفي سَبَق؛
وَكُلَّ لَحْظَةٍ يُوَجِّهُ الوَجْهَ للسَّماء، أيْ قِبْلَةَ العالَمِ أنا لا أَمْلِكُ الوَجْه؛
حِيْنَ ارْتِعاشُهُ واضْطِرابُهُ جاوزا الحَدّ، أَخَذَهُ المُصْطَفى وَضَمَّهُ إِلَيْه؛
جَعَلَهُ ساكِناً ولاطَفَهُ كَثيراً، فَتَحَ مِنْهُ العَيْنَ وأَعْطاهُ المَعْرِفَة؛
ما لَمْ يَبْكِ الغَيْمُ مَتى يَضْحَكُ الرَّوْض، ما لَمْ يَبْكِ الطِّفْلُ متى يُسْقى اللَّبَن؛
الطِّفْلُ بِعُمْرِ يَومٍ يَعْرِفُ الطَّريق، أنْ فلأَبْكِ لِيَجيءَ المُرْضِعُ الشَّفيق؛

وأنتَ لا تَعْرِفُ أنَّ مُرْضِعَ المراضِعِ، لا يُعْطي اللَّبَنَ بلا بُكاءٍ مَجَّاناً؛
قالَ فَلْيَبْكُوا كَثيراً فاسْمَعْ، لِيَسْكُبَ اللَّبَنَ فَضْلُ الفَعَّال؛
بُكاءُ الغَيْمِ وَحَريقُ الشَّمْس، هذانِ الحَبْلانِ البَرَّاقانِ عِمادُ الدُّنيا؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ بُكاءُ الغَيْمِ وحَريقُ الشَّمْسِ، متى كَبُرَ وَضَخُمَ الجِسْمُ والعَرَض؛
متى كانَتْ تَعْمَرُ هذِهِ الفُصُولُ الأرْبَعَةُ، ما لَمْ تُكُنْ الحَرارَةُ والبُكاءُ في الأَصْل؛
حَريقُ الشَّمْسِ وَبُكاءُ غَيْمِ الدُّنيا، يَجْعَلُ الدُّنيا هكذا دائماً عَذْبَةَ الفَمّ؛
حافِظْ على شَمْسِ الدُّنيا في احْتِراق، حافِظْ على العَيْنِ كالغَيْمِ مُشْتَعِلَةَ الدَّمْع؛
تَجِبُ لَكَ عَيْنٌ باكِيَةٌ كالطِّفْلِ الصَّغير، أَقِلَّ أَكْلَ الخُبْزِ فالخُبْزُ يَذْهَبُ بالدَّمع؛
ما دامَ البَدَنُ يَأْكُلُ مِنْ ذاكَ لَيْلاً وَنَهاراً، غُصْنُ الرُّوحِ في خَريفٍ وتَسْقُطُ أوْراقُه؛
أوراقُ البَدَنِ نَقْصُ أوراقِ الرُّوح، يَجِبُ إنقاصُ هذِهِ والزِّيادَةُ مِنْ تِلْك؛
أَقْرِضُوا اللهَ أَدِّ القَرْضَ مِنْ وَرَقِ البَدَن، كَيْ يَنْمُوَ في العِوَضِ رَوْضٌ في القَلْب؛
اِدْفَعِ القَرْضَ أَقِلَّ مِنْ لُقْمَةِ البَدَنِ هذِه، حَتَّى يُسْفِرَ لَكَ وَجْهُ *لا عَيْنٌ رَأَتْ*؛
إذا أَخْلَيْتَ البَدَنَ مِنْ بَعْرِ النَّفْس، تَجْعَلُهُ مَمْلُوءاً بالمِسْكِ والدُّرِّ الإجلالي؛
مَنْ أخرَجَ هذِهِ النَّجاسَةَ وأَخَذَ الطَّهارَةَ، صارَ بَدَنُهُ لائقاً *بِيُطَهِّرُكُم*؛
الشَّيْطانُ يُخيفُكَ أنْ حذارِ واحْذَرْ، فأنتَ أسِفٌ مِنْ هذا وَأَنْتَ حَزين؛
إذا أَزَلْتَ أهْواسَ البَدَنِ هذِهِ، كَمْ سَتَصيرُ في أَسَفٍ وَغَمٍّ وَحُزْن؛
أَنْ كُلْ ذا فذا حارٌّ وَعِلاجُ مِزاج، واشْرَبْ ذاكَ مِنْ أجْلِ النَّفْعِ والعِلاج؛
بِذاتِ النِّيَّةِ أنْ بَدَنُكَ هذا مَرْكَب، كُلُّ ما اعْتادَ عَلَيْهِ فَهُوَ لَهُ أَصْوَب؛
ألا لا تَرْجِعْ عَنِ الطَّبْعِ فَيَطْلَعَ الخَلَل، وَتُولَدَ في القَلْبِ والدِّماغِ مِئاتُ العِلَل؛
بِمِثْلِ هذِهِ التَّهْديداتِ ذلِكَ الشَّيْطانُ الدُّون، يَجيءُ وَيَقْرَأُ على الخَلْقِ مِئَةَ سِحْر؛
وَيَجْعَلُ مِنَ النَّفْسِ *جالينُوسَ* في الدَّواء، حَتَّى يَخْدَعَ نَفْسَكَ المَريضَة؛
أَنْ هذا نافِعٌ لَكَ مِنَ الوَجَعِ والغَمّ، وقالَ لآدَمَ الشَّيْءَ نَفْسَهُ في القَمْح؛

يَجيءُ بِهَيَّا وَهَيْهاتَ ، وَمِنْ تَسْويفِهِ يَعْقِدُ الشِّفاه؛
مِثْلَما تُرْبَطُ شِفاهُ الفَرَسِ وَقْتَ النَّعْل، حَتَّى يُظْهِرَ الحَجَرَ الضَّئيلَ كاللَّعْل؛
أَخَذَ بِأُذُنَيْكَ كما يُؤخَذُ بِأُذُنِ الفَرَس، يَشُدُّكَ جِهَةَ الحِرْصِ وَجِهَةَ الكَسْب؛
وَضَعَ على قَدَمِكَ النَّعْلَ مِنَ الاِشْتِباه، فَتَوَقَّفْتَ مِنْ أَلَمِ ذاكَ عَنِ المَسير؛
نَعْلُهُ ذاكَ هُوَ التَّرَدُّدُ بَيْنَ عَمَلَيْن، أعْمَلُ هذا أمْ أَعْمَلُ ذاكَ، ألا انْتَبِه؛
اِعْمَلِ العَمَلَ الَّذي يَكُونُ مُخْتارَ النَّبِيّ، ولا تَفْعَلْ ما يَفْعَلُ المَجْنُونُ والصَّبِيّ؛
حُفَّتِ *الجَنَّةُ*، بِمَ حُفَّتِ الجَنَّة، حُفَّتْ بالمكارِهِ فَمِنْها يَزيدُ الزَّرْع؛
مِئَةُ سِحْرٍ مِنَ الحِيَلِ عِنْدَهُ ومِنَ الدَّهاء، عِنْدَهُ سَلَّةٌ مَمْلُوءَةٌ بالأفاعي؛
وَلَو كانَ ماءً جارِياً يَعْقِدُهُ، وَلَوْ كانَ حَبْرَ الزَّمانِ يَضْحَكُ عَلَيْه؛
اِجْعَلِ العَقْلَ مُسْتَعيناً بِعَقْلٍ مُعين ، أمْرُهُمْ شُورى اقْرَأْ واعْمَلِ العَمَل؛

مُلاطَفَةُ المُصْطَفى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ ذلِكَ العَرَبِيَّ الضَّيْفَ وإعطاؤُهُ السَّكينَةَ مِنْ ذلِكَ الاِضْطِرابِ ومِنَ البُكاءِ والنُّواحِ على نَفْسِهِ في خَجالَةٍ وَنَدامَةٍ ونارِ يَأْس

هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ وذلِكَ العَرَبِيّ، ظَلَّ مِنْ أَلْطافِ ذلِكَ الشَّاهِ في عَجَب؛
عَقْلُهُ جَفِلَ أرادَ أنْ يَصيرَ مَجْنُوناً، يَدُ عَقْلِ المُصْطَفى سَحَبَتْهُ مِنْ جَديد؛
قالَ تَعالَ إلى هُنا فَجاءَ هكَذا، مِثْلَما يَجيءُ شَخْصٌ نَهَضَ مِنْ نَومٍ ثَقيل؛
قالَ أَقْبِلْ إلى هُنا لا تَفْعَلْ عُدْ إلى النَّفْس، فَمِنْ هذِهِ الجِهَةِ تَكُونُ مَعَكَ أعْمال؛
سَكَبَ على وَجْهِهِ الماءَ فَبَدَأَ الكلامَ، أنْ أَيْ شَهيْدَ الحَقّ اعْرِضْ عَلَيَّ الشَّهادَة؛
لِأُعْطِيَ الشَّهادَةَ وأصيرَ للخارِجِ، أنا شَبِعْتُ مِنَ الوُجُودِ سَأَذْهَبُ لِتِلْك الصَحْراءِ؛
نَحْنُ في دِهْليزِ قاضِيْ القَضا ، مِنْ أَجْلِ دَعْوى *أَلَسْتُ وَبَلى*؛

إذا كُنَّ قُلْنا *بَلى* فالإمْتِحان أفْعالُنا، وَأَقْوالُنا الشُّهُودُ والبيان؛
عَلامَ في دهليزِ القاضي تَوَقَّفْنا، أَلَيْسَ مِنْ أَجْلِ الشَّهادَةِ جِئنا؛
كَمْ تَظَلُّ في الحَبْسِ في دهليزِ القاضي، أعْطِ الشَّهادَةَ مِنَ الفَجْرِ أَيُّها الشَّاهِد؛
مِنْ أجْلِ ذلِكَ دَعَوْكَ إلى هُنا، أعْطِ تِلْكَ الشَّهادَةَ ولا تُورِدِ العُتُوّ؛
مِنْ لِجاجِ النَّفْسِ قَعَدْتَ، في هذا الضِّيْقِ عاقِداً الكَفَّ والشَّفَة؛
ما لَمْ تُعْطِ تِلْكَ الشَّهادَةَ متى تُريد، أنْ تَتَحَرَّرَ مِنْ هذا الدِّهْليزِ أَيْ شَهيد؛
إنَّهُ عَمَلُ لَحْظَةٍ أَدِّهِ واهْجِمْ، لا تَجْعَلِ العَمَلَ القَصيرَ طَويلاً على النَّفْس؛
سَواءً في مِئَةِ عامٍ وَسَواءً في لَحْظَة، أدِّ هذِهِ الأمانَةَ وَتَحَرَّرْ؛

بيان أنَّ الصَّلاةَ والصَّومَ وَكُلَّ الأشياءِ الخارِجِيَّةِ شَواهِدُ على النُّورِ الدَّاخِلِيّ

الصَّلاةُ والصَّومُ والحَجُّ والجِهاد، تُعْطي الشَّهادَةَ أيْضاً عَنِ الاِعْتِقاد؛
الزَّكاةُ والهَدِيَّةُ وَتَرْكُ الحَسَد، تُعْطي الشَّهادَةَ أيْضاً عَنْ سِرِّ النَّفْس؛
الإطْعامُ والضِّيافَةُ لإظْهارِ الصِّدْق، أنْ أَيْ سادَةُ نَحْنُ صادِقُونَ مَعَكُم؛
الهَدايا والتُّحَفُ والعَطايا، شاهِدَةٌ أنْ أنا مَعَكَ حَسَن؛
كُلُّ شَخْصٍ سَعى بِمالٍ أو بِمَكْر، أنْ ما الَّذي أمْلِكُ في داخلي مِنْ جَوْهَر؛
أَأَمْلِكُ جَوهَراً مِنَ التَّقْوى أمِ السَّخاء، هذِهِ الزَّكاةُ وَهذا الصَّومُ في كِلَيْهِما شاهِد؛
الصَّومُ يَقُولُ فَعَلَ التَّقْوى مِنَ الحلال، اِعْلَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بالحَرامِ اتِّصال؛
وَزَكاتُهُ تِلْكَ تَقُولُ أنْ هُوَ مِنْ مالِ نَفْسِهِ، يُعْطِيْ فَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ أهْلِ مَذْهَبِه؛
إذا عَمِلَ طَرَّاراً فالشَّاهِدان، يَجْرَحانِهِ في مَحْكَمَةِ عَدْلِ الإله؛
يكُونُ صَيَّاداً إذا كانَ ناثِرَ الحَبّ، لا مِنَ الرَّحْمَةِ والجُودِ بَلْ مِنْ أجْلِ الصَّيْد؛

يكُونُ قِطَّاً صائماً وفي الصِّيام، يُنيمُ النَّفْسَ مِنْ أجْلِ صَيْدِ الخام؛
مِنْ انْحِرافِهِ سَبَّبَ سُوءَ الظَّنِّ بِمِئَةِ قَوم،سَبَّبَ سُوءَ السُّمْعَةِ لأهْلِ الجُودِ والصَّوم؛
عاقِبَةُ هذا الَّذي يَسْعى بانحِرافٍ، أنْ يُطَهِّرَهُ كُلَّهُ فَضْلُ الحَقِّ؛
أَخَذَ رَحْمَتَهُ في السَّبْقِ وذلِك الغَدْر، أُعْطِيَ نُوراً لا يَكُونُ للبَذْر؛
سَعْيُهُ مَغْسُولُ الحَقِّ مِنْ هذا الاِخْتِلاط، رَحْمَتُهُ تَغْسِلُهُ مِنْ هذا الخُباط؛
حَتَّى تَصيرَ غَفَّارِيَّتُهُ ظاهِرَةً، إنَّهُ غافِرٌ يَغْفِرُ ذُنُوبَهُ جميعاً؛
أمْطَرَ الماءَ مِنْ أَجْلِ هذا مِنَ السَّماء، لِيَجْعَلَ المُدَنَّسِيْنَ مُطَهَّرِينَ مِنَ الخُبْث؛

تَطْهيرُ الماءِ جَميعَ النَّجاسات وتطهيرُ اللهِ تَعالى للماء مِنَ النَّجاساتِ مِنْ جَديد، لا جَرَمَ أنَّ الحَقَّ تَعالى قُدُّوس

الماءُ حِيْنَ لَمْ يَعُدْ نافِعاً وَصارَ نَجِساً، بِحَيْثُ أنَّ الحِسَّ صارَ يَرُدُّ ذلِكَ الماء؛
حَمَلَهُ الحَقُّ مُجَدَّداً إلى بَحْرِ الصَّواب، لِيَغْسِلَهُ مِنَ الكَرَمِ مِنْ ماءِ الماءِ ذاك؛
وَجاءَ في سَنَةٍ أُخْرى يَسْحَبُ الذَّيْلَ، أنْ أيْنَ كُنْتَ؟ كَنْتُ في بَحْرِ الطَّيِّبِيْن؛
ذَهَبْتُ مِنْ هُنا نَجِساً وَعُدْتُ طاهِراً، حَمَلْتُ الخِلْعَةَ وَجِئْتُ نَحْوَ التُّراب؛
هَيَّا أقْبِلُوا أَيُّها المُلَوَّثُونَ نَحْوِي، فَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ طَبْعِ اللهِ طَبيعَتي؛
أنا أقْبَلُ جُمْلَةَ قَباحاتِك، أُعْطي الطَّهارَةَ للعِفْريتِ كالمَلَك؛
وَحِيْنَ أَصِيْرُ مُلَوَّثاً أَذْهَبُ إلى هُناكَ مُجَدَّداً، أَذْهَبُ جِهَةَ أَصْلِ أَصْلِ الطَّهارات؛
أنزِعُ ثَوبِيَ الوَسِخَ هُناكَ عَنِ الرَّأْس، وَيُعطيني الخِلْعَةَ الطَّاهِرَةَ مَرَّةً أُخْرى؛
هذا يَكُونُ شُغْلُهُ وَشُغْلي هذا، العالَمُ مُزَيَّنٌ مِنْ رَبِّ العالَمين؛
لَوْ لَمْ تَكُنْ نجاساتُنا هذِهِ مَوجُودَةً، مَتى كانَ هذا النِّظامُ الدَّقيقُ للماء؛
يَسْرِقُ أكياسَ الذَّهَبِ مِنَ الغَنِيِّ، وَيَذْهَبُ في كُلِّ الجِهاتِ أنْ أَيْنَ المُفْلِس؛
أو يَنْهَمِرُ على نَباتٍ نامٍ، أو يَغْسِلُ وَجْهَ وَجْهٍ غَيْرِ مَغْسُول؛

أو يَحْمِلُ على الرَّأْسِ مِنْهُ مِثْلَ الحَمَّال، السَّفِيْنَةَ بلا يَدٍ ولا قَدَمٍ في البِحار؛
مِئاتِ أُلُوفِ العِلاجاتِ مِنْهُ مَخْفِيَّةٌ، ذلِكَ أَنَّ كُلَّ عِلاجٍ يَطْلَعُ مِنْهُ هكذا؛
رُوحٌ لِكُلِّ دُرٍّ وَقَلْبٌ لِكُلِّ حَبَّةٍ، يَذْهَبُ في النَّهْرِ مِثْلَ مَخْزَنِ الدَّواء؛
مِنْهُ لِيَتامى الأَرْضِ تَرْبِيَةٌ، مِنْهُ لليابِساتِ كِساء؛
حِيْنَ لا يَبْقى لَهُ رَأْسُ مالٍ يَسْوَدّ ، يَصِيْرُ في الأَرْضِ مُتَحَيِّراً مِثْلَنا؛

اسْتِعانَةُ الماءِ بَعْدَ اسْوِدادِهِ بالحَقِّ جَلَّ جَلالُه

يَرْفَعُ الشَّكْوى مِنَ الباطِنْ إلى الله، أنْ كُلَّ ما أَعْطَيْتَني أَعْطَيْتُ وَبَقِيْتُ شَحَّاذاً؛
أَرَقْتُ ما مَلَكْتُ على طاهِرٍ وَنَجِس، أَيْ مالِكَ المُلْكِ أَعْطِ *هَلْ مِنْ مَزِيد*؛
فَيَقُولُ للغَيْمِ احْمِلْهُ إلى مَحَلِّهِ الجَمِيْل، وَأَنْتِ أَيْضاً أَيْ شَمْسُ ارْفَعِيْهِ للأعلى؛
يَسُوقُهُ في طُرُقٍ شَتَّى، لِيُوصِلَهُ إلى البَحْرِ بلا حَدّ؛
الغَرَضُ مِنْ هذا الماءِ رُوحُ الأولياء، إنَّهُ لِظُلُماتِكُمْ غَسُول؛
حِيْنَ يَصيرُ كَدِراً مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الفَرْش، يَعُودُ للطَّهارَةِ مِنْ عطاءِ العَرْش؛
ثُمَّ يَعُودُ مِنْ ذلِكَ الطَّرَفِ يَجُرُّ الذَّيْل، مِنْ طَهاراتِ بَحْرِهِ المُحيطِ ناثِرِ الدُّرّ؛
مِنَ الاِخْتِلاطِ بالخَلْقِ يَجِدُ الاِعْتِلال، فَيَطْلُبُ السَّفَرَ أَرِحْنا يا بلال؛
أيْ بلالُ عَذْبُ الصَّوتِ عَذْبُ الصَّهِيل، اِرْتَقِ المِئْذَنَةَ واقْرَعْ طَبْلَ الرَّحِيل؛
الرُّوحُ راحَتْ في السَّفَرِ والبَدَنُ في القِيام، مِنْ هذا وَقْتَ الرَّجْعَةِ يَقُولُ السَّلام؛
حَرِّرِ الجَميعَ مِنَ التَّيَمُّم، حَرِّرْ طالِبي القِبْلَةِ مِنَ التَّحَرِّي؛
هذا المَثَلُ مِثْلَ الواسِطَةِ في الكلام، الواسِطَةُ شَرْطٌ لِفَهْمِ العامّ؛
وَسَطَ النَّارِ مَتى يَذْهَبُ بلا واسِطَة، إلَّا سَمَنْدَرٌ تَحَرَّرَ مِنَ الرَّابِطَة؛
واسِطَةُ الحَمَّامِ واجِبَةٌ لَكَ، حَتَّى مِنَ النَّارِ تَجْعَلَ طَبْعَكَ جَميلاً؛

أنتَ لا تَسْتَطِيْعُ دُخُولَ النَّارِ كالخَليل، فصارَ الحَمَّامُ رَسُولَ الماءِ إلَيْكَ والدَّليل؛
الشِّبَعُ مِنَ الحَقِّ لكِنْ أَهْلُ الطَّبَع، متى يَصِلُونَ بلا واسِطَةِ الخُبْزِ إلى الشِّبَع؛
اللُّطْفُ مِنَ الحَقِّ لكِنْ أَهْلُ البَدَن، لا يَجِدُونَ اللُّطْفَ بلا بُرْدَةِ الرَّوض؛
مَرْفُوعُ الحِجابِ بلا واسِطَةٍ مِنَ البَدَنِ، يَجِدُ نُورَ القَمَرِ مِنَ الجَيْبِ مِثْلَ مُوسى؛
هذِهِ الفُنُونُ شاهِدَةٌ للماءِ، على أنَّ باطِنَهُ مَمْلُوءٌ مِنْ لُطْفِ الله؛

شَهادَةُ الفِعْلِ والقَولِ الخارِجِيَّيْن على الضَّميرِ والنُّورِ الدَّاخِلِيَّيْن

الفِعْلُ والقَوْلُ شاهِدانِ على الضَّمير، خُذْ مِنْ هذَيْنِ الاسْتِدْلالَ على الباطِن؛
حِيْنَ سِرُّكَ لا يَمْلِكُ السَّيْرَ في الباطِنِ، اسْتَدِلَّ مِنْ بَوْلِ المَريضِ في الخارِجِ؛
الفِعْلُ والقَوْلُ ذانِكَ بَوْلُ المَريض، إنَّهُما لِطَبيبِ الجِسْمِ بُرْهان؛
وَطَبيبُ الرُّوحِ ذاكَ يَذْهَبُ في رُوحِهِ، ومِنْ طَريقِ الرُّوحِ يَذْهَبُ في إيمانِه؛
حاجَتُهُ لا تَطْلَعُ مِنَ الفِعْلِ الحَسَنِ والقَول، احْذَرُوهُمْ هُمْ جواسيسُ القُلُوب؛
ابْحَثْ عَنْ شاهِدِ القَوْلِ والفِعْلِ مِمَّنْ، لَيْسَ في البَحْرِ والأصْلِ كالنَّهْر؛

في بيانِ أنَّ النُّورَ بالذَّاتِ مِنْ داخِلِ الشَّخْصِ مُنَوَّرٌ مِنْ دُونِ أنْ يَقُومَ ببيانِهِ قَولٌ أو فِعْلٌ يُعْطِيانِ الشَّهادَةَ على نُورِه

لكِنَّ نُورَ السَّالِكِ الَّذي جاوَزَ الحَدَّ، امْتَلأَتْ مِنْ نُورِهِ الصَّحاري والقِفار؛
شاهِدُهُ جاءَ فارِغاً مِنَ الشُّهُود، ومِنَ التَّكَلُّفِ واللعِبِ بالرُّوحِ في الوُجُود؛
نُورُ هذا الجَوْهَرِ حِيْنَ شَعَّ للخارِجِ، وَجَدَ الفراغَ مِنْ هذا الطِّلاء؛
فلا تَطْلُبْ مِنْهُ إذَنْ شَهادَةَ القَوْلِ والفِعْل، فالعالَمانِ كالوَرْدَةِ المُتَفَتِّحَةِ مِنْه؛

الشَّهادَةُ ما تَكُونُ؟ ، إظْهارُ الخَفِيّ، سواءً بالقَوْلِ وَسَواءً بالفِعْلِ وَغَيْرِ ذلِك؛
إذَنْ الغَرَضُ إظْهارُ سِرِّ الجَوْهَر، الوَصْفُ باقٍ وهذا العَرَضُ عابِر؛
علامَةُ الذَّهَبِ لا تَبْقى على المِحَكّ، وبَقِيَ الذَّهَبُ حَسَنَ الإسْمِ خالِياً مِنَ الشَّكّ؛
وهذِهِ الصَّلاةُ وهذا الجِهادُ وَهذا الصِّيام، لا تبقى وَتَبْقى الرُّوحُ حَسَنَةُ الإِسْم؛
الرُّوحُ أظْهَرَتْ مِثْلَ هذِهِ الأفعالِ والأقْوال، على مِحَكِّ الأمْرِ حكَّتِ الجَوْهَر؛
أنْ اعتِقادي صادِقٌ وهذا الشَّاهِدُ، لكِنْ يُوْجَدُ بَيْنَ الشُّهُودِ اشْتِباه؛
تَجِبُ التَّزْكِيَةُ للشَّاهِدِ اعْلَمْ، تَزْكِيَتُهُ الصِّدْقُ فَهُوَ مَوقوفٌ على ذلِك؛
حِفْظُ اللَّفْظِ في الشَّهادَةِ بالقَوْل، حِفْظُ العَهْدِ في الشَّهادَةِ بالفِعْل؛
شاهِدُ القَولِ إذا قالَ عِوَجاً رُدَّ، وإذا شاهِدُ الفِعْلِ بانَ مُعْوَجَّاً رُدّ؛
يَجِبُ لَكَ قَوْلٌ وَفِعْلٌ بلا تَناقُضٍ، حَتَّى يَجِيْئكَ القَبُولُ في اللَّحْظَةِ أمامَك؛
سَعْيُكُم شَتَّى وأنتُم في تناقُضٍ، في النَّهارِ تَخيطُونَ وفي اللَّيْلِ تُمَزِّقُون؛
الشَّهادَةُ بِها التَّناقُضُ مَتى تُسْمَعُ، إلَّا بِفِعْلِ الحِلْمِ مِنْ لُطْفِهِ؛
الفِعْلُ والقَوْلُ إظْهارُ السِّرِّ والضَّمير، كلاهُما يُظْهِرانِ السِّرَّ السَّتير؛
إذا زُكِّيَتْ شَهادَتُكَ يَكُونُ القَبُول، وإلَّا فَمَحْبُوسٌ في تأخيرٍ وَتَأْخير؛
إذا خاصَمْتَ يُخاصِمُونَ أيْ حَرُون، فانتَظِرْهُمْ إنَّهُمْ مُنْتَظِرُون؛

عَرْضُ المُصْطَفى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ الشَّهادَةَ على ضَيْفِهِ ذاك

هذا الحديثُ لا نِهايَةَ لَهُ والمُصْطَفى، عَرَضَ الإيمانَ وَقَبِلَ ذلِكَ الفَتى؛
تِلْكَ الشَّهادَةُ الَّتي كانَتْ مُبارَكَةً، فَتَحَتِ القُيُودَ المُغْلَقَة؛
صارَ مُؤمِناً قالَ لَهُ المُصْطَفى، أنْ هذِهِ اللَّيْلَةَ أَيْضاً اِبْقَ ضَيْفَنا؛
قالَ واللهِ أنا ضَيْفُكَ للأبَد، حَيْثُما كُنْتُ وَحَيْثُما تَوَجَّهْتُ؛

أنا الحَيُّ مِنْكَ وَمُعْتَقُكَ وحارِسُك، وعلى سُفْرَتِكَ في هذا العالَمِ وَفي ذاكَ العالَم؛

كُلُّ مَنِ اخْتارَ غَيْرَ هذِهِ السُّفْرَةِ المُخْتارَة، في العاقِبَةِ يَتَمَزَّقُ حَلْقُهُ مِنْ عَظْم؛

كُلُّ مَنْ يَذْهَبُ نَحْوَ مائِدَةِ غَيْرِك، الشَّيْطانُ مَعَهُ. يَأْكُلانِ في صَحْنٍ واحِدٍ اعْلَمْ؛

كُلُّ مَنْ يَذْهَبُ مِنْ جِوارِكَ، يَصيرُ الشَّيْطانُ جارَهُ بلا شَكّ؛

وإذا ذَهَبَ مِنْ دُونِكَ فَسَفَرُهُ طَويلٌ، الشَّيْطانُ قَرينُهُ وَشَريكُ زادِه؛

وَلَو على صَهْوَةِ الحِصانِ الشَّريف، جَلَسَ حاسِدُنا. الشَّيْطانُ لَهُ رَديف؛

وَلَو حَمَلَتْ مِنْهُ ذاتُ الدَّلالِ بِطِفْل، لَكانَ الشَّيْطانُ شَريكَهُ في نَسْلِه؛

في *النَّبَأِ* قالَ الحَقُّ شارِكْهُم، في الأموالِ كما في الأولادِ أَيْ شَفَق؛

ذَكَرَ النَّبِيُّ هذا الغَيْبَ بِشَكْلٍ جَلِيّ، في المقالاتِ النَّوادِرِ لِعَلِيّ؛

يا رَسُولَ اللهِ أَدَّيْتَ الرِّسالَةَ على التَّمام، أَبَنْتَ مِثْلَ الشَّمْسِ بلا غَمام؛

هذا الَّذي فَعَلْتَ لَمْ تَفْعَلْ مائتا أُمّ، لَمْ يَفْعَلْهُ عِيسى مِنَ الفُتُونِ مَعَ عازَر؛

رُوحي مِنْكَ أَخَذَتْ رُوحاً جَميلَةً أَبَداً، عازَرُ عاشَ مِنْ ذلِكَ النَّفَسِ وَعادَ فَمات؛

صارَ العَرَبِيُّ ضَيْفَ الرَّسُولِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، شَرِبَ نِصْفَ لَبَنَ عَنْزٍ وَأَغْلَقَ الشَّفَة؛

أَلَحَّ عَلَيْهِ أَنْ كُلِ اللَّبَنَ والرِّقاق، قالَ شَبِعْتُ واللهِ بلا نِفاق؛

لَيْسَ هذا بالتَّكَلُّفِ ولا عَنْ عِزَّةٍ وَفَنّ، لَقَدْ شَبِعْتُ أَكْثَرَ مِمَّا شَبِعْتُ بالأَمْس؛

بَقِيَ في العَجَبِ جَميعُ أَهْلِ البَيْت ، القَنْديلُ امْتَلأَ مِنْ قَطْرَةٍ مِنَ الزَّيْت؛

ذاكَ الَّذي كانَ قُوْتَ الطَّيْرِ الأبابيل، كَيْفَ أَشْبَعَ مَعِدَةَ مِثْلِ هذا الفيل؛

وَقَعَ الهَمْسُ بَيْنَ الرِّجالِ والنِّساء، ذاكَ الَّذي لَهُ بَدَنُ فِيْلٍ أَكَلَ قَدْرَ بَعْوْضَةٍ؛

حِرْصُ وَوَهْمُ الكُفْرِ صارا خافِضَي الرَّأْسِ، الثُّعْبانُ صارَ شَبْعانَ مِنْ قُوتِ نَمْلَة؛

عَيْنُ الكُفْرِ الشَّحَّاذَةُ تِلْكَ ذَهَبَتْ مِنْهُ، قُوتُ إيمانِهِ جَعَلَهُ ضَخْماً وَجَسيماً وَقَوِيّاً؛

ذلِكَ الَّذي كانَ يَرْتَجِفُ مِنْ جُوعِ البَقَر، رأى مِثْلَ مَرْيَمَ فاكِهَةَ الجَنَّة؛

فاكِهَةُ الجَنَّةِ أَسْرَعَتْ إلى عَيْنِه، مَعِدَتُهُ الَّتي كانَتْ كَجَهَنَّمَ وَجَدَتِ السُّكُون؛

ذاتُ الإيمانِ نِعْمَةٌ وَطَعامٌ طَيِّبٌ هَوْل، أَيْ مَنْ قَنِعْتَ مِنَ الإيمانِ بالقَوْل؛

بيان أنَّ النُّورَ الَّذي هُوَ غِذاءُ الرُّوحِ غِذاءٌ لِجِسْمِ الأولياء حَتَّى يَصيرَ أَيْضاً عَوناً للرُّوح ، *أَسْلَمَ شَيْطاني على يَدي*

رَغْمَ أنَّ ذلِكَ مَطْعُومُ الرُّوحِ والنَّظَر، الجِسْمُ لَهُ مِنْ ذلِكَ نَصيبٌ أَيْ وَلَد؛

شَيْطانُ الجِسْمِ مِنْ ذلِكَ أكُولٌ، أَلَمْ يَقُلِ الرَّسُول أسْلَمَ الشَّيْطان؛

مَتى يُسْلِمُ الشَّيْطانُ إذا لَمْ يَشْرَبْ ، مِنْ ذلكَ الطَّعامِ الَّذي يحيى مِنْهُ المَيْت؛

الشَّيْطانُ عاشِقُ الدُّنيا أَصَمٌّ وَأَعْمى ، رُبَّما ذَهَبَ بالعِشْقِ عِشْقٌ آخَرٌ؛

متى ذاقَ الطَّعامَ مِنْ مَنْزِلِ العِشْقِ الخَفِيّ، سَحَبَ متاعَ العِشْقِ هُناكَ شَيْئاً شَيْئاً؛

يا حَريصَ البَطْنِ عَرِّجْ هكذا إنَّما المِنْهاجُ تَبْديلُ الغِذا

يا مريضَ القَلْبِ عَرِّجْ للعِلاج جُمْلَةُ التَّدْبيرِ تَبْديلُ المِزاج

أَيُّها المَحْبُوسُ في رَهْنِ الطَّعام سَوفَ تَنْجُوْ إنْ تَحَمَّلْتَ الفِطام

إنَّ في الجُوعِ طَعاماً وافِراً اِفْتَقِدْها وارْتَجِ يا نافِراً

اِغْتَذِ بالنُّورِ كُنْ مِثْلَ البَصَرْ وافِقِ الأملاكَ يا خَيْرَ البَشَرْ

اِجْعَلْ مِنْ تَسبيحِ الحَقِّ الغِذاءَ كالمَلَك، حتَّى تَنْجُوَ مِنَ الأَذى كالملائك؛

جَبرائيلُ وإنْ لَمْ يَسْعَ إلى جِهَةِ الجِيْفَةِ، متى كانَ أَقَلَّ قُوَّةً مِنْ النَّسْرِ في الصَّيْد؛

حَبَّذا مائِدَةٌ مَمْدُودَةٌ في الدُّنيا، لكِنَّها خَفِيَّةٌ جِدَّاً عَنْ عَيْنِ الأَخِسَّاء؛

لَوْ أنَّ العالَمَ كانَ بُسْتاناً مَمْلُوءاً مِنَ النِّعَم، قِسْمَةُ الفأرَةِ والحَيَّةِ مِنْهُ التُّراب؛

إنكارُ أهْلِ البَدَنِ غِذاءَ الرُّوح وارتِعاشُهُمْ مِنْ أَجْلِ الغِذاءِ الخَسيس

نَصِيْبُها التُّرابُ في الشِّتاءِ والرَّبيع، أنتَ أميرُ الكَوْنِ كَيْفَ تأكُلُ التُّرابَ كالحَيَّة؛
دُودَةُ الخَشَبِ في وَسَطِ الخَشَبِ تَقُول، هذا لي كأنَّهُ الحَلْوى اللَّذيذَة؛
دُوْدَةُ الزِّبْلِ وَسَطِ ذلِكَ الحَدَث، لا تَعْرِفُ مِنَ العالَمِ المَليء بالثِّمارِ غَيْرَ الخَبَث؛

مُناجاة

أي إلهاً بلا نَظيرٍ قُمْ بالإيثار، كما جَعَلْتَ مِنْ هذا الحَديثِ حَلْقَةً للأُذُن؛
خُذْ بآذانِنا وَشُدَّنا إلى ذلِكَ المَجْلِس، حَيْثُ يَشْرَبُ مِنْ رَحِيْقِكَ أولئكَ السُّعَداء؛
ما دُمْتَ أَوْصَلْتَ لنا العَبيرَ مِنْ هذا، لا تُغْلِقْ ذلِكَ المِسْكَ أَيْ رَبَّ الدِّيْن؛
مِنْكَ الشَّرابُ للذُّكُورِ أمْ للإناث، بلا انقِطاعٍ في العَطاءِ يا مُسْتَغاث؛
أي مَنِ الدُّعاءُ الَّذي لَمْ يُقَلْ مِنْكَ مُسْتَجاب، تَهَبُ القَلْبَ كُلَّ حِيْنٍ مِئَةَ فَتْحِ باب،
كَمْ حَرْفاً نَقَشْتَ نَقْشاً مِنَ الرُّقُوم، الصُّخُورُ مِنْ عِشْقِ ذاكَ صارَتْ كالشَّمْع؛
نُونُ الحاجِبِ وَصادُ العَيْنِ وَجِيْمُ الأُذُن، كَتَبْتَ فِتْنَةً لِمِئَةِ عَقْلٍ وَوَعْي؛
مِنْ حُرُوفِكَ تِلْكَ صارَ العَقْلُ رَقيقَ حَبْلٍ، اِنْسَخْ أَيُّها الأديبُ حَسَنُ الخَطّ؛
جَديرٌ بِكُلِّ فِكْرٍ مَرْبُوطٍ بالعَدَم، لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ نَقْشُ خَيالٍ جَميلِ الرَّقَم؛
الحُرُوفُ طُرْفَةٌ على لَوْحِ الخَيال، تَرْسُمُ العَيْنَ والعارِضَ والخَدَّ والخال؛
أنا أصيرُ للعَدَمِ لا إلى المَوجُودِ السَّكْران، ذلِكَ لأنَّ مَعْشُوقَ العَدَمِ أوفى؛
جَعَلَ العَقْلَ قارِئاً لِتِلْكَ الأشْكال، حَتَّى يُعْطِيَ التَّدابيرَ مِنْ تِلْكَ الحَرْب؛

تَمْثيلُ اللَّوحِ المَحْفُوظِ وإدراكُ عَقْلِ كُلِّ شَخْصٍ مِنْ ذلِكَ اللَّوح ذلِكَ الَّذي هُوَ أَمْرُ وَقِسْمَةُ وَمَقْدُورُ كُلِّ يَومٍ لَهُ كما هُوَ إدراكُ جَبْرائيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِكُلِّ نَصيْبٍ مِنَ اللَّوحِ الأعْظَم

ذلِكَ العَقْلُ يَأْخُذُ مِنَ اللَّوحِ المَحْفُوظِ كالمَلَك، كُلَّ صَباحٍ دَرْسَ كُلِّ يَومٍ،
انْظُرْ التَّحْريرَ على العَدَمِ بلا بَنان، وَمِنْ سَوادِهِ حَيْرَةَ المُتعاملين؛
كُلُّ شَخْصٍ يَمْضي على خَيالٍ كالأَحْمَق، طَمَعاً بالكَنْزِ صارَ باحِثاً عَنِ الكَنْز؛
صارَ شَخْصٌ مَمْلُوءاً قُوَّةً مِنْ خَيال، وَجَّهَ الوَجْهَ إلى مَعادِنِ الجِبال؛
وذلِكَ الآخَرُ مِنَ الخَيالِ بِجُهْدٍ مُرّ، وَجَّهَ الوَجْهَ إلى البَحْرِ مِنْ أَجْلِ الدُّرّ؛
وَذاكَ آخَرُ مِنْ أَجْلِ التَّرَهُّبِ في المَعْبَد، وذاكَ واحِدٌ مِنَ الحِرْصِ اتَّجَهَ للزَّرْع؛
وَمِنَ الخَيالِ صارَ ذاكَ قاطِعَ طَريق، وَمِنَ الخَيالِ صارَ هذا مَرْهَمَ الجَريح؛
واحِدٌ أَضاعَ القَلْبَ في اسْتِدْعاءِ الجِنّ، وذاكَ واحِدٌ وَضَعَ على النُّجُومِ الخُفّ؛
هذِهِ المَسالِكُ المُخْتَلِفَةُ ظَهَرَتْ للخارِجِ، مِنْ تِلْكَ الخَيالاتِ المُلَوَّنَةِ في الدَّاخِل؛
هذا صارَ حَيْرانَ في ذاكَ أنْ ذاكَ في ماذا، كُلُّ مُتَذَوِّقٍ لِذاكَ نافٍ للآخَر؛
لَوْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الخَيالاتُ غَيْرَ مُؤتَلِفَة، ما صارَتِ المَسالِكُ في الخارِجِ مُخْتَلِفَة؛
بِما أنَّ قِبْلَةَ الرُّوحِ جُعِلَتْ مُخْتَلِفَة، جُعِلَ كُلُّ شَخْصٍ يَذْهَبُ في جانِب؛

تَمْثيلُ المَسالِكِ المُخْتَلِفَةِ والهِمَمِ المُتَنَوِّعَةِ باخْتِلافِ تَحَرِّي المُتَحَرِّيْنَ في وَقْتِ الصَّلاةِ للقِبْلَةِ في الظَّلام وَتَحَرِّي الغَوَّاصينَ في قَعْرِ البَحْر

مِثْلَ قَومٍ يَقُومُونَ بِتَحَرِّي القِبْلَة، على خَيالِ القِبْلَةِ يَجْعَلُونَ السَّعْي؛
حِيْنَ أَظْهَرَتِ الكَعْبَةُ الوَجْهَ وَقْتَ الصُّبْح، صارَ كَشْفاً ذاكَ الَّذي أَضاعَ الطَّريق؛

أو مِثْلَ الغَوَّاصِيْنَ تَحْتَ قَعْرِ الماء، كُلُّ شَخْصٍ يَلْتَقِطُ شَيْئاً عَجِلاً؛
على أَمَلِ أنْ يَكُونَ جَوْهَراً وَدُرّاً ثَميناً، ويَمْلأُونَ الخُرْجَ مِنْ هذا وَذاك؛
وَحِيْنَ يَخْرُجُونَ مِنْ قاعِ البَحْرِ العَميق، يَصيرُ مَكْشُوفاً صاحِبُ الدُّرّ العَجيب؛
وذاكَ الَّذي جَلَبَ لُؤلُؤاً صَغيراً، وذاكَ الَّذي جَلَبَ الحَصى والشَّبَه؛
هكذا نَبْلُوهُمُ بالسَّاهِرَة، فِتْنَةٌ ذاتُ افْتِضاحٍ قاهِرَة؛
وهكذا كُلُّ قَومٍ كأنَّهُم الفَراش، حَوْلَ شَمْعِ الدُّنيا يَضْرِبُونَ الجَناح؛
يُلْقُونَ بالنَّفْسِ على النَّار، حَولَ شَمْعِ أنْفُسِهِمْ يَقُومُونَ بالطَّواف؛
على أمَلِ نارِ مُوسى المُبارَكَة، الَّتي مِنْ لَهيبِها تَصيرُ الشَّجَرَةُ أَكْثَرَ اخْضِراراً؛
فَضْلَ تِلْكَ النَّارِ سَمِعَ كُلُّ جَمْعٍ، والكُلُّ توهَّمَ كُلَّ شَرَرٍ تِلْكَ النَّار؛
عِنْدَما طَلَعَ صُبْحُ نُورِ الخُلُود، أظْهَرَ لِكُلِّ واحِدٍ ما كانَ شَمْعُهُ؛
كُلُّ مَنْ أَحْرَقَ الجَناحَ مِنْ شَمْعِ الظَّفَرِ، وَهَبَهُ ذاكَ الشَّمْعُ الجَميلُ ثَمانينَ جَناحاً؛
فَوْجُ الفَراشِ مُغْلَقَ العَيْنَيْن، بَقِيَ تَحْتَ الشَّمْعِ السَّيِّئِ مُحْتَرِقَ الجَناح؛
يَضْطَرِبُ في حُرْقَةٍ وَنَدَم، يُطْلِقُ الآهَ مِنَ الهَوى مُغْلَقَ العَيْن؛
شَمْعُهُ يَقُولُ لَهُ ما دُمْتُ أنا أحْتَرِق، متى أُحَرِّرُكَ مِنَ الحَرْقِ والأذى؛
شَمْعُهُ باكِياً يَقُولُ أنا مُحْتَرِقُ الرَّأْس، مِنْ أَيْنَ لي أنْ أكُونَ مُضِيْئاً للغَيْر؛

تفسير يا حَسْرَةً على العِباد

هُوَ يَظَلُّ قائلاً أنا مِنْ إشْكالِكَ، صِرْتُ مَغْرُوراً وَرَأَيْتُ حالَكَ مُتَأَخِّراً؛
الشَّمْعُ المَيّتُ المَعْشُوقُ ذَهَبَتْ بِهِ الرِّيْح، صارَ غارِقاً مِنْ نَظَرِنا الأعْوَجِ القَبيح؛
ظَلَّتِ الأَرْباحُ خُسْراً مَغْرَما تَشْتَكي شَكْوى إلى اللهِ العَمى
حَبَّذا أرواحُ إخْوانٍ ثِقات مُسْلِماتٍ مُؤمِناتٍ قانِتات

كُلُّ شَخْصٍ وَجَّهَ الوَجْهَ إلى جِهَة، وأولئكَ الأَعِزَّةُ وَجَّهُوا الوَجْهَ إلى اللَّاجِهَة؛
كُلُّ حَمامَةٍ تَطيرُ في مَذْهَبٍ، وهذِهِ الحَمامَةُ تَطيرُ جِهَةَ اللَّاجِهَة؛
نَحْنُ لَسْنا طُيُورَ هَوىً ولا طُيُوراً داجِنَةً، حَبَّتُنا حَبَّةُ اللَّاحَبَّة؛
مِنْ ذلِكَ جاءَ واسِعاً هكذا قُوتُنا، حَتَّى صارَ التَّمْزيقُ خِياطَةَ قِبائنا؛

سَبَبُ إعطائِهِمُ الفَرَجَ اِسْمَ الفَرَجَ مِنَ الأوَّل

صُوفِيٌّ مَزَّقَ الجُبَّةَ مِنَ الحَرَج، فَجاءَهُ مِنْ بَعْدِ تَمْزيقِها الفَرَج؛
فَسَمَّى تِلْكَ الجُبَّةَ المُمَزَّقَةَ فَرَجاً، فَصارَ هذا اللَّقَبُ فاشِياً مِنْ ذلِكَ الرَّجُلِ النَّجِيّ؛
فَشَا هذا اللَّقَبُ وَأَخَذَ الشَّيْخُ صافِيَهُ، وَبَقِيَ في طَبْعِ الخلائِقِ حَرْفُ الثُّمالَةِ مِنْهُ؛
هكذا كُلُّ مَنْ كانَ لَهُ اِسْمٌ صافٍ، تَرَكَ هذا الاِسْمَ مِثْلَ الثُّمالَة؛
كُلُّ مَنْ كانَ آكِلاً للطِّيْنِ أَخَذَ الثُّمالَةَ، وَذَهَبَ الصُّوفِيُّ إلى الصَّفاءِ لا عَجَب؛
قالَ لا بُدَّ أنْ يَكُونَ لِتِلْكَ الثُّمالَةِ صَفاءً، مِنْ هذِهِ الدِّلالَةِ يَذْهَبُ القَلْبُ للصَّفْوَة؛
الثُّمالَةُ العُسْرُ وَصافيها اليُسْرُ، الصَّافي كالتَّمْرِ وَثُمالَتُهُ البُسْر؛
اليُسْرُ مَعَ العُسْرِ ألا لا تَكُنْ يائساً، لَكَ طَريقٌ مِنْ هذا المَماتِ للمَعاش؛
تُريدُ الرُّوحَ مَزِّقِ الجُبَّةَ أَيْ وَلَد، حَتَّى مِنْ تِلْكَ الصَّفْوَةِ تَرْفَعُ الرَّأْسَ مُسْرِعاً؛
كُلُّ مَنْ صارَ طالِبَ الصَّفْوَةِ صُوفِيٌّ، لا مِنْ لِباسِ الصُّوفِ والخِياطَةِ والدَّبيب؛
صارَتِ الصُّوفِيَّةُ عِنْدَ هَؤلاءِ اللِّئام، الخِياطَةَ واللِّواطَةَ والسَّلام؛
على خَيالِ ذاكَ الاِسْمِ والصَّفاءِ الجَميل، يَكُونُ ارْتِداءُ اللَّونِ جَميلاً ولكِنْ؛
بأنْ تَذْهَبَ على خَيالِهِ إلى أَصْلِه، لا مِثْلَ عُبَّادِ الخَيالِ مِثْلاً بِمِثْل؛
مِنَ الخَيالِ يَأْتيكَ إبْعادُ الغَيْرَة، حَوْلَ خَيْمَةِ الجَمالِ الحَلْقَةُ على الحَلْقَة؛
تُوقِفُ كُلَّ باحِثٍ أنْ لا طَريق، كُلُّ خَيالٍ مِنْهُ يَقِفُ أمامَهُ أنْ قِفْ؛

إلَّا أنْ يَكُونَ ذاكَ الحادُّ السَّمْعِ حادُّ الوَعْي، الَّذي لَهُ مِنْ جُيُوشِ النَّصْرِ جَوْش؛
لَمْ يَقْفِزْ مِنَ التَّخْييلاتِ وَلَمْ يَصِرْ مَلِكاً، أظْهَرَ سَهْمَ الشَّاهِ وآنَذاكَ سَلَكَ الطَّريق؛
أَعْطِ هذا القَلْبَ الهائِمَ التَّدْبير، وَأَعْطِ هذِهِ القِسِيَّ المُنْحَنِيَةَ النِّبال؛
وَأَرِقْ جُرْعَةً مِنْ ذلِكَ الجام، على تُرابِ الأرْضِ مِنْ كأْسِ الكِرام؛
فَمِنْ جُرْعَتِهِ الإشارَةُ على الجَدِيْلَةِ والوَجْه، مِنْ ذلِكَ ظَلَّ المُلُوكُ يَلْعَقُونَ التُّراب؛
جُرْعَةَ الحُسْنِ تَحْتَ تُرْبِ الدَّلال، تُقَبِّلُها اللَّيْلَ والنَّهارَ بِمِئَةِ قَلْب؛
مَزيجُ الجُرْعَةِ بالتُّرابِ جاءَ بالجُنُون، لَوْ كانَتِ صافِيَةً تُرى ما يَكُون!؛
كُلُّ شَخْصٍ مُمَزَّقُ الثَّوبِ أمامَ الطِّيْنِ، ومزيجُ الطِّيْنِ جاءَ بالحُسْنِ مِنْ الجُرْعَة؛
جُرْعَةٌ على القَمَرِ والشَّمْسِ والحَمَل، جُرْعَةٌ على العَرْشِ والكُرْسِيّ وَزُحَل؛
جُرْعَةٌ كأنَّ بِها العَجَبَ أو الكِيْمياء، فَمِنْ أَذاها كَمْ وَكَمْ مِنْ بَهاء؛
فَلْتَجِدْ طَلَبَ أذاها أَيْ ذا الفُنُون، لا يَمَسُّ ذاكَ إلَّا المُطَهَّرُون؛
جُرْعَةٌ على الذَّهَبِ واللَّعْلِ والدُّرَر، جُرْعَةٌ على الخَمْرِ والنُّقْلِ والثَّمَر؛
جُرْعَةٌ على وَجْهِ الحِسانِ اللِّطافِ، تُنْبي عَنْ لُطْفِ ذلِكَ الرَّاوُوقِ الصَّافي؛
وأنتَ تَغْمِسُ اللِّسانَ في هذا، كَيْفَ تَصيرُ لو رَأَيْتَ ذاكَ مِنْ غَيْرِ طِيْن؛
حِيْنَ وَقْتَ المَوْتِ جُرْعَةُ الصَّفاءِ تِلْك، تَصيرُ مُنْفَصِلَةً مِنْ طِيْنَةِ البَدَنِ هذِه؛
وَتَقُومُ بِدَفْنِ ذاكَ الباقِي سَريعاً، كَيْفَ يَصِيْرُ مِثْلُ هذا القُبْحِ اعْلَمْ؛
الرُّوحُ إذْ تُظْهِرُ بلا هذِهِ الجِيْفَةِ الجَمال، لا أَسْتَطِيْعُ وَصْفَ لُطْفِ ذاكَ الوِصال؛
القَمَرُ حِيْنَ بلا هذا الغَيْمِ يُظْهِرُ الضِّياء، لا يُمْكِنُ شَرْحُ ذاكَ بالعَمَلِ والقَول؛
حَبَّذا المَطْبَخُ المَمْلُوءُ بالشَّرابِ والشَّهْد، فهؤلاءِ السَّلاطينُ يَلْحَسُونَ مِنْهُ القُدُور؛
حَبَّذا بَيْدَرُ صَحْراءِ الدِّيْنِ ذاك، الَّذي كُلُّ بَيْدَرٍ يَأْخُذُ الحَبَّ مِنْه؛
حَبَّذا بَحْرُ عُمْرٍ بلا غَمّ، بَحْرِ البِحارُ السَّبْعَةُ نَدَىً مِنْهُ؛
حِيْنَ ساقي *أَلَسْتُ* أراقَ مِنْهُ جُرْعَةً، على رَأْسِ الصَّلْصالِ المَهِيْنِ الذَّليل؛

جاشَ ذاكَ التُّرابُ وَنَحْنُ مِنْ ذلِكَ جِشْنا، كَمْ نَحْنُ عاجِزُونَ أَعْطِنا جُرْعَةً أُخْرى؛
لَوْ كانَ جائِزاً شَكَوْتُ مِنَ العَدَم، إذ لَمْ يَجُزْ هذا القَوْلُ سَكَتُّ السُّكُوتَ الجَميل؛
هذا بيانُ بَطِّ الحِرْصِ المُنْثَني، تَعَلَّمْ مِنَ الخَليلِ أَنَّ ذاكَ البَطَّ للقَتْل؛
وفي البَطِّ غَيْرَ هذا كَثيرُ خَيْرٍ وَشَرٍ، لكِنْ أخافُ مِنْ ضَياعِ الأحاديثِ الأُخْرى؛

صِفَةُ الطَّاوُوْسِ وَطَبْعُهُ وَسَبَبُ قَتْلِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ لَه

جِئْنا الآنَ إلى الطَّاوُوسِ المُنافِق، الَّذي يَقُومُ بالجَلْوَةِ مِنْ أَجْلِ الشُّهْرَةِ والعار؛
هِمَّتُهُ في صَيْدِ الخَلْقِ مِنَ الخَيْرِ والشَّرّ، وَهُوَ عَنْ نَتيجَةَ وَفائِدَةِ ذاكَ بلا خَبَر؛
الشِّباكُ تَصيدُ الصَّيْدَ وَهِيَ جاهِلَةٌ، أَيُّ عِلْمٍ للشِّباكِ بِمَقْصُودِ العَمَل؛
أَيُّ ضُرٍّ وَنَفْعٍ مِنَ الصَّيْدِ للشِّباك، عِنْدِيَ العَجَبُ مِنْ صَيْدِها ما لا تَسْتَفيدُ مِنْه؛
أيْ أخي تَشُدُّ الأَصْدِقاء، بِمائتَيْ مَحَبَّةٍ وَتَتْرُكُهُم؛
هذا عَمَلُكَ مِنْ وَقْتِ الوِلاد، صَيْدُكَ الخَلْقَ بِشِباكِ الوِداد؛
مِنْ ذلِكَ الصَّيْدِ والجَمْعِ والغُرُورِ والوُجُود، انفِضِ اليَدَ لَنْ تَجِدَ خَيْطاً ولا نَسِيْجاً؛
مَضى الأَكْثَرُ والنَّهارُ أَشْرَفَ على الاِنْتِهاء، ولا تَزالُ في صَيْدِ الخَلْقِ إلى الآن؛
خُذْ ذاكَ الواحِدَ واتْرُكْ ذاكَ مِنَ الشِّباك، وقُمْ بِصَيْدِ هذا الآخَرِ مِثْلَ اللِّئام؛
وعُدْ فاتْرُكْ هذا وابْحَثْ عَنْ آخَرٍ، دُونَكَ لَعِبُ أَطْفالٍ جاهِلينَ بلا خَبَر؛
وَحَلَّ اللَّيْلُ وما في شِباكِكَ مِنْ صَيْد، وَلَيْسَ لَكَ مِنَ الشِّباكِ إلَّا الصُّداعُ والقَيْد؛
فتَقُومُ بِصَيْدِ نَفْسِكَ في الشِّباك، فَقَدْ صِرْتَ مَحْبُوساً وَمَحْرُوماً مِنَ المُراد؛
أكانَ في الزَّمانِ صاحِبُ شَبَكَةٍ، أحْمَقَ مِثْلَنا قامَ بِصَيْدِ نَفْسِه؛
صَيْدُ العَوامِّ مِثْلُ صَيْدِ الخَنْزير، عذابُهُ بلا حَدٍّ والأَكْلُ مِنْهُ حَرام؛
ما يَسْتَحِقُّ الصَّيْدَ هُوَ العِشْقُ وَحَسْب، لكِنْ متى يَتَّخِذُ المُقامَ في شِباكِ شَخْصٍ؛
إلَّا أنْ تَجِيْءَ وَتَصيرَ لَهُ صَيْداً، وَتَتْرُكَ الشِّباكَ وَتَذْهَبَ في شِباكِه؛

العِشْقُ يَظَلُّ يَهْمِسُ في أُذُني هَمْساً، الكَونُ صَيْداً خَيْرٌ مِنَ الكَوْنِ صَيَّاداً؛
اِجْعَلْ مِنْ نَفْسِكَ مَخْدُوعي وَكُنْ مَغْرُوراً، واتْرُكِ الشَّمْسَ وَكُنْ ذَرَّةً؛
كُنْ بلا مَنْزِلٍ وَكُنْ ساكِناً على بابي، لا تَدَّعِ أَنَّكَ شَمْعٌ وَكُنْ فَراشَةً؛
حَتَّى تَرى مَذاقَ الحَياة، تَرى السَّلْطَنَةَ مَخْفِيَّةً في العُبُودِيَّة؛
تَرى النَّعْلَ في الدُّنيا مَقْلُوبَةً، أُسارى التَّخْتِ صارَ اسْمُهُمُ المُلُوك؛
الحِبالُ على العُنُقِ والتَّاجُ مَشْنَقَةٌ، وحَولَهُ الجَمْعُ أنْ هذا مالِكُ التَّاج؛
مِثْلَ قَبْرِ الكافِرِيْنَ مِنَ الخارِجِ حُلَل، وفي الدَّاخِلِ قَهْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلّ؛
حِيْنَ عَمِلُوا قُبُورَ أولئكَ مِنَ الجِصِّ، وَأَسْدَلُوا عَلَيْها الحِجابَ مِنَ الوَهْم؛
جَعَلُوا طَبْعَكَ المِسْكِيْنَ مُجَصَّصاً عَنْ فَنّ، كَنَخْلٍ مِنَ الشَّمْعِ بلا وَرَقٍ ولا ثَمَر؛

في بيانِ أنَّ كُلَّ شَخْصٍ يَعْرِفُ لُطْفَ الحَقّ، وأنَّ كُلَّ شَخْصٍ يَعْرِفُ قَهْرَ الحَقّ، والكُلُّ يَفِرُّ مِنْ قَهْرِ الحَقّ ويَلُوذُ بِلُطْفِ الحَقّ، إلَّا أنَّ الحَقَّ تَعالى خَبَّأَ أنواعَ القَهْرِ في اللُّطْفِ وَخَبَّأَ أنواعَ اللُّطْفِ في القَهْر، نَعْلٌ مَعْكُوسَةٌ وَتَلْبيسُ وَمَكْرُ اللهِ حتَّى أهْلُ اللهِ وَأَهْلُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ يَصِيرُونَ مُمَيَّزِين عَنْ أهْلِ نَظَرِ الحالِ وَأَهْلِ نَظَرِ الظَّاهِرِ، أنْ *لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً*

قالَ دَرْويشٌ لِدَرْويشٍ أَيْ أنتَ، كَيْفَ رَأَيْتَ حَضْرَةَ الحَقِّ قُلْ؛
قالَ رَأَيْتُ بلا كَيْفٍ ولكِنْ لأجْلِ القال، أنا ذاكِرٌ لَكَ مِثالاً عَنْ مُخْتَصَرِ ذاك؛
رَأَيْتُها وَعَنْ يَسارِها ناراً، وَعَنْ جِهَةِ اليَدِ اليَمينِ نَهْرُ كَوْثَر؛
جِهَةَ يَسارِها نِيْرانٌ تُحْرِقُ العالَمَ، وعَنْ جِهَةَ اليَدِ اليَمينِ نَهْرٌ جَميل؛
وجَماعَةٌ مَدَّتْ اليَدَ إلى جِهَةِ تِلْكَ النَّار، وَجَماعَةٌ نَشْوى وَسَكْرى لِذاكَ الكَوْثَر؛
لكِنَّ اللَّعِبَ كانَ مَقْلُوباً بإحكام، أمامَ أَقْدامِ كُلِّ شَخْصٍ شَقِيٍّ وَمَسْعُود؛
كُلُّ مَنْ راحَ إلى النَّارِ والشَّرَر، رَفَعَ الرَّأْسَ مِنْ وَسَطِ الماء؛

وَكُلُّ مَنْ ذَهَبَ إلى الماءِ مِنَ الوَسَط، وَجَدَ نَفْسَهُ صارَ في النَّارِ في اللَّحْظَة؛
كُلُّ مَنْ ذَهَبَ جِهَةَ اليَمِيْنِ والماءِ الزُّلال، صَدَمَ الرَّأْسَ بالنَّارِ مِنْ جِهَةِ الشِّمال؛
وذاكَ الَّذي ذَهَبَ جِهَةَ الشِّمالِ النَّارِيّ، رَفَعَ الرَّأْسَ مِنْ جِهَةِ اليَمين؛
لَمْ يَقَعْ على سِرِّ هذا المُضْمَرِ إلَّا القَليل، القَليلُونَ ذَهَبُوا في تِلْكَ النَّارِ لا جَرَم؛
ذَهَبَ الشَّخْصُ الَّذي صُبَّ على رأسِهِ الإقْبال، فقامَ بِتَرْكِ الماءِ وَفَرَّ إلى النَّار؛
جُعِلَ الذَّوقُ الحاضِرُ مَعْبُودَ الخَلْق، لا جَرَمَ مِنْ هذا اللَّعِبِ كانَ مَغْبُوناً الخَلْق؛
جَوْقٌ جَوْقٌ وَصَفٌّ صَفٌّ سَريعاً مِنَ الحِرْص، يَهْرَبُونَ للماءِ احْتِرازاً مِنَ النَّار؛
لا جَرَمَ رَفَعُوا الرَّأْسَ مِنَ النَّار، يا أيُّها الغافِلُ الإعْتِبارَ الإعْتِبار؛
النَّارُ تَصْرُخُ أيُّها الحَمْقى التَّائِهُون، أنا لَسْتُ ناراً أنا عَيْنُ القَبُول؛
جُعِلَ الرِّباطُ على العَيْنِ أَيْ عَديمَ النَّظَر، اُدْخُلْ فِيَّ ولا تَفِرَّ مِنَ الشَّرَر؛
لا شِرارٌ هُنا أيْ خَليلُ ولا دُخان، لَيْسَ هُنا غَيْرَ سِحْرِ وَخِداعِ نَمْرُود؛
إذا كُنْتَ حَكيماً مِثْلَ الخَليل، النَّارُ ماءٌ لَكَ وأنتَ فَراشَة؛
رُوحُ الفَراشَةِ تَظَلُّ مُنادِيَةً، لَيْتَني كُنْتُ أمْلِكُ مِئَةَ أَلْفِ جَناح؛
حَتَّى أَقُومَ بِإحراقِها بالنَّارِ بلا حَذَر، خِفْيَةً عَنْ عَيْنِ وَقَلْبِ غَيْرِ المُحْرِمِين؛
يَحْمِلُ الجاهِلُ الرَّحْمَةَ لي مِنْ حَماقَتِه، وأنا أحْمِلُ لَهُ الرَّحْمَةَ مِنَ البَصيرَة؛
خاصَّةً هذِهِ النَّارُ الَّتي هِيَ رُوحُ الأمواه، شُغْلُ الفَراشَةِ على عَكْسِ شُغْلِنا؛
لَقَدْ رَأَتْ نُوراً وَذَهَبَتْ في النَّار، القَلْبُ رأى ناراً وَصارَ في النُّور؛
مِثْلُ هذا اللَّعِبِ جاءَ مِنَ الرَّبِّ الجَليل، كَيْ يُمَيِّزَ مَنْ كانَ مِنْ آلِ الخَليل؛
لَقَدْ أَعْطَوا للنَّارِ شَكْلَ الماء، في وَسَطِ النَّارِ فَتَحُوا عَيْنَ ماء؛
السِّحْرُ بِفَنٍّ أَظْهَرَ صَحْنَ الأرُزّ، صَحْناً مَمْلُوءاً بالدُّودِ وَسَطَ الحُضُور؛
وأظْهَرَ المَنْزِلَ مَملوءاً مِنَ العَقارِبِ، مِنْ نَفَسِ السِّحْرِ وما هُناكَ مِنْ عَقْرَب؛
السِّحْرُ أظْهَرَ مِئاتِ أمْثالِ هذا، فَكَيْفَ يَكُونُ مَكْرُ خالِقِ السَّحَرَة؛

لا جَرَمَ مِنْ سِحْرِ اللهِ قَرْنٌ قَرْنٌ، خَضَعُوا خُضُوعَ النِّساءِ للرِّجال؛
سَحَرَتْهُم كانُوا الغِلْمانَ والعَبيد، وَقَعُوا كما تَقَعُ الصَّعْوَةُ في الشِّباك؛
هيَّا اقْرَأِ القُرْآنَ وانْظُرِ السِّحْرَ الحلال، وانْظُرْ أنواعَ المَكْرِ مَقْلُوبَةً كالجِبال؛
أنا لَسْتُ فِرْعَونَ لأَطْلُبَ النِّيْل، أنا ذاهِبٌ للنَّارِ مِثْلَ الخَليل؛
تِلْكَ لَيْسَتْ ناراً تِلْكَ ماءٌ مَعين، وذاكَ مِنَ المَكْرِ ماءٌ نارِيّ؛
أجْمِلْ بِقَولِ الرَّسُولِ عَذْبِ الجَواز، ذَرَّةُ عَقْلٍ مِنْكَ خَيْرٌ مِنَ الصَّومِ والصَّلاة؛
ذاكَ أنَّ عَقْلَكَ جَوْهَرٌ وهذانِ عَرَض، عَمَلُ هذيْنِ في تكميلِ ذاكَ مُفْتَرَض؛
كَيْ يَحْصَلَ لِتِلْكَ المِرْآةِ الجَلاء، الطَّاعَةُ تَجْلِبُ للصَّدْرِ الصَّفاء؛
لكِنَّ المِرْآةَ الفاسِدَةَ مِنَ الأَصْل، يَتَأَخَّرُ صَقْلُها وينبغي لها الكَثيرُ مِنَ الصَّقْل؛
وتِلْكَ المِرْآةُ المُنْتَخَبَةُ حَسَنَةُ المَغْرَسِ ، تكونُ سَريعَةُ الصَّقْلِ ويَكْفيها القَليلُ مِنْهُ؛

تَفاوُتُ العُقُولِ مَوْجُودٌ في أَصْلِ الفِطْرَةِ خِلافاً للمُعْتَزِلَةَ الَّذينَ يَقُولُونَ أنَّ العُقُولَ الجُزْئِيَّةَ مُتَساوِيَةٌ في الأَصْل وأنَّ الزِّيادَةَ والتَّفاوُت يَكُونانِ مِنَ التَّعَلُّمِ والرِّياضَةِ والتَّجْرِبَة

اِعْلَمْ جَيّداً هذا التَّفاوُتُ في العُقُول، هُوَ في المَراتِبِ مِنَ الأرْضِ حَتَّى السَّماء؛
فَهُناكَ عَقْلٌ كَأَنَّهُ قُرْصُ الشَّمْس، وَهُناكَ عَقْلٌ أَقَلُّ مِنَ الزُّهْرَةِ والشَّهاب؛
وَهُناكَ عَقْلٌ كأنَّهُ سِراجٌ سَكران، وهُناكَ عَقْلٌ كَنَجْمَةٍ مِنَ النَّار؛
إذا انْقَشَعَ الغَيْمُ مِنْ أمامِ ذاكَ، نُورُ اللهِ يُعْطي النَّظَرَ للعُقُول؛
العَقْلُ الجُزْئيُّ جاءَ بِسُمْعَةِ السُّوءِ للعَقْل ، طَلَبُ الدُّنيا حَرَمَ الرَّجُلَ نَيْلَ المُراد؛
ذاكَ مِنَ الصَّيْدِ رأى حُسْنَ الصَّيَّاد، وهذا مِنَ الصَّيَّادِ حَمَلَ غَمَّ الصَّيْد؛
هذا مِنَ الخِدْمَةِ وَجَدَ دلالَ المَخْدُوم، وهذا المَخْدُومُ تَكَدَّرَ مِنْ طَريقِ العِزّ؛
ذاكَ صارَ أَسِيْرَ الماءِ مِنْ فَرْعُونِيَّةٍ، والسِّبْطُ مِنَ الأَسْرِ صارَ مِئَةَ سهراب؛

اللَّعِبُ مَعكوسٌ والوزيرُ مُحْكَمُ القَيْد، أقِلَّ الحِيْلَةَ فالأَمْرُ بالإقْبالِ وَالبَخْت؛
أَقِلَّ نَسْجَ خُيُوطِ الاحْتِيالِ والخَيال، فَقَلَّما يُعْطي الغَنِيُّ الطَّريقَ للمَكَّار؛
امْكُرِ المَكْرَ في طَريقِ حُسْنِ الخِدْمَة، حَتَّى تَجِدَ النُّبُوَّةَ في الأُمَّة؛
امْكُرِ المَكْرَ لِتَنْجُوَ مِنْ مَكْرِك، امْكُرِ المَكْرَ لِتَنْفَصِلَ عَنْ جَسَدِك؛
اُمْكُرِ المَكْرَ كَيْ تَصيرَ أَقَلَّ عَبْد، اِذْهَبْ في النَّقْصِ كَيْ تَصيرَ سَيِّداً،
دَعْ فِعْلَ وَخِدْمَةَ الثَّعْلَبِ أَيُّها الذِّئبُ القَديمُ، بِقَصْدِ أَنْ تَصِيْرَ سَيِّداً أَبَدا؛
لكِنْ على النَّارِ أَغِرْ كالفَراشَةِ، ولا تَفْعَلْ فِعْلَ النَّشَّالِيْنَ والعَبْ بِطُهْر؛
واتْرُكِ القُوَّةَ وَتَمَسَّكْ بالعَجْز، الرَّحْمَةُ تأتي إلى العاجِزِ أَيْ فَقير؛
تَضَرُّعُ المُضْطَرِّ الظَّامِئِ مَعْنَوِيّ، التَّضَرُّعُ الكاذِبُ صاحِبٌ غَوِيّ؛
بُكاءُ إخْوانِ يُوسُفَ كانَ حِيْلَةً ، باطِنُهُمْ كانَ مَمْلُوءاً مِنَ الحَسَدِ والعِلَّة؛

حِكايَةُ ذلِكَ الأعْرابي الَّذي كانَ كَلْبُهُ يَمُوتُ مِنَ الجُوعِ وَخَرْجُهُ مَملُوءٌ مِنَ الخُبْزِ، وكانَ يَنُوحُ على الكَلْبِ ويَقُولُ فِيْهِ الشِّعْرَ وَيَبْكِي وَيَلْطِمُ الرَّأْسَ والوَجْهَ دُونَ أنْ يُعْطِيَ لُقْمَةً مِنَ الخُرْجِ للكَلْب

ذلِكَ الكَلْبُ كانَ يَمُوتُ وذلِكَ العَرَبِيُّ، كانَ يَبْكِي ويُمْطِرُ الدَّمْعَ وَيَقُولُ أَيْ كُرَب؛
مَرَّ سائلٌ وقالَ ما هذا البُكاءُ، بُكاؤكَ وَنَوحُكَ مِنْ أجْلِ ماذا؟!؛
قالَ لِأجْلِ كَلْبٍ حَسَنِ الخِصالِ كُنتُ أَمْلِكُ، وهُوَ الآنَ يَمُوتُ في وَسَطِ الطَّريق؛
كانَ في النَّهارِ صَيَّادِي وفي اللَّيْلِ حارِسي،حادُّ النَّظَرِ آخِذٌ للصَّيْدِ مُمَزِّقٌ لِلِّصّ؛
قالَ ما مَرَضٌ أصابَهُ أَأَصابَهُ جُرْحٌ، قالَ بَلْ أَقْعَدَهُ الوَهَنُ مِنْ جُوعِ الكَلْب؛
قالَ فاصْبِرْ على هذا الأذى والحَرَض، فَضْلُ اللهِ يُعطي الصَّابرينَ العِوَض؛
بَعْدَ ذلِكَ قالَ لَهُ أَيُّها السَّيِّدُ الحُرّ، ماذا مَعَكَ في هذا الخُرْجِ المَلآن؛
قالَ خُبْزٌ وزادٌ وَطَعامٌ مِنْ كَدِّي، أحْمِلُهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوِيَةِ بَدَني؛

قالَ هلَّا أَعْطَيْتَ الكَلْبَ الخُبْزَ والزَّاد، قالَ إلى هذا الحَدِّ لا أمْلِكُ الحُبَّ والوِداد؛
اليَدُ لا تَحْصَلُ بلا دراهِمَ على الخُبْز، أمَّا دُمُوعُ العَيْنَيْنِ فَهِيَ بالمَجَّان؛
قالَ عليكَ التُّرابُ أَيْ قِرْبَةً مَنْفوخَةً، ما دامَ خُبْزُ الشِّفاهِ عِنْدَكَ أَغلى مِنَ الدَّمْع؛
الدَّمْعُ دَمٌ وصارَ مِنَ الغَمِّ ماءً، ألا يُساوي الدَّمُ المَسْفُوكُ عِنْدَكَ التُّراب؛
جَعَلْتَ كُلَّ النَّفْسِ مَهِيناً كإبليس، جُزْءُ هذا الكُلِّ لا يَكُونُ غَيْرَ خَسيس؛
أنا غُلامُ ذاكَ الَّذي لا يبيعُ الوُجُود، إلَّا لِذاكَ السُّلْطانِ ذي الإفْضالِ والجُود؛
الَّذي إذا بَكَى بَكَتْ لَهُ السَّماءُ، وإذا تَضَرَّعَ قالَ الفَلَكُ يا رَبّ؛
أنا غُلامُ ذاكَ النُّحاسِ عابِدِ الهِمَّة، الَّذي لا يَنْكَسِرُ إلَّا للكيمياء؛
اِرْفَعْ في الدُّعاءِ يَدَ المَكْسُور، فَضْلُ اللهِ يَطيرُ جِهَةَ المَكْسُور؛
إنْ كانَتْ تَلْزِمُكَ النَّجاةُ مِنْ هذا البِئْرِ الضَّيِّق، أَيْ أخِي اذْهَبْ للنَّارِ بلا إبْطاء؛
وانْظُرْ مَكْرَ الحَقِّ وَدَعْ مَكْرَ النَّفْس، فَمَكْرُ المَكَّارِيْنَ مِنْ مَكْرِهِ خَجِلٌ؛
حَيْنَ يَصِيْرُ مَكْرُكَ فَناءً في مَكْرِ الرَّبّ، تَفْتَحُ الكَمِيْنَ المَمْلُوءَ بالعَجائب؛
كامِنُ ذاكَ الكَمِيْنِ لَهُ بقاء، إلى الأَبَدِ في العُرُوجِ والاِرْتِقاء؛

في بيان أنَّ أَيَّ عَيْنِ سُوءٍ لَيْسَتْ مُهْلِكَةً للآدَمِيِّ بِقَدَرِ عَيْنِ الإعْجابِ بالنَّفْس إلَّا مَنْ صارَتْ عَيْنُهُ مُبَدَّلَةً بِنُورِ الحَقّ أنْ بي يَسْمَعُ وَبي يُبْصِرُ وَصارَتْ ذاتُهُ مَبَدَّلَةً

لا تَرَ رِيْشَ الطَّاووسِ وَلْتَرَ القَدَمْ، حَتَّى سُوءُ العَيْنِ لا يَفْتَحَ الكَمين؛
فَقَدْ زَلِقَ الجَبَلُ مِنْ عَيْنِ السَّيِّئين، اِقْرَأْ في القُرآنِ يَزْلِقُونَكَ، اعْلَمْ؛
أحْمَدُ كالجَبَلِ وَزَلِقَ مِنَ النَّظَر، في وَسَطِ الطَّريقِ بلا وَحْلٍ ولا مَطَر؛
وَظَلَّ في العَجَبِ أنْ لِمَ هذا العِثار، أنا لا أظُنُّ أنَّ هذِهِ الحالَةَ بلا سَبَب؛

حَتَّى جاءَتِ الآيَةُ تُخْبِرُ، أنْ ذاكَ جاءَكَ مِنْ عَيْنِ السُّوء والحِقْد؛
لَوْ كانَ غَيْرُكَ صارَ في اللَّحْظَةِ للفَناء، وَصارَ صَيْداً للعَيْنِ وَمُسَخَّراً للإفْناء؛
لكِنْ أَتَتْ عِصْمَةٌ إِلَيْكَ مانِعَةٌ، عِثارُكَ هذا كانَ لإعْطاءِ الإشارَة؛
خُذِ العِبْرَةَ وانْظُرْ إلى ذلِكَ الجَبَل، ولا تَعْرِضْ أوراقَكَ أَيْ أَقَلَّ مِنَ التِّبْن؛

تَفْسير وإنْ يكادُ الَّذينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصارِهِم

يا رَسُولَ اللهِ في ذلِكَ النَّادِي أَشْخاصٌ، يُصيبُونَ بسِهامِ عَيْنِ السُّوءِ العُقْبان؛
مِنْ نَظَرِهِمْ كُلَّةُ أَسَدِ العَرينِ، تَنْشَقُّ وَيَكُونُ مِنَ الأَسَدِ أنين؛
أَلْقَوا على الجَمَلِ النَّظَرَ كالحِمام، ثُمَّ أَرْسَلُوا آنَذاكَ في طَلَبِهِ الغُلام؛
أنِ اذْهَبْ واشْتَرِ مِنْ شَحْمِ هذا الجَمَل، وَرَأى الجَمَلَ وَقَدْ سَقَطَ على الطَّريق؛
قَطَعَ رأْسَهُ مِنَ المَرَضِ ذلِكَ الجَمَّال، وَقَدْ كانَ يُسابِقُ الجَوادَ في العَدْو؛
مِنْ عَيْنِ السُّوءِ والحَسَدِ بلا أَيِّ شَكٍّ، يَنْحَرِفُ في السَّيْرِ وَفي الدَّورانِ الفَلَك؛
الماءُ مُخْتَفٍ والدُّولابُ ظاهِرٌ، لكِنَّ الماءَ في الدَّوَرانِ أَصْلُ العَمَل؛
عَيْنُ الخَيْرِ دَواءٌ لِعَيْنِ السُّوء، تمحَقُ عَيْنَ السُّوءِ تَحْتَ القَدَم؛
سَبْقُ الرَّحْمَةِ حَقٌّ وَعَيْنُ الخَيْرِ مِنَ الرَّحْمَة. وَعَيْنُ السُّوءِ مَحْصُولُ القَهْرِ واللَّعْنَة؛
رَحْمَتُهُ غالِبَةٌ على نِقْمَتِه، مِنْ هذا كُلُّ نَبِيٍّ مَنْصُورٌ على الضِّدّ؛
النَّبِيُّ نَتيجَةُ الرَّحْمَةِ وَضِدُّهُ ذاكَ، قَبيحُ الوَجْهِ مِنْ نَتيجَةِ القَهْر؛
حِرْصُ البَطِّ سَهْمٌ وذا خَمْسُونَ سَهْماً، حِرْصُ الشَّهْوَةِ حَيَّةٌ والمَنْصبُ ثُعْبان؛
حِرْصُ البَطِّ مِنْ شَهْوَةِ الحَلْقِ والفَرْج، وَعِشْرُونَ ضِعْفاً مِنْهُ مُدْرَجٌ في الرِّئاسَة؛
ادِعاءُ القَدْرِ والجاهِ ادِّعاءٌ لِلأُلُوهِيَّةِ، الطَّامِعُ بالشَّراكَةِ مِنْ أَيْنَ هُوَ أَهْلٌ للعَفْو؟؛
زَلَّةُ آدَمَ كانَتْ مِنَ البَطْنِ والباه، وَزَلَّةُ إبليسَ كانَتْ مِنَ التَّكَبُّرِ والجاه؛

لا جَرَمَ هذا سَرِيعاً اسْتَغْفَر، وذاكَ اللَّعِينُ عَنِ التَّوْبَةِ اسْتَكْبَر؛

حِرْصُ الفَرْجِ والحَلْقِ عُنْصُرٌ رَديء، لكِنَّ ذاكَ لَيْسَ مَنْصباً إنَّهُ كَسْر؛

لَو أَعَدْتُ القَولَ في جَذْرِ وأغْصانِ الرّئاسَةِ، لَوَجَبَ لي لأجْلِ ذلِكَ كِتابٌ آخَر؛

العَرَبُ تُسَمِّي الحِصانَ العَصِيَّ شَيْطاناً، لا دابَةَ الرُّكُوبِ الّتي تَظَلُّ في المَرْعى؛

الشَّيْطَنَةُ هيَ العِصْيانُ في اللُّغَة، هذِهِ الصِّفَةُ مُسْتَحِقَّةٌ للَّعْنَة؛

حَولَ السُّفْرَةِ وَجَدَ المَكانَ مِئَةُ آكِلٍ، والدُّنيا لَمْ تَتَّسِعْ لِطالِبَيْنِ للرِّئاسَةِ اثْنَيْنِ؛

ذاكَ لا يُرِيدُ لِهذا أنْ يَكُونَ على الأرْض، إنَّ المَلِكَ لَيَقْتُلُ الأبَ مِنَ الاِشْتِراك؛

وَقَدْ سَمِعْتَ هذا أنِ المُلْكَ عَقيم، طالِبُ المُلْكِ يَقْطَعُ القَرابَةَ مِنَ الخَوف؛

المُلْكُ عقيمٌ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ وَلَد، مِثْلَ النَّارِ لا قَرابَةَ لَها مَعَ أَحَد؛

وكُلَّ ما وَجَدَتْ أحْرَقَتْ وَمَزَّقَتْ، وإنْ لَمْ تَجِدْ شَيْئاً تأكُلُ النَّفْس؛

فكُنْ عَدَماً وانْجُ مِنْ أسْنانِها، لا تَطْلُبِ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِها السَّنْدانِ القاسي؛

إذا صِرْتَ عَدَماً لا تَخَفْ مِنَ السَّنْدان،كُلَّ صَباحٍ مِنَ الفَقْرِ المُطْلَقِ خُذِ الدَّرْس؛

الكِبْرياءُ رِداءُ ذِي الجلال، كُلُّ مَنْ ارتَدَاها صارَ للوَبال؛

لَهُ التَّاجُ مِنْ ذلِكَ ولنا الكَمَر، واهٍ لِمَنْ مِنْ حَدِّ نَفْسِهِ عَبَر؛

ريشُ طاووسِكَ هذا هُوَ فِتْنَةٌ لَكَ ، إنَّهُ يَقُولُ لكَ الاشْتِراكُ والقُدُّوسِيَّةُ حَقٌّ لَك؛

قِصَّةُ ذاكَ الحَكيمِ الَّذي رأى طاووساً يقتَلِعُ ريشَ نَفْسِهِ بالمِنقارِ ويرمي بِهِ وَيَجْعَلُ مِنْ جَسَدِهِ أَقْرَعَ قَبيحاً فَسَأَلَهُ مِنَ التَّعَجُّبِ ألا ينالُكَ الأسى ، قالَ بلى ولكِنَّ رُوحِي أعَزُّ عِنْدي مِنْ ريشي ، الرِّيْشُ عدُوٌّ لِرُوحي

طاووسٌ كانَ يَقْتَلِعُ رِيْشَهُ في وادٍ، وكانَ حَكيمٌ قَدْ ذَهَبَ إلى هُناكَ للتَّنَزُّه؛
قالَ أيْ طاووسُ هذا الرِّيْشَ السَّنِيّ، كَيْفَ تَقْتَلِعُ مِنَ الجَذْرِ بلا أَسَف؛
كَيْفَ يُطيعُكَ قَلْبُكَ في نَزْعِ هذِهِ الحُلَل، لِتَنْزعَها وَتُلقيَ بِها هكذا في الوَحْل؛
وكُلُّ رِيْشَةٍ لَكَ مِنَ الشَّرَفِ والقَبُول، يَجْعَلُها الحافِظُونَ في طَيِّ المَصْحَف؛
مِنْ أجْلِ تَحْريكِ الهَواءِ المُريح، يَصْنَعُونَ مِنْ رِيْشِكَ المَراوِح؛
فأيُّ نُكْرانٍ هذا وأيُّ اجْتِراء، أَلَسْتَ تَعْرِفُ نَقَّاشَهُ مَنْ يَكُون؛
أو أنتَ تَعْرِفُ وَتَقُومُ بالدَّلال، أنتَ قاصِداً تَنْزَعُ هذا الطِّراز؛
أي كَمْ مِنْ مُتَدَلِّلٍ وَذلِكَ الذَّنْبُ، كم أسْقَطَ عَبْداً مِنْ عَيْنِ الشَّاه؛
إنَّ طَعْمَ الدَّلالِ أحْلى مِنَ السُّكَّر، لكِنْ أَقِلَّ الأكْلَ مِنْهُ ففيهِ مِئَةُ خَطَر؛
طريقُ الاِفْتِقارِ ذاكَ آمِنٌ عامِرٌ، قُمْ بِتَرْكِ الدَّلالِ واسْلُكْ ذاكَ الطَّريق؛
كَمْ مِنْ مُتَدَلِّلٍ نَشَرَ الرِّيْشَ والجَناح، وذاكَ وبالٌ على ذلِكَ الشَّخْصِ آخِرَ الأمْر؛
جَمالُ الدَّلالِ إذا رَفَعَكَ لَحْظَةً، الخَوفُ والرَّهَبُ المُضْمَرانِ فيهِ يَصْهَرانِك؛
وهذا الاِفْتِقارُ رَغْمَ أنَّهُ يُنْحِل، يَجْعَلُ الصَّدْرَ كالبَدْرِ الأنوَر؛
بِما أنَّهُ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيّت، كُلُّ مَنْ صارَ مَيّتاً فَهُوَ ذُو رَشَد؛
وبِما أنَّهُ يُخْرِجُ المَيّتَ مِنَ الحَيّ، النَّفْسُ الحَيَّةُ تَسْعى إلى جِهَةِ المَوت؛
فَكُنْ مَيّتاً حَتَّى مُخْرِجُ الحَيّ الصَّمَدُ، يُخْرِجُ الحَيَّ مِنْ هذا المَيّتِ للخارِج؛
كُنِ الشِّتاءَ لِتَرى إخْراجَ الرَّبيع، وَصِرِ اللَّيْلَ لِترى إيلاجَ النَّهار؛

لا تَنْزعِ الرِّيْشَ ذاكَ لا يَقْبَلُ الرَّفْو، لا تَخْمِشِ الوَجْهَ مِنَ العَزاءِ أَيْ حَسَنَ الوَجْه؛
ذلِكَ الوَجْهُ كَأَنَّهُ شَمْسُ الضُّحى، إنَّ خَمْشَ ذلِكَ الوَجْهِ هكذا خَطَأ؛
تَجْريحُ مِثْلِ هذا الوَجْهِ بالمخْلَبِ كُفْرٌ، إنَّ وَجْهَ القَمَرِ مِنْ فِراقِهِ لَيَبْكِي؛
أو أنَّكَ لا تَرى وَجْهَ نَفْسِكَ، قُمْ بِتَرْكِ طَبْعِ لِجاجِ الفِكْر؛

في بيانِ أنَّ صَفاءَ وبَساطَةَ النَّفْسِ المُطْمَئنَّة يَصيرانِ مُشَوَّشَيْنِ مِنَ الأفْكار كما لَو كَتَبْتَ شَيْئاً أو رَسَمْتَ رَسْماً على وَجْهِ مِرآة يبقى أَثَرٌ وَنُقْصانٌ وَلَوْ مَحَوْتَه

مخالِبُ الفِكْرِ تَمْلأُ بالجِراح، وَجْهَ النَّفْسِ المُطْمَئِنَّةِ في الجَسَد؛
اعْرِفِ الفِكْرَةَ مِخْلَباً سَيّئاً ومَسْمُوماً، يَخْدِشُ إلى الأعْماقِ وَجْهَ الرُّوح؛
لِكَي يَحُلَّ عُقْدَةَ الإشْكال، جَعَلَ الجَناحَ الذَّهَبِيّ في الحَدَث؛
اعْتَبِرِ العُقْدَةَ مَحْلُولَةً أَيْ مُنْتَهِي، العُقْدَةُ شَديدَةٌ وَعلى كِيْسٍ فارِغ؛
صِرْتَ وَأَنْتَ في حَلِّ العُقَدِ شَيْخاً، فاعْتَبِرْ مَحْلُولَةً عِدَّةَ العُقَدِ الأُخْرى؛
عُقْدَتُنا الشَّديدَةُ على الحَلْقِ تِلْكَ، أنْ تَعْلَمَ أخَسِيْسٌ أنتَ أمْ حَسَنُ البَخْت؛
فَقُمْ بِحَلِّ هذا الإشْكالِ إنْ كُنْتَ آدَمِيّاً، أنْفِقِ النَّفَسَ بِهذا إنْ كُنْتَ آدَمِيَّ النَّفَس؛
واعْتَبِرْ حَدَّ الأَعْيانِ والأَعْراضِ مَعْلُوماً، واعْرِفْ حَدَّ نَفْسِكَ فلا مناصَ مِنْ هذا؛
فإذا عَرَفْتَ حَدَّ النَّفْس فاهْرَبْ مِنْ هذا، حَتَّى تَصِلَ إلى اللّاحَد أَيْ مُخاطِر؛
ذَهَبَ العُمْرُ في المَحْمُولِ وَفي المَوضُوع، ذَهَبَ العُمْرُ بلا بَصِيْرَةٍ في المَسْمُوع؛
كُلُّ دَليلٍ بلا نَتيجَةٍ وَبلا أَثَر، باطِلٌ أُنْظُرْ في نَتيجَةِ النَّفْس؛
بِغَيْر مَصْنُوعٍ لا ترى الصَّانِع، وَأَنْتَ بِقِياسِ الإقْتِرانِ قانِع؛
يزيدُ في الوَسائِطِ الفَلْسَفِيّ، وَيَتْرُكُ الدَّلائلَ عَكْسَهُ الصَّفِيّ؛

هذا فَرَّ مِنَ الحاجِبِ والدَّليل، جَعَلَ الرَّأْسَ في طَلَبِ المَدْلُولِ في الجَيْب؛
إذا كانَ الدُّخانُ لَهُ دَليلاً على النَّار، فَجَميلٌ لنا المُقامُ في تِلْكَ النَّار؛
خاصَّةً النَّارُ الَّتي مِنَ القُرْبِ والولاء، إنَّها أَقْرَبُ لنا مِنَ الدُّخان؛
فالذَّهابُ مِنَ الرُّوحِ إلى جِهَةِ الدُّخان، مِنْ تَخييلاتِ الرُّوحِ عَمَلٌ أَسْوَد؛

في بيانِ قَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلامُ لا رُهْبانِيَّةَ في الإسْلام

لا تَنزعِ الرِّيْشَ وانزَعِ القَلْبَ مِنْهُ، ذاكَ أنَّ شَرْطَ الجِهادِ هُوَ العَدُوّ؛
فإذا لَمْ يُوْجَدِ العَدُوُّ فالجِهادُ مُحال، إذا لَمْ تَكُنْ شَهْوَةٌ لا يَكُونُ امْتِثال؛
لَيْسَ هُناكَ صَبْرٌ ما لَمْ يُوجَدِ المَيْل، إنْ لَمْ يُوجَدِ الخَصْمُ ما الحاجَةُ للحَيْل؛
ألا لا تَجْعَلْ نَفْسَكَ خَصِيّاً ولا تَكُنْ كالرُّهْبان، ذلِكَ لأنَّ العِفَّةَ رَهِيْنَةٌ بالشَّهْوَة؛
بلا هَوى لا يُمْكِنُ النَّهْيُ عَنِ الهَوى، ولا يُمْكِنُ القِيامُ بالغَزْوِ على المَوتى؛
قالَ أنْفِقُوا فَقُمْ أوَّلاً بالكَسْب، فلا يَكُونُ إنْفاقٌ بلا دَخْلٍ سابِق؛
رَغْمَ أَنَّهُ أَطْلَقَ القَوْل في أنْفِقُوا، أنتَ اقْرَأْ اكْسَبُوا ثُمَّ أنْفِقُوا؛
هكذا مِثْلَما أَمَرَ المَلِكُ اصْبِرُوا، يَجِبُ أنْ تَكُونَ رَغْبَةٌ لِتُعْرِضَ عَنْ ذلِكَ بالوَجْه؛
فكُلُوا مِنْ أَجْلِ شِباكِ الشَّهْوَة، بَعْدَ ذلِكَ لا تُسْرِفُوا تِلْكَ عِفَّة؛
إذا لَمْ يُوْجَدْ المَحْمُولُ بِه، لا يُمْكِنُ أنْ يُوجَدَ المَحْمُولُ عَلَيْه؛
إذا لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ أَلَمُ الصَّبْر، لا يَجِيْءُ الجَزاءُ فالشَّرْطُ مَفْقُود؛
حَبَّذا ذلِكَ الشَّرْطُ نِعْمَ ذاكَ الجَزاء، الجَزاءُ المُسْعِدُ للقَلْبِ المُزيدُ في الرُّوح؛

في بيان أنَّ ثَوابَ عَمَلِ العاشِقِ مِنَ الحَقّ هُوَ الحَقُّ أَيْضاً

سُرُورُ وَغَمُّ العاشِقِيْنَ هُوَ، أُجْرَةُ الخِدْمَةِ والجَزاءُ أيضاً هُوَ؛
غَيْرُ المَعْشُوقِ إذا كانَ يُنْظَرُ إلَيْه، لا يكُونُ ذلِكَ عِشْقاً بل مُعامَلَةً بلا نَفْع؛
العِشْقُ تِلْكَ الشُّعْلَةُ الَّتي إذا اشْتَعَلَتْ، كُلُّ باقٍ غَيْرُ المَعْشُوقِ يَحْتَرِق؛
فَجَرِّدْ سَيْفَ لا في قَتْلِ غَيْرِ الحَقّ، ثُمَّ انْظُرْ بَعْدَ ذلِكَ مِنْ بَعْدِ لا ما يبقى؛
بَقِيَ إلَّا اللهُ وغَيْرُهُ جُمْلَةً مَضى، اِسْعَدْ أي عِشْقُ حارِقُ الشِّرْيكِ العظيم؛
وكانَ هُوَ نَفْسُهُ الأَوَّلَ والآخِرَ، لا تَرَ الشِّرْكَ إلَّا مِنَ النَّظَرِ الأحْول؛
عَجَباً أكانَ حُسْنٌ إلَّا مِنْ عَكْسِ ذاك، لَيْسَ للبَدَنِ مِنْ حَرَكَةٍ مِنْ غَيْرِ الرُّوح؛
بَدَنٌ كانَ في رُوحِهِ خَلَل، لا يَصِيرُ حُلْواً وَلَوْ غَمَرْتَهُ بالعَسَل؛
شَخْصٌ عَلِمَ أنَّهُ كانَ يَوماً حَيَّاً، خَطَفَ الجامَ مِنْ كَفِ رُوحِ الرُّوح؛
وذاكَ الَّذي عَيْنُهُ لَمْ تَرَ تِلْكَ الوُجُوه، الرُّوحُ عِنْدَهُ هِيَ حَرارَةُ الدُّخان؛
بِما أنَّهُ لَمْ يَرَ عُمَرَ عَبْدَ العَزيز، الحجَّاجُ عِنْدَهُ عادِلٌ أَيْضاً؛
بِما أنَّهُ لَمْ يَرَ ثَباتاً لِحَيَّةِ مُوسى، ظَنَّ حَياةً في حِبالِ السِّحْر؛
الطَّائرُ الَّذي لَمْ يَشْرَبِ الماءَ الزُّلال، يَضَعُ الرِّيْشَ والجَناحَ في الماءِ المالِح؛
لا تَسْتَطيعُ أنْ تَعْرِفَ الضِّدَّ إلَّا بالضِّدّ، إذا عانَيْتَ الأَذى عَرَفْتَ المُواساة؛
لا جَرَمَ الدُّنيا جاءَتْ مُقَدَّماً، حَتَّى تَعْرِفَ قَدْرَ إقْليمِ *أَلَسْت*؛
حِيْنَ تَتَحَرَّرُ مِنْ هُنا وَتَذْهَبُ هُناكَ، تَصيرُ في مَعْمَلِ السُّكَّرِ الأبَدِيّ ذا شُكْر؛
تَقُولُ أنا كُنْتُ هُناكَ أنْخِلُ التُّراب، وكُنْتُ أَهْرَبُ مِنْ هذا العالَمِ الطَّاهِر؛
لَيْتَ أنَّ الأجَلَ كانَ جاءَني قَبْلَ هذا ، إذن لَكانَ قَلَّ في الوَحَلِ مِنِّي العَذاب؛

في تَفسيرِ قَولِ الرَّسُولِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه ما ماتَ مَنْ ماتَ إلَّا وَتَمَنَّى أنْ يَمُوتَ قَبْلَ ما مات، إنْ كانَ بَرَّاً لِيَكُونَ إلى وُصُولِ البِرّ أَعْجَلَ ، وإنْ كانَ فاجِراً لِيَقِلَّ فُجُورُه

مِنْ هذا قالَ ذاكَ الخَبيرُ الرَّسُول، كُلُّ مَنْ ماتَ وكانَ لَهُ عَنِ البَدَنِ نُزُول؛
لا تَكُونُ لَهُ حَسْرَةُ النَّقْلِ والمَوت، بَلْ تَكُونُ لَهُ حَسْرَةُ التَّقْصِيْرِ والفَوْت؛
وكُلُّ مَنْ ماتَ كانَ مِنْهُ التَّمَنّي، أنْ يَكُونَ نُقِلَ قَبْلَ هذا إلى مَقْصَدِه؛
إنْ كانَ سَيّئاً لِيَكُونَ أَقَلَّ فِعْلاً للسُّوء، أو كانَ تَقِيّاً لِيَصِلَ للمَنْزِلِ أَسْرَع؛
يَقُولُ ذلِكَ السَّيّئُ أنا كُنْتُ جاهِلاً، كُنْتُ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ أَزيدُ الحُجُب؛
لو كانَ لي مِنْ هُنا مَعْبَرٌ أَسْرَعُ، لَكانَتْ هذِهِ الحُجُبُ والسُّتُورُ أَقَلّ؛
مِنَ الحِرْصِ أَقِلَّ تَمْزيقَ وَجْهِ القُنُوع، مِنَ التَّكَبُّرِ أَقِلَّ تَمْزيقَ وَجْهِ الخُشُوع؛
مِنَ البُخْلِ أَقِلَّ تَمْزيقَ وَجْهِ الجُود، مِنَ الشَّيْطَنَةِ أَقِلَّ تَمْزيقَ وَجْهِ السُّجُود؛
رِيْشَ زِيْنَةَ الخُلْدِ ذاكَ لا تَنْزَعْ، ذاكَ رِيْشُ طَيِّ الطَّريقِ، ذاكَ لا تَنْزَعْ؛
لَمَّا سَمِعَ هذِهِ النَّصِيْحَةَ نَظَرَ إِلَيْه، ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ شَرَعَ بالنَّوْحِ والبُكاء؛
وذاكَ السَّائِلُ عَنْ سَبَبِ نَزْعِهِ الرِّيْشَ، حارَ وَصارَ أَسِفاً وَصارَ يَبْكِيْ؛
أنْ لِماذا مِنَ الفُضُولِ قُمْتُ بِسُؤالِهِ، لَقَدْ كَدَّرْتُهُ وَمَلأْتُهُ مِنَ الغَمّ؛
وَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنِهِ الباكِيَةِ الماءُ على التُّراب، في كُلِّ قَطْرَةٍ مِنْهُ مُدْرَجٌ مِئةُ جَواب؛
البُكاءُ مَعَ الصِّدْقِ مُؤثِّرٌ في الأرواح، حَتَّى لَيَجْعَلَ الفَلَكَ والعَرْشَ يَبْكِيان؛
القُلُوبُ والعَقْلُ عَرْشِيَّةٌ بلا شَكّ، تَحْيا في الحِجابِ عَنْ نُورِ العَرْش؛

فِي بيانِ أنَّ العَقْلَ والرُّوحَ حَبيسانِ فِي الماءِ والطِّيْنِ ، مِثْلَ هارُوتَ ومارُوتَ فِي بِئْرِ بابِل

مِثْلَ ذَيْنِكَ الطَّاهِرَيْنِ هارُوتَ ومارُوتَ، إنَّهُما مَحْبُوسانِ هُنا بِبِئْرٍ مَهُول؛
دَخَلا في العالَمِ السُّفْلِيِّ والشَّهْوانِيّ، حُبِسا في هذا البِئْرِ مِنَ الجُرْمِ؛
السِّحْرَ وَضِدَّ السِّحْرِ بِغَيْرِ اخْتِيار، تَعَلَّمَ مِنْهُما الأخْيارُ والأَشْرار؛
لكِنَّ أَوَّلَ نَصِيْحَةٍ مِنْهُما للطَّالِب، لا تَتَعَلَّمْ هذا السِّحْرَ مِنَّا ولا تَلْتَوِ؛
نَحْنُ نُعَلِّمُ هذا السِّحْرَ أَيْ فُلان، مِنْ أَجْلِ الإبْتِلاءِ والإمْتِحان؛
الإمْتِحانُ شَرْطُهُ الاِخْتِيار، لا اخْتِيارَ بلا اقْتِدار؛
المُيُولُ مِثْلَ الكِلابِ النَّائِمَة، الخَيْرُ والشَّرُّ مَخْفِيَّانِ فيها؛
حِيْنَ تَكُونُ بلا قُدْرَةٍ تنامُ مَغْلُوْبَةً، كأنَّها قِطَعٌ مِنَ الحَطَبِ ساكِنَةً؛
حَتَّى إذا طَلَعَتْ مَيْتَةٌ في الوَسَط، نَفْخُ صُورِ الحِرْصِ قَرَعَ الكِلاب؛
إذا ماتَ حِمارٌ في ذلِكَ الحَيّ، اسْتَيْقَظَ مِنْ ذاكَ مِئَةُ كَلْبٍ نائِمٍ؛
حِرْصُها كانَ في كَتْمِ الغَيْب، قامَ بالغارَةِ أطَلَّ بالرَّأْسِ مِنَ الجَيْب؛
صارَ شَعْرُ كُلِّ كَلْبٍ شَعْرَةً شَعْرَةً أَسْناناً، وَصارَ مِنْ أجْلِ الحِيْلَةِ يُحَرِّكُ الذَّنَب؛
نِصْفُهُ الأَسْفَلُ حِيْلَةٌ وَأَعلاهُ الغَضَب، مِثْلَ النَّارِ الضَّعيفَةِ وَجَدَتِ الحَطَب؛
تَصِلُها الشُّعَلُ شُعْلَةً شُعْلَةً مِنَ اللّامكان، يَصِلُ مِنْها اللَّهَبُ إلى السَّماء؛
مِئَةُ كَلْبٍ كهذا تنامُ في هذا البَدَن، ما دامَ الصَّيْدُ غَيْرَ مَوْجُودٍ فهِيَ مُخْتَفِيَة؛
أَو مِثْلَ طُيُورِ البازِ أُغْلِقَتْ عُيُونُها، وهِيَ مِنْ عِشْقِ الصَّيْدِ تَحْتَرِقُ في الحِجاب؛
حتَّى يرْفَعُوا عَنْها غِطاءَ الرَّأْسِ وَتَرى الصَّيْدَ، فَتَقُومُ آنَذاكَ بالطَّوافِ في الجِبال؛
شَهْوَةُ المَرِيضِ تَكُونُ ساكِنَةً، خاطِرُهُ مُتَّجِهٌ إلى جِهَةِ الصِّحَّة؛
متى رأى الخُبْزَ والتُّفَّاحَ والبِطِّيْخَ، تَتَصارَعُ عِنْدَهُ اللَّذَّةُ وَخَوْفُ الأذى؛

إذا كانَ صَبَّاراً الرُّؤْيَةُ لَهُ نافِعَة، ذاكَ التَّهَيُّجُ حَسَنٌ لِطَبْعِهِ الضَّعِيْف؛
ما لَمْ يَكُنْ لَهُ الصَّبْرُ فَخَيْرٌ أنْ لا يَرى ، إبعادُ السَّهْمِ عَنِ الرَّجُلِ بلا دِرْعٍ أَولى؛

جوابُ الطَّاووس لِذلِكَ السَّائل

حِيْنَ فَرِغَ مِنَ البُكاءِ قالَ لَهُ اذْهَبْ، فَأَنْتَ رَهِيْنَةٌ لِلَّوْنِ والرَّائِحَة؛
أَنْتَ لا تَرى مِنْ كُلِّ جِهَةٍ مِئَةَ بلاء، تُقْبِلُ إِلَيَّ في طَلَبِ هذِهِ الأَجْنِحَة؛
أي كَمْ مِنْ صَيَّادٍ بلا رَحْمَةٍ ناصِبٌ لِيَ الشِّباكَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ لأَجْلِ هذا الرِّيْش؛
وَكَمْ مِنْ رامٍ للسِّهامِ مِنْ أجْلِ أَجْنِحَتي، يُرْسِلُ السَّهْمَ في الهَواءِ نَحْوي؛
لا أمْلِكُ القُوَّةَ وَضَبْطَ النَّفْس، مِنْ هذا القَضاءِ وَمِنْ هذا البلاءِ ومِنْ هذِهِ الفِتَن؛
فَخَيْرٌ لِيْ أنْ أَكُونَ قَبيحاً وَكَرِيْهاً، حَتَّى أَكُونَ آمِناً في هذِهِ الجِبالِ والتِّيْه؛
صارَ هذا سِلاحَ عُجْبي أَيْ فَتى، العُجْبُ يَجِيْءُ للمُعْجَبِيْنَ بِمِئَةِ بلاء؛

بيان أنَّ فَضائلَ وَذُكاءَ وَمالَ الدُّنيا كَمِثْلِ رِيْشِ الطَّاووسِ عَدُوٌّ للرُّوح

فالفَضْلُ لِغَيْرِ النَّاضِجِ هُوَ الهَلاك، إنَّهُ في طَلَبِ الحَبَّةِ لا يَرى الشِّباك؛
الاِخْتِيارُ جَميلٌ لِذلِكَ الجَمِيْلِ الَّذي، يَكُونُ مالِكاً للنَّفْسِ في *اِتَّقُوا*؛
فإذا لَمْ يَكُنْ حِفْظٌ وَتَقْوى حَذار، أَبْعِدِ الآلَةَ تَخَلَّصْ مِنَ الاِخْتِيار؛
ذلِكَ الرِّيْشُ جَلْوَتي واخْتِياري، سَأَقْتَلِعُ الرِّيْشَ فَهُوَ قاصِدُ رَأْسي؛
الصَّبُورُ يَرى رِيشَهُ عَدَماً، كي لا يُوقِعَهُ الرِّيْشُ في الشَّرِّ والفِتْنَة؛
فإنْ كانَ الرِّيْشُ لا يَضُرُّهُ قُلْ لَهُ لا تَقْلَعْه، إذا جاءَ سَهْمٌ أمامَهُ اتَّقاهُ بالمِجَنّ؛
لكِنَّ الرِّيْشَ الجَمِيْلَ لِيْ عَدُوٌّ، لأَنَّني لا صَبْرَ لي عَنْ عَرْضِ الجَمال؛
لَوْ كانَ لي قائِدٌ مِنَ الصَّبْرِ والحِفاظ، لَزِدْتُ الكَرَّ والفَرَّ باخْتِياري؛

أنا مِثْلَ الطِّفْلِ أو مِثْلَ السَّكْرانِ في الفِتَن، لَيْسَ لائقاً في يَدِي السَّيْف؛

لَو كانَ لي عَقْلٌ وَمُنْزَجَر، لَكانَ لي مِنَ السَّيْفِ في يَدِي ظَفَر؛

يَجِبُ عَقْلٌ مُشِعٌّ كأنَّهُ الشَّمْس، لِتَضْرِبَ بالسَّيْفِ دُونَما خَطَأ؛

بِما أنَّني لا أمْلِكُ العَقْلَ المُنيرَ والصَّلاح، لِماذا لا أرمي في البِئْرِ السِّلاح؛

سَأُلْقِي السَّيْفَ والمِجَنَّ الآنَ في البِئْر، فَهُما سَوفَ يَصِيرانِ سِلاحاً لِخَصْمِي؛

ما دُمْتُ لا أمْلِكُ العَوْنَ والمالَ والسَّنَد، فَسَيَأْخُذُ مِنِّي السِّلاحَ وَيَضْرِبُني بِه؛

بِرَغْمِ هذِهِ النَّفْسِ القَبيحَةِ الطَّبْع، الَّتي لا تَسْتُرُ الوَجْهَ سَأَخْمِشُ الوَجْه؛

حَتَّى يَقِلَّ هذا الجَمالُ وهذا الكَمال، إذا لَمْ يَبْقَ جَمالٌ قَلَّ الوُقُوعُ في الوَبال؛

ما دُمْتُ بِهذِهِ النِّيَّةِ أَخْمِشُ الوَجْهَ لا خَطَل، فأنا أسْتُرُ هذا الوَجْهَ بالجِراح؛

لَوْ كانَ قَلْبي مالِكاً لِطَبْعِ العِفَّة، ما كانَ طَلَعَ مِنْ وَجْهِي الجَميلِ غَيْرُ الصَّفاء؛

لَمْ أَرَ فِيَّ القُدْرَةَ والعِلْمَ والصَّلاح، وَرَأَيْتُ الخَصْمَ فَكَسَرْتُ مُسْرِعاً السِّلاح؛

حَتَّى لا يَصِيْرَ سَيْفي لَهُ كَمالاً، حَتَّى لا يَصِيْرَ خَنْجَري عَلَيَّ وَبالاً؛

سَأَهْرَبُ ما دامَ بي عِرْقٌ يَنْبِضُ، مَتى كانَ سَهْلاً الفِرارُ مِنَ النَّفْس؛

ذاكَ الَّذي كانَ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ فَرار، حِيْنَ انْقَطَعَ عَنْهُ وَجَدَ القَرار؛

أنا الخَصْمُ لِنَفْسِي فأنا في فرار، شُغْلي إلى الأَبَدِ الفرارُ الفِرار؛

لا في الهِنْدِ يَكُونُ آمِناً ولا في خُتَن، ذاكَ الَّذي خَصْمُهُ ظِلُّ نَفْسِه؛

في صِفَةِ أولئكَ الفانينَ الَّذينَ صارُوا مِنْ شَرِّ النَّفْسِ وَفَضْلِ النَّفْسِ آمِنين ، فَهُمْ فانُونَ في بَقاءِ الحَقِّ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتي تَفْنى نَهاراً في الشَّمْس ، وما للفاني خَوفٌ مِنْ آفَةٍ ولا خَطَر

إذا كانَ الفَناءُ مِنَ الفَقْرِ زِيْنَةً لَهُ، فَقَدْ صارَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ بِلا ظِلّ؛
الفَقْرُ فَخْري صارَ الفَناءُ زِيْنَةً لَه، لَقَدْ صارَ مِثْلَ لِسانِ الشَّمْعِ لا ظِلَّ لَه؛
صارَ الشَّمْعُ جُمْلَةً شُعْلَةً مِنَ الرَّأْسِ لِلْقَدَم، لَيْسَ للظِّلِّ مِنْ حَوْلِهِ مِنْ مَمَرّ؛
الشَّمْع فَرَّ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ ظِلِّه ، في الشُّعاعِ الَّذي سَكَبَ الشَّمْعُ مِنْ أَجْلِه؛
قالَ أنا مِنْ أَجْلِ فَنائِكَ سَكَبْتُ، قالَ أنا أَيْضاً إلى الفَناءِ هَرَبْتُ؛
هذا الشُّعاعُ الباقي المُفْتَرَض، لا شُعاعُ الشَّمْعِ الفاني العَرَض؛
الشَّمْعُ إذا صارَ فانِياً في النَّارِ كُلِّيّاً، لا تَرى أَثَراً مِنَ الشَّمْعِ وَمِنَ الضِّياء؛
هُوَ ظاهِرٌ في دَفْعِ الظُّلْمَة، صُورَةُ النَّارِ على الشَّمْعِ قائِمَة؛
الجِسْمُ يَكُونُ على خِلافِ الشَّمْع، إذا نَقُصَ الجِسْمُ زادَ نُورِ الرُّوح؛
هذا الشُّعاعُ الباقِيْ وذاكَ الفانِي، شَمْعَةُ الرُّوحِ اشْتِعالُها رَبَّانِي؛
شُعْلَةُ النَّارِ هذِهِ إذا كانَتْ نُوراً، الظِّلُّ الفانِيْ يَصِيْرُ عَنْها بَعِيْداً؛
الغَيْمُ لَهُ ظِلٌّ يَقَعُ على الأَرْض، القَمَرُ لَيْسَ لَهُ ظِلٌّ مُرافِق؛
أَيُّها المُخْلِصُ كُنْ فانِياً بِلا غَيْم، كُنْ في الفَناءِ مِثْلَ قُرْصِ القَمَر؛
إذا عادَ الغَيْمُ يَمُرُّ مِنْ جَدِيْدٍ، يَذْهَبُ النُّورُ مِنَ القَمَرِ وَيَبْقى خَيال؛
مِنْ حِجابِ الغَيْمِ نُوْرُهُ ضَعِيْف، صارَ أَقَلَّ مِنَ الهِلالِ ذلِكَ البَدْرُ الشَّرِيف؛
يَظْهَرُ القَمَرُ خَيالاً مِنَ الغَيْمِ والدُّخان، غَيْمُ البَدَنِ جَعَلَنا كَثيري الخَيال؛
أُنْظُرْ لُطْفَ القَمَرِ فَهُوَ أَيْضاً لُطْفُه، فَلَقَدْ قالَ إنَّ الغُيُومَ لَنا عَدُوّ؛
القَمَرُ فارِغٌ مِنَ الغَيْمِ والغُبار، القَمَرُ لَهُ فَوْقَ الفَلَكِ مَدار؛

غَيْمُنا صارَ عَدُوّاً وَخَصْماً للرُّوح، لَقَدْ جَعَلَ القَمَرَ مَخْفِيّاً عَنْ عَيْنِنا؛
يَجْعَلُ للحُوْرِ حِجاباً مِنَ الشَّيْب، يَجْعَلُ البَدْرَ أَقَلَّ مِنَ الهِلال؛
هذا الحجابُ يَجْعَلُ الحُورَ عجائزَ، وَيَجْعَلُ البَدْرَ أَقَلَّ مِنَ الهِلال؛
البَدْرُ أجْلَسَنا في جوارِ العِزّ، وَسَمَّى عَدُوَّنا عَدُوّاً لَه؛
ضياءُ الغَيْمِ وماؤهُ مِنْ هذا القَمَر، كُلُّ مَنْ دَعا الغَيْمَ قَمَراً زائِدُ الضَّلال؛
حِيْنَ صارَ الغَيْمُ مَنْزِلاً لِنُورِ القَمَر، صارَ وَجْهُهُ المُظْلِمُ مُبَدَّلاً مِنَ القَمَر؛
وَمَعَ أنَّهُ صارَ بِلَونِ القَمَرِ وذا دَوْلَة، نُورُ القَمَرِ ذاكَ في الغَيْمِ عارِيَة؛
القَمَرُ والشَّمْسُ في القِيامَةِ مَعْزولان، والعَيْنُ بِأَصْلِ الضِّياءِ مَشْغُولَة؛
حَتَّى تَعْرِفَ المُلْكَ مِنَ المُسْتَعار، وهذا الرِّباطَ الفاني مِنْ دارِ القرار؛
المُرْضِعُ عارِيَةٌ لِيَوْمَيْنِ أو ثلاثَة، أي أُمَّنا خُذينا في الحِضْن؛
رِيْشِيَ الغَيْمُ والحِجابُ الكَثيف، مِنْ انعِكاسِ لُطْفِ الحَقّ هُوَ لَطيف؛
سَأَقْلَعُ الرِّيْشَ وَحُسْنَهُ مِنَ الطَّريق، لأرى حُسْنَ القَمَرِ مِنَ القَمَرِ أَيْضاً؛
أنا لا أُريدُ المُرْضِعَ فالأُمُّ أجْمَل، أنا مُوسى ومُرْضِعِي هِيَ الأُمّ؛
أنا لا أُرِيْدُ لُطْفَ القَمَرِ مِنَ الواسِطَة، فَهَلاكُ القَوْمِ كانَ مِنْ هذِهِ الرَّابِطَة؛
إلَّا أنْ يَأْخُذَ الغَيْمُ طَبْعَ القَمَر، فلا يَصيرَ حِجاباً لِوَجْهِ القَمَر؛
أظْهَرَ الصُّورَةَ في وَصْفِ الفَناء، مِثْلَ جِسْمِ الأنبياءِ والأولياء؛
مِثْلُ ذاكَ الغَيْمِ لَيْسَ حِجاباً مُغْلَقاً، إنَّهُ مُمَزِّقٌ للحِجابِ مُفيدٌ للمَعْنى؛
مِثْلَما حَدَثَ في صَباحِ يَومٍ مُضيءٍ، أمْطَرَتِ القَطْرَ وما مِنْ غَيْمٍ في الأعلى؛
كانَ ذاكَ السَّقْيُ مُعْجِزَةَ النَّبِيّ، الغَيْمُ مِنَ المَحْوِ صارَ بِلَوْنِ السَّماء؛
كانَ غَيْماً وَذَهَبَ مِنْهُ طَبْعُ الغَيْم، هكذا يَصيْرُ جَسَدُ العاشِقِ في الصَّبْر؛
كانَ جَسَداً وَفُقِدَ مِنْهُ طَبْعُ الجَسَد، صارَ مُبَدَّلاً وَفُقِدَ مِنْهُ اللَّونُ والرَّائِحَة؛
الرِّيشُ في طَلَبِ الغَيْرِ والرَّأْسُ مِنْ أجْلي، مَنْزِلُ السَّمْعِ والبَصَرِ عِمادُ البَدَن؛

التَّضْحِيَةُ بالرَّأْسِ لأجْلِ صَيْدِ الغَيْر، كُفْرٌ مُطْلَقٌ وَيَأْسٌ مِنَ الخَيْر؛
ألا لا تَكُنْ كالسُّكَّرِ أمامَ البَبَّغاوات، بَلْ كُنْ السُّمَّ وَكُنْ آمِناً مِنَ النُّقْصان؛
أو مِنْ أجْلِ أنْ تكُونَ مَحْمُوداً في الخِطاب، اِجْعَلِ النَّفْسَ كالمَيْتَةِ أمامَ الكِلاب؛
فالخِضْرُ مِنْ أَجْلِ هذا كَسَرَ السَّفينَة، كَيْ تَنْجُوَ تِلْكَ السَّفينَةُ مِنَ الغاصِب؛
الفَقْرُ فَخْري، بِذاكَ جاءَ السَّنِيّ، لِأَفِرَّ مِنَ الطَّمَّاعِيْنَ إلى الغَنِيّ؛
مِنْ أجْلِ ذلِكَ وَضَعُوا الكُنُوزَ في الخَرابات، كَيْ تَنْجُوَ مِنْ حِرْصِ أَهْلِ العُمْران؛
إنْ كُنْتَ لا تَعْرِفُ قَلْعَ الرِّيْشِ اخْتَرِ الخَلْوَة، لِئَلَّا تَصيرَ جُمْلَةً خَرْجاً لِهذا وذاك؛
مِنْ ذلِكَ أنتَ أيضاً آكِلُ لُقْمَةٍ وأيْضاً لُقْمَةٌ، أنتَ آكِلٌ ومأكُولٌ أَيْ عَزيزُ فاحْذَرْ؛

في بيان أنَّ كُلَّ ما سِوى اللهِ آكِلٌ وَمَأْكُول ، مِثْلَ ذلِكَ الطَّائِرِ الَّذي كانَ في قَصْدِ صَيْدِ جرادَة، وكانَ مَشْغُولاً بِصَيْدِ الجرادَةِ وغافِلاً عَنِ البازِ الجائعِ الَّذي كانَ خَلْفَهُ طالِباً للصَّيْد ، الآنَ أيُّها الآدَمِيُّ الصَّيَّادُ الآكِلُ لا تَكُنْ آمِناً مِنَ الصَّيَّادِ آكِلِك، إذا كُنْتَ لا تَراهُ بِنَظَرِ العَيْنِ انْظُرْ إلى عِبْرَتِهِ بِنَظَرِ الدَّليلِ حَتَّى تَصيرَ عَيْنُ السِّرِّ مَفْتُوحَةً

طائرٌ صَغيرٌ كانَ في صَيْدِ دُوْدَةٍ ، فَوَجَدَتِ القِطَّةُ الفُرْصَةَ واخْتَطَفَتْه؛
كانَ آكِلاً وَمَأكُولاً وبلا خَبَر، مَشْغُولاً بِصَيْدِهِ عَنِ الصَّيَّادِ الآخَر؛
السَّارِقُ مَشْغُولٌ باقْتِناصِ المَتاع، والشُّرَطِيُّ مَعَ خُصُومِهِ في طَلَبِه؛
عَقْلُهُ مَشْغُولٌ بالقِفْلِ والمَتاعِ والباب، وغافِلٌ عَنِ الشُّرَطِيِّ وَعَنْ آهِ السَّحَر؛
غارِقٌ هكذا في خيالِ نَفْسِهِ، غافِلٌ عَنْ طالِبٍ لَهُ وباحِثٍ عَنْه؛
حِيْنَ كانَ الحَشيشُ يَشْرَبُ الماءَ الزُّلال، كانَتْ مَعِدَةُ الحَيَوانِ تَطْلُبُهُ لِتَرعاه؛
ذلِكَ العُشْبُ آكِلٌ وَمَأْكُول، مِثْلَ كُلِّ مَوجُودٍ غَيْرِ الإله؛

ما دامَ *وَهُوَ يُطْعِمُكُمْ ولا يُطْعَم* ، الحَقُّ لَيْسَ مَأكُولاً وَآكِلَ لَحْمٍ وَجِلْد؛
الآكِلُ والمَأكُولُ متى كانَ آمِناً، مِنْ آكِلٍ لَهُ يَكُونُ في الكَمينِ ساكِناً؛
أَمْنُ المَأْكُوليْنَ جَذُوبٌ للمَأْتَم، اِذْهَبْ إلى تِلْكَ العَتَبَةِ فَهُوَ *لا يُطْعَم*؛
كُلُّ خَيالٍ يَأكُلُهُ خَيال، الفِكْرُ يَرْتَعي ذاكَ الفِكْرَ الآخَر؛
الفِكْرُ زَنْبُورٌ وَنَومُكَ ذاكَ ماءٌ، وَحِيْنَ تَصيرُ مُسْتَيْقِظاً يَعُودُ الذُّباب؛
أنتَ لا تَسْتَطيعُ أنْ تَتَحَرَّرَ مِنَ الخيالِ، إلَّا بالنَّومِ لِتَقْفِزَ خارِجاً مِنْ ذاك؛
عِدَّةُ زنابيرِ خيالٍ تَطير، تَشُدُّ هذا الصَّوبَ وَتَحْمِلُ ذلِكَ الصَّوب؛
أَقَلُّ الآكِلِيْنَ هذا الخَيال، الآخَرُونَ يَعْلَمُهُمْ ذو الجلال؛
هيَّا اهْرَبْ مِنْ جَوْقِ الأُكَّالِ الغَليظ، إلَيْهِ فَقَدْ قالَ نَحْنُ لَكَ حَفيظ؛
أو لِجِهَةِ ذاكَ الَّذي وَجَدَ ذاكَ الحِفْظ، إنْ كُنْتَ لا تَقْدِرُ تُسْرِعُ جِهَةَ ذاكَ الحافِظ؛
لا تَضَعْ يَدَكَ إلَّا في يَدِ الشَّيْخ، الَّذي صارَ الحَقُّ آخِذاً بِيَدِهِ تِلْك؛
شَيْخُ عَقْلِكَ لَهُ طَبْعُ الأطْفال، مِنْ جِوارِ النَّفْسِ الكائِنَةِ في حِجاب؛
اِجْعَلِ العَقْلَ الكامِلَ لِعَقْلِكَ قَريناً، حَتَّى يَرْجِعَ العَقْلُ مِنْ طَبْعِ السُّوءِ ذاك؛
عِنْدَما تَضَعُ يَدَكَ في يَدِه، تَخْرُجُ خارِجَ يَدِ الآكِلِيْن؛
تَصيرُ يَدُكَ مِنْ أهْلِ تِلْكَ البَيْعَة، إذ كانَتْ *يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْديهِم*؛
فَقَدْ وَضَعْتَ يَدَكَ في يَدِ الشَّيْخ، شَيْخِ الحِكْمَةَ الَّذي هُوَ عَليمٌ وَخَطير؛
فإنَّهُ نَبِيُّ وَقْتِهِ أَيْ مُريدُ، لِيَطْلَعَ نُورُ النَّبِيِّ ظاهِراً مِنْه؛
تَصيرُ بِهذا في الحُدَيْبِيَّةِ حاضِراً، وَتَصيرُ أيضاً لِصَحابَةِ البَيْعَةِ أولئكَ قَريناً؛
ثُمَّ تَجيءُ مِنْ عَشْرَةِ الصَّحابَةِ المُبَشَّرين، وَتَكُونُ كالذَّهَبِ الخالِصِ كامِلِ العِيار؛
كَيْ تَصيرَ المَعِيَّةُ صَحيحَةً فإنَّ الرَّجُلَ، شَفيعٌ مَعَ الرَّجُلِ الَّذي هُوَ لَهُ مُحِبّ؛
كائِنٌ مَعَهُ في هذا العالَمِ وَذاكَ العالَم، إنَّ هذا حَديثُ أحْمَدَ حَسَنِ الخِصال؛
قالَ المَرْءُ مَعَ مَحْبُوبِهِ، لا يُفَكُّ القَلْبُ عَنْ مَطْلُوبِهِ؛

لا تَجْلِسْ بِكُلِّ مكانٍ بِهِ شَبَكَةٌ وَحَبَّةٌ، يا آخِذَ المِسْكِيْنِ انظُر آخِذي المساكين؛
يا أَيُّها المِسْكِيْنُ وآخِذُ المَساكينِ اعْلَمْ هذا، يَدٌ مِنْ فَوْقِ يَدٍ أيضاً يا أَيُّها الشَّابّ؛
أنتَ مِسْكِيْنٌ وآخِذُ مساكِيْنَ أَيُّ عَجَب، أنتَ صَيْدٌ وَصائِدُ صَيْدٍ وَفي طَلَب؛
لا تَكُنْ مِمَّنْ بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَخَلْفَهُمْ سَدٌّ، فَلَسْتَ ترى الخَصْمَ وذلِكَ الخَصْمُ فاشٍ؛
حِرْصُ الصَّيَّادِ على الصَّيْدِ مُغْفِلٌ، الحُبُّ يَجْعَلُهُ والِهاً بلا قَلْب؛
لا تَكُنْ أَقَلَّ مِنْ طائرٍ في النَّشيد، فإنَّ عُصْفُوراً رأى بينَ يَدَيْهِ وَخَلْفَه؛
عِنْدما اقْتَرَبَ مِنَ الحَبَّةِ في اللَّحْظَة ، أدارَ الرَّأْسَ والوَجْهَ للأمامِ والخَلْفِ مَرَّات؛
أنْ عَجَباً أَمِنْ أمامِيَ أمْ خَلْفِيَ صَيَّاد ، لِأَرْفَعَ اليَدَ مِنَ الخَوْفِ عَنْ هَذِهِ اللُّقْمَة؛
فانْظُرْ إذَنْ أنتَ قِصَّةَ الفُجَّار، وانْظُرْ أمامَكَ مَوْتَ الصَّديقِ والجار؛
فَقَدَ جاءَ بِهلاكِهِمْ بلا آلَة ، هُوَ لَكَ قَرينٌ في كُلِّ حالَة؛
كما عَذَّبَ الحَقُّ بلا آلَةٍ وَيَد، اِعْلَمْ أنَّ الحَقَّ يُداوي بلا يَد؛
ذاكَ القائلُ إذا كانَ الحَقُّ مَوجُوداً فأَيْنَ هُوَ، في عذابِهِ يَصيرُ مُقِرّاً بِأنَّهُ هُوَ؛
ذاكَ الَّذي كانَ يَقُولُ هذا بَعيدٌ وَعَجيب، يُمْطِرُ الدَّمْعَ وَهُوَ يُنادي أي قَريب؛
أنتَ ترى واجِباً الفِرارَ مِنَ الشِّباك، وَشَبَكَتُكَ مُلْتَصِقَةٌ بِجَناحِكَ التِصاقاً؛
فلأَقْتَلِعْ جَذْرَ هذِهِ الشَّبَكَةِ المَنحُوسَة، كَيْ لا أَصيرَ في طَلَبِ المُنى مُرَّ فَم؛
قُلْتُ هذا الجَوابَ مُلائماً لِعَقْلِكَ، فافْهَمْ ولا تَرْجِعْ بالوَجْهِ عَنِ البَحْثِ والفَحْص؛
واقْطَعْ هذا الحَبْلَ الَّذي هُوَ المَرَضُ والحَسَد، وَتَذَكَّرْ في جِيْدِها حَبْلٌ مَسَد؛

سَبَبُ قَتْلِ الخَليلِ عَلَيْهِ السَّلامُ للغُراب، أنْ تِلْكَ كانَتْ إشارَةً لِقَمْعِ أَيَّةِ صِفَةٍ مِنَ الصِّفاتِ المَذْمُومَةِ المُهْلِكَةِ في المُريد

هذا الكلامُ لا نِهايَةَ لَهُ ولا فَراغ، أي خَليلَ الحَقّ لِمَ قَتَلْتَ الزّاغ؛
مِنْ أَجْلِ الأمْرِ ما كانَتْ حِكْمَةُ الأمْر، إظهارُ قَليلٍ مِنْ أَسْرارِ ذاكَ واجِب؛
نَعيبُ الغُرابِ وَصُراخُ الغُرابِ الأَسْوَد، يكُونُ دائماً طالِباً للعُمُرِ في الدُّنيا؛
مِثْلَما طَلَب إبليسُ مِنَ الإلهِ الطّاهِرِ الفَرْد، أنْ يَكُونَ لَهُ عُمُرُ البَدَنِ إلى القِيامَة؛
قالَ أَنْظِرْني إلى يَومِ الجَزا لَيْتَهُ قَدْ قالَ تُبْنا رَبَّنا
العُمُرُ بلا تَوْبَةٍ كُلُّهُ نَزْعٌ للرُّوحِ، المَوْتُ الحاضِرُ هُوَ الغِيابُ عَنْ الحَقّ؛
العُمُرُ والمَوتُ مَعَ الحَقّ كِلاهُما جَميل، مِنْ دُونِ اللهِ ماءُ الحَياةِ يَصيرُ ناراً؛
وذاكَ أيضاً كانَ مِنْ تَأْثيرِ اللَّعْنَة، فَهُوَ في مِثْلِ تِلْكَ الحَضْرَةِ ظَلَّ طالِباً للعُمْر؛
أنْ يكُونَ طَلَبُكَ مِنَ اللهِ غَيْرَ الله، زِيادَةٌ في الظَّنِّ وَخُسرانٌ كُلِّيّ؛
خاصَّةً العُمُرَ الغارِقَ في البُعْد، كَطَلَبِ الثَّعْلَبِ الشَّأْنَ في حُضُورِ الأسَد؛
أعْطِني العُمُرَ أَكْثَرَ لأرْجِعَ للخَلْفِ أكْثَر، أعْطِني مُهْلَةً أَكْثَرَ كَيْ أصِيْرَ أَصْغَر؛
حَتَّى تَصيرَ عَلامَةً لَهُ اللَّعْنَة، الشَّخْصُ السَّيِّئُ باحِثٌ عَنِ اللَّعْنَة؛
العُمُرُ الجَميلُ في قُرْبِ تَرْبِيَة الرُّوح، عُمُرُ الغُرابِ مِنْ أَجْلِ أَكْلِ الأقْذار؛
أعْطِني وَقْتاً أكْثَرَ لآكُلَ قَذَراً أكْثَر، أعْطِني هذا دائماً فَأنا سَيِّئُ الجَوْهَر؛
لَوْ لَمْ يكُنْ آكِلاً للأقْذارِ ذاكَ المُنْتِنُ الفَم، لكانَ قالَ حَرِّرْني مِنْ طَبْعِ الغُراب؛

مُناجاة

أي مُبَدِّلُ جَعَلْتَ مِنَ التُّرابِ ذَهَباً، جَعَلْتَ أبا البَشَرِ تُراباً آخَر؛
عَمَلُكَ تَبْديلُ الأعْيانِ والعَطاء، عَمَلُنا السَّهْوُ والنِّسْيانُ والخَطاء؛

بَدِّلِ السَّهْوَ والنِّسْيانَ إلى عِلْم، أنا غَيْظٌ كُلِّي بَدِّلْني إلى صَبْرٍ وَحِلْم؛
أي مَنْ تَجْعَلُ مِنَ الأرْضِ المالِحَةِ خُبْزاً، أي مَنْ تَجْعَلُ مِنَ الخُبْزِ المَيِّتِ رُوحاً؛
أيْ مَنْ تَكُونُ للرُّوحِ الحَيْرى قائداً، أيْ مَنْ تَجْعَلُ مِنَ الضَّالِ في الطَّريقِ رَسُولاً؛
أي مَنْ تَجْعَلُ جُزْءاً مِنَ الأرْضِ سَماءً، وَتَزيدُ مِنَ النُّجُومِ في الأرْض؛
كُلُّ مَنْ أَعَدَّ ماءَ الحَياةِ مِنْ هذِهِ الجِهات، جاءَ يُسْرِعُ إِلَيْهِ قَبْلَ الآخَرينَ الممات؛
عَيْنُ القَلْبِ الَّتي تَنْظُرُ في الفَلَك، ترى هُناكَ في كُلِّ لَحْظَةٍ صُنْعاً؛
قَلْبٌ للأعيانِ وإكسيرٌ مُحيط، ائتلافُ خِرْقَةَ البَدَنِ بلا مَخيط؛
أنتَ مِنْ ذلِكَ اليَوْمِ الَّذي جِئْتَ فيهِ للوُجُود، كُنْتَ ناراً أو ريحاً أو تُراباً؛
لَوْ كانَ لَكَ على تِلْكَ الحالَةِ بَقاء، كَيْفَ كانَ وَصَلَ لَكَ هذا الاِرْتِقاء؛
المُبَدِّلُ لَمْ يُبْقِ على الوُجُودِ الأوَّل، بَلْ وَضَعَ مَكانَ ذاكَ وُجُوداً أَفْضَل؛
هكذا إلى مِئَةِ أَلْفِ وُجود، الثَّاني أَفْضَلُ مِنَ الأوَّلِ الواحِدُ بَعْدَ الآخَر؛
فلتَنْظُرْ إلى المُبَدِّلِ وَدَعِ الوَسائط، مِنَ الوَسائطِ تَصيرُ أَبْعَدَ عَنْ أَصْلِ ذاك؛
حَيْثُما زادَتِ الواسِطَةُ انتفى الوَصْل، الواسِطَةُ أَزْيَدُ عِنْدَ قَليلِ ذَوْقِ الوَصْل؛
مِنْ مَعْرِفَةِ السَّبَبِ تَقِلُّ حَيْرَتُك، حَيْرَتُكَ تَفْتَحُ لَكَ الطَّريقَ للحَضْرَة؛
تَجِدُ أنواعَ البقاءِ مِنْ أنواعِ الفَناء، لِماذا تشيحُ بِوَجْهِكَ عَنِ الفناء؛
مِنْ ذاكَ الفَناء أيُّ ضَرَرٍ أصابَكَ، حَتَّى التَصَقْتَ بالبَقاءِ أَيُّها النَّافِق؛
ما دامَ تالِيْكَ أَفْضَلُ مِنْ أَوَّلِك، اِبْحَثْ عَنِ الفَناءِ إذنْ واعْبُدِ المُبَدِّل؛
مِئَةَ أَلْفِ حَشْرٍ تَرى أَيْ عَنُود، إلى الآنَ كُلَّ لَحْظَةٍ مِنْ بَدْءِ الوُجُود؛
أَتَيْتَ جاهِلاً مِنَ الجَمادِ إلى النَّماء، ومِنَ النَّماءِ نَحْوَ الحَياةِ والاِبْتِلاء؛
وَمِنْ جَديدٍ إلى العَقْلِ وَتَمييزِ الخَيْر، ومِنْ جَديدٍ إلى خارِجِ الحواسِّ والجِهات؛
هذا أَثَرُ الأقْدامِ إلى شَفَةِ البَحْر، بَعْدَها أَثَرُ القَدَمِ في داخِلِ البَحْر؛
ذلِكَ لأنَّ منازِلَ اليابِسَةِ مِنَ الاِحْتياط، تَكُونُ القُرى والأوطانَ والرِّباط؛

مِنْ جَديدٍ منازِلُ البَحْرِ في الوُقُوف، وقْتُ المَوْجِ والحَبْسِ بلا عَرْصَةٍ وَسُقُوف؛
لا سِنامَ ظاهِرٌ لِتِلْكَ المراحِل، ولا علامةَ ولا اِسْمَ لِتِلْكَ المَنازِل؛
مِئاتُ أمثالِ هذا بَيْنَ المَنْزِلَيْن، في ذلِكَ الطَّرَفِ مِنَ النَّماءِ إلى رُوحَ العَيْن؛
رَأَيْتَ هذا البَقاءَ في أنواعِ الفَناء، فَكَيْفَ التَصَقْتَ هكذا بِبَقاءِ الجِسْم؛
أَيْ غُرابُ هيَّا ادْفَعِ الرُّوحَ مِنْ جَديدٍ وَكُنْ، أمامَ تَبْديلِ الإلهِ باذِلاً للرُّوح؛
وَخُذِ الجَديدَ ولْتُسْلِمِ القَديم، فَتَكُونَ سَنَتُكَ الجَديدَةُ أَزْيَدَ ثلاثَ مَرَّات؛
إذا لَمْ تَكُنْ مِثْلَ النَّخْلِ ذا إيثار، ضَعِ القَديمَ على القَديمِ واتَّخِذْ مَخْزَناً؛
واحْمِلِ القَديمَ والعَفِنَ والمُهْتَرِئ، تُحْفَةً إلى كُلِّ أعْمى لا يرى؛
فذاكَ الَّذي يرى الجَديدَ لَيْسَ مُشْتَرِياً مِنْك، إنَّهُ صَيْدُ الحَقِّ إنَّهُ لَيْسَ صَيْداً لَك؛
وحَيْثُما كانَ هُناكَ جَوْقٌ مِنْ طُيُورٍ عُمْيٍ، تأتي إلَيْكَ جَمْعاً أَيُّها السَّيْلُ المالِح؛
حَتَّى تَزيدَ مِنَ الماءِ المالِحِ العَمى، لأنَّ الماءَ المالِحَ يَزيدُ العَمى؛
مِنْ ذلِكَ السَّبَبِ أَهْلُ الدُّنيا عُمْيُ القُلُوب، هُمْ شارِبُو الشَّرابِ مِنَ الماءِ والطِّيْن؛
أنتَ تُعْطي المالِحَ في الدُّنيا وَتَشْتَري العَمى، إذْ لا تَمْلِكُ ماءَ الحَياةِ في الخَفاء؛
بِمِثْلِ هذِهِ الحالِ تُريدُ البَقاءَ والذِّكْر، أنتَ بِسَوادِ وَجْهِكَ سَعيدٌ كَزِنْجِيّ؛
الزِّنْجِيُّ مِنْ ذاكَ بالسَّوادِ مَسْرُور، فَهُوَ مِنَ الوِلادَةِ والأَصْلِ كانَ زِنْجِيّاً؛
مَنْ كانَ يَوماً جَميلاً وكانَ حَسَنَ وَجْه، إذا صارَ أَسْوَدَ راحَ في طَلَبِ التَّدارُك؛
الطَّائِرُ المُحَلِّقُ إذا أُوْقِفَ على الأرْض، يكُونُ في غُصَّةٍ وَأَلَمٍ وَحَنين؛
وطائرُ المَنْزِلِ مَسْرُورٌ على الأَرْض، يَجْري وَيَلْتَقِطُ الحَبَّ في سُرُورٍ وَنَشاط؛
ذاكَ لأَنَّهُ كانَ مِنَ الأَصْلِ لا يَطِيْر ، وذاكَ الآخَرُ كانَ طائراً وَمُحَلِّقاً؛

قالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلام ارْحَمُوا عَزِيْزَ قَومٍ ذَلَّ
وَغَنِيَّ قَوْمٍ افْتَقَرَ وَعالِماً يَلْعَبُ بِهِ الجُهَّال

قالَ النَّبِيُّ اِحْمِلُوا الرُّحْمىَ إلى رُوحِ مَنْ كانَ غَنِيّاً فافْتَقر
والَّذي كانَ عَزيزاً فاحْتَقَرْ أوْ صَفِيّاً عالِماً بَيْنَ المُضَرْ

قالَ النَّبِيُّ هؤلاءِ الثَّلاثَةَ أَقْوام، اِرْحَمْ وَلَو كُنْتَ مِنَ الصَّخْرِ أوِ الجَبَل؛
ذاكَ الَّذي صارَ ذليلاً بَعْدَ الرِّئاسَة، وذاكَ الغَنِيُّ الَّذي صارَ بلا مال؛
والثَّالِثُ ذاكَ العالِمُ في الدُّنيا، الَّذي صارَ بَيْنَ البُلْهِ مُبْتَلىً؛
ذاكَ أنَّ الاِنْتِقالَ مِنَ العِزِّ للذُّلّ، يكُونُ مِثْلَ قَطْعِ عُضْوٍ مِنَ البَدَن؛
العُضْوُ الَّذي فَصَلُوهُ عَنِ البَدَنِ ماتَ، تَحَرَّكَ بَعْدَ القَطْعِ فَتْرَةً وَجِيْزَةً لا مَدِيْدَة؛
كُلُّ مَنْ شَرِبَ مِنْ جامِ *أَلَسْتُ* في عامٍ مَضى، بِهِ آفَةُ الأَلَمِ والخُمارِ هذا العام؛
وَذاكَ الَّذي كانَ في الأَصْلِ كَلْبَ شَقاء، متى يكُونُ لَهُ الحِرْصُ على السُّلْطان؛
يَبْحَثُ عَنِ التَّوْبَةِ مَنْ فَعَلَ الذَّنْب، وَيُطْلِقُ الآهَ مَنْ ضَلَّ الطَّريق؛

قِصَّةُ وَلَدِ الغَزالِ الَّذي حُبِسَ في اِسْطَبْلِ الحَمير، وَطَعْنُ تِلْكَ الحَمِيْر بِذلِكَ الغَريب حِيْناً بالعِراكِ وَحِيْناً بالسُّخْرِيَة ، وابتِلاؤهُ بالتِّبْنِ الَّذي لَيْسَ لَهُ بِغذاء، وَهذِهِ صِفَةُ عَبْدِ اللهِ الخاصّ بَيْنَ أَهْلِ الدُّنيا وَأَهْلِ الهَوى والشَّهْوَة أنِ الإسلامُ بَدَأَ غَريباً وَسَيَعُودُ غَريباً فَطُوبى للغُرَباء ، صَدَقَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه

صادَ صَيَّادٌ صَيْداً غَزالاً، أَدْخَلَهُ إلى الإِسْطَبْلِ مِنْ غَيْرِ احْتِراز؛
في الاسْطَبْلِ المَمْلُوءِ مِنَ الثِّيْرانِ والحَمِيْر، حَبَسَ الغَزالَ كما يَفْعَلُ الظَّالِمُون؛

الغَزالُ مِنَ الوَحْشَةِ يَنْفِرُ كُلَّ صَوب، وفي اللَّيْلِ وَضَعَ أمامَ تِلْكَ الحَمِيْرِ التِّبْن؛
مِنَ الجُوعِ والاِشْتِهاءِ كُلُّ حِمارٍ وَثَوْرٍ، راحَ يَمْضَغُ التِّبْنَ أحْلى مِنَ السُّكَّر؛
الغزالُ يَنفِرُ مِنْ جِهَةٍ لِجِهَةٍ حِيْناً، وَحِيْناً يُدِيْرُ الوَجْهَ مِنَ الدُّخَانِ وَغُبارِ القَشّ؛
كُلُّ مَنْ وَضَعُوهُ مَعَ ضِدِّ نَفْسِهِ، تَصَوَّرُوا لَهُ عُقُوبَةً كَأَنَّها المَوْت؛
حَتَّى قالَ سُلَيْمانُ في شَأْنِ ذلِكَ الهُدْهُد، إذا لَمْ يَقُلْ عُذْراً لِعَجْزِهِ يَكُونُ مُعْتَبَراً؛
سَأَقْتُلُهُ أو أُنْزِلُ بِهِ مِنَ العَذاب، عذاباً شَدِيداً يَكُونُ خارِجاً عَنِ الحِساب؛
قِيْلَ أيْ مُعْتَمَدُ ما ذلِكَ العَذابُ ، قالَ أنْ يَكُونَ في قَفَصٍ مَعَ غَيْرِ جِنْسِه؛
أيُّها الإنسانُ طائِرُ رُوحِكَ في بَدَنِكَ، مَحبُوسٌ في العَذاب مَعَ جِنْسٍ آخَر؛
الرُّوحُ بازٌ والطِّباعُ غُرْبان، الباز مِنَ البُومِ والغِربانِ مغْمُوم؛
مُقيمٌ بَيْنَها في عَناءٍ وَعَجْز، مِثْلَما كانَ أَبُو بَكْر في شَهْر سَبْزَوار؛

حِكايَةُ شاهِ خَوارِزْم مُحَمَّد الَّذي سَيطَرَ على مَدِيْنَةِ سَبْزَوار الَّتي كانَ كُلُّ أهْلِها رَوافِضَ حَيْثُ طَلَبُوا الأمانَ للرُّوح، قالَ أُعْطِي الأمانَ ذلِكَ الوَقْتَ الَّذي تُحْضِرُونَ فِيْهِ أمامِي هَدِيَّةً واحِداً مِنْ أهْلِ هذِهِ المَدِيْنَةِ يَكُونُ اسْمُهُ أَبُو بَكْر

شاهُ خَوارِزْم مُحَمَّد *أَلَب أُلُغ*، صارَ إلى حَرْبِ سَبزوار المُمْتَلِئَةِ بالملاجِئ؛
ضَيَّقَ عَسْكَرُهُ عَلَيْهِمُ الخِناق، وانْبَرى جَيْشُهُ في قَتْلِ العَدُوّ؛
جاؤوا إلى أمامِهِ ساجِدِيْنَ أنِ الأمان، ضَعْ حَلَقَ العَبِيْدِ في آذانِنا وأعْطِنا الرُّوح؛
وكُلُّ ما هُوَ لَكَ واجِبٌ مِنَ الخَراجِ والصِّلَة، نَحْنُ نُعْطِيْكَ إيَّاهُ زائداً كُلَّ مَوْسِم؛
أرواحُنا مُلْكٌ لَكَ أيْ أَسَدَ الطَّبْعِ ، مُرْ بِأنْ تَكُونَ أمانَةً عِنْدَنا مُدَّةً قليلَة؛
قالَ لَنْ تُحَرِّرُوا أرواحَكُمْ مِنِّي، ما لَمْ تَجِيئوا بأبي بَكْر إلى أمامي؛

ما لَمْ تَجْلِبُوا لِيْ أَيْ أُمَّةً ضالَّةً ، هَدِيَّةً مِنْ مَدِينَتِكُمْ شَخْصاً باسْمِ أبي بَكْر؛
سَأَحْصِدُكُمْ كالحَصِيْدِ أيُّها القَومُ الدُّون، لا أُرِيدُ مِنْكُمْ خِراجاً ولا أَقْبَلُ خِداعاً؛
جَرُّوا إلى طَرِيقِهِ أكياسَ الذَّهَب، قالُوا مِنْ مِثْلِ هذِهِ المَدِيْنَةِ لا تَطْلُبْ أبا بَكْر؛
متى يَكُونُ في سَبْزوار أبو بَكْر، مَتى يَكُونُ الطِّيْنُ اليابِسُ في النَّهْر؛
أدارَ الوَجْهَ عَنِ الذَّهَبِ وقالَ أيْ مَجُوسُ ، ما لَمْ تُحْضِرُوا إلَيَّ هَدِيَّةً أبا بَكْر؛
لَنْ يَكُونَ لَكُمْ نَفْعٌ فَلَسْتُ بالطِّفْل، كَيْ أَقِفَ حائراً مَشْدُوهاً بالذَّهَبِ والفِضَّة؛
ما لَمْ تَجِئْ بالسَّجْدَةِ لَنْ تَنْجُوَ أَيْ خَوَّار، وَلَوْ كُنْتَ تَمْسَحُ المَسْجِدَ بالعَرْض؛
انتَشَرَ المُخْبِرُونَ عَنْ يَمِينٍ وَعَنْ يَسار، يَبْحَثُونَ في هذِهِ الخَرابَةِ عَنْ أَبِيْ بَكْر؛
بَعْدَ ثلاثَةِ أَيَّامٍ وَثلاثِ لَيالٍ مِنَ الجِدِّ، وَجَدُوا واحِداً نَحِيْلاً باسْمِ أَبي بَكْر؛
كانَ عابِرَ سَبيلٍ وَمُقْعَداً مِنَ المَرَض، في رُكْنٍ مِنَ الخَرابَةِ مَمْلُوءٍ مِنَ الحَرَض؛
كانَ مُسْتَلْقِياً نائماً في رُكْنٍ خراب، لَمَّا رَأَوْهُ قالُوا لَهُ أَسْرِعْ؛
هَيَّا انْهَضْ فالسُّلْطانُ لَكَ طالِبٌ، مِنْكَ سَوفَ تَنْجُو مَدِيْنَتُنا مِنَ القَتْل؛
قالَ لَو كانَ لِيْ قَدَمٌ أَوْ مَقْدَمٌ لَكُنْتُ، سِرْتُ مِنْ نَفْسي وَذَهَبْتُ للمَقْصَد؛
مَتى كُنْتُ لأبْقى في قَرْيَةِ الأَعْداء، كُنْتُ سَلَكْتُ الطَّرِيقَ إلى مَدِيْنَةِ الأَحْباب؛
جاؤوا بِلَوْحِ تابُوتٍ لِحَمْلِ المَوتى، حَمَلُوا عَلَيْهِ أبا بَكْر هذا فَوْقَ الكَتِف؛
يَحْمَلُهُ الحَمَّالُونَ نَحْوَ مَلِكِ خَوارِزْم، يَحْمِلُونَهُ إِلَيْهِ كَيْ يَرى الدَّليل؛
هذِهِ الدُّنيا سَبزَوارُ وَرَجُلُ الحَقّ، ها هُنا فيها ضائعٌ وَمُمْتَحَق؛
وَمَلِكُ خوارِزْمَ اللهُ الجَليل، يَطْلُبُ القَلْبَ مِنْ هؤلاءِ القَوْمِ الأَرْذال؛
قالَ لا يَنْظُر إلى تَصْويرِكُمْ فابْتَغُوا ذا القَلْبِ في تَدْبيرِكُم
أنا أَنْظُرُ لُكَ مِنْ خِلالِ ذي قَلْبٍ، لا مِنْ خِلالِ صُورَةِ السُّجُودِ والإيثارِ بالذَّهَبْ؛
ظَنَنْتَ أنَّ قَلْبَكَ قَلْبٌ بِحَقٍ، فَتَرَكْتَ البَحْثَ عَنْ أَهْلِ القُلُوب؛
لَوْ أنَّ سَبْعَمائَةِ سَبْعِ سَماوات، دَخَلَتْ في القَلْبِ لاخْتَفَتْ وَضاعَت؛

فلا تُسَمِّ هذِهِ القُلُوبَ الصَّغِيْرَةَ قُلُوباً، ولا تَبْحَثْ في سَبْزَوارَ عَنْ أَبي بَكْر؛
صاحِبُ القَلْبِ يَصيرُ مِرْآةً بِستَّةِ أَوْجُهٍ، ناظِرٌ بِها الحَقُّ مِنَ الجِهاتِ السِّتّ؛
بلا واسِطَتِهِ لا يَنْظُرُ الحَقُّ، إلى كُلِّ مَنْ كانَ لَهُ مَقَرٌّ في الجِهاتِ السِّتّ؛
فإذا هُوَ ما رَدَّ فإنَّما رَدَّ مِنْ أَجْلِهِ، وإِذا ما قَبِلَ فَمِنْ كُونِهِ كانَ لَهُ سَنَداً؛
مِنْ دُونِهِ الحَقُّ لا يُعْطِيْ لِأَحَدٍ النَّوال، لَقَدْ ذَكَرتُ شُمَّةً عَنْ صاحِبِ الوِصال؛
إنَّهُ يَضَعُ المَوْهِبَةَ على راحَةِ يَدِه، وَيُعْطِيْ ذاكَ مِنْ كَفِّهِ إلى المَرْحُومين؛
البَحْرُ الكُلِّيُّ لَهُ مَعَ كَفِّهِ اتِّصال، اتِّصالٌ بلا كَيْفِيَّةٍ وَعلى الكَمال؛
اِتِّصالٌ غَيْرُ مُسْتَوْعَبٍ بالكلام، يَقُولُ القَوْلَ بالتَّكْليفِ والسَّلام؛
جِئْتَ بِمِئَةِ كِيْسِ ذَهَبٍ أَيْ غَنِي، الحَقُّ يَقُولُ أنْ احْمِلِ القَلْبَ أَيْ مُنْحَنِ؛
إذا كانَ القَلْبُ راضِياً عَنْكَ فَأنا راضٍ، وإذا كانَ مُعْرِضاً عَنْكَ فَأَنا مُعْرِض؛
أنا لا أَنْظُرُ إِلَيْكَ بَلْ أَنْظُرُ في ذلِكَ القَلْب، احْمِلْهُ تُحْفَةً أَيْ عَزيزُ إلى بابي؛
مِثْلَما يَكُونُ مَعَكَ أنا أَكُونُ مَعَكَ، الجِنانُ تَكُونُ تَحْتَ أَقْدامِ الأُمَّهات؛
إنَّهُ الأبُ والأُمُّ وَأَصْلُ الخَلْق، سَعِدَ ذلِكَ الشَّخْصُ الَّذي عَرِفَ القَلْبَ مِنَ القِشْر؛
تَقُولُ لَقَدْ جَلَبْتُ لَكَ القَلْبَ الجَمِيْلَ، فَيَقُولُ لَكَ ***قُتُو*** مَلِيْئَةٌ مِنْ هذِهِ القُلُوب؛
آتِ بِذلِكَ القَلْبِ الَّذي هُوَ قُطْبُ العالَم، رُوحُ رُوحِ رُوحِ رُوْحِ آدَم؛
مِنْ أَجْلِ ذلِكَ القَلْبِ المَلِيءِ بالنُّوْرِ والبِرّ، سُلْطانُ القُلُوبِ كانَ مُنْتَظِراً ذاك؛
أنتَ طُفْتَ أيَّاماً في سَبْزَوار، فَلَمْ تَجِدْ مِثْلَ ذلِكَ القَلْبِ ذي الاِعْتِبار؛
فَوَضَعْتَ قَلْباً ذابِلاً مُتَعَفِّنَ الرُّوح، فَوْقَ لَوْحِ تابُوتٍ تَحْمِلُهُ تِلْكَ الجِهَة؛
أنْ جَلَبْتُ لَكَ القَلْبَ أَيْ سُلْطان، لَيْسَ أَفْضَلُ مِنْ هذا القَلْبِ في سَبْزَوار؛
فَيَقُولُ هَلْ هذِهِ جَبَّانَةٌ أَيْ مُجْتَرِئ، حَتَّى تَجْلِبَ قَلْباً مَيِّتاً إلى ها هُنا؛
اِذْهَبْ وَأَحْضِرِ القَلْبَ بِطَبْعِ المَلِك، فإنَّ أمانَ سَبْزَوارِ الكَوْنِ كائنٌ مِنْه؛
فَتَقُولُ ذلِكَ القَلْبُ مَخْفِيٌّ عَنْ هذِهِ الدُّنيا، لأنَّ الظُّلْمَةَ مَعَ الضِّياءِ ضِدَّان؛

عَداوَةُ ذلِكَ القَلْبِ مِنْ يَوْمِ *أَلَسْت*، إنَّها لِسَبْزَوارِ الطَّبْعِ ميراث؛
لأنَّهُ بازٌ والدُّنيا مَدينَةُ غِرْبان، رُؤيَةُ غَيْرِ الجِنْسِ مِنْ غَيْرِ الجِنْسِ عذابٌ أَليم؛
وإذا لاطَفَ فإنَّما يُلاطِفُ مِنَ النِّفاق، يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْ أَجْلِ اسْتِمالَةِ الارْتِفاق؛
إنَّهُ يَقُولُ نَعَمْ لا مِنْ أَجْلِ احْتياج، حَتَّى يُقْصِرَ النَّاصِحُ مِنْ نُصْحِهِ الطَّويل؛
لِأنَّ هذا الزَّاغَ الخَسيسَ طالِبَ الجِيَف،عِنْدَهُ مِئَةُ أَلْفِ فِكْرٍ بَعْضُها على بَعْض؛
إذا قَبِلَ ذاكَ خَلَّصَ نِفاقَهُ، وَصارَ نِفاقُهُ عَيْنَ صِدْقِ المُسْتَفيد؛
إنَّ صاحِبَ القَلْبِ ذا الكَرِّ والفَرّ، هُوَ في بازارِنا حِمارٌ مَعْيُوب؛
أُطْلُبْ ذا القَلْبِ إنْ كُنْتَ ذا رُوح،كُنْ مِنْ جِنْسِ القَلْبِ إنْ لَمْ تَكُنْ ضِدَّ السُّلْطان؛
ذاكَ الَّذي نِفاقُهُ يَكُونُ لَدَيْكَ حَسَناً ، ذاكَ وَلِيُّكَ أنتَ لا وَلِيُّ الله؛
كُلُّ مَنْ يَحيا على طَبْعِكَ وعلى مِزاجِك، هُوَ أمامَ طَبْعِكَ وَلِيٌّ وَنَبِيّ؛
اِذْهَبْ وَدَعِ الهَوى لِيَكُونَ لَكَ العَبير، وَتَكُونَ لَكَ المَشامُّ الجَميلَةُ طالِبَةُ العِبَر؛
مِنَ التَّفْكيرِ بالهَوى دِماغُكَ فاسِد ، عِنْدَ مُخِّكَ المِسْكُ والعَنْبَرُ كِلاهُما كاسِد؛
هذا الحَديثُ لا حَدَّ لَهُ وَغَزالُنا ، يَهْرَبُ في الإِصْطَبْلِ مِنْ جانِبٍ إلى جانِب؛

بَقِيَّةُ قِصَّةِ الغَزالِ وَحَميْرِ الإسْطَبْل

ظَلَّ ذاكَ الغزالُ مِسْكِيُّ العَبيرِ أَيَّاماً، في إِسْطَبْلِ الحَميْرِ ذاكَ في العَذاب؛
يَضْطَرِبُ في نَزْعٍ كَسَمَكَةٍ على اليابِسَة، مُعَذَباً في حُقَّةٍ بِها الزِّبْلُ والمِسْك؛
قالَ لَهُ حِمارٌ أَيْ أبا الوُحُوش، صاحِبَ طَبْعِ المُلُوكِ والأُمَراءِ اصْمِتْ؛
وَذاكَ آخَرُ سَخِرَ أنْ مِنَ الجَذْرِ والمَدّ، جاءَ بِجَوْهَرَةٍ فَمَتى يُعْطِيْها رَخيصَةً؛
وذاكَ حِمارٌ قالَ أنْ بِمِثْلِ هذا الحُسْن، اِذْهَبْ إلى سَريرِ الشَّاهِ وَقُلْ ذا مُتَّكَئي؛
وذاكَ حِمارٌ صارَ مُتْخَماً وَعَجِزَ عَنِ الأَكْل، فقامَ بِرَسْمِ الدَّعْوَةِ للغزالِ للطَّعام؛

فَهَزَّ الرَّأْسَ أنْ اذْهَبْ أَيْ فُلان ، لا اشْتِهاءَ عِنْدي أنا غَيْرُ قادِر؛
قالَ أنا أعلَمُ أنَّكَ تَقُومُ بالدَّلال ، أو أنَّكَ مِنَ العِزَّةِ تَقُومُ بالإِحْتِراز؛
فقالَ لَهُ في النَّفْسِ أنْ ذاكَ طُعْمَةٌ لَكَ، فأجْزاؤكَ مِنْ ذاكَ حَيَّةٌ وَجَديدَة؛
أنا الَّذي كُنْتُ للمُرُوجِ أليفاً، هانِئاً في الزُّلالِ والرِّياض؛
إذا كانَ القَضاءُ ألقى بي في العذاب، متى تَضِيعُ الطَّبيعَةُ والطَّبْعُ المُسْتَطاب؛
وَلَوْ صِرْتُ شَحَّاذاً لا أصيرُ بِطَبْعِ شَحَّاذ، وَلَو صارَ لِباسي قَديماً أنا جَديد؛
رَعَيْتُ السَّنابِلَ والزُّهُورَ والرَّياحينَ أيضاً، بِألْفِ دلالٍ وَأَكَلْتُ نافِراً؛
قالَ بلى أنتَ تَدَّعي جُزافاً، في الغُرْبَةِ يُمْكِنُ الحَديثُ كثيراً بالجُزاف؛
قالَ نافِجَةُ المِسْكِ عِنْدِيَ شاهِدٌ ، إنَّ لها الفَضْلَ على العُودِ والعَنْبَر؛
لكِنْ مَتى يَشُمُّ ذاكَ ذُو المشامّ، ذاكَ على الحِمارِ عابِدِ الزِّبْلِ حرام؛
الحِمارُ يَشُمُّ بَوْلَ الحِمارِ على الطَّريق، كَيْفَ أعْرِضُ المِسْكِ على هذا الفَريق؛
مِنْ أجْلِ هذا قالَ الرَّسُولُ المُسْتَجيب، ذلِكَ الرَّمْزَ الإسْلامُ في الدُّنيا غَريب؛
الكُلُّ يَنْفِرُ مِنْ صاحِبِهِ حَتَّى قَرابَتُهُ، مَعَ أنَّ المَلائكَ لِذاتِهِ قُرَناء؛
الأنامُ يَرَونَ صُورَتَهُ مِنْ جِنْسِهِم، لكِنَّهُمْ لا يَجِدُونَ تِلْكَ المَشَامَّ مِنْه؛
مِثْلَ أَسَدٍ كائنٍ في نَقْشِ بَقَرَةٍ، انْظُرْ إلَيْهِ مِنْ بَعِيْدٍ ولكِنْ لا تُفَتِّشْه؛
وإنْ فَتَّشْتَ قُمْ بِتَرْكِ جَسَدِ البَقَرَة، فإنَّ أَسَدَ الطَّبْعِ ذاكَ يُمَزِّقُ البَقَرَة؛
يُخْرِجُ مِنْ رَأْسِكَ طَبْعَ البَقَرَة، وَيَنْتَزِعُ طَبْعَ الحَيَوانِ مِنَ الحَيَوان؛
كُنْتَ أَسَداً فَصِرْتَ بَقَرَةً عِنْدَهُ، إذا كُنْتَ بِطَبْعِ البَقَرَةِ لا تَطْلُبِ الأسَد؛

تَفْسير إنِّي أرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يأكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجاف ، اللهُ كانَ خَلَقَ تِلْكَ البَقَراتِ العِجافِ على طَبْعِ الأُسُودِ الجائِعَةِ كَيْ تأكُلَ تِلْكَ البَقَراتِ السِّمان باشْتِهاء ، وبِرَغْمِ أخْيلَةِ صُوَرِ البَقَرِ الَّتي أظْهَرَتْ في مِرْآةِ النَّوم ، أنتَ انْظُرْ في المَعْنى

عَزيزُ مِصْرَ ذاكَ رأى في النَّوم ، حِيْنَ تَمَّ فَتْحُ بابِ عَيْنِ الغَيْبِ لَه؛
تِلْكَ البَقَراتِ السِّمانِ السَّبْعَ وافِرَةَ السِّمِنِ، تأكُلُها تِلْكَ البَقَراتُ السَّبْعُ العِجاف؛
رَجُلُ الأمْرِ جاءَ بالصُّورَةِ بَشَراً، لكِنَّ فِيْهِ أَسَداً خَفِيّاً يَلْتَهِمُ الرِّجال؛
أكَلَ الرَّجُلَ الحَسَنَ جَعَلَهُ مُفْرَداً، صارَتْ ثُمالَتُهُ صافِيَةً حِيْنَ آلَمَه؛
كَمْ تَقُولُ مِثْلَ الزَّاغِ المَليءِ بالنُّحُوس، أي خَليلُ مِنْ أَجْلِ ماذا قَتَلْتَ الدِّيْك؛
قالَ لأمْرِ حِكْمَةٍ قالَ قُلِ الأمْر ، حَتَّى أَصِيْرَ مُسَبِّحاً لِذاكَ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ؛

بيان في قَتْلِ الخليل عليهِ السَّلام للدِّيك ، أنْ ذاكَ كانَ إشارَةً لِقَمْعِ وَقَهْرِ أَيَّةِ صِفَةٍ مِنَ الصِّفاتِ المَذْمُوماتِ المُهْلِكاتِ في باطِنِ المُريد

هُوَ شَهْوانِيٌّ وَعابِدٌ للشَّهْوَة، سكرانُ مِنْ ذلِكَ الشَّرابِ السُّمِّيّ بلا فائدَة؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ ذاكَ لِأَجْلِ النَّسْلِ أَيْ وَصِيّ، كانَ آدَمُ خَوفَ عارِ الشَّهْوَةِ اخْتَصى؛
إبليسُ اللَّعينُ ذاكَ قالَ للخالِق، أُريدُ مِنْ أجْلِ هذا الصَّيْدِ شَبَكَةً عَظيمَة؛
فَعَرَضَ لَهُ الذَهَبَ والفِضَّةَ وَقَطِيْعَ الخَيْل، أنْ بِهذا تَسْتَطيعُ أنْ تَخْطِفَ الخلائق؛
قالَ بلى ولامَسَ الخَلُّ شَفَتَيْهِ، وصارَ مُنْكَمِشاً مُقَطِّبَ الوَجْهِ كالكُبَّاد؛
فَقَدَّمَ الحَقُّ الدُّرَّ والجَوْهَرَ مِنَ المعادِنِ الثَّمينَة، إلى ذلِكَ المُدْبِرِ وأعْطاهُ ذاك؛
أنْ خُذْ هذِهِ الشَّبَكَةَ أَيْ لَعين، قالَ زِدْني مِنْ هذا أَيْ نِعْمَ المُعِيْن؛

فأعْطاهُ الدَّسَمَ واللَّذيذَ والشَّرابَ الثَّمينَ ، كثيراً والكَثيرَ مِنْ لِباسِ الحَرير؛
قالَ يا ربِّ زِدْني مِنْ هذا المَدَد، كي أُقَيّدَهُمْ بِحَبْلٍ مِنْ مَسَد؛
فإنَّ سُكاراكَ مِنْ كُلِّ بَطَلٍ قَوِيٍّ ، يُقَطِّعُونَ كالرِّجالِ تِلْكَ القُيُود؛
حتَّى بالشِّباكِ وَحِبالِ الهَوى ، أجْعَلُ رِجالَكَ مَفْصُولِيْنَ عَنِ اللِّئام؛
أي سُلْطانَ العَرْشِ أُريدُ شَبَكَةً أُخرى ، شَبَكَةً تَصيدُ الرِّجالَ وَمَتينَةَ الصُّنْعِ جَدَّاً؛
جاءَ بالخَمْرِ والرَّبابِ إلى أمامِه،فَضَحِكَ نِصْفَ ضُحْكَةٍ وَصارَ نِصْفَ مسرور؛
وأرسَلَ إلى جِهَةِ إضْلالِ الأزَلِ الرِّسالَةَ، أنْ أخْرِجْ مِنْ قَعْرِ بَحْرِ الفِتْنَةِ الغُبار؛
أَلَيْسَ مُوسى واحِداً مِنْ عَبيدِكَ، لَقَدْ عَقَدْتَ لَهُ الحُجُبَ مِنَ الغُبارِ في البَحْر؛
وَأَطْلَقْتَ العِنانَ للماءِ مِنْ كُلِّ صَوب، وارْتَفَعَ غُبارٌ مِنْ قَعْرِ البَحْر؛
عِنْدَما أبْدى لَهُ جَمالَ النِّساءِ، الَّذي هُوَ أَزْيَدُ مِنْ عَقْلِ وَصَبْرِ الرِّجال؛
صَفَقَ الأصابِعَ وانْبَرى في الرَّقْص، أنْ أعْطِني سَريعاً فَقَدْ بَلَغْتُ المُراد؛
حِيْنَ رأى العُيُونَ المَمْلُوءَةَ مِنَ الخُمار، الَّتي تَجْعَلُ العَقْلَ واللُّبَّ بلا قرار؛
والعارِضَ الصَّافِيَ مِنْ أولئكَ الحَسْناوات،الَّذي يَحْتَرِقُ عَلَيْهِ هذا القَلْبُ كالبُخُور؛
الوَجْهَ والخالَ والحاجِبَ والشَّفَةَ كالعَقيق، كأنَّما الحَقُّ شَعَّ مِنْ حِجابٍ رَقيق؛
رأى ذلِكَ الغُنْجَ وانتَفَضَ مُسْرِعاً، عِنْدَما تَجَلَّى الحَقُّ مِنْ حِجابٍ لَطيف؛

تفسير خَلَقْنا الإنسانَ في أَحْسَنِ تَقْويم ، ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِين وَتَفْسير وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ في الخَلْق

حُسْنُ آدَمَ مَسْجُودِ الملائكَة، صارَ مِنْ جَديدٍ مَعْزولاً كآدَم؛
قالَ آهِ أَبَعْدَ الوُجُودِ العَدَم، قالَ جُرْمُكَ أَنَّكَ عِشْتَ طَويلاً؛
قالَ جبرائيلُ وَهُوَ يَسْحَبُهُ بالشَّعْر ، اخْرُجْ مِنْ هذا الخُلْدِ وَجَوقِ الحِسان؛

قالَ بَعْدَ العِزِّ ما هذا الإذلال، قالَ ذاكَ كانَ عَطاءً وهذا لَكَ دَواء؛
أي جَبرائيلُ كُنْتَ تَسْجُدُ لي بالرُّوح، فكَيْفَ تَطْرُدُني الآنَ مِنَ الجِنان؛
تَطايَرُ عَنِّي الحُلَلُ في الاِمْتِحان، مِثْلَ الوَرَقِ مِنَ النَّخْلِ في فَصْلِ الخَريف؛
وذاكَ الوَجْهُ الَّذي كانَ نُورُهُ شَبيهَ القَمَر، صارَ مِنَ العُمُرِ مِثْلَ ظَهْرِ الضَّبّ؛
وذاكَ الرَّأْسُ ذي المَفْرقِ كَثيفِ الشَّعْرِ، صارَ وَقْتَ الهَرَمِ كَثيفاً وَأَصْلَعاً؛
وذاكَ القَدُّ شاقُّ صُفُوفِ الحِسانِ كالسِّنان، صارَ وَقْتَ الهَرَمِ مَحْنِيّاً كالكَمان؛
لَوْنُ الشَّقائِقِ صارَ بِلَوْنِ الزَّعْفَران، وقُوَّةُ الأَسَدِ مِنْهُ صارَتْ كبَأْسِ النِّساء؛
ذاكَ الَّذي كانَ يَجْعَلُ الرَّجُلَ تَحْتَ إبْطِهِ، صاروا يَأْخُذُونَهُ مِنَ الإبطِ في السَّير؛
تِلْكَ آثارُ الغَمِّ والذُّبُول، كُلُّ واحِدٍ مِنْها عَنِ المَوْتِ رَسُول؛

تَفسير أسفَل سافلين ، إِلَّا الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُون

لكِنْ إذا كانَ طَبيبَهُ نُورُ الحَقّ، ما لَهُ مِنَ الهَرَمِ والحُمَّى نُقْصانٌ وَدَقّ؛
يصيرُ ضَعْفُهُ نَظيرَ ضَعْفِ السَّكْران، ففي ضَعْفِهِ ذاكَ يُثيرُ غَيْرَةَ رُسْتَم؛
فإنْ ماتَ فَعَظْمُهُ غَريقُ الذَّوق، ذَرَّةً ذَرَّةً في شُعاعِ نُورِ الشَّوْق؛
والَّذي لَيْسَ لَهُ ذاكَ رَوْضٌ بلا ثَمَر، وَسَوْفَ يَجْعَلُ الخَريفُ عالِيَهُ سافِلَه؛
الوَرْدُ لَمْ يَبْقَ بَقِيَتِ الأَشْواكُ السُّود، صارَ أَصْفَرَ بلا لُبٍّ كَكَوْمَةٍ مِنَ القَشّ؛
ما زَلَّةٌ أتى بِها ذلِكَ الرَّوْضُ أَيْ اَلله، حتَّى صارَ مِنْ هذِهِ الحُلَلِ مُجَرَّداً؛
لَقَدْ رأى نَفْسَهُ وَرُؤيَةُ النَّفْسِ تِلْكَ، مِثْلَ السُّمِّ القَتَّالِ يا أَيُّها المُمْتَحَن؛
وذاكَ الجَميلُ الَّذي أبكى العالَمَ عِشْقاً، يَطْرُدُهُ العالَمُ عَنْهُ فَما جُرْمُهُ؛
جُرْمُهُ أنَّ زِيْنَتَهُ تِلْكَ كانَتْ عارِيَةً، وادَّعى المُلْكِيَّةَ أنْ هذِهِ الحُلَلُ مُلْكِي؛

فاسْتَرْجَعْنا ذاكَ حَتَّى يَعْلَمَ يَقيناً، أنَّ المَحْصُولَ لنا والحِسانُ يأخُذونَ مِنْهُ الحَبّ؛
لِيَعْلَمَ أنَّ تِلْكَ الحُلَلَ كانَتْ عارِيَةً، كانَتْ شُعاعاً مِنْ شَمْسِ الوُجُودِ تِلْك؛
والجَمالُ والقُدْرَةُ والفَضْلُ والفَنّ، جاءَتْ إلى هذِهِ الجِهَةِ مِنْ شَمْسِ الحُسْن؛
ثُمَّ تَؤوبُ راجِعَةً وتخْتَفي كالكَواكِب، نُوْرُ تِلْكَ الشَّمْسِ عادَ مِنْ على الجُدْران؛
عادَ صَوْبَ الشَّمْسِ راجِعاً إلى مَوْضِعَه، وَبَقِيَ كُلُّ جِدارٍ مُظْلِماً وأَسْوَداً؛
ذاكَ الَّذي أضْناكَ في وُجُوهِ الحِسان، هُوَ نُورُ الشَّمْسِ في زُجاجٍ بِثلاثَةِ ألْوان؛
الزُّجاجُ ذُو الألوانِ المُخْتَلِفَة، يُبْدي ذلِكَ النُّورَ مُلَوَّناً هكذا لنا؛
عِنْدَما لا يبقى الزُّجاجُ المُلَوَّنُ أَلْواناً، يَجْعَلُكَ النُّورُ بلا لَوْنٍ آنذاكَ مَذْهُولاً؛
فَتَطَبَّعْ على رُؤيَةِ النُّوْرِ بلا زُجاج، حَتَّى إذا انْكَسَرَ الزُّجاجُ لا تَكُونُ أَعْمى؛
أنتَ قانِعٌ بِعِلْمٍ تَعَلَّمْتَ، أنتَ أشْعَلْتَ النَّظَرَ مِنْ سِراجِ الغَيْر؛
هُوَ قامَ بِخَطْفِ مِصباحِهِ فَعَلِمْتَ، أنَّكَ كُنْتَ مُسْتَعيراً وَلَمْ تَكُنْ فَتىً؛
إذا كُنْتَ قُمْتَ بالشُّكْرِ وَسَعْيِ المُجْتَهِدِ، يُعيدُ لَكَ مِئَةً مِنْ مِثْلِ ذلِكَ لا تَغْتَمّ؛
وإنْ لَمْ تَكُنْ شَكَرْتَ فالآنَ فابْكِ، فَقَدْ صارَ ذلِكَ الحُسْنُ بريئاً مِنَ الكافِر؛
أُمَّةُ الكُفْرِ أَضَلَّ أَعْمالَهُم *أُمَّةَ الإيمانِ أَصْلَحَ بالَهُم*
ضاعَ مِنْ عَديمِ الشُّكْرِ الجَمالُ والفَضْل، فَلَنْ يرى أَثَراً مِنْهُما مِنْ بَعْدِ ذلِكَ أَبَداً؛
القرابَةُ والخِصامُ والشُّكْرُ والوِداد، ذَهَبَتْ مِنْ ذلِكَ بِحَيْثُ لَمْ يَعُدْ يَتَذَكَّرُها؛
أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ أَيُّها الكافِرُونَ ، هِيَ فَرارُ المُرادِ مِنْ كُلِّ بالِغِ مُراد؛
إلَّا مِنْ أَهْلِ الشُّكْرِ وَأَصْحابِ الوَفاء، فإنَّ لَهُمْ مِنْ وَرائِهِمْ دَوْلَةً في الأَثَر؛
الدَّوْلَةُ الَّتي ذَهَبَتْ مَتى تُعْطي القُوَّةَ، الدَّولَةُ الآتِيَةُ هِيَ الَّتي تَهَبُ الخاصِّيَّة؛
فادْفَعِ القَرْضَ في هذِهِ الدَّوْلَةِ مِنْ *أَقْرِضُوا*، حَتَّى ترى مِنْ أمامِكَ مِئَةَ دَولَةً؛
وَقَلِّلِ الشُّرْبَ مِنْ هذا مِنْ أجْلِ نَفْسِك، حَتَّى تَجِدَ حَوْضَ الكَوْثَرِ مِنْ أمامِك؛
متى يَقْدِرُ صَيْدُ الدَّوْلَةِ على الفَرارِ مِنْ، شَخْصٍ صَبَّ جُرْعَةً على تُرابِ الوَفاء؛

أَسَرَّ قُلُوبَهُمْ إذ *أَصْلَحَ بالَهُم* ، *رَدَّ مِنْ بَعْدِ النَّوى أنزالَهُم*
أيْ أَجَلُ أَيْ تُرْكِيَّ الغارَةِ أعْطِ الخَلْق ، رُدَّ كُلَّ ما أَخَذْتَ مِنْ هؤلاءِ الشَّكُورين؛
فَرَدَّهُ لَهُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا ذاك، فَقَدْ صارُوا مُنَعَّمِيْنَ مِنْ متاعِ الرُّوح؛
نَحْنُ صُوفِيُّونَ أَلقَيْنا الخِرَق، ما دُمنا قامَرْنا بِها فَلَنْ نَسْتَرْجِعَها؛
رَأَيْنا العِوَضَ ذلِكَ الحِيْنَ فما العِوَض، ذَهَبَ مِنَّا الحاجَةُ والحِرْصُ والغَرَض؛
قَدْ خَرَجْنا مِنَ الماءِ المالِحِ المُهْلِك، وَوَقَعْنا على الرَّحيقِ وَعَيْنِ الكَوثَر؛
وما فَعَلْتِ مَعَ الآخَرينَ أَيْ دُنيا، مِنَ الغَدْرِ والخِداعِ والدَّلالِ الثَّقيل؛
نَسْكبُهُ فَوْقَ رَأْسِكِ مِنْ أجْلِ الجزاء، نَحْنُ جِئنا في الغَزْوِ نَحْنُ شُهَداء؛
لِتَعْلَمِيْ أنَّ للإلهِ الطَّاهِرِ عَبيداً، مَمْلُوئينَ بالكَرِّ والخِصامِ لَكِ؛
يَقْتَلِعُونَ شارِبَ مَكْرِ الدُّنيا، وَيَنْصِبُونَ الخَيْمَةَ على جُدْرانِ قَلْعَةِ النَّصْر؛
هؤلاءِ الشُّهَداءُ صارُوا مُجَدَّداً غُزاةً، وهؤلاءِ الأُسارى أصابُوا النَّصْرَ مِنْ جَديد؛
رَفَعُوا الرَّأْسَ مِنْ جَديدٍ مِنَ العَدَم، أنِ انْظُرْ إلَيْنا إنْ لَمْ تَكُنْ أَكْمَهاً؛
لِكَيْ تَعْلَمَ أنَّ في العَدَمِ شُمُوساً، الشَّمْسُ هُنا لَيْسَتْ هُناكَ غَيْرَ سُها؛
كَيْفَ يَكُونُ الوُجُودُ في العَدَمِ أَيْ أخي، كَيْفَ يَكُونُ الضِّدُّ مَكْنُوناً في الضِّدّ؛
يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيّتِ اعْلَمْ، العَدَمُ كانَ مُنْيَةَ العابِدِيْن؛
ذلِكَ الزَّارِعُ الَّذي مَخْزَنُهُ فارِغٌ، أَلَيْسَ بِأَمَلِ العَدَمِ سَعيداً وَمَسْرُوراً؛
ذاكَ مِنْ جِهَةِ العَدَمِ يَنْمُو، اِفْهَمْ إذا كُنْتَ واقِفاً على المَعْنى؛
أنْتَ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ مُنْتَظِرُ العَدَم، لِتَجِدَ الفَهْمَ والذَّوْقَ والطُّمَأْنِيْنَةَ والبِرّ؛
وَلَيْسَ مِنْ دَسْتُورٍ لِأَكْشِفَ هذا السِّرَّ، إذَنْ لَجَعَلْتُ مِنَ الأبْخازِيِّ بَغْدادِيَّاً؛
خَزانَةُ صُنْعِ الحَقِّ هيَ العَدَم، يُخْرِجُ مِنْها العَطايا لَحْظَةً بِلَحْظَة؛
المُبْدِعُ هُوَ الحَقُّ المُبْدِعُ هُوَ الَّذي، يَجِيْءُ بالفَرْعِ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ ولا سَنَد؛

مِثالُ عالَمِ الوُجُودِ مُظْهِرُ العَدَمِ وعالَمِ العَدَمِ مُظْهِرِ الوُجُود

لَقَدْ أظْهَرَ العَدَمَ وُجُوداً وَعَظيماً، وَأَظْهَرَ الوُجُودَ على شَكْلِ العَدَم؛
حَجَبَ البَحْرَ وَأَظْهَرَ الزَّبَدَ ظاهِراً، وَحَجَبَ الرِّيْحَ وَأَظْهَرَ لَكَ الغُبار؛
الغُبارُ مَعْقُودٌ في الهَواءِ كالمَنارَة، كَيْفَ للغُبارِ أنْ يَعْلُوَ مِنَ النَّفْسِ للعُلا؛
رَأَيْتَ الغُبارَ في الأعْلى أَيْ عَليل، الرِّيْحُ لا تُعْرَفُ إِلَّا بالدَّليل؛
ترى الزَّبَدَ جارِياً إلى كُلِّ طَرَف، وما للزَّبَدِ دُونَ البَحْرِ مِنْ تَصَرُّفٍ؛
رَأَيْتَ الزَّبَدَ بالحِسِّ وَالبَحْرَ بالدَّليل، الفِكْرُ خَفِيٌّ والظَّاهِرُ القالُ والقِيْل؛
وكُنَّا نَظُنُّ النَّفْيَ إِثْباتاً، وكانَ لنا نَظَرٌ يرى المَعْدُوم؛
وذاكَ المُنْظُورُ الَّذي ظَهَرَ لنا في النُّعاس، لا يكُونُ غَيْرَ خَيالٍ وَلَيْسَ بِرُؤيَة؛
لا جَرَمَ أَصابَنا الدُّوارُ مِنَ الضَّلال، عِنْدَما صارَتِ الحَقيقَةُ خَفِيَّةً ظَهَرَ الخَيال؛
عِنْدَما أظْهَرَ هذا العَدَمَ للنَّظَر، كَيْفَ أخْفى تِلْكَ الحَقيقَةَ عَنِ البَصَر؛
كُلُّ الثَّناءِ أيْ أُسْتاذُ ناسِجُ السِّحْر، لَقَدْ أَبْدَيْتَ الثُّمالَةَ للمُعْرِضينَ صَفاءً؛
السَّحَرَةُ قاسُوا ضَوْءَ القَمَرِ مُسْرِعِيْنَ، أمامَ التُّجَّارِ وَقَبَضُوا الذَّهَبَ ثَمَناً؛
وقَبَضُوا الفِضَّةَ كذلِكَ ضفائرَ، ضاعَتِ الفِضَّةُ مِنَ الكَفِّ وما مِنْ كرباس؛
هذِهِ الدُّنيا ساحِرَةٌ لنا وَنَحْنُ تُجَّارٌ، نَشْتري ضَوْءَ القَمَرِ مِنْها على أنَّهُ نَسيج؛
قاسَتْ لنا خَمْسَمائةِ ذراعٍ مِنَ النَّسيج، مِنْ ضَوْءِ القَمَرِ المُنيرِ مِنْ سِحْرِها ذاك؛
عِنْدَما أَخَذَتْ فِضَّةَ عُمُرِكَ أَيْ سالِك، ضاعَتِ الفِضَّةُ ولا كرباسَ وكيسُكَ فارِغ؛
يَجِبُ أنْ تَقْرَأَ *قُلْ أَعُوذُ* بِكَ أَيْ أحَد، هيَّا اسْتَغِثْ مِنَ *النَّفَّاثاتِ في العُقَد*؛
السَّاحِراتُ يَنْفِثْنَ في العُقَد، الغياثَ المُسْتَغاثَ مِنَ الأَخْذِ والقَتْل؛
لكِنْ اقْرَأْ مِنْ لِسانِ الفِعْلِ أَيْضاً، فَلِسانُ القَوْلِ أَيْ عَزيزُ واهٍ؛
إنَّ لَكَ في الزَّمانِ ثلاثَةَ رِفاق، ذاكَ الواحِدُ وَفِيٌّ وهذانِ الاثنانِ غادِران؛

فواحِدٌ الأصْحابُ وآخَرٌ المَتاعُ والمالُ، وذاكَ الثَّالِثُ الوَفِيُّ حُسْنُ الفِعال؛
المالُ لا يَخْرُجُ مَعَكَ خارِجَ القُصُور، الصَّاحِبُ يَصْحَبُكَ لكِنْ إلى القَبْر؛
حينَ يَومُ الأجَلِ يَأتيكَ مِنْ أمامِكَ، يَقُولُ لَكَ الصَّاحِبُ مِنْ لِسانِ حالِ نَفْسِه؛
بَعْدَ هذا المَكانِ لَسْتُ لَكَ رَفيقاً، لكِنَّني سَأَقِفُ على رَأْسِ قَبْرِكَ لَحْظَةً؛
فِعْلُكَ هُوَ الوَفِيُّ فاتَّخِذْهُ مُلْتَحَداً، فإنَّهُ يَدْخُلُ مَعَكَ إلى قَعْرِ اللَّحْد؛

في تَفْسير قَول المُصْطَفى عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام لا بُدَّ مِنْ قَرينٍ يُدْفَنُ مَعَكَ وَهُوَ حَيٌّ وَتُدْفَنُ مَعَهُ وَأَنْتَ مَيِّتٌ إنْ كانَ كَريماً أَكْرَمَكَ وإنْ كانَ لَئيماً أَسْلَمَك وذلِكَ القَرينُ عَمَلُكَ فَأَصْلِحْهُ ما اسْتَطَعْتَ،

صَدَقَ رَسُولُ الله(ص)

ثُمَّ قالَ النَّبِيُّ مِنْ أجْلِ هذا الطَّريق، ما مِنْ رَفيقٍ أوفى مِنَ العَمَل؛
فإنْ كانَ حَسَناً كانَ رَفيقَكَ إلى الأبَد، وإنْ كانَ سَيِّئاً صارَ حَيَّةً لَكَ في اللَّحْد؛
هذا العَمَلُ وهذا الكَسْبُ في طَريقِ السَّدادِ، لا يُمْكِنُ فِعْلُهُما أي أَبٍ بلا أُسْتاذ؛
أدنى كَسْبٍ يَكُونُ في العالَمِ ، لا يَكُونُ أَبَداً بلا إرْشادِ أُسْتاذ؛
أَوَّلُهُ عِلْمٌ ثُمَّ آنَذاكَ عَمَلٌ، حَتَّى يُثْمِرَ مِنْ بَعْدِ مُهْلَةٍ أو أجَل؛
اِسْتَعِينُوا في الحِرَفْ يا ذا النُّهى مِنْ كَريمٍ صالحٍ مِنْ أَهْلِها؛
أُطْلُبِ الدُّرَّ أخِيْ وَسْطَ الصَّدَفْ واطْلُبِ الفَنَّ مِنْ أرْبابِ الحِرَفْ؛
إنْ رَأَيْتُمْ ناصِحِيْنَ أنْصِفُوا بادِرُوا التَّعْليمَ لا تَسْتَنْكِفُوا
وَلَوْ لَبِسَ الرَّجُلُ في الدِّباغَةِ الخَلَقَ، فإنَّ ذاكَ لا يُقَلِّلُ مِنْ سِيادَةِ السَّيِّد؛
وَلَوْ لَبِسَ الحَدَّادُ الثَّوْبَ القَدِيْمَ وَقْتَ النَّفْخ، شَأْنُهُ أمامَ الخَلْقِ لَنْ يَقِلَّ مِنْ ذاك؛
فانزعْ لِباسَ الكِبْرِ عَنِ البَدَن، والبِسْ لِباسَ الذُّلِّ عِنْدَ التَّعَلُّم؛

تَعَلُّمُ العِلْمِ طَرِيقُهُ القَوْل، تَعَلُّمُ الحِرَفِ طَرِيقُهُ العَمَل؛
وإنْ أَرَدْتَ الفَقْرَ فذاكَ يَقُومُ بالصُّحْبَة، لَيْسَ لِلِسانِكَ ولا لِيَدِكَ مِنْ عَمَلٍ فِيه؛
تَأْخُذُ الرُّوحُ عِلْمَ ذاكَ مِنَ الرُّوح، لا مِنْ طَرِيقِ دَفْتَرٍ ولا مِنْ لِسان؛
تِلْكَ الرُّمُوزُ إذا كانَتْ في قَلْبِ السَّالِك، فلَيْسَ عالِماً بالرَّمْزِ إنَّهُ لا يَزالُ سالِكاً؛
حَتَّى يَشْرَحَ الضِّياءُ ذلِكَ لِقَلْبِه، ثُمَّ يَكُونُ أَمْرُ اللهِ *أَلَمْ نَشْرَحْ*؛
أعْطَيْناكَ في داخِلِ الصَّدْرِ الشَّرْح، لَقَدْ وَضَعْنا الشَّرْحَ داخِلَ صَدْرِك؛
وأنْتَ لا تَزالُ تَطْلُبُ ذاكَ مِنَ الخارِجِ، عِنْدَكَ اللَّبَنُ كَيْفَ تَطْلُبُ اللَّبَنَ مِنَ الغَيْر؛
عَيْنُ اللَّبَنِ في داخِلِكَ بلا ضِفاف، كَيْفَ تَطْلُبُ اللَّبَنَ مِنَ الإناء؛
أي طالِبَ الماءِ عِنْدَكَ مَنْفَذٌ إلى البَحْر، اِخْجَلْ مِنْ طَلَبِكَ الماءَ مِنَ الغَدير؛
أَلَمْ نَشْرَحْ لَمْ تَعُدْ لَكَ شَرْحاً، ما دُمْتَ صِرْتَ باحِثاً عَنِ الشَّرْحِ وَمُسْتَجْدِياً لَه؛
فانْظُرْ في شَرْحِ القَلْبِ في الدَّاخِل، حَتَّى لا تَجِيْءَ طَعْنَةُ *لا يُبْصِرُون*؛

تَفسير وَهُوَ مَعَكُم

عِنْدَكَ فَوْقَ الرَّأْسِ سَلَّةٌ مَمْلُوءَةٌ بالخُبْز، وأنتَ تَطْلُبُ الخُبْزَ مِنْ بابٍ إلى باب؛
فاطْرُقْ بابَ رَأْسِكَ وَدَعْ حَيْرَةَ الرَّأْس، اطْرُقْ بابَ القَلْبِ لِمَ أنتَ على كُلِّ باب؛
أنتَ في نَهْرِ ماءٍ يَصِلُ إلى رُكْبَتِك،غافِلٌ عَنِ النَّفْسِ تَطْلُبُ الماءَ مِنْ ذا وذاكَ؛
الماءُ مِنْ أمامٍ وَخَلْفٍ وَذُو مَدَد، والعُيُونُ مِنْ أمامٍ وَمِنْ خَلْفٍ لها سَدّ؛
يطْلُبُ الفارِسُ الجَوادَ والجَوادُ تَحْتَ الفَخِذ، ما هذا؟ قالَ جَوادٌ لكِنْ أَيْنَ الجَواد؛
هذا الَّذي تَحْتَكَ أَلَيْسَ جَواداً انْتَبِه، قالَ بلى ولكِنِ الجَوادُ مَنْ رآه؛
سَكْرانُ للماءِ والماءُ أمامَ وَجْهِه، هُوَ داخِلَ الماءِ ولا خَبَرَ لَهُ عَنِ الماءِ الجاري؛
هُوَ كالجَوْهَرِ في البَحْرِ يَسْأَلُ أَيْنَ البَحْر، الخَيالُ مِنْ حَولِهِ كَجِدارِ الصَّدَف؛

قَولُهُ أَيْنَ ذاكَ يَصِيْرُ لَهُ حِجاباً، يَصِيْرُ غَيْماً على ضِياءِ شَمْسِه؛
يَصِيْرُ رِباطاً على عَيْنِه وَعَيْنَ سُوءٍ لَهُ ، عَيْنُ رَفْعِ السَّدِّ عَنْهُ صارَتْ سَدَّاً لَه؛
وَعْيُهُ صارَ قِفْلاً على سَمْعِه ، اِجْعَلْ وَعْيَكَ مَعَ الحَقِّ أَيْ مَدْهُوشَ الحَقّ؛

في تَفْسير قَول المُصْطَفى عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام مَنْ جَعَلَ الهُمُومَ هَمَّاً واحِداً كَفاهُ اللهُ سائِرَ هُمُومِهِ ، وَمَنْ تَفَرَّقَتْ بِهِ الهُمُومُ لا يُبالي اللهُ في أَيِّ وادٍ أهْلَكَه

قُمْتَ بِتَوزيعِ وَعْيِكَ على الجِهات، تِلْكَ تُرُّهاتٌ ولا تُساوي شَيْئاً؛
كُلُّ جَذْرِ شَوْكَةٍ يَسْحَبُ ماءَ وَعْيِك، فَكَيْفَ يَصِلُ ماءُ وَعْيِكَ إلى الثِّمار؛
هَيَّا اقْطَعْ ذلِكَ الغُصْنَ الرَّديءَ وَقَلِّمْه، أَعْطِ الماءَ ذلِكَ الغُصْنَ الحَسَنَ وَجَدِّدْه؛
كلا الغُصْنَيْنِ الآنَ أَخْضَرُ وانْظُرْ، هذا يَصيرُ باطِلاً وَذاكَ يطْلَعُ الثَّمَرُ مِنْه؛
ماءُ البُسْتانِ حلالٌ لِهذا وعلى ذاك حَرام، آخِراً سَوْفَ ترى الفَرْقَ والسَّلام؛
العَدْلُ ما يَكُونُ؟، إعطاءُ الماءِ للشَّجَر، الظُّلْمُ ما يكُونُ؟، إعطاءُ الماءِ للشَّوك؛
العَدْلُ وَضْعُ النِّعْمَةِ في مَواضِعِها، لا إعْطاءُ الماءِ لِكُلِّ جَذْرٍ جاذِبٍ للماء؛
وما يَكُونُ الظُّلْمُ إِنَّهُ الوَضْعُ في غَيْرِ مَوضعٍ، فلا يَكُونُ ذاكَ غَيْرَ مَنْبَعٍ للبلاء؛
أَعْطِ نِعْمَةَ الحَقِّ للرُّوحِ والعَقْل، لا لِطَبْعٍ مَليءٍ مِنَ الزَّحِيْرِ والعُقَد؛
اجْعَلْ حِمْلَ الغَمِّ مَحْمولاً على بَدَنِكَ، لا تَحْمِلْهُ على القَلْبِ والرُّوحِ فَيَهْدِمَ الرُّوح؛
تَضَعُ الحِمْلَ الثَّقِيْلَ على رَأْسِ عِيسى، وتترُكُ الحِمارَ يقفِزُ ويرتَعُ في المُرُوج؛
وَضْعُ الكُحْلِ في الأُذُنِ لَيْسَ حَسَناً، طَلَبُ عَمَلِ القَلْبِ مِنَ الجِسْمِ لَيْسَ حَسَناً؛
إنْ كُنْتَ قَلْباً تَدَلَّلْ ولا تَحْمِلِ الذُلّ ، وإنْ كُنْتَ بَدَناً لا تَجْرَعِ السُّكَّرَ وَتَذَوَّقِ السُّمّ؛
فالسُّمُّ نافِعٌ للبَدَنِ والقَنْدُ سَيِّئٌ، إنَّهُ خَيْرٌ للبَدَنِ أنْ يَكُونَ بلا مَدَد؛

البَدَنُ حَطَبُ جَهَنَّمَ فَأَقِلَّ مِنْه، وإنْ نما حَطَبٌ اذْهَبْ واقْتَلِعْه؛
وإلّا صِرْتَ حَطَباً وَحَمَّالَ حَطَبٍ، في كِلا العَالَمَيْنِ مِثْلَ زَوْجِ أَبي لَهَب؛
مَيِّزْ غُصْنَ السِّدْرَةِ مِنَ الحَطَبْ، وإنْ كانَ الإثْنانِ أَخْضَرَيْنِ أَيْ فَتى؛
فَأَصْلُ ذاكَ الغُصْنِ في سابِعِ سَماء، وَأَصْلُ هذا الغُصْنِ مِنَ النَّارِ والدُّخان؛
هُما مُتَشابِهانِ بالصُّورَةِ أمامَ الحِسّ، رُؤيَةُ عَيْنِ الحِسِّ وَمَذْهَبِ الحِسِّ بالغَلَط؛
ذاكَ يكُونُ ظاهِراً أمامَ عَيْنِ القَلْب، ابْذُلِ الجُهْدَ جِهَةَ القَلْبِ جِئْ بِجُهْدِ المُقِلّ؛
وإنْ لَمْ تَكُنْ تَمْلِكُ القَدَمَ حَرِّكِ النَّفْس، حَتَّى تَرى كُلَّ قَليلٍ وَكُلَّ كَثير؛

في مَعْنى هذا البَيْت

إنْ سِرْتَ في الطَّريقِ فَتَحُوا لَكَ الطَّريق
وإنْ صِرْتَ عَدَماً حَمَلُوكَ إلى الوُجُود

زَليخا غَلَّقَتِ الأبوابَ مِنْ كُلِّ طَرَف ، ويُوسُفُ وَجَدَ مِنَ المُضْطَرَبِ المُنْصَرَف؛
انْفَتَحَ القِفْلُ والبابُ وَظَهَرَ الطَّريق، حِيْنَ قامَ يُوسُفُ بالتَّوَكُّلِ انجَذَبَ سَرِيعاً؛
رَغْمَ أنَّ العالَمَ بلا مَنْفَذٍ ظاهِرٍ، يَجِبُ الرَّكْضُ باضْطِرابٍ كَيُوسُف؛
حَتَّى يَصِيْرَ فَتْحُ القِفْلِ والبابِ ظاهِراً، وَيَصِيْرَ لَكُمْ مَوضِعٌ إلى جِهَةِ اللّامكان؛
جِئْتَ للعالَمِ أَيْ مُمْتَحَنُ، ولَمْ تَرَ شَيْئاً قَطُّ مِنْ طَريقِ المَجِيء؛
أنتَ جِئْتَ مِنْ مكانٍ وَمِنْ مَوطِنٍ، هَلْ عَرِفْتَ طَريقَ المَجيء، لا أَبَداً؛
إنْ كُنْتَ لا تَعْلَمُ وَكَيْ لا تَقُولَ لا طَريق، مِنْ هذا الطَّريقِ بلا طَريقٍ لنا ذهاب؛
تَذْهَبُ في النَّومِ مَسْرُوراً لليَمِيْنِ واليَسار، ولا تَعْرِفُ طَريقَ ذلِكَ المَيْدانِ مِنْ أَيْن؛
فَأَغْلِقْ تِلْكَ العَيْنَ وَقُمْ بِتَسْليمِ النَّفْس، كَيْ ترى نَفْسَكَ في تِلْكَ المَدِيْنَةِ القَديمَة؛

كَيْفَ تُغْلِقُ العَيْنَ وَللعَيْن مِئَةُ خُمار، رِباطُ عَيْنٍ لَكَ مِنْ هذِهِ الجِهَةِ مِنَ الغِرار؛
وَلَكَ أرْبَعَةُ عُيُونٍ مِنْ عِشْقَ مُشْتَريك، على أَمَلِ السِّيادَةِ وَطَلَباً للرِّئاسَة؛
إذا نِمْتَ رَأَيْتَ المُشْتَرَي في النَّوم، البُومُ السَّيِّئُ مَتى رأى في النَّومِ غَيْرَ الخَراب؛
تَطْلُبُ المُشْتَرَي كُلَّ لَحْظَةٍ خِداعاً، وأنْتَ ما تَمْلِكُ لِتَبيعَ ؟! ، لا شَيْء؛
لَوْ كانَ لِقَلْبِكَ الخُبْزُ أوِ الغِذاء، كُنْتَ فارِغاً مِنَ المُشْتَرِينَ كافَّة؛

قَصَّةُ ذلِكَ الشَّخْصِ الَّذي كانَ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ، قالُوا لَهُ ماذا أكَلْتَ حَتَّى صِرْتَ شاذّاً وهاذِراً، قالَ لَوْ كُنْتُ وَجَدْتُ شَيْئاً آكُلُهُ ما كُنْتُ صِرْتُ مُنْحَرِفاً ولا هاذِراً فإنَّ كُلَّ كلامٍ جَميلٍ يُقالُ لِغَيْرِ أَهْلِهِ هَذْرٌ حَتَّى وَلَوْ كانَ قائِلُهُ مَأْمُوراً

ذاكَ واحِدٌ كانَ يَقُولُ أنا رَسُول، وأنا أفْضَلُ مِنْ جَميعِ الرُّسُل؛
فَرَبَطُوهُ مِنْ عُنُقِهِ وَحَمَلُوهُ للمَلِك، أنْ هذا يَقُولُ إنِّي رَسُولٌ مِنَ الإله؛
اجْتَمَعَ الخَلْقُ عَلَيْهِ كالنَّمْلِ والجَراد، أنْ أَيُّ فِكْرٍ وأيُّ تَزْويرٍ وَأَيُّ فَخّ؛
إنْ كانَ الرَّسُولُ مَنْ يَأتي مِنَ العَدَم، فَكُلُّنا إذَنْ رَسُولٌ وَمُحْتَشَم؛
نَحْنُ مِنْ هُناكَ جِئْنا وَكُلُّنا هُنا غَريب، فَلِماذا أَنْتَ مَخْصُوصٌ أَيْ أَديب؛
أَلَيْسَ جِئتُمْ كما يَجيءُ الطِّفْلُ النَّائِم، وَكُنْتُمْ بلا خَبَرٍ عَنِ الطَّريقِ وَعَنِ المَنْزِل؛
وَقَطَعْتُمُ المنازِلَ نائِمِيْنَ وَسَكْرى، بلا خَبَرٍ عَنِ الطَّريقِ وعَنِ الوِهادِ والنِّجاد؛
نَحْنُ باليَقَظَةِ صِرنا ماشِيْنَ وَسُعَداءَ، مِنْ وراءِ خَمْسٍ وسِتٍّ إلى الخَمْسِ والسِّتّ؛
رَأَيْنا المَنازِلَ مِنَ الأَصْلِ والأساس، كالمُرْشِدِيْنَ مِنْ كُلِّ خَبيرٍ وعارِفٍ بالطَّريق؛
قالُوا للمَلِكِ قُمْ بإيذائِهِ، حَتَّى لا يَقُولَ أحَدٌ مِنْ جِنْسِهِ مِثْلَ هذا الحَديثِ أَبَداً؛
رآهُ المَلِكُ نَحيلاً جِدّاً وواهِناً جِدّاً، حَتَّى أنَّ ذاكَ النَّحِيْفَ كانَ لِيَمُوتَ مِنْ جَلْدَة؛

متى يُمْكِنُ الضَّغْطُ عَلَيْهِ أَوْ ضَرْبُهُ، وَقَدْ صارَ بَدَنُهُ كالزُّجاج؛
لكِنْ أُكَلِّمُهُ بِكلامٍ طَيِّبٍ، أنْ لِماذا تَقُومُ بالمُباهاةِ والعِصْيان؛
فَمِنَ الشِّدَّةِ لا يُفْلِحُ ها هُنا عَمَلٌ، وباللِّيْنِ تُخْرِجُ الحَيَّةُ الرَّأْسَ مِنَ الغار؛
أَبْعَدَ المَلِكُ النَّاسَ المُجْتَمِعِيْنَ مِنْ حَوْلِه، كانَ المَلِكُ لَطيفاً وَوِرْدُهُ اللُّطْف؛
ثُمَّ أَجْلَسَهُ وَعاوَدَ سُؤالَهُ عَنِ المكان، أنْ أَيْنَ تَحْصَلُ على المَعاشِ والمُلْتَجَأ؛
قالَ أيْ مَلِكُ أنا مِنْ دارِ السَّلام، جِئْتُ مِنَ الطَّريقِ إلى دارِ المَلام؛
لا مَنْزِلَ لي وما لِيَ مِنْ جَليس، مَتى تَتَّخِذُ السَّمَكَةُ المَنْزِلَ في اليابِسَة؛
وَعادَ المَلِكُ فَسَأَلَ مِنْ وَجْهِ الدُّعابَة، ماذا أكَلْتَ وما لَدَيْكَ مِنْ طَعامٍ مُهَيَّأ؛
هَلْ لَكَ اشْتِهاءٌ ماذا أَكَلْتَ صباحاً، حَتَّى صِرْتَ مُنْتَشِياً وَمُمْتَلِئاً بالفَخْرِ والكِبْر؛
قالَ لَوْ كانَ لَدَيَّ خِبْزٌ يابِسٌ وَطَرِيٌّ، مَتى كُنْتَ قُمْتُ بادِّعاءِ النُّبُوَّة؛
دَعْوى النُّبُوَّةِ مَعَ هذِهِ الجَماعَةِ، تكُونُ مِثْلَ طَلَبِ القَلْبِ مِنَ الجَبَل؛
لا أَحَدَ طَلَبَ العَقْلَ والقَلْبَ مِنْ جَبَلِ صَخْر، وَطالَبَهُ بِفَهْمٍ وَضَبْطَ مَعْنىً دَقيق؛
كُلَّ ما تَقُولُ يُرَدِّدُهُ الجَبَلُ عَيْناً، يَقُومُ بالاِسْتِهْزاءِ مِثْلَ المُسْتَهْزِئِيْن؛
فَأَيْنَ هؤلاءِ القَوْمُ وَأَيْنَ الرِّسالَة، مَنْ عِنْدَهُ رَجاءٌ بالرُّوحِ مِنَ الجَماد؛
لَوْ جِئْتَ بِرِسالَةِ النِّساءِ والذَّهَب، أتَوكَ جَميعاً وَوَضَعُوا أمامَكَ الفِضَّةَ والرَّأْس؛
أنْ في المَكانِ الفُلانِيِّ حَسْناءُ تَدْعُوك، إنَّها عاشِقَةٌ لَكَ إذَنْ لاعْتَرَفَ بِك؛
وَلَوْ جِئْتَ بِرِسالَةٍ مِنَ اللهِ كالشَّهْد، أنْ أَقْبِلْ إلى جِهَةِ اللهِ أَيْ حَسَنَ العَهْد؛
اِمْضِ عَنْ عالَمِ المَوتِ إلى البقاء، ما دامَ البقاءُ مُمْكِناً لا تَكُنْ في الفَناء؛
لَقَصَدُوا مِنْكَ دَمَكَ وَقَصَدُوا رَأْسَكَ، لَيْسَ مِنْ أَجْلِ الحَمِيَّةِ للدِّيْنِ والفَضْل؛
بَلْ مِنْ تَعَلُّقٍ بالبُيُوتِ والمال، يَجِيءُ سَماعُ هذا البيانِ مُرّاً لَهُم؛

سَبَبُ عَداوَةِ العامَّةِ لأولياءِ اللهِ وَعَيْشُهُمْ غُرَباءَ عَنْهُمْ
هُوَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَهُمْ إلى اللهِ وإلى ماءِ الحَياةِ الأَبَدِيَّة

التَصَقَتْ خِرْقَةٌ بِجُرْحِ حِمارٍ بِشِدَّة، فإذا أرَدْتَ تَنْزِعَها عَنْهُ جُزْءاً جُزْءاً؛
يَقيْناً سَوْفَ يَرْفِسُ مِنْ أَلَمِ الحِمار، حَبَّذا ذلِكَ الشَّخْصُ الَّذي يَتَّقِيْه؛
خاصَّةً والجِراحُ خَمْسُونَ وَفي كُلِّ مَوضعٍ خِرْقَةٌ، مُلْتَصِقَةٌ بِرَأْسِهِ وغارِقَةٌ بِعَرَقِه؛
البَيْتُ والأهْلُ كالخِرْقَةِ والحِرْصُ جُرْحٌ، حَيْثُما ازدادَ الحِرْصُ تَزدادُ الجِراح؛
البُومِ بَيْتُهُ وأهْلُهُ الخراباتُ وَحَسْب، فَلَمْ يَسْمَعْ بِأوصافِ بَغْدادَ وَطَفَس؛
لَوْ رَجَعَ بازٌ سُلْطانِيٌّ مِنَ الطَّرِيق، جاءَ للبُومِ عَنِ الشَّاهِ بِمِئَةِ خَبَر؛
شَرْحَ دارِ المُلْكِ والرِّياضِ والنَّهر، فَيَسْخَرَ مِنْهُ مِنْ ذلِكَ مِئَةُ عَدُوّ؛
أنِ البازُ جاءَ بِقَديمِ الخُرافاتِ، إنَّهُ مِنَ الجُزافِ والغُرُورِ يَنْسِجُ الحَديث؛
هُمُ القَديمُونَ والمُهْتَرِئونَ إلى الأبَد، وإلَّا فإنَّ ذاكَ النَّفَس يَجْعَلُ القَديمَ جَديداً؛
إنَّهُ يَهَبُ الرُّوحَ للمَوتى القَديمِيْن، وَيَهَبُ تاجَ العَقْلِ وَنُورَ الإيْمان؛
لا تَسْرِقِ القَلْبَ مِنْ خاطِفِ القَلْبِ واهِبِ الرُّوح، الَّذي أرْكَبَكَ على ظَهْرِ الجَواد؛
لا تَسْرِقِ الرَّأْسَ مِنْ رافِعِ الرَّأْسِ واهِبِ التَّاج، إنَّهُ يَفُكُّ عَنْ قَدَمِ القَلْبِ مِئَةَ عُقْدَة؛
لِمَنْ أَقُولُ أَيْنَ حَيٌّ في القَرْيَةِ كُلِّها، أيْنَ ساعٍ لِماءِ الحَياةِ وَطالِبٍ لَه؛
أنتَ مِنْ ذِلَّةٍ واحِدَةٍ فَرَرْتَ مِنَ العِشْق، أنتَ غَيْرَ الإسْمِ ماذا تَعْرِفُ مِنَ العِشْق؛
إنَّ في العِشْقِ مِئَةَ دلالٍ واسْتِكْبار، العِشْقُ لا يَقَعُ باليَدِ إلَّا بَعْدَ مِئَةِ دلال؛
العِشْقُ بِما هُوَ وَفِيٌّ يَشْتَري الوَفِي، ولا يَنْظُرُ في الحَريفِ غَيْرِ ذي الوَفاء؛
الآدَمِيُّ كالشَّجَرَةِ والجَذْرُ العَهْد، يَجِبُ العِنايَةُ بالجُذُورِ بِجهْد؛
عَهْدُ الفاسِدِ كانَ جَذْراً فاسِداً، إنَّهُ مَحْرُومٌ مَفْصُولٌ عَنِ الثِّمارِ واللُّطْف؛
غُصْنُ وَوَرَقُ النَّخْلِ رَغْمَ أنَّهُما أخْضَران، مَعَ فَسادِ الجَذْرِ لا نَفْعَ للاِخْضِرار؛

وإنْ كانَ جَذْرٌ ولا أوراقٌ خُضْرٌ، في العاقِبَةِ يُعْطِيْ مِئاتِ الأوراقِ الخُضْر؛

فلا تَكُنْ مَغْرُوراً بِعِلْمِهِ واطْلُبِ العَهْد، العِلْمُ مِثْلَ القِشْرِ والعَهْدُ لَهُ اللُّبّ؛

في بيان أنَّ الرَّجُلَ سَيِّئَ الفِعْلِ عِنْدَما يَصيرُ مُتَمَكِّناً في السُّوء وَيرى أَثَرَ دَوْلَةِ فاعِلِي الخَيْر يَصيرُ شَيْطاناً وَيَصيرُ مانِعاً للخَيْرِ مِنَ الحَسَدِ كالشَّيْطان ، فَقَدِ احْتَرَقَ مَحْصُولُهُ وَيُريدَ أنْ يَحْرِقَ مَحْصُولِ الآخَرين ، *أَرَأَيْتَ الَّذي يَنْهى عَبْداً إذا صَلّى*

حِيْنَ تَرى الأوفِياءَ حَصَلُوا على النَّفْع، تَصيرُ حَسُوداً كالشَّيْطانِ آنَذاك؛

كُلُّ مَنْ كانَ لَهُ مِزاجٌ واهٍ وَطَبْعٌ واهٍ، لا يُريدُ لِشَخْصٍ أنْ يَكُونَ صَحِيْحَ بَدَن؛

فإنْ كُنْتَ لا تَطْلُبُ حَسَدَ إبْلِيْسَ تعالَ، مِنْ بابِ الدَّعْوى إلى عَتَبَةِ الوَفاء؛

ما دُمْتَ بلا وَفاءٍ لا تَتَحَدَّثْ أَبَداً، فَحَديثُ الدَّعْوى غالِباً نَحْنُ وَأنا؛

هذا الحَديثُ في الصُّدُورِ دَخْلٌ للعُقُول، عَقْلُ الرُّوحِ لَهُ في الصَّمْتِ مائةُ نَماء؛

المَرْءُ قَليلُ الكلامِ كانَ عَظيمَ الفِكْر، حَديثُ القِشْرِ إذا جاءَ ذَهَبَ العَقْل؛

إذا كانَ القِشْرُ زائداً كانَ اللُّبُّ ناحِلاً، إذا صارَ اللُّبُّ كامِلاً صارَ القِشْرُ رَقيقاً؛

أُنْظُرْ الجَوْزَ واللَّوْزَ والفُسْتَقَ ، أُنْظُرْ هذِهِ الثَّلاثَةِ إذا نَضَجَتْ وَلَمْ تَعُدْ فَجَّةً؛

كُلُّ مَنْ قامَ بالعِصْيانِ صارَ شَيْطاناً، إنَّهُ يَصِيْرُ حَسُوداً لِدَوْلَةِ الأخْيار؛

ما دُمْتَ قُمْتَ بالوَفاءِ في عَهْدِ الله، يَحْفَظُ اللهُ عَهْدَكَ مِنَ الكَرَم؛

أنتَ أَغْمَضْتَ العَيْنَيْنِ عَنْ وَفاءِ الحَقّ، فَلَمْ تَسْمَعْ *اذْكُرُونـي أَذْكُرْكُمْ*؛

فَأَصِخْ سَمْعَكَ إلى *أَوْفُوا بِعَهْدِي*، كَيْ يَجِيْءَ *أُوْفِ بِعَهْدِكُمْ* مِنَ الحَبيب؛

عَهْدُنا وَقَرْضُنا ما يَكُونانِ أَيْ حَزين، إنَّهُما زَرْعُ الحَبَّةِ اليابِسَةِ في الأَرْض؛

ما للأرْضِ مِنْ ذاكَ ضِياءٌ وَنِعْمَة، ولا لِصاحِبِ الأرْضِ مِنْ ذاكَ قُدْرَة؛

إلَّا الإشارَةَ أنْ أنا مُحْتاجٌ لِهذا، فأنتَ الَّذي أَعْطَيْتَ هذا مِنَ العَدَم؛
أكَلْتُ وَجِئْتُ بِهذِهِ الحَبَّةِ إشارَةً، أَنْ أرْسِلْ إلَيْنا مِنْ هذِهِ النِّعْمَة؛
فاتْرُكِ الدُّعاءَ اليابِسَ أَيْ حَسَنَ البَخْت، فإنَّ مَنْ نَثَرَ الحَبَّةَ يُرِيدُ الشَّجَرَة؛
إنْ كُنْتَ لا تَمْلِكُ الحَبَّةَ فاللهُ مِنْ ذلِكَ الدُّعاء، يَهَبُكَ نَخْلاً أنْ نِعْمَ ما سَعى؛
مِثْلَ مَرْيَمَ كانَ بِها أَلَمٌ وَما مِنْ حَبَّةٍ، فَجَعَلَ صاحِبُ الفِناءِ تِلْكَ النَّخْلَةَ خَضْراء؛
ذلِكَ أَنَّ تِلْكَ السَّيِّدَةَ الأَصِيْلَةَ كانَتْ وَفِيَّةً، بلا مُرادِها أعْطاها اللهُ مِئَةَ مُراد؛
وَتِلْكَ الجَماعَةُ الَّتي كانَتْ وَفِيَّةً، زائِدٌ أَهْلُها على جَمِيْعِ أَصْنافِهِم؛
صارَتِ البِحارُ مُسَخَّرَةً لَهُمْ والجِبال، والعَناصِرُ الأرْبَعَةُ لِتِلْكَ الجَماعَةِ عَبيد؛
وهذا الإكْرامُ نَفْسُهُ لأجْلِ الإشارَة، حَتَّى يَرى أَهْلُ الإنكارِ ذلِكَ عِياناً؛
والكَراماتُ الخَفِيَّةُ الَّتي لَهُمْ تِلْك، لا تَجِيْءُ في الحَواسِّ وَفي البيان؛
ذاكَ شُغْلُهُ إلى الأَبَدِ دائماً وَذاكَ، لا يَكُونُ مُنْقَطِعاً ولا يكُونُ مُسْتَرَدَّاً؛

مُناجاة

أيْ واهِبَ القُوَّةِ والتَّمْكِيْنِ والثَّبات، أَعْطِ الخَلْقَ مِنْ عَدَمِ الثَّباتِ النَّجاة؛
النَّفْسُ ذاتُ انثِناءٍ فاجْعَلِ النَّفْسَ قائِمَةً، على ذلِكَ العَمَلِ الَّذي يَنْبَغِيْ لَهُ الثَّبات؛
أعْطِهِمُ الصَّبْرَ وَثِقَلَ كَفَّةِ المِيْزان، اِجْعَلْهُمْ مُجَرَّدِيْنَ مِنْ فَنِّ المُصَوِّرِين؛
واشْرِهِمْ مُجَدَّداً مِنَ الحَسَدِ أَيْ كَريم، لا يَسْتَحِيْلُوا مِنَ الحَسَدِ إلى شَيْطانٍ رَجِيْم؛
في النَّعِيْمِ الفانِيْ مِنَ المالِ والجِسَد، كما يَحْتَرِقُ العَوامُّ مِنَ الحَسَد؛
انظُرِ المُلُوكَ كَيْفَ يَجُرُّونَ الجُيُوش، إنَّهُمْ مِنَ الحَسَدِ يَقْتُلُونَ الأَقْرِباء؛
عاشِقُو الحَسْناواتِ المَليئاتِ بالقَذَر، كُلٌّ مِنْهُمْ يَقْصِدُ دَمَ وَرُوحَ الآخَر؛
اِقْرَأْ وَيس ورامين خَسْرو وشيرين، وما فَعَلَ مِنَ الحَسَدِ أولئكَ البُلْه؛

فَنِيَ العاشِقُ وَفَنِيَ المَعْشُوقُ أَيْضاً، هُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ وَهَواهُمْ لَيْسَ بِشَيْء؛
الإلهُ الطَّاهِرُ الَّذي ضَرَبَ العَدَمَ بَعْضَهُ بِبَعْض، جَعَلَ العَدَمَ عاشِقاً للعَدَم؛
مِنَ القَلْبِ الَّذي لَيْسَ قَلْباً يَطْلَعُ الحَسَد، يُحَوِّلُ العَمَلَ مُضْطَرّاً هكذا إلى وُجُوْد؛
النِّساءُ أَكْثَرُ شَفَقَةً مِنَ الجَمِيْع، والضُّرَّتانِ تَأْكُلُ إحْداهُما الأُخْرى مِنَ الحَسَد؛
فكَيْفَ بالرِّجالِ الَّذينَ هُمْ قُساةُ قُلُوبٍ، إلى أَيِّ مَنْزِلٍ يَصِلُونَ مِنَ الحَسَد؛
لَوْ لَمْ يَفْعَلِ الشَّرْعُ سِحْراً لَطِيْفاً، لَمَزَّقَ كُلُّ شَخْصٍ جِسْمَ الحَريفِ تَمْزيقاً؛
الشَّرْعُ مِنْ أَجْلِ دَفْعِ الشَّرِّ يَنْطِقُ بالرَّأْيِ، وَيَحْبِسُ الشَّيْطانَ في زُجاجَةِ الحُجَّة؛
مِنَ الشَّهادَةِ وَمِنَ اليَمِيْنِ وَمِنَ النُّكُول، لِيُدْخِلَ في الزُّجاجَةِ الشَّيْطانَ الفُضُولِيّ؛
مِثْلَ المِيْزانِ الَّذي يُرْضِي الضِّدَّيْن، اليَقِيْنُ يَجيءُ بالجَمْعِ في الهَزْلِ والجِدّ؛
الشَّرْعُ مِثْلَ الكَيْلِ والمِيْزانُ اليَقِيْن، بِهِ يِنْجُو الخَصْمانِ مِنَ الحَرْبِ والحِقْد؛
بلا مِيْزانٍ ذلِكَ الخَصْمُ مِنَ الجِدال، مَتى كانَ يَنْجُوْ مِنْ وَهْمِ الحَيْفِ والاِحْتِيال؛
ففي هذِهِ الجِيْفَةِ القَبيحَةِ بلا وَفاء، كُلُّ هذا الحَسَدِ وَهَذِهِ الخُصُومَةِ والجَفاء؛
فَكَيْفَ يَكُونُ في ذلِكَ الإقْبالِ والدَّوْلَة، كَيْفَ يَصيرُ الجِنِّيُّ والإِنْسِيُّ في الحَسَد؛
أولئكَ الشَّياطِيْنُ حاسِدُونَ قُدَماءُ، ولا يكُونُونَ لَحْظَةً غَيْرَ قُطَّاعِ طَريق؛
وَبَنُو آدَمَ الَّذينَ زَرَعُوا العِصْيانَ، صارُوا مِنَ الحَسَدِ أَيْضاً شَياطِيْن؛
اِقْرَأْ في القُرْآنِ أَنَّ شياطِيْنَ الإنْسِ، صارُوا مِنْ جِنْسِ الشَّيْطانِ مِنْ مَسْخِ الحَقّ؛
حِيْنَ يَصِيْرُ الشَّيْطانُ عاجِزاً في الاِفْتِتان، يَقُومُ بِطَلَبِ العَوْنِ مِنْ هؤلاءِ الإنْس؛
أنْ أنتُمْ لِيْ أَعْوانٌ فَكُونُوا لِيْ عَوناً، كُونُوا إلى جانِبي واحْفَظُوا الجانِب؛
حِيْنَ يَقْطَعُونَ في الدُّنيا طَريقَ شَخْصٍ، كلا نَوْعَيِ الشَّيْطانِ يَصِيرانِ سَعِيْدَيْن؛
وإنْ امْتَلَكَ شَخْصٌ الرُّوحَ وعلا في الدِّيْن، ذانِكَ الاِثْنانِ الحاسِدانِ يَنُوحان؛
كلاهُما يَضْغَطُ على أَسْنانِ الحَسَد، على الشَّخْصِ الَّذي أعطاهُ أديبُهُ العَقْل؛

سُؤالُ المَلِك لِمُدَّعي النُّبُوَّةِ ذاكَ، أنْ ذلِكَ الَّذي يكُونُ رَسُولاً صادِقاً وَيَكُونُ ثابِتاً ما يُمْكِنُ لَهُ أنْ يَهَبَ للشَّخْص، أو ماذا يَجِدُ مُصاحِبُوهُ مِنْ صُحْبَتِهِ وَخِدْمَتِهِ غَيْرَ أنْ يَكُونَ نَصيحَةً يَقُولُها بِلِسانِه

سَأَلَهُ الشَّاهُ عَنِ الوَحْيِ ما يَكُون، وعلى ماذا يَحْصَلُ الشَّخْصُ الَّذي يَكُونُ نَبِيَّاً؛
قالَ وما الشَّيْءُ الَّذي لا يَحْصَلُ عَلَيْه، وَأَيَّةُ دَولَةٍ بَقِيَتْ فَلَمْ تَصِلْ إِلَيْه؛
وافْرِضْ هذا لَيْسَ وَحْيَ نَبِيٍّ أمينِ خِزانَة، فَلَيْسَ أَقَلَّ مِنَ الوَحْيِ إلى قَلْبِ النَّحْلَة؛
عِنْدَما نَزَلَتْ أوحى رَبُّكَ إلى النَّحْل، مَنْزِلُ وَحْيِهِ صارَ مَمْلُوءاً مِنَ الحَلْوى؛
النَّحْلُ بِنُورِ وَحْيِ الحَقّ عَزَّ وَجَلّ، جَعَلَ العالَمَ مملُوءاً مِنَ الشَّمْعِ والعَسَل؛
هذا الَّذي قالَ عَنْهُ كَرَّمْنا وَيَعْلُو، أَيَكُونُ الوَحْيُ إِلَيْهِ أَقَلَّ مِنَ الوَحْيِ إلى النَّحْل؛
أَلَمْ تَقْرَأْ إنَّا أَعْطَيْناكَ الكَوثَر، فَلِماذا بَقيتَ يابِساً وَظَمآناً؛
أمْ أَنْتَ فِرْعَونُ والكَوْثَرُ كالنِّيْل، صارَ لَكَ الدَّمَ والكَدَرَ أَيْ عَليل؛
فَقُمْ بالتَّوْبَةِ وَكُنْ نافِراً مِنْ كُلِّ عَدُوّ، فالعَدُوُّ لا يَمْلِكُ ماءَ الكَوثَرِ في الإناء؛
كُلَّ مَنْ رَأَيْتَ أحْمَرَ وَجْهٍ مِنَ الكَوْثَر، هُوَ مُحَمَّدِيُّ الطَّبْعِ تَطَبَّعْ بِطَبْعِه؛
كُلَّ مَنْ رَأَيْتَ يابِسَ الشَّفَةِ مِنَ الكَوْثَر، عادِهِ كما تُعادِيْ المَوتَ والحُمَّى؛
حَتَّى وَلَو كانَ أباكَ وأُمَّكَ، فإنَّهُ في الحَقيقَةِ شارِبٌ لِدَمِك؛
تَعَلَّمْ هذِهِ السِّيَرَ مِنْ خَليلِ الحَقّ، فَقَدْ صارَ في البِدايَةِ نافِراً مِنَ الأبّ؛
حَتَّى تَجِيءَ *أَبْغَضَ للهِ* أمامَ الحَقّ، حَتَّى لا يَصِيْبَكَ حَسَدُ العِشْقِ بالدَّقّ؛
ما لَمْ تَقُلْ لا وإلَّا الله، فَلَنْ تَجِدَ مَنْهَجَ هذا الطَّريق؛

قِصَّةُ ذلِكَ العاشِق الَّذي راحَ يُرَدِّدُ لِمَعْشُوقِهِ أنواعَ خَدَماتِهِ ، وأَنَّهُ اللَّيالي الطَّويلَةَ *تتجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضاجِع* ، ويَقُولُ إنَّني لا أعْرِفُ غَيْرَ هذِهِ الخِدْمَة ، فإنْ كانَ هُناكَ خِدْمَةٌ أُخْرى فَأَرْشِدْني إلَيْها فإنَّني مُنْقادٌ لِكُلِّ ما تَأْمُرُني بِهِ ، ولَوْ كانَ الدُّخُولَ في النَّارِ كالخَليلِ عَلَيْهِ السَّلام أو كانَ الوُقُوعَ في فَمِ حُوْتِ البَحْرِ كيُونُسَ عَلَيْهِ السَّلام ، وَلَو كانَ القَتْلَ سَبْعِيْنَ مَرَّةً كَجَرْجِيْسَ عَلَيْهِ السَّلام، أو كانَ العَمى مِنَ البُكاءِ كَشُعَيْبَ عَلَيْهِ السَّلام ولا حَدَّ للتَّضْحِيَةِ بالرُّوحِ والوَفاءِ مِنَ الأنبياءِ عَلَيْهِم السَّلام، وَجَواب المَعْشُوق لَه

ذاكَ عاشِقٌ أمامَ مَعْشُوقِ نَفْسِهِ، راحَ يُعَدِّدُ خَدَماتِهِ وَأَعْمالَه؛
أنْ فَعَلْتُ مِنْ أجْلِكَ كذا وَكَذا، وأصابَتْني السِّهامُ في الحَرْبِ والسِّنان؛
ذَهَبَ المالُ وَذَهَبَتِ القُوَّةُ وَذَهَبَ الإسْم، وَكَمْ جَرى عَلَيَّ مِنْ عِشْقِكَ مِنْ مُعاناة؛
لا صُبْحَ وَجَدَني نائماً أو ضاحِكاً ، ولا مساءَ وَجَدَني هانِئاً رائقاً؛
وراحَ لِكُلِّ ما جَرَعَ مِنْ أَلَمٍ وَمُرّ، واحِداً واحِداً يَعُدُّ بالتَّفْصِيْل؛
لا مِنْ أجْلِ مِنَّةٍ يَقُولُ بَلْ يَقُوم، بِعَرْضِ مِئاتِ الشُّهُودِ على صِدْقِ المَحَبَّة؛
الإشارَةُ الواحِدَةُ للعاقِلِيْنَ تَكْفي، متى يَذْهَبُ الظَّمأُ مِنَ العاشِقِيْنَ مِنْ ذاك؛
يَقُومُ بِتِكْرارِ الحَديثِ بلا مَلال، متى اكتَفى الحُوتُ مِنَ الإشارَةِ مِنَ الزّلال؛
قالَ عَنْ ذلِكَ الأَلَمِ القَديمِ في الشِّكايَة، مِئَةَ حَديثٍ أنْ لَمْ أَقُلْ حَديثاً واحِداً؛
كانَتْ بِهِ نارٌ لا يَعْرِفُ ما تَكُون، لكِنَّهُ كانَ يَبْكِيْ مِنْ لَهِيْبِها كالشَّمْع؛
قالَ المَعْشُوقُ فَعَلْتَ كُلَّ هذا ولكِنْ، اِفْتَحِ السَّمْعَ واسِعاً واعْلَمْ جَيِّداً؛
ذاكَ الَّذي هُوَ أَصْلُ أَصْلِ العِشْقِ والولاء، أنتَ لَمْ تَفْعَلْ وما فَعَلْتَ فُرُوع؛
قالَ لَهُ العاشِقُ قُلْ ما ذلِك الأَصْل، قالَ أَصْلُهُ المَوْتُ والكَوْنُ عَدَماً؛

فَعَلْتَ كُلَّ هذا وَلَمْ تَمُتْ أنْتَ حَيٌّ، ألا إنْ كُنْتَ مُحِبّاً مُضَحِّياً بالرُّوح فَمُتْ؛
في تِلْكَ اللَّحْظَةِ اسْتَلْقى وَأَسْلَمَ الرُّوحَ، قامَرَ بالرَّأْسِ كالوَرْدِ ضاحِكاً وَسَعِيْداً؛
الضُّحْكَةُ تِلْكَ بَقِيَتْ وَقْفاً عَلَيْهِ للأبَد، مِثْلَ رُوْحِ وَعَقْلِ العارِفِ بلا كَبَد؛
نُورُ القَمَرِ لا يَصِيْرُ مُلَوَّثاً أَبَداً، وَلَوْ وَقَعَ ذلِكَ النُّورُ على كُلِّ حَسَنٍ ورديء؛
إنَّهُ يَرْجِعُ طاهِراً عَنِ الكُلِّ للقَمَر، كما يَرْجِعُ نُورُ العَقْلِ والرُّوحُ نَحْوَ الإله؛
وَصْفُ الطَّهارَةِ على نُورِ القَمَرِ وَقْفٌ، وإنْ وَقَعَ شُعاعُهُ على نَجاساتِ الطَّريق؛
مِنَ القَذَرِ وَمِنْ نجاساتِ الطَّرِيقِ تِلْكَ، لا يَحْصَلُ للنُّورِ عِرْقٌ رَدِيْء؛
نِداءَ ارْجِعِيْ سَمِعَ نُورُ الشَّمْس، فَعادَ راجِعاً إلى أَصْلِ نَفْسِهِ سَريعاً؛
فَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ عَيْبٌ مِنَ المَزابِل، وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ لَوْنٌ مِنْ رِياضِ الوُرُود؛
نُورُ الرُّؤيَةِ نُوْرُ العَيْنِ عادَ راجِعاً ، وَبَقِيَتِ الصَّحاري والقِفارُ في وَلَهٍ إلَيْه؛

سَأَلَ واحِدٌ عالِماً عارِفاً أنْ إذا بكى شَخْصٌ في الصَّلاةِ بِصَوْتٍ عالٍ وَتَأَوَّهَ وناحَ أَتَصِيْرُ صَلاتُهُ تِلْكَ باطِلَةً ، أجابَ أنْ اِسْمُ ذاكَ ماءُ العَيْنِ وَهُوَ مِمَّا رأى ذلِكَ الباكِي ، فَإِنْ كانَ رأى شَوْقَ اللهِ فَبَكى أو بكى مِنْ نَدَمٍ على الذَّنْبِ لا تَبْطُلُ صَلاتُهُ ، بَلْ تأخُذُ الكمالَ مِنْ ذلِكَ فلا صَلاةَ إلَّا بِحُضُورِ قَلْب ، وإنْ كانَ بَكى مِنْ أَلَمِ البَدَنِ أو فِراقِ الوَلَد صارَتْ صلاتُهُ باطِلَةً فَأَصْلُ الصَّلاةِ تَرْكُ الوَلَدِ وَتَرْكُ البَدَنِ كإبْراهيم الَّذي قَدَّمَ وَلَدَهُ قُرْباناً مِنْ أَجْلِ تَكْمِيْلِ الصَّلاة، وأَسْلَمَ البَدَنَ إلى نارِ نَمْرُود، وَقَدْ جاءِ الأمْرُ لِلْمُصْطَفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ بِهذِهِ الخِصَال أنْ فاتَّبِعْ مِلَّةَ إبراهِيم ، لَقَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ في إبراهيم

ذاكَ واحِدٌ سَأَلَ مُفْتِياً بالسِّرّ ، عَنِ الشَّخْصِ يَبْكِيْ وَيَنُوحُ في الصَّلاة؛
تُرى تَصيرُ تِلْكَ الصَّلاةُ باطِلَةً، أمْ أنَّ صَلاتَهُ تِلْكَ جائزَةٌ وكامِلَة؛
قالَ مِنْ أجْلِ ماذا اِسْمُهُ ماءُ العَيْن، اُنْظُرْ إلى ما هُوَ رَأَى وَبَكى مِنْه؛
ماذا رأى ماءُ العَيْنِ مِنْ شَيْءٍ خَفِيّ ، حَتَّى غدا مِنْ عَيْنِ نَفْسِهِ جارِياً مِنْ ذاك؛
إنْ كانَ المَمْلُوءُ بالاِفْتِقارِ رأى تِلْكَ الدَّار، تَجِدُ تِلْكَ الصَّلاةُ الرَّونَقَ مِنَ النَّواح؛
وإنْ كانَ البُكاءُ والحُزْنُ مِنْهُ مِنْ أَلَمِ البَدَن، انْقَطَعَ الخَيْطُ وانكَسَرَ المِغْزَلُ أَيْضاً؛

مُريدٌ جاءَ في خِدْمَةِ شَيْخٍ ، لا أَقْصِدُ مِنْ هذا الشَّيْخَ كَبيرَ السِّنّ ، بَلْ شَيْخَ العَقْلِ والمَعْرِفَةِ ولو كانَ عِيسى عَلَيْهِ السَّلامُ في المَهْد ، ويحيى عَلَيْهِ السَّلامُ في مَكْتَبِ الأطْفال ، المُريدُ رأى الشَّيْخَ يبكي فَوافَقَهُ في البُكاءِ وبكى ، وحينَ فَرِغَ وَدَخَلَ مُريدٌ آخَرٌ كانَ أَكْثَرَ وُقُوفاً على حالَةِ الشَّيْخ خَرَجَ في إثْرِهِ مُسْرِعاً مِنْ قَبيلِ الغَيْرَة، قالَ لَهُ أَيْ أخِيْ عَلَيَّ أنْ أَقُولَ لَكَ أنْ لا تُفَكِّرَ أو تَقُولَ الشَّيْخُ كانَ يَبْكِيْ فأنا أيْضاً أَبْكِيْ ، فإنَّهُ يَجِبُ عَمَلُ الرِّياضَةِ ثلاثينَ عاماً بلا رياء والعُبُورَ مِنَ البِحارِ المَلأى بالتَّماسيح والجِبالِ العالِيَةِ المَلأى بالأُسُودِ وبالنُّمُور حتَّى تَصِلَ أو لا تَصِلَ إلى بُكاءِ الشَّيْخ ، فإذا وَصَلْتَ فَقُلْ كَثيراً شُكْرَ *زُوِيَتْ لِيَ الأرْض*

مُريدٌ دَخَلَ إلى أمامِ شَيْخٍ ، كانَ الشَّيْخُ في البُكاءِ وفي النَّحِيب؛
ذلِكَ المُريْدُ عِنْدَما رَأى الشَّيْخَ باكِياً ، راحَ يَبْكي وصارَ الماءُ مِنْ عَيْنِهِ يَجْري؛
عِنْدَما يَقُومُ صَدِيْقٌ بِقَصِّ نُكْتَةٍ لِصَديق، السَّمِيْعُ يَضْحَكُ مَرَّةً والأَصَمُّ مَرَّتَيْن؛
المَرَّةُ الأولى مِنْ طَرِيقِ التَّقْلِيْدِ والسَّوم، عِنْدَما يرى الضَّحِكَ يَجْري مِنَ القَوْم؛
فإذا كانَ ضَحِكَ مِثْلَهُمْ ذلِكَ الوَقْتَ، إنَّما ضَحِكَ بلا خَبَرٍ عَنْ حالَةِ الضَّاحِكِيْن؛
ثُمَّ يَسْأَلُ أنِ الضَّحِكُ كانَ مِنْ أَجْلِ ماذا ، فَيَضْحَكُ كَرَّةً ثانِيَةً عِنْدَما يَسْمَع؛

فالمُقَلِّدُ أَيْضاً كَأَنَّهُ الأصَمُّ، في ذلِكَ السُّرُورِ الَّذي لَهُ في الرَّأْس؛
الشَّيْخُ الضِّياءُ والمَنْهَلُ مِنَ الشَّيْخ،فَيْضُ السُّرُورِ لَيْسَ مِنَ المُريدِ بَلْ مِنَ الشَّيْخ؛
كَسَلَّةِ القَصَبِ في الماءِ والنُّورِ على الزُّجاج،إنْ ظَنَّا ذاكَ مِنَ النَّفْسِ فَهُوَ خِداج؛
عَلِمَ العَنُودُ حِيْنَ انْفَصَلَ عَنِ النَّهْر ، أنَّ ذاكَ الماءَ العَذْبَ فيهِ كانَ مِنَ النَّهْر؛
كما عَلِمَ الزُّجاجُ مِنَ الغُرُوب ، أنَّ تِلْكَ اللُّمَعَ كانَتْ مِنَ القَمَرِ المُشِعِّ الجَميل؛
عِنْدَما فَتَحَ عَيْنَهُ أمْرُ قُمْ ، ضَحِكَ كالسَّحَرِ مَرَّةً ثانِيَة؛
وَجاءَتْهُ ضُحْكَةٌ على ضُحْكَتِهِ تِلْكَ ، أنْ تِلْكَ أتَتْهُ مِنْ قَبيلِ التَّقْليد؛
قائلاً كَمْ مِنْ طَريقٍ بَعيدَةٍ وَطَويلَة، كانَتْ إلى هذِهِ الحَقيقَةِ والأسْرارِ والرَّمْز؛
كَيْفَ وأنا في ذلِكَ الوادِي كُنْتُ أُبْدي السُّرور، مِنْ بَعِيْدٍ على العَمياءِ وفي فِتْنَة؛
أنا بِمَ رَبَطْتُ الخَيالَ وما كانَ ذاك ، إدراكي الضَّعِيْفُ أَظْهَرَ لي نَقْشاً ضعيفاً؛
طِفْلُ الطَّريقِ أَيْنَ لَهُ فِكْرَةُ الرِّجال ، أيْنَ خَيالُهُ وأَيْنَ التَّحْقيقُ الصَّحيح؛
فِكْرُ الأطْفالِ يَكُونُ في الحاضِنِ أوِ اللَّبَنِ،أو الزَّبيبِ والجَوْزِ أو البُكاءِ والنَّحِيب؛
وذاكَ المُقَلِّدُ كأنَّهُ الطِّفْلُ العَليل، وَلَو أنَّهُ مَلَكَ البَحْثَ الدَّقيقَ والدَّليل؛
ذاكَ التَّعَمُّقَ في الدَّليلِ وفي الإشكال، يَجْعَلُهُ مَنْفِيّاً عَنِ البَصيرَة؛
تَرَكَ الثَّرْوَةَ الَّتي كانَتْ كُحْلَ سِرِّهِ ، وَعَقَدَ العَمَلَ على القَوْلِ بالإشْكال؛
أي مُقَلِّدُ ارْجِعْ عَنْ بُخارى ، واذْهَبْ في ذِلَّةٍ لِتَصيرَ رَجُلاً أَسَداً؛
حتَّى ترى في الدَّاخِلِ بُخارى أُخْرى ، شاقُّو الصُّفُوفِ في مَحْفَلِها لا يَفْقَهُون؛
ماهِرُ السَّيْر على الأرْضِ مِنْ رَسُول ، إذا ذَهَبَ للبَحْرِ صارَ مَقْطُوعَ عِرْق؛
فَهُوَ لَيْسَ غَيْرَ حَمَلْناهُم في البَرّ ، الرَّجُلُ ذاكَ الَّذي هُوَ مَحْمُولٌ في البَحْر؛
المَلِكُ يَهَبُهُ العطاءَ الكَثير ، أَيْ مَنْ صِرْتَ رَهِيْنَةَ الوَهْمِ والتَّصْوير؛
ذلِكَ المُريدُ السَّاذَجُ مِنَ التَّقْليْدِ أَيْضاً، يَقُومُ بالبُكاءِ وِفْقَ ذاكَ العَزيز؛
هُوَ كالمُقَلِّدِ مِثْلَ الرَّجُلِ الأَصَمّ ، يرى البُكاءَ وَيَجْهَلُ مُوجِبَ البُكاء؛

حينَ بكى كَثيراً أدَّى الخِدْمَةَ وَمَضى ، فَأَسْرَعَ في إِثْرِهِ مُريدٌ للشَّيخِ خاصّ؛

قالَ أَيُّها الباكي كالغَيْمِ بلا خَبَر ، تَبْكي وِفاقاً لِبُكاءِ شَيْخِ النَّظَر؛

اللهَ اللهَ اللهَ أيُّها الوَفِيُّ المُريد ، رَغْمَ أنَّكَ في التَّقْليدِ مُسْتَفيد؛

لا تَقُلْ رَأَيْتُ ذلِكَ الشَّاهَ يَبْكي ، وأنا بَكَيْتُ مِثْلَهُ فذلِكَ مُنْكَر؛

بُكاءٌ مِلْؤهُ التَّقْليدُ والجَهْلُ والظَّنّ، لَيْسَ مِثْلَ بُكاءِ ذلِكَ المُؤتَمَن؛

لا تَقُمْ بِقِياسِ البُكاءِ على البُكاء ، طالَ الطَّريقُ بَيْنَ هذا البُكاءِ وذاكَ البُكاء؛

ذاكَ كانَ بَعْدَ ثلاثينَ عاماً مِنَ الجِهاد، العَقْلُ لا يَقْدِرُ على الوُصُولِ هُناكَ أَبَداً؛

فَمِنْ ذاكَ إلى العَقْلِ مِئَةُ مَرْحَلَة ، لا تَرَ العَقْلَ واقِفاً على تِلْكَ القافِلَة؛

بُكاؤهُ لَيْسَ مِنَ الغَمِّ ولا مِنَ الفَرَح، الرُّوحُ تَعْرِفُ بُكاءَ عَيْنِ المُلَح؛

بُكاؤهُ وَضَحِكُهُ مِنْ هُناك، مِنْ ذاكَ الَّذي هُوَ بَرِيءٌ مِنْ وَهْمِ العَقْل؛

ماءُ عَيْنِهِ كانَ على مِثالِ عَيْنِهِ ، العَيْنُ الَّتي لا تَرى مَتى تَكُونُ عَيْناً؛

ذاكَ الَّذي رآهُ غَيْرُ مُمْكِنِ المَساس ، لا مِنْ قِياسِ العَقْلِ ولا مِنْ طَريقِ الحَواس؛

حِيْنَ أَقْبَلَ النُّورُ مِنْ بَعِيْدٍ هَرَبَ اللَّيْل ، فَماذا تَعْلَمُ ظُلْمَةُ اللَّيْلِ عَنْ حالِ النُّور؛

هَرَبَتِ البَعُوْضَةُ مِنَ الرِّيْحِ ذاتِ الدَّهاء ، فَما تَعْلَمُ البَعُوضَةُ عَنْ مذاقِ الرِّيْح؛

الحَدَثُ يَصيرُ عَبَثاً حِيْنَ يأتي القَديم ، فَمْنْ أَيْنَ للحَدَثِ أنْ يَعْرِفَ القِدَم؛

حِيْنَ ضَرَبَ القِدَمُ الحَدَثَ سَحَقَه، وَعِنْدَما صَيَّرَهُ عَدَماً صارَ مِنْ لَوْنِه؛

وإذا أرَدْتَ وَجَدْتَ مِئَةَ نَظير ، لكِنْ لا أمْلِكُ الجُرْأَةَ أَيْ فَقير؛

الم هذهِ وحم وهذِهِ الحُروف، تَصيرُ مِثْلَ عصا موسى في الوُقوف؛

الحُرُوفُ مِنَ الظَّاهِرِ تُشبِهُ هذهِ الحُرُوف ، لكِنَّها في الصِّفاتِ خاضِعَةٌ لها؛

كُلُّ مَنْ أَخَذَ للاِمْتِحانِ العَصا، مَتى تَكُونُ عصاهُ في البيانِ مِثْلَ تِلْكَ العَصا؛

هذا النَّفَسُ هُوَ العِيْسَوِيُّ لا كُلُّ نَفَسٍ وَهواء، يَخْرُجُ مِنَ الفَمّ أو يَخْرُجُ مِنَ الغَمّ؛

الم هذهِ وحم أي أب، جاءَتْ مِنْ حَضْرَةِ مَولى البَشَر؛

كُلُّ أَلِفٍ ولامٍ متى تُشْبِهُ *الم* هذه، إنْ كُنْتَ تَمْلِكُ رُوحاً لا تَنْظُرْ لها بِهذِهِ العَيْن؛
رغْمَ أنَّ تَرْكيبَها حُرُوفٌ أَيْ هُمام ، فَقَدْ تَشابَهَتْ أَيْضاً بِتَرْكِيبِ العوامّ؛
إنَّ تَرْكِيْبَ مُحَمَّدٍ لَحْمٌ وَجِلْد ، رَغْمَ أنَّ تَرْكِيْبَ كُلِّ بَدَنٍ مِنْ جِنْسِه؛
يملِكُ لَحْماً وَيَمْلِكُ جِلْداً وَعَظْماً، ولا يكونُ مُشابِهاً لهذا التَّرْكيبِ في شَيء؛
ففي ذلِكَ التَّرْكِيْبِ جاءَتْ مُعْجِزات ، وكُلُّ التَّراكِيْبِ تَصيرُ مِنْهُ مَغْلُوبَةً؛
كذلِكَ تَرْكيبُ حم *والكِتاب*، هِيَ العالِيَةُ جِدّاً والأُخْرَياتُ وِهاد؛
مِنْ هذا التَّرْكِيْبِ تَجِيْءُ حَياةٌ ، مِثْلَ نَفْخِ الصُّورِ في انعِدامِ القُدْرَة؛
عَصاً صارَتْ أفْعى وَشَقَّتِ البَحْر، لأنَّ عَصا حم مِنْ عَطاءِ الله؛
ظاهِرُها شَبيهٌ بِظاهِرِ العَصا ولكِنْ ، قُرْصُ الخُبْزِ مِنْ قُرْصِ القَمَرِ بَعِيْدٌ جِدّاً؛
بُكاؤهُ ضَحِكُهُ نُطْقُهُ، لَيْسَتْ مِنْهُ إنَّها مَحْضُ خَلْقِ الله؛
عِنْدَما تَمَسَّكَ أولئكَ الحَمْقى بالمظاهِر، وصارَتْ تِلْكَ الدَّقائقُ عَنْهُمْ خَفِيَّةً جِدّاً؛
لا جَرَمَ صارُوا مَحْجُوبينَ عَنِ الغَرَض، ضاعَتِ المَعاني الدَّقيقَةُ في المُعْتَرَض؛

قِصَّةُ تِلْكَ الجارِيَةِ الَّتي كانَتْ تَقْضي شَهْوَتَها مَعَ حِمارِ سَيِّدَتِها، وكانَتْ قَدْ عَلَّمَتْهُ كما يُعَلَّمُ العَنْزُ والدُّبُّ المُعاشَرَة، وكانَتْ تَضَعُ قَرْعَةً على عُضْوِ الحِمار كي لا يتجاوَزَ الحَدّ ، وَقَفَتِ السَّيِّدَةُ على ذلِكَ لكِنَّها لَمْ تَقِفْ على فِكْرَةِ القَرْعَة، فأرْسَلَتْ مُعْتَلَّةً الجارِيَةَ إلى مَحَلٍّ بَعِيْد واجْتَمَعَتْ بالحِمارِ بلا قَرْعَة فَهَلَكَتْ في فَضيحةٍ ، وعادَتِ الجارِيَةُ فَجْأةً وراحت تنوحُ عَلَيْها أنْ أي روحي وأي عَيني المُضيئةَ رَأَيْتِ القَضيبَ وَلَمْ تَرَي القَرْعَة، رَأَيْتِ الذَّكَر وَلَمْ تَرَي ذاكَ الآخَر، كُلُّ ناقِصٍ مَلْعُون، يعني كُلُّ فَهْمٍ ناقِصٍ وَنَظَرٍ ناقِصٍ مَلْعُون، وإلَّا فالنَّاقِصُونَ بِعَيْنِ الظَّاهِرِ مَرْحُومُون لا مَلْعُونُون ، اِقْرَأْ *لَيْسَ على الأَعْمى حَرَج* ، لَقَدْ نَفى الحَرَجَ وَنفى اللَّعْنَةَ وَنفى العِتابَ والغَضَب

لَقَدْ جَعَلَتْ جارِيَةٌ حِماراً يَقَعُ عليها ، مِنْ وُفُورِ الشَّهْوَةِ وَمِنْ فَرْطِ الشَّبَق؛
جَعَلَتْ ذلِكَ الحِمارَ يَأْلَفُ الجِماع، وصارَ ذاكَ الحِمارُ مُدْرِكاً لِجِماعِ الآدَمِي؛
وكانَتْ تَضَعُ مِنَ الحِيْلَةِ قَرْعَةً ، على عُضْوِهِ لِيَصيرَ على المَقاس؛
كانَتْ العَجُوزُ تَضَعُ القرْعَةَ على العُضْو، لِيَدْخُلَ نِصْفُ العُضْوِ وَقْتَ الإدخال؛
لو أنَّ قَضِيْبَ الحِمارِ ذَهَبَ كُلُّهُ فيها ، تِلْكَ الرَّحِمُ وَتِلْكَ الأمعاءُ تَصيرُ خراباً؛
كانَ الحِمارُ يَنْحُلُ والسَّيِّدَةُ عاجِزَةٌ عَنِ الفَهْم، أنْ لِمَ صارَ هذا الحِمارُ كالشَّعْرَة؛
عَرَضَتْ ذاكَ الحِمارَ على البياطِرَةِ سائِلَةً، ما عِلَّتُهُ الَّتي نَتيجَتُها النُّحُول؛
ما مِنْ عِلَّةٍ كانَتْ بِهِ ظاهِرَةً، وَلَمْ يَكُنْ لأيِّ شَخْصٍ عَنْ سِرِّ ذلِكَ مَخْبَر؛
فانْبَرَتْ للتَّفَحُّصِ بِجِدّ ، مُسْتَعِدَّةً للتَّفَحُّصِ لَحْظَةً بِلَحْظَة؛
يَجِبُ على الرُّوحِ أنْ تَكُونَ خادِمَةً للجِدّ، ذلِكَ لأنَّ الطَّالِبَ بِجِدٍّ كانَ واجِداً؛
عِنْدَما تَفَحَّصَتْ عَنِ الحالِ مِنَ الشَّكّ، رأتْ تِلْكَ الجارِيَةَ نائِمَةً تَحْتَ الحِمار؛
لَقَدْ شاهَدَتِ الحالَ مِنْ شِقِّ الباب، فَصارَتْ في العَجَبِ مِنْ ذاكَ، تِلْكَ العَجُوز؛
كانَ الحِمارُ يُعاشِرُ الجارِيَة ، فِعْلَ وَرَسْمَ الرِّجالِ مَعَ النِّساء؛
فَصارَتْ في الحَسَدِ كَيْفَ يُمكِنُ هذا ، إنَّ الحِمارَ مُلْكٌ لي وأنا أولى بِه؛
الحِمارُ كانَ صارَ مُهَذَّباً وَمُعَلَّماً، وكانَتِ المائِدَةُ مَمْدُوْدَةً والسِّراجُ مُشْتَعِلاً؛
أظْهَرَتِ الجَهْلَ وَقَرَعَتْ بابَ المَنْزِل ، أنْ أَيْ جارِيَةُ إلامَ تَكْنِسينَ المَنْزِل؛
قالَتْ هذا الكلامَ مِنَ قَبيلِ المُخالَفَة ، أنْ أَيْ خادِمَةُ أنا قادِمَةٌ افْتَحِي الباب؛
وَصَمَتَتْ فَلَمْ تَقُلِ السِّرَّ للجارِيَة، مِنْ أَجْلِ طَمَعٍ مِنْها خَفِيٍّ في النَّفْس؛
أَخْفَتِ الجارِيَةُ آلاتِ الفَساد ، جَميعاً وَتَقَدَّمَتْ وَفَتَحَتِ الباب؛
مُقَطِّبَةَ الوَجْهِ مَمْلوءَةَ العَيْنَيْنِ بالدَّمْع، وَمَسَحَتْ شَفَتَيْها يَعْني أنا صائِمَة؛
في كَفِّها مَكْنَسَةٌ رَطْبَةٌ أنْ أنا ، كُنْتُ أكْنِسُ المَنْزِلَ لأُزِيْلَ العَطَن؛
عِنْدَما فَتَحَتِ البابَ وَمَعَها المَكْنَسَة ، قالَتِ السَّيِّدَةُ تَحْتَ الشِّفاهِ أَيْ أُسْتاذَة؛

قَطَّبْتِ وَجْهَكِ والمكْنَسَةُ بالكَفّ ، ما بالُ ذاكَ الحِمارِ عائفٌ العَلَف؛
مَبْتُورُ العَمَلِ وغاضِبٌ وَمُتَحَرّكُ الذَّكَر ، بانتِظارِكِ وكِلْتا عَيْنَيْهِ جِهَةَ الباب؛
هَمَسَتْ بِهذا هَمْساً خِفْيَةً عَنِ الجارِيَة ، وعامَلَتْها تِلْكَ اللَّحْظَةَ كالأبرياءِ بإعْزاز؛
ثُمَّ قالَتْ لَها ضَعِيْ الغِطاءَ على الرَّأس، واذْهَبي لِلمَنْزِلِ الفُلانِيّ بِرِسالَةٍ مِنّي؛
قُولي كذا وكذا وافْعَلي كذا وكذا ، أنا قَدِ اخْتَصَرْتُ قِصَصَ النِّساء؛
فَخُذْ أنتَ لُبَّ ذاكَ المَقْصُود ، عِنْدَما سَيَّرَتْها تِلْكَ العَجُوزُ في الطَّريق؛
كانَتْ مِنْ سُكْرِ الشَّهْوَةِ في بَهْجَةٍ ، أغْلَقَتِ البابَ وقالَتْ تِلْكَ اللَّحْظَة؛
لأرْفَعِ الصَّوتَ بالشُّكْر حَظيْتُ بالخَلْوَة، تَحَرَّرْتُ مِنَ السُّدُسَيْنِ والأرْبَعَةِ أسْداس؛
صارَتْ مِنَ الطَّرَبِ عَنْزاً كألْفِ عَنْز ، في شِرارِ اشْتِهاءِ الحِمارِ بلا قَرار؛
أيُّ عَنْزٍ وَتِلْكَ الشَّهْوَةُ صادَتْها صَيْدَ العَنْز، أنْ يُصادَ التَّائِهُ كالعَنْزِ لَيْسَ عَجَباً؛
مَيْلُ الشَّهْوَةِ يَجْعَلُ القَلْبَ أَصَمَّ وأعْمى ، حَتَّى يُبْدِيَ الحِمارَ جَمِيْلاً والنَّارَ نُوراً؛
أي كَمْ مِنْ سَكرانَ نارٍ وباحِثٍ عَنِ النَّار ، وإنَّهُ لَيَرى النَّفْسَ نُوراً مُطْلَقاً؛
إلى أنْ يَكُونَ عَبْدٌ للهِ أو مَجْذُوبٌ للحقّ، يَأْخُذُهُ إلى الطَّريقِ وَيَقْلِبُ الوَرَق؛
لِيَعْلَمَ أنَّ ذلِكَ الخَيالَ النَّارِيَّ ، لَيْسَ إلَّا عارِيَةً في الطَّرِيقَة؛
الشَّرَهُ يُبدي القبائحَ جَمِيْلَةً ، لا أَسْوَأَ مِنَ الشَّهْوَةِ مِنْ آفاتِ الطَّريق؛
جَلَبَتِ العارَ لِمِئَةِ أَلْفِ اِسْمٍ حَسَنٍ ، وَجَعَلَتْ مِئاتِ أُلُوفِ الأذْكِياءِ حَمْقى؛
أظْهَرَتْ حِماراً كَيُوسُفَ المصْرِيّ ، كَيْفَ تُظْهِرُ اليُوسُفِيَّ تِلْكَ اليَهُودِيَّة؛
جَعَلَ سِحْرُها البَعْرَ لَكَ شَهْداً ، ماذا فَعَلَتْ بالشَّهْدِ وَقْتَ الحَرْب؛
الشَّهْوَةُ مِنَ الأكْلِ فأَقِلَّ مِنَ الأكْل ، أو تَزَوَّجْ وَكُنْ هارِباً مِنَ الشَّرّ؛
إذا أكَلْتَ جَرَّتْ نَحْوَ الحَرَم ، الدَّخْلُ يَجِبُ لَهُ الخَرْجُ لا جَرَم؛
فالنِّكاحُ جاءَ مِثْلَ *لا حَوْلَ ولا* ، حَتَّى لا يُلْقِيَ بِكَ الشَّيْطانُ في البلا؛
إذا كُنْتَ حَريصاً على الأكْلِ اطْلُبِ الزَّوْج ، وإلَّا جاءَتِ القِطَّةُ واخْتَطَفَتِ الألْيَة؛

ضَعِ الحِمْلَ الثَّقِيْلَ على الحِمارِ المُعانِد ، مُسْرِعاً مِنْ قَبْلِ أنْ يَتَمَرَّد؛
أنتَ لا تَعْرِفُ فِعْلَ النَّارِ أَيْ بَرَد ، فلا تَدُرْ حَوْلَ النَّارِ بِمِثْلِ هذا العِلْم؛
إنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ عِلْمٌ بالقِدْرِ والنَّار ، لا قِدْرَ تَبْقى مِنَ الشَّرَرِ ولا حِساء؛
يَجِبُ أنْ يَكُونَ الماءُ حاضِراً والعِلْمُ أَيْضاً، لِتَطْبُخَ تِلْكَ القِدْرِ في الغَلَيانِ سالِمَة؛
إذا كُنْتَ لا تَعْلَمُ عِلْمَ الحِدادَة ، تَحْرِقُ الشَّعْرَ واللِّحْيَةَ إذْ تَمُرُّ هُناك؛
أَغْلَقَتْ تِلْكَ المَرْأَةُ البابَ وَسَحَبَتِ الحِمار، مَسْرُورَةً لا جَرَمَ ذاقَتِ الجَزاء؛
جاءَتْ بِهِ تَسْحَبُهُ إلى وَسَطِ الدَّار ، وَنامَتْ تَحْتَ ذَلِكَ الحِمارِ على القفا؛
على الكُرْسِيّ الَّذي رَأَتْ عَلَيْهِ الجارِيَة، كَي تَصِلَ إلى رَغْبَةِ النَّفْسِ تِلْكَ العَجُوز؛
وَرَفَعَتْ ساقَيْها وَأَوْلَجَ بِها الحِمارُ، القَضِيْبَ واشْتَعَلَتْ بِها النَّار؛
الحِمارُ المُدَرَّبُ ضَغَطَ على السَّيِّدَة ، حَتَّى الخِصْيَةِ فماتَتِ السَّيِّدَةُ في الحال؛
تَمَزَّقَتِ الكَبِدُ مِنْ ضَرْبَةِ قَضِيْبِ الحِمار، وانْفَصَلَتِ الأمْعاءُ بَعْضُها عَنْ بَعْض؛
أَسْلَمَتِ الرُّوحَ في الحالِ بلا نَفَسٍ، وَقَعَتِ المَرْأَةُ مِنْ جانِبٍ والكُرْسِيُّ مِنْ جانب؛
وامْتَلأَ صَحْنُ الدَّارِ بالدَّمِ والمَرْأَةُ مُنْقَلِبَةٌ ، ماتَتْ وَأَخَذَ الرُّوحَ رَيْبُ المَنُون؛
مَوتاً قَبيحاً بِمِئَةِ فَضيحَةٍ أَيْ أب، أَرَأَيْتَ شَهِيداً مِنْ قَضيبِ حِمار؛
عَذابَ الخِزْيِ فاسْمَعْ مِنَ القُرْآن ، لِمِثْلِ هذا العارِ لا تَجْعَلْ فِداءً الرُّوح؛
اِعْلَمْ أنَّ هذِهِ النَّفْسَ البَهِيْمِيَّةَ حِمار ، والكَوْنُ تَحْتَها أَشَدُّ عاراً مِنْ ذاك؛
في طَريقِ النَّفْسِ إذا مِتَّ مِنَ الأنا ، اِعْلَمْ حَقيقَةً أنتَ مِثْلَ تِلْكَ المَرْأة؛
لَقَدْ أَعْطى لِنَفْسِنا صُورَةَ حِمار ، ذلِكَ لأنَّ الصُّوَرَ تَكُونُ وِفْقَ الطَّبْع؛
إظْهارُ السِّرِّ في القِيامَةِ كانَ هذا ، اللهَ اللهَ فُرَّ مِنَ البَدَنِ الَّذي هُوَ كالحِمار؛
لَقَدْ خَوَّفَ اللهُ الكافِرِيْنَ مِنَ النَّار ، قالَ الكافِرُونَ: النَّارُ أولى مِنَ العار؛
قالَ أَلَيْسَتْ تِلْكَ النَّارُ أَصْلَ كُلِّ عار ، مِثْلَ هذِهِ النَّارِ الَّتي أَهْلَكَتْ هذِهِ المَرْأة؛
لَمْ تَأْكُلِ اللُّقْمَةَ المُناسِبَةَ مِنَ الحِرْص، فأخَذَتْ لُقْمَةُ المَوتِ السَّيِّئَةُ بها بالحَلْق؛

كُلِ اللُّقْمَةَ المُناسِبَةَ أَيُّها الرَّجُلُ الحَريص ، وَلَو كانَتْ لُقْمَةَ الحَلْوى والخَبيص؛
الحَقُّ تعالى أعطى المِيْزانَ اللِّسان ، اِقْرَأْ مِنَ القُرْآنِ سُورَةَ الرَّحْمن؛
ألا لا تَتْرُكِ المِيْزانَ مِنْ حِرْصِ النَّفْس ، الحِرْصُ والطَّمَعُ لَكَ خَصْمانِ مُضِلَّان؛
الحِرْصُ يَطْلُبُ الكُلَّ وَيطْلَعُ مِنَ الكُلّ ، لا تَعْبُدِ الحِرْصَ أَيْ فُجْلُ بْنُ الفُجُلّ؛
تِلْكَ الجارِيَةُ لَمَّا خَرَجَتْ كانَتْ تَقُولُ آه ، أيْ سَيِّدَةُ سَيَّرْتِ الأُسْتاذَةَ في الطَّريق؛
تُريدِيْنَ تَعْمَلينَ العَمَلَ بلا أُسْتاذ ، تُريدِيْنَ المُقامَرَةَ بالرُّوحِ كالجاهِلِيْن؛
لَقَدْ سَرَقْتِ مِنّي عِلْماً ناقِصاً ، أجاءَكِ العارُ مِنَ السُّؤالِ عَنْ حالِ الشِّراك؛
لَو التَقَطَ الطَّائرُ الحَبَّةَ مِنْ بَيْدَرِه ، ما التَفَّ الحَبْلُ حَوْلَ عُنُقِه؛
أَقِلَّ مِنْ أكْلِ الحَبِّ لا تَزِفُ كَثيراً، إذا قَرَأْتَ كُلُوا فاقْرَأْ لا تُسْرِفُوا؛
حَتَّى لا يُوْقِعَكَ أَكْلُ الحَبَّةِ في الشِّباك، اِعْمَلْ بالعِلْمِ والقَناعَةِ والسَّلام؛
العاقِلُ أَكَلَ النِّعْمَةَ في الدُّنيا لا الغَمّ، الجاهِلونَ ظَلُّوا مَحرومينَ مِنَ النَّدَم؛
عِنْدَما التَفَّ على رقابِهِمْ حَبْلُ الشِّراك ، صارَ أَكْلُ الحَبِّ حراماً على الجَميع؛
الطَّائِرُ في الشِّباكِ مَتى يَأكُلُ الحَبّ، الحَبَّةُ كالسُّمِّ لَهُ في الشِّرْكِ لَو أَكَلَها؛
الطَّائِرُ الغافِلُ يَأكُلُ الحَبَّةَ مِنَ الشِّباك، كما يَفْعَلُ هؤلاءِ العوامُّ في شِباكِ الدُّنيا؛
فالطُّيُورُ الخَبيرَةُ الذَّكِيَّةُ مِنْ ذاك ، عَقَلَتْ نَفْسَها عَنِ الحَبَّةِ بِعِقالٍ قَويّ؛
الحَبَّةُ في الشِّباكِ مَغْمُوسَةٌ بالسُّمّ، الطَّائِرُ الَّذي يَطْلُبُ الحَبَّةَ في الشِّباكِ أعْمى؛
صاحِبُ الشِّباكِ يَقْطَعُ الرَّأْسَ مِنَ البَلْهاء، وَيَسْحَبُ إلى المَجالِسِ تِلْكَ الظَّرِيْفَة؛
فَتِلْكَ نافِعٌ مِنْها لُحُومُها ، وَمِنَ الظَّرِيفَةِ عَويلُها وأنينُها؛
لَمَّا دَخَلَتِ الجارِيَةُ مِنْ فُرْجَةِ الباب، رَأَتِ السَّيِّدَةَ مَيِّتَةً تَحْتَ الحِمار؛
قالَتْ رَأَيْتِ ظاهِراً خَفِيَ عَنْكِ سِرُّهُ، لَمْ تَصيري أُسْتاذَةً وَفَتَحْتِ دُكَّاناً؛
رَأَيْتِ القَضِيْبَ كَأَنَّهُ الشَّهْدُ والخَبيص، كَيْفَ لَمْ تَرَيِ القُرْعَةَ كالحَريص؛
أمْ لِكَونِكِ مُسْتَغْرِقَةً في عِشْقِ الحِمار ، بَقِيَتْ تِلْكَ القَرْعَةُ مَخْفِيَّةً عَنْ نَظَرِك؛

رَأَيْتِ مِنَ الأُسْتاذِ ظاهِرَ الصَّنْعَة ، فَجَعَلْتِ مِنْ نَفْسِكِ أُسْتاذَةً في سُرُور؛
أي كَمْ مِنْ مُحْتالٍ أَحْمَقٍ بلا وُقوف، لَمْ يَرَ مِنْ طَرِيقِ الرِّجالِ غَيْرَ الصُّوف؛
أيْ كَمْ مِنَ الهازِلِيْنَ مِنْ قِلَّةِ احْتِراف، لَمْ يَتَعَلَّمُوا مِنَ المُلُوكِ غَيْرَ القَولِ والفخر؛
وَكُلُّ واحِدٍ مَعَهُ العَصا أنْ أنا مُوسى، يُدَمْدِمُ بالأنفاسِ على البُلْه أنْ أنا عِيسى؛
آهِ مِنْ ذلِكَ اليَومِ الَّذي يَطْلُبُ مِنْكَ فيه ، صِدْقَ الصَّادِقِيْنَ حَجَرُ الإمْتِحان؛
أخيراً اسْأَلْ عَنِ الأُسْتاذِ الباقي ، هؤلاءِ الحَريصُونَ جُمْلَةً عُمْيٌ وَخُرْس؛
بَحَثْتَ عَنِ الجَمِيْعِ وَتَخَلَّفْتَ عَنِ الكُلّ ، هذا القَطيعُ الأَبْلَهُ صَيْدُ الذِّئاب؛
سَمِعْتَ صُورَةً وَصِرْتَ تُرْجُماناً ، بلا خَبَرٍ عَنْ قَولِكَ كالبَبَّغاء؛

تَمْثيل تلقين الشَّيْخ للمُريدِين والرَّسُول للأُمَّة إذ هُم لا يَملِكُونَ طاقَةَ تَلْقِيْنِ الحَقّ ، ولا يَمْلِكُونَ الأُلْفَةَ بالحَقّ ، كَمَثَلِ البَبَّغاءِ الَّذي لا يَملِكُ الأُلْفَةَ مَعَ صُورَةِ الآدَمِيّ كي يَسْتَطِيْعَ أنْ يَأخُذَ مِنْهُ التَّلْقين. الحَقُّ تَعالى جَعَلَ الشَّيْخَ كالمِرْآةِ أمامَ المُريد الَّذي هُوَ كالبَبَّغاء، وهُوَ يَقُومُ بالتَّلْقينِ مِنْ خَلْفِ المِرْآة، لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَك، إنْ هُوَ إلَّا وَحْيٌ يُوحى ، هذِهِ بِدايَةٌ لِمَسْأَلَةٍ بلا مُنْتَهى، فحَرَكَةُ مِنْقارِ البَبَّغاءِ في المرآةِ بلا تَصَرُّفٍ واخْتِيارٍ مِنْه هِيَ الَّتي تَدعُوها خيالاً، والصُّورَةُ هِيَ قِراءَةُ البَبَّغاء الَّذي هُوَ المُتَعَلِّم مِنَ الخارِج ، لا صُورَةُ ذلِكَ المُعَلِّم الَّذي هُوَ خَلْفَ المِرْآة ولكِنْ نُطْقُ البَبَّغاء في الخارِج مِنْ تَصَرُّفِ ذلِكَ المُعَلِّم ، هذا جاءَ مِثالاً لا مِثْلا

البَبَّغاءُ يرى صُورَةَ نَفْسِهِ في المِرآة، يراها أمامَهُ وَقَدْ وَجَّهَتْ لَهُ الوَجْه؛
مِنْ خَلْفِ المِرآةِ ذلِكَ الأُسْتاذُ مُخْتَفٍ، أديبٌ حَسَنُ اللُّغَةِ يَنْطِقُ الحَرْف؛
البَبَّغاءُ الصَّغيرُ ظَنَّ هذا الحَدِيْثَ الخَفيض،حَديثَ الطُّوطِيّ المَوجُودِ في المِرآة؛

فَتَعَلَّمَ الحَديثَ مِنْ جِنْسِ نَفْسِه، غافِلاً عَنْ مَكْرِ ذاكَ الذِّئْبِ القَديم؛
يُعَلِّمُهُ مِنْ وراءِ المِرْآةِ، فما كانَ لِيَتَعَلَّمَ إلَّا مِنْ جِنْسِ نَفْسِه؛
لَقَدْ تَعَلَّمَ الحَديثَ مِنْ رَجُلِ الفَنِّ ذاك، لكِنَّهُ كانَ عن مَعْناهُ وَسِرِّهِ غافِلاً؛
تَعَلَّمَ الكلامَ مِنَ البَشَرِ كَلِمَةً كَلِمَةً، غَيْرَ هذا مِنَ البَشَرِ ما تَعَلَّمَ صَغيرُ البَبَّغاء؛
هكذا في مِرآةِ جِسْمِ الوَلِيِّ، يرى نَفْسَهُ المُريْدُ المُمْتَلِئ؛
متى يرى مِنْ وراءِ المِرْآة، العَقْلَ الكُلِّيَّ وَقْتَ الحَديثِ والقَول؛
هُوَ ظَنَّ أنَّ مَنْ يَقُولُ بَشَرٌ، وذاكَ الآخَرُ سِرٌّ وَهُوَ عَنْهُ غافِل؛
تَعَلَّمَ الحَرْفَ وَعَنِ السِّرِّ القَديم ، هُوَ غافِلٌ هُوَ بَبَّغاءٌ لا نَديم؛
حَتَّى صَفيرَ الطَّيْرِ تَعَلَّمَ الخَلْق، هذا الحَديثُ مِنْ شَأنِ اللِّسانِ والحَلْق؛
لكِنَّهُمْ عَنْ مَعاني الطُّيُورِ بلا خَبَر ، خلا سُلَيْمانُ ذو القِرانِ حَسَنُ النَّظَر؛
تَعَلَّمُوا الكَثيرَ مِنْ حُرُوفِ الدَّراويش، وأشْعَلُوا المَنْبَرَ والمَحْفَلَ مِنْ ذاك؛
إمَّا لا يُرْزَقُونَ غَيْرَ تِلْكَ الحُرُوف ، أو تَجِيءُ رَحْمَةٌ في الآخِرِ تُظْهِرُ الطَّريق؛

صاحِبُ قَلْبٍ رأى كَلْبَةً حامِلاً وكانَتِ الجِراءُ في بَطْنِها تَنْبَحُ فَبَقِيَ في التَّعَجُّبِ أنْ حِكْمَةُ نُباحِ الكِلابِ للحِراسَة، النُّباحُ داخِلَ بَطْنِ الأُمّ لَيْسَ للحِراسَة كما أنَّهُ لَيْسَ جِهَةَ طَلَبِ العَوْنِ واللَّبَنِ وَغَيْرِه، فلا شَيْءَ مِنْ هذِهِ الفوائِدِ ها هُنا، لَمَّا عادَ إلى النَّفْسِ ناجى الحَضْرَةَ فجاءَ الجَوابُ وما يَعْلَمُ تَأْوِيْلَهُ إلَّا الله، تِلْكَ الصُّورَةُ حالُ قَومٍ لَمْ يَخْرُجُوا مِنَ الحِجاب وَلَمْ تُفْتَحْ لَهُمْ عَيْنُ القَلْب وَيَدَّعُونَ البَصِيْرَةَ وَيَقُولُونَ المَقالات، وإذَن لا تَصِلُهُمْ قُوَّةٌ ولا يَصِلُ المُسْتَمِعِيْنَ مِنْهُمْ رُشْدٌ ولا هِدايَة

ذاكَ واحِدٌ رأى مناماً في أرْبَعِيْنِيَّة ، رأى كَلْبَةً أُنْثى حامِلاً في الطَّريق؛
سَمِعَ نُباحَ الجِراءِ فَجْأَةً ، الجِراءُ في البَطْنِ لَمْ تَكُنْ مَرْئِيَّةً؛

فَجاءَهُ العَجَبُ الشَّديدُ مِنْ تِلْكَ الأَصْوات، جَرْوُ الكَلْبِ كَيْفَ يَصْرُخُ في البَطْن؛
جَرْوُ الكَلْبِ في البَطْنِ كانَ يَئِنُّ، أَيُّ شَخْصٍ في الدُّنيا ما رأى هذا؛
حِيْنَ عادَ مِنَ الواقِعَةِ للنَّفْس ، صارَتْ حَيْرَتُهُ تَزدادُ لَحْظَةً بِلَحْظَة؛
لا شَخْصَ في الخَلْوَةِ لِيَحُلَّ هذِهِ العُقْدَة ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ بابُ اللهِ عَزَّ وَجَلّ؛
قالَ يا رَبّ مِنْ هذا الإِشْكالِ والجِدال ، تَوَقَّفْتُ عاجِزاً عَنْ ذِكْرِكَ في خَلْوَتي؛
اِفْتَحْ لِيَ الجَناحَ لأطِيْرَ مُحَلِّقاً، إلى حَديقَةِ الذِّكْرِ وبُسْتانِ التُّفَّاح؛
فَجاءَهُ نِداءُ هاتِفٍ في اللَّحْظَة، أَنْ اعْرِفْ ذاكَ مِثالاً عَنْ دَعاوي الجاهِلِين؛
فَهُمْ لَمْ يَخْرُجُوا مِنَ الحِجابِ والسِّتْرِ للخارِج، وَيَهْذرونَ في الكلام والعَيْنُ مَغلَقَة؛
نُباحُ الكَلْبِ في البَطْنِ خُسران، لا مُثيرٌ للصَّيْدِ ولا حارِسٌ باللَّيْل؛
لَمْ تَرَ الذِّئْبَ لِتَكُونَ في مَنْعِه، وَلَمْ تَرَ اللِّصَّ لِتَقُومَ بِدَفْعِه؛
مِنَ الحِرْصِ وِمِنْ هَوى الرِّئاسَة، في العَيْنِ خَشَبَةٌ وفي الدَّعاوى جَريء؛
مِنْ حُبِّ المُعْجَبينَ والمُشْتَرين ، غَرَسَ القَدَمَ بِقُوَّةٍ بلا بَصيرَة؛
ما رأى القَمَرَ وَيُعْطي الإشارات، اعْرِفْهُ قَرَوِيّاً أَعْوَجَ السَّيْر؛
قالَ مِئَةَ إشارَةٍ في وَصْفِ القَمَرِ وما رآه، مِنْ أجْلِ المُشْتَري ومِنْ أجْلِ الجاه؛
المُشْتري الَّذي يَنْفَعُ هُوَ الواحِدُ نَفْسُهُ، لكِنَّ لَهُمْ فِيْهِ رَيْباً وَشَكّاً؛
مِنْ هَوى مُشْتَرٍ هُوَ بلا شَأن، هذِهِ الجَماعَةُ أَضاعَتِ المُشْتَري؛
مُشْتَرينا هُوَ اللهُ اشْترى ، عَنْ غَمِّ كُلِّ مُشْتَرٍ هَيَّا اعْلُ؛
اِبْحَثْ عَنْ مُشْتَرٍ يكُونُ باحِثاً عَنْكَ ، يَكُونُ عالِماً بِبِدايَتِكَ وَنِهايَتِك؛
انْتَبِهْ لا تَسْحَبْ كُلَّ مُشْتَرٍ باليَد، لَعِبُ العِشْقِ مَعَ مَعْشُوْقَيْنِ رَديء؛
لَنْ تَجِدَ مِنْهُ نَفْعاً ومالاً إذا اشْترى ، لَيْسَ مَعَهُ ثَمَنُ العَقْلِ والفَهْم؛
لَيْسَ مَعَهُ ثَمَنُ نِصْفِ نَعْل، وأنتَ تَعْرِضُ عَلَيْهِ الياقُوتَ واللَّعْل؛
أَعْماكَ الحِرْصُ وَجَعَلَكَ مَحْرُوما ، جَعَلَكَ الشَّيْطانُ كما جَعَلَ نَفْسَهُ مَرجُوماً؛

كما فَعَلَ بأَصْحابِ الفِيْلِ وَقَومِ لُوط ، جَعَلَهُمْ مَرْجُومِيْنَ مِثْلَهُ ذلِكَ السَّخُوط؛
لَقَدْ وَجَدَ الصَّابِرُونَ المُشْتَرِي، إذْ لَمْ يُسْرِعُوا جِهَةَ كُلِّ مُشْتَر؛
الَّذي أعْرَضَ بالوَجْهِ عَنْ ذلِكَ المُشْتَرِي ، بَرِئَ مِنْهُ البَخْتُ والإقبالُ والبَقاء؛
بَقِيَتِ الحَسْرَةُ للحَريصينَ إلى الأَبَد ، مِثْلَ حالِ أَهْلِ ضَرْوانَ في الحَسَد؛

قِصَّةُ أَهْلِ ضَروان وَحَسَدُهُم للدَّراويش ، أنْ أبونا مِنَ السَّلامَةِ يُعْطي أغْلَبَ دَخْلِ البُستانِ للمساكين ، إذا كانَ عِنَباً أَعْطى العُشْر فإذا صارَ زَبيباً وَدِبْساً أعطى العُشْر فإذا صارَ حَلْوى وَصَفَّاهُ أعطى العُشْر ومِنَ القَصِيلِ أعطى العُشْر فإذا دَرَسَهُ أعْطى العُشْر فإذا فَصَلَ القَمْحَ عَنِ التِّبْنِ أعْطى العُشْر فإذا جَعَلَهُ طَحيناً أعطى العُشْر فإذا جَعَلَهُ عَجِيناً أعْطى العُشْر فإذا جَعَلَهُ خُبْزاً أعطى العُشْر ، لا جَرَمَ الحَقُّ تعالى كانَ جَعَلَ البَرَكَةَ في ذلِكَ البُسْتان والزَّرْع حَتَّى أنَّ جَمِيْعَ أصْحابِ البساتين كانوا مُحْتاجِيْنَ إلَيْهِ سواءً بالثَّمَرِ أمْ بالمال ولَمْ يَكُنْ هُوَ مُحتاجاً لَهُمْ ولا لأيِّ شَخْص ، وكانَ أولادُهُ يَرَونَ إخراجَ العُشْرِ مُكَرَّراً دُونَ أنْ يَرَوا تِلْكَ البَرَكَة مِثْلَ تِلْكَ المَرْأَةِ سَيِّئَةِ الحَظّ رأتْ آلَةَ الحِمار وَلَمْ تَرَ القَرْعَة

كانَ هُناكَ رَجُلٌ صالِحٌ رَبَّانِيٌّ ، يَمْلِكُ عَقْلاً كامِلاً وَعالِماً بالمآل؛
في قَرْيَةِ ضَروانَ بالقُرْبِ مِنَ اليَمَن ، كانَ مَشْهُوراً بِصِدْقِهِ والخُلُقِ الحَسَن؛
حِماهُ كانَتْ كَعْبَةَ الدَّراويش ، وكانَ المُحْتاجُونَ يَقْصِدُونَ إلَيْه؛
كانَ يُعْطي عُشْرَ السَّنابِلِ بلا رياء ، ويُعطي مِنَ القَمْحِ بَعْدَ فَصْلِهِ عَنِ التِّبْن؛
فإذا صارَ طَحيناً أعطى العُشْرَ مِنْهُ، فإذا صارَ خُبْزاً أعطى العُشْرَ مِنَ الخُبْز؛
لَمْ يَكُنْ يَتْرُكُ دَفْعَ العُشْرِ مِنْ كُلِّ دَخْل، كانَ يَدْفَعُ مِنْ كُلِّ ما زَرَعَ أَرْبَعَ مَرَّات؛

كانَ يُوصي الوَصايا كثيراً وفي كُلِّ حِيْنٍ ، إلى كُلِّ أولادِهِ ذلِكَ الفَتى الشَّهْم؛
اللهَ اللهَ في قِسْمِ المَساكينِ مِنْ بَعْدِي ، لا تَمْنَعُوهُ مِنْ حِرْصِ أنْفُسِكُم؛
حَتى يَدُومَ لَكُمُ الزَّرْعُ والثِّمار، ثابِتَيْنِ في حِمى طاعَةِ الحَقّ؛
الدُّخُولُ والثِّمارُ جُمْلَةً مِنَ الغَيْب، أرسَلَها الحَقُّ بلا تَخْمينٍ وَرَيْب؛
في مقامِ الدَّخْلِ إذا أخْرَجْتَ الخَرْج، فَهُوَ بابٌ للنَّفْعِ وَسَتَحْصَلُ على النَّفْع؛
التُّرْكِيُّ يَقُومُ بِزَرْعِ أغْلَبِ الدَّخْل، مِنْ جَديدٍ في الحَقْلِ فَهُوَ أَصْلُ الثِّمار؛
يَزْرَعُ الأكْثَرَ وَيَأكُلُ الأقَلَّ مِنْ ذاك، إذْ لَيْسَ لَهُ في نُمُوِّهِ شَكّ؛
التُّرْكِيُّ مِنْ ذلِكَ يَنْثُرُ البِذارَ في فَرَح، فَغَلَّتُهُ تِلْكَ حَصَلَتْ مِنْ تِلْكَ الأرْض؛
الحَذَّاءُ بِكُلِّ ما زادَ عَنِ الخُبْز، يَشْتَري أديماً وَجِلْداً مَدْبُوغاً وَغَيْرَ مَدْبُوغ؛
أنْ هذِهِ كانَتْ أُصُولَ دَخْلي، وَمِنْ هذِهِ أَيْضاً يَنْفَتِحُ قَيْدُ الرِّزْق؛
الدَّخْلُ مِنْ هُناكَ أتاهُ لا جَرَم، فَهُوَ أيضاً هُناكَ يَقُومُ بالعَطاءِ والكَرَم؛
هذِهِ الأرْضُ وهذا الجِلْدُ مُجَرَّدُ حِجاب، أصْلُ الرِّزْقِ لِكُلِّ نَفْسٍ مِنَ اللهِ اعْلَمْ؛
الأرضُ أَصْلُ العَمَلِ فَأَنْتَ تَزْرَعُ بِها، لِتُعْطِيَكَ بِكُلِّ حَبَّةٍ مائةَ ألْف؛
اِفْتَرِضْ أنَّكَ زَرَعْتَ البِذْرَةَ الآنَ، في تِلْكَ الأرْضِ الَّتي ظَنَنْتَها سَبَباً؛
وَلَمْ تَنْبُتْ تِلْكَ في سَنَتَيْنِ أو ثلاثٍ ما تَفْعَل، غَيْرَ رَفْعِ الكَفَّ بالدُّعاءِ والتَّضَرُّع؛
تَضْربُ اليَدَ على الرَّأْسِ أمامَ الإله، اليَدُ والرَّأْسُ على إعطائهِ الرِّزْقَ شاهِدان؛
لِتَعْلَمَ أنَّهُ أَصْلُ أَصْلِ الرِّزْق، لِتَطْلُبَهُ ذلِكَ الوَقْتَ الَّذي تَطْلُبُ الرِّزْق؛
أُطْلُبِ الرِّزْقَ مِنْهُ لا مِنْ زَيْدٍ وَعَمْرو، أُطْلُبِ السُّكْرَ مِنْهُ لا مِنَ البِنْجِ والخَمْر؛
أُطْلُبِ القُدْرَةَ مِنْهُ لا مِنَ الكَنْزِ والمال، أُطْلُبِ النُّصْرَةَ مِنْهُ لا مِنَ العَمِّ والخال؛
فالعاقِبَةُ أنْ تَفْتَرِقَ عَنْ هؤلاء، تِلْكَ اللَّحْظَةَ مَنْ تُريدُ تَدْعُو انتبَهْ؛
مِنْ هذِهِ اللَّحْظَةِ ادْعُهُ واتْرُكِ الباقِيْن، حَتَّى تَصيرَ وارِثَ مُلْكِ العالَم؛
إذْ يَفِرُّ المَرْءُ تأتي *مِنْ أخيْه*، يَهْرَبُ المَولودُ يوماً مِنْ أبيه؛

مِنْ ذلِكَ كُلُّ صَديقٍ يَصيرُ تِلْكَ السَّاعَةَ عَدُوّاً، فَقَدْ كانَ لَكَ صَنَماً ومانِعَ سَيْر؛
كُنْتَ تُديرُ الوَجْهَ عَنْ مُصَوِّرِ الوُجُوه، لأنَّكَ كُنْتَ تَجِدُ أُنْسَ القَلْبِ مِنْ صُورَة؛
هذِهِ اللَّحْظَةَ وَأَصْدِقاؤكَ يَصِيْرُونَ ضِدّاً، وَيَرْجِعُونَ عَنْكَ وَيَرُوحُونَ لَكَ خُصُوماً؛
قُلْ ما أَجْمَلَ اليَوْمَ مِنْ مُبارَكِ يَوم، ما سَوْفَ يَحْصَلُ في غَدٍ حَصَلَ اليَوم؛
صارَ أَهْلُ هذِهِ الدَّارِ لي ضِدّاً، صارَتِ القِيامَةُ أمامي عَيْناً؛
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَصِيْرَ عُمري مُنْقَضِياً، وأكُونُ قَدْ قَضَيْتُ عُمري مَعَهُم إلى نِهايَتِه؛
لَقَدْ كُنْتُ اشْتَرَيْتُ بِضاعَةً مَعْيُوبَةً، شُكْراً أَنِّي صِرْتُ واقِفاً على عَيْبِها سريعاً؛
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَضِيْعَ مِنْ يَدي رَأْسُ المال، وَيَصِيْرَ عَيْبُها في العاقِبَةِ ظاهِراً؛
ذَهَبَ المالُ وَذَهَبَ العُمْرُ أَيْ نَسيب، وَدَفَعْتُ الرُّوحَ والمالَ لِلْمتاعِ المَعيب؛
أَعْطَيْتُ المَتاعَ وَأَخَذْتُ ذَهَباً زائفاً، وَرُحْتُ إلى البَيْتِ فَرِحاً وَمَسْرُوراً؛
شُكْراً فالذَّهَبُ الزَّيْفُ صارَ ظاهِراً الآنَ، مِن قَبْلِ أَنْ يَمضِيَ الأَكْثَرُ مِنْ عُمْري؛
لَمَّا أَظْهَرَ الزَّيْفُ وَجْهَهُ أَبْكَرَ، خَطَوتُ راجِعاً عَنْهُ مُسْرِعاً سَريعاً؛
صَدِيْقُكَ عِنْدَما يُظْهِرُ لَكَ العداء، وَيُخْرِجُ للخارِجِ نارَ حِقْدِهِ وَحَسَدِه؛
فلا تَصْرَخْ مِنْ ذلِكَ الإعْراضِ أَبَداً، ولا تَجْعَلْ مِنَ النَّفْسِ جاهِلاً وَأَبْلَها؛
بَلِ اشْكُرِ الحَقَّ وَأَطْعِمِ الطَّعام، أَنَّكَ لَمْ تَصِرْ مَحْبُوسَهُ لآخِرِ العُمْر؛
لَقَدْ خَرَجْتَ مِنْ حَبْسِهِ سَريعاً، لِتَبْحَثَ عَنْ صَديقِ الصِّدْقِ السَّرْمَديّ؛
الصَّديقِ اللَّطيفِ الَّذي بَعْدَ مَوتِك، حَبْلُ صَداقَتِهِ يَصيرُ أَثْخَنَ ثلاثَ مَرَّات؛
عسى يكونُ ذاكَ مَلِكاً وَسُلْطاناً رفيعاً، أو عَسى يكُونُ مَقْبُولَ السُّلطانِ وَشَفيعاً؛
نَجَوْتَ مِنَ المُزَوِّرِ والخَدَّاعِ والدَّغِل، رَأَيْتَ غَرَّهُ عياناً قَبْلَ الأجَل؛
هذا الجفاءُ مِنَ الخَلْقِ لَكَ في الدُّنيا، هُوَ لَوْ عَلِمْتَ لَكَ كَنْزٌ مَخْفِيّ؛
جَعَلوا الخَلْقَ مَعَكَ سَيِّئي الطَّبْعِ هكذا، حَتَّى يُوجِّهُوكَ مُضْطَرّاً إلى تِلْكَ النَّاحِيَة؛
واعْلَمْ يَقيناً أَنَّهُمْ في النِّهايَةِ جَمِيعاً، سَيَصِيرونَ خُصُوماً وأَعْداءَ وَمُعانِدِين؛

وأنتَ تَبْقى بالصُّراخِ والعَويلِ في اللَّحْد، طالِباً مِنَ الأحَدِ أنْ لا تَذَرْني فَرْداً؛
أيْ مَنْ جَفاكَ خَيْرٌ مِنْ عَهْدِ الأوفياء، كما مِنْ عَطائكَ شَهْدُ الأوفياء؛
اِسْمَعْ مِنْ عَقْلِ نَفْسِكَ أي صاحِبَ المَحْصُول، واجْعَلْ قَمْحَكَ وَديعَةً بأرْضِ الله؛
حَتَّى يَصِيْرَ آمِناً مِنَ اللِّصِّ والقُمَّل، اقْتُلِ الشَّيطانَ ما اسْتَطَعْتَ أسْرَع؛
فإنَّهُ يُخَوِّفُكَ كُلَّ لَحْظَةٍ مِنَ الفَقْر، فَصِدْهُ صَيْدَ الحَمامَةِ يا أيُّها الصَّقْر؛
فإنَّ بازَ السُّلْطانِ العَزيزَ المُوَفَّقَ، عارٌ عَلَيْهِ أنْ تَصِيْدَهُ الحَمامَة؛
وَكَمْ أوصاهُمْ وَزَرَعَ بِذْرَةَ الوَعْظ، فَلَمْ يُجْدِ نَفْعاً لأنَّ أرْضَهُمْ كانَتْ مالِحَة؛
رَغْمَ أنَّ النَّاصِحَ يَمْلِكُ مِئَةَ داعِيَة، لا بُدَّ للنُّصْحِ مِنْ أُذُنٍ واعِيَة؛
أنتَ تُعْطِيْهِ النَّصِيْحَةَ بِمِئَةِ لُطْف، وهُوَ مِنْ نُصْحِكَ يَتَكَبَّرُ اسْتِخْفافاً؛
شَخْصٌ مُعْرِضٌ مِنَ العِنادِ والرَّدّ، أعْجَزَ مِئَةَ شَخْصٍ مُتَحَدِّثٍ بِجِدّ؛
أَنْصَحَ مِنَ الأنبياءِ وأحْسَنَ لَهْجَةً، متى كانَ هُناكَ وَحَديثُهُمْ أَثَّرَ بالصَّخْر؛
الجَبَلُ والصَّخْرُ مِنْ ذَلِكَ أجابا، وَقَيْدُ سَيِّئِي البَخْتِ لَمْ يَنْفَكّ؛
كذلِكَ القُلُوبُ الَّتي شُغْلُها نَحْنُ وأنا، نَعْتُها صارَ بَلْ أَشَدُّ قَسْوَةً؛

بيان أنَّ عَطاءَ الحَقِّ وَقُدْرَتَهُ لَيْسا مَوقُوفَيْنِ على القابِلِيَّة ، كما هُوَ حالُ عَطاءِ الخَلْقِ الَّذي تَجِبُ لَهُ القابِلِيَّة ، ذلِكَ لأنَّ العَطاءَ قَديمٌ والقابليَّةَ حادِثَة، العَطاءُ صِفَةُ الحَقِّ والقابليَّةُ صِفَةُ المَخْلُوق والقَديمُ لا يَكُونُ مَوْقُوفَ الحادِث، وإلَّا كانَ الحُدُوثُ مُحالاً

الحِيْلَةُ لذلِكَ القَلْبِ عطاءٌ مُبَدِّلٌ ، لَيْسَتِ القابِلِيَّةُ لِعطائِهِ شَرْطاً؛
بَلْ عَطاؤهُ شَرْطٌ للقابليَّة ، العَطاءُ لَبٌّ والقابليَّةُ قِشْر؛
هذهِ العصا لِمُوسى تَصيرُ ثُعْباناً، وكَفُّهُ تَصيرُ مُضِيْئَةً مِثْلَ شَمْس؛

مِئاتُ أُلُوفِ مُعْجِزاتِ الأنبياء، تِلْكَ الَّتي لا يَسَعُها ضَميرُنا وَعَقْلُنا؛
أَلَيْسَتْ مِنْ أسبابِ تَصْريفِ الإله، مِنْ أيْنَ للمَعْدُوماتِ القابِلِيَّة؛
لَوْ كانَتِ القابِلِيَّةُ شَرْطاً لِفِعْلِ الحَق، ما جاءَ للوُجُودِ أَيُّ مَعْدُوم؛
لَقَدْ وَضَعَ سُنَّةً وأسباباً وَطُرُقاً، للطَّالِبينَ تَحْتَ هَذِهِ الخَيْمَةِ الزَّرْقاء؛
مُعْظَمُ الأحْوالِ تَجْري على السُّنَّة، وحِيْناً تَصيرُ القُدْرَةُ خارِقَةً للسُّنَّة؛
وَضَعَ السُّنَّةَ والعادَةَ باتِّساق، وعادَ فَجَعَلَ مِنْ خَرْقِ العادَةِ مُعْجِزَةً؛
إذا لَمْ يُوصِلِ العِزَّ إلَيْنا بلا سَبَب، القُدْرَةُ عَنْ عَزْلِ السَّبَبِ غَيْرُ مَعْزُولَة؛
أَيْ أَسِيْرَ السَّبَبِ لا تَطِرْ للخارِجِ، لكِنْ لا تَحْمِلِ الظَّنَّ بِعَزْلِ ذاكَ المُسَبِّب؛
ذاكَ المُسَبِّبُ يَأتي بِكُلِّ ما يُريد، القُدْرَةُ المُطْلَقَةُ تُمَزِّقُ الأسباب؛
لكِنْ غالِباً يَجْعَلُ النَّفاذَ على السَّبَب، لِيَعْرِفَ الطَّالِبُ البَحْثَ عَنِ المُراد؛
إنْ لَمْ يَكُنْ سَبَبٌ أَيَّةَ طَريقٍ يَطلِبُ المُريد، سَبَبُ الطَّريقِ يَجِبُ أنْ يَكُونَ ظاهِراً؛
هذِهِ الأسبابُ حُجُبٌ على الأنظار، فَلَيْسَ كُلُّ نَظَرٍ لائقاً بالنَّظَرِ إلى صُنْعِه؛
يَجِبُ لَهُ نَظَرٌ خارِقٌ للأسباب، حَتَّى يَقْتَلِعَ الحُجُبَ مِنَ الأَصْلِ والجَذْر؛
حَتَّى يرى المُسَبِّبَ في اللّامكان، وَيَعْرِفَ عَبَثاً الجُهْدَ والكَسْبَ والدُّكَّان؛
مِنَ المُسَبِّبِ يَصِلُ كُلُّ خَيْرٍ وَشَرّ، لا مِنَ الأسبابِ والوَسائطِ أَيْ أب؛
إلّا خيالاً مُنْعَقِداً على الطَّريقِ الأوسَع، حَتَّى تبقى الغَفْلَةُ بَعِيْدَةً بَعْضَ الوَقْت؛

في ابتِداءِ خَلْقِ جِسْمِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام إذْ أَشارَ لِجِبرائيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ أنِ اذْهَبْ وَخُذْ مِنَ الأَرْضِ قَبْضَةً مِنَ التُّرابِ، وفي رِوايَةٍ خُذْ قَبْضَةً قَبْضَةً مِنْ كُلِّ ناحِيَة

عِنْدَما أرادَ الصَّانِعُ إيجادَ البَشَر، مِنْ أجْلِ الإبْتِلاءِ بالخَيْرِ والشَّرّ؛
قالَ لِجِبرائيلَ الصِّدْقِ أنِ اذْهَبْ، وَخُذْ قَبْضَةً مِنَ التُّرابِ مِنَ الأرْضِ رَهْناً؛

فاسْتَعَدَّ لِذاكَ وَجاءَ إلى الأرْضِ، حَتَّى يُنْفِذَ أَمْرَ رَبِّ العالَمِيْن؛
وَمَدَّ للتُّرابِ اليَدَ ذلِكَ المُؤتَمِر، فانْكَمَشَ التُّرابُ وَسَحَبَ النَّفْسَ كالحَذِر؛
ثُمَّ نَطَقَ التُّرابُ بالكلامِ وَتَضَرَّعَ ، أنْ مِنْ أجْلِ حُرْمَةِ الخلَّاقِ الفَرْد؛
قُمْ بِتَرْكِي واذْهَبْ وَأَعْطِني الرُّوح، وَأَدِرْ عَنِّي عِنانَ جَوادِكَ الأبْيَض؛
مِنْ أجْلِ اللهِ دَعْني ولا تَحْمِلْني ، في حَوادِثِ التَّكْليفِ والخَطَر؛
بِحَقِّ ذلِكَ اللُّطْفِ الَّذي اصْطفاكَ بِهِ الحَقّ، وَجَعَلَ عِلْمَ اللَّوحِ الكُلِّيِّ ظاهِراً لَك؛
حَتَّى جِئْتَ للملائكَةِ مُعَلِّماً، وَجِئْتَ دائماً للحَقِّ مُكَلِّماً؛
كُنْتَ سَتَصيرُ سَفيرَ الأنبياء، أنتَ حَياةُ رُوحِ الوَحْيِ لا البَدَن؛
وكانَ لَكَ الفَضْلُ على إسرافيلَ مِنْ ذاكَ، فَهُوَ الحَياةُ للبَدَنِ وأنتَ للرُّوح؛
نَفْخَةُ صُورِهِ كانَتْ نَشْأَةَ الأبدان، نَفْخَتُكَ كانَتْ نَشْأَةَ القَلْبِ الفَرْد؛
كانَ رُوْحَ رُوْحِ البَدَنِ وَحَياةَ القَلْب، لكِنَّ عَطاءَكَ مِنْ عَطائهِ كانَ أفْضَل؛
ثُمَّ إنَّ ميكائيلَ أعطى الرِّزْقَ للبَدَن، سَعْيُكَ أعْطى الرِّزْقَ للقَلْبِ المُضِيْء؛
هُوَ مَلأَ الذَّيْلَ بِعَطاءِ الكَيْل، وعطاءُ رِزْقِكَ أنتَ لا يَحْتَوِيْهِ كَيْل؛
كما مِنْ عِزرائيلَ ذي القَهْرِ والغَضَب، أنتَ أفْضَلُ فالرَّحْمَةُ سَبَقَتِ الغَضَب؛
هؤلاءِ الأربَعَةُ حَمَلَةُ العَرْشِ وَأَنْتَ المَلِك، أنتَ أَفْضَلُ هؤلاءِ الأرْبَعَةِ مِنَ الإنتِباه؛
يَوْمَ المَحْشَرِ ترى حامِلِيْهِ ثَمانِيَة، وأنتَ أيْضاً تكُونُ أَفْضَلُ الثَّمانِيَةِ ذلِكَ الزَّمان؛
وعلى هذِهِ الشَّاكِلَةِ يَعُدُّ وَيَبْكي، كانَ يَشمُّ ريحاً مِنَ المَقْصُودِ ما يَكُون؛
جبرائيلُ كانَ مَعْدِناً للخَجَلِ والحَياء، أَغْلَقَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الأيمانُ السَّبيل؛
مِنْ كَثْرَةِ ما تَضَرَّعَ إلَيْهِ وَأَقْسَمَ عَلَيْه، قَفَلَ راجِعاً وَقالَ أَيْ رَبَّ العِباد؛
لَمْ أَكُنْ في إنفاذِ أمْرِكَ مُتَهاوِناً، لكِنْ أنتَ أَعْلَمُ بالَّذي جَرى؛
ذَكَرَ الإسْمَ الَّذي مِنْ هَوْلِهِ أَيْ بَصير، الفَلَكُ السَّابِعُ يَتَوَقَّفُ عَنِ المَسير؛
فاسْتَحْيَيْتُ وَصِرْتُ خَجِلاً مِنْ اِسْمِك، وإلَّا فإنَّ نَقْلَ قَبْضَةٍ مِنَ الطِّيْنِ سَهْل؛

فَأَنْتَ الَّذي أعْطَيْتَ القُوَّةَ للأملاك، حَتَّى أَنَّهُمْ لَيُمَزِّقُوا الأفْلاك؛

إرسالُ ميكائيل عَلَيْهِ السَّلامُ بِقَبْضِ حَفْنَةٍ مِنَ التُّرابِ مِنَ الأرْض مِنْ أجْلِ تَرْتيبِ وَتَركِيْبِ الجِسْمِ المُبارَكِ لِأَبي البَشَرِ خَلِيْفَةِ الحَقِّ مسْجُودِ المَلَكِ وَمُعَلِّمِهِم آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام

قالَ لِمِيكائيلَ فاهْبِطْ أنتَ ، اخْتَطِفْ قَبْضَةً مِنَ التُّرابِ مِنْهُ كالأسَد؛
عِنْدَما وَصَلَ مِيْكائيلُ إلى التُّراب، مَدَّ اليَدَ لِكَيْ يَخْتَطِفَ مِنْ ذاك؛
ارْتَجَفَ التُّرابُ وَفَرَّ هارِباً، وَقالَ في تضَرُّعٍ وَهُوَ يُمْطِرُ الدَّمْع؛
بِدَمْعٍ مَليءٍ بالدَّمِ يَسِيْلُ أَقْسَمَ عَلَيْه، بِحُرْقَةِ صَدْرٍ في ضَراعَةٍ واجْتِهاد؛
أنْ بِحَقِّ اللهِ اللَّطيفِ بلا نَدِيْد، الَّذي جَعَلَكَ حامِلاً للعَرْشِ المَجِيْد؛
جَعَلَكَ على كَيْلِ أرزاقِ الدُّنيا مُشْرِفاً، وللظَّامِئينَ مِنَ الفَضْلِ مُغْرِفاً؛
ذلِكَ أنَّ مِيْكائيلَ مُشْتَقٌّ مِنَ الكَيْل، فَهُوَ للرِّزْقِ مِنْ ذلِكَ كَيَّال؛
أنْ أعْطِني الأمانَ وَحَرِّرْني، أُنْظُرْ إلَيَّ أَقُولُ الحَديثَ مَمْلُوءاً بالدَّم؛
المَلَكُ جاءَ مَعْدِنَ رَحْمَةِ الله، كَيْفَ أَرُشُّ المِلْحَ على ذلِكَ الجُرْح؛
كما أنَّ مَعْدِنَ القَهْرِ الشَّيْطانُ، فَقَدْ أطْلَقَ مِنْ بني آدَمَ الصُّراخ؛
الرَّحْمَةُ سابِقَةٌ على الغَضَبِ أَيْ فَتَى، اللُّطْفُ كانَ غالِباً في وَصْفِ الله؛
العَبيدُ لا بُدَّ أنْ يَمْلِكُوا طَبْعَه، قِرَبُهُمْ مَملُوءَةٌ مِنْ ماءِ جَدْوَلِه؛
رَسُولُ الحَقِّ ذاكَ وَدَليلُ السُّلوك، قالَ *النَّاسُ على دِيْنِ المُلُوك*؛
ذَهَبَ مِيكائيلُ جِهَةَ رَبِّ الدِّين، خالِيَ اليَدِ والكُمِّ مِنَ المَقْصُود؛
قالَ أَيْ عالِمَ السِّرِّ والمَلِكُ الفَرْد، التُّرابُ قَيَّدَني مِنَ الضَّراعَةِ والبُكاء؛
ماءُ العَيْنِ عِنْدَكَ كانَ ذا قَدْر، أنا لَمْ أَسْتَطِعْ أنْ أُصِمَّ النَّفْس؛

الآهُ والبُكاءُ كم لَهُما عِنْدَكَ مِنَ القَدْر، أنا لا أسْتَطِيْعُ أنْ أُغْفِلَ حُقُوقَ ذاك؛
العَيْنُ الرَّطْبَةُ كَمْ لها مِنَ القَدْرِ عِنْدَك، كَيْفَ أَسْتَطِيْعُ أنْ أَصِيْرَ أَصَمَّ مُعانِداً؛
دَعْوَةٌ لِلضَّراعةِ في اليَومِ خَمْسَ مَرَّات، هِيَ لِلْعَبْدِ أنْ أَقْبِلْ للصَّلاةِ وَتَضَرَّعْ؛
صِياحُ المُؤَذِّنِ أنْ حَيَّ على الفلاح، وذاكَ الفلاحُ هُوَ النَّحِيْبُ والاقْتِراح؛
ذاكَ الَّذي تُرِيْدُ أنْ تَجْعَلَهُ مُقْعَداً مِنَ الغَمّ، تَجْعَلُ طَرِيقَ الضَّراعَةِ مَسْدُوداً لِقَلْبِه؛
حَتَّى يَنْزِلَ البلاءُ بِهِ بِلا دافِع، إذْ ما هُناكَ مِنَ التَّضَرُّعِ شافِع؛
وَذاكَ الَّذي تُرِيدُ شِراءَهُ مِنَ البلاء، تُدْخِلُ رُوحَهُ في التَّضَرُّع؛
قُلْتَ في القُرْآنِ أنَّ تِلْكَ الأُمَم، الَّتي نَزَلَ بِها ذاكَ العَذابُ الشَّديد؛
لَمْ يَقُوموا بالتَّضَرُّعِ تِلْكَ اللَّحْظَة، لِيَصيرَ عَنْهُمُ البلاءُ مَرْدُوداً؛
لأنَّ قُلُوبَهُمْ كانَتْ صارَتْ قاسِيَة، وَصارَتْ ذُنُوبُهُمْ تِلْكَ تَظْهَرُ لَهُمْ عِبادَةً؛
ذاكَ المُجْرِمُ العَنيدُ ما لَمْ يَعْرِفِ النَّفْسَ ، مِنْ أَيْنَ يَعْرِفُ يُجْرِي مِنْ عَيْنِهِ الماء؛

قِصَّةُ قَومِ يُونُس عَلَيْهِ السَّلام وَبَيانُ وَبُرْهانُ أنَّ التَّضَرُّعَ والبُكاءَ دافِعُ بلاءِ السَّماء، والحَقُّ تعالى فاعِلٌ مُخْتارٌ، فالتَّضَرُّعُ والتَّعْظيمُ أمامَهُ مُفيدان، الفلاسِفَةُ قالُوا هُوَ فاعِلٌ لِطَبْعٍ وَعِلَّةٍ وَلَيْسَ مُخْتاراً ومِنْ ثُمَّ فالتَّضَرُّعُ لا يُغَيِّرُ الطَّبْع

قَوْمُ يُونُسَ عِنْدَما ظَهَرَ لَهُمُ البلاء، الغَيْمُ المَمْلُوءُ بالنَّارِ انْفَصَلَ عَنِ السَّماء؛
يُطْلِقُ البَرْقَ يَحْرِقُ الصَّخْر، والغَيْمُ يُرْعِدُ والوُجُوهُ تَشْحُب؛
كانَ الجَميعُ على أَسْطُحِ المنازِلِ في اللَّيْل، حِيْنَ ظَهَرَتْ تِلْكَ الكُرَبُ مِنْ أعلى؛
فَنَزَلَ الجَميعُ عَنِ الأَسْطُحِ للأسْفَل، وَمَضَوا حاسِري الرُّؤوسِ جِهَةَ الصَّحراء؛
الأُمَّهاتُ أَخْرَجْنَ أَطْفالَهُنَّ، كَيْ يَقُومَ الجَميعُ بالبُكاءِ والعَويل؛
مِنْ صلاةِ اللَّيْلِ إلى وَقْتِ السَّحَر، أولئكَ القَوْمُ يَحْثُونَ التُّرابَ على الرُّؤوس؛

الكُلُّ كانَ يَعِجُّ بالبُكاء، فَنَزَلَتِ الرَّحْمَةُ على رُؤوسِ أولئكَ القَومِ اللُّدّ؛
مِنْ بَعْدِ اليَأْسِ والآهاتِ بلا أمَل، بَدَأَ الغَيْمُ بالإنْقِشاعِ شَيْئاً فَشَيْئاً؛
حَديثُ قِصَّةِ يُونُسَ طَويلٌ عَريض، وهذا الوَقْتُ للتُّرابِ والحديثِ المُسْتَفيض؛
ما دامَ للتَّضَرُّعِ للحَقِّ كُلُّ هذا القَدْر، فَأَيْنَ ذلِكَ الأجْرُ الكائنُ للضَّراعَةِ هُناك؛
الأَمَلُ الآنَ هَيَّا تَحَزَّمْ بإحكام، اِنْهَضْ أَيُّها الباكي واضْحَكْ دائماً؛
فَقَدْ جَعَلَ المَلِكُ المَجِيْدُ الدَّمْعَ، مُساوِياً لِدَمِ الشَّهِيْدِ في الفَضْل؛

إرسالُ إسرافيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ أنْ خُذْ حَفْنَةً مِنَ التُّرابِ مِنْ أجْلِ تَرْكِيْبِ جِسْمِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام

إلهُنا قالَ لإسْرافيل، اِذْهَبْ وامْلأِ الكَفَّ مِنْ ذلِكَ التُّرابِ وَأَقْبِلْ؛
فَجاءَ إسرافيلُ أيْضاً إلى الأرْض، وَبَدَأَ إقْليمُ التُّرابِ بالحَنينِ مِنْ جَديد؛
أنْ أَيْ مَلَكَ الصُّوْرِ وَأَيْ بَحْرَ الحَياة، الَّذي مِنْ أنفاسِكَ يجِدُ المَواتُ الحَياة؛
يَرْتَفِعُ مِنَ الصُّورِ صَوتٌ عَظيم، فَيَمْتَلِئُ المَحْشَرُ بالخلائقِ مِنَ الرَّميم؛
تَنْفخُ في الصُّورِ مُطْلِقاً النِّداء، اِنْهَضُوا أَيْ مَقْتُولي كَربلاء؛
يا مَنْ رَأَيْتُمُ الهلاكَ مِنْ سَيْفِ المَوت،اِرْفَعُوا الرَّأْسَ مِنَ التُّرابِ كالْغُصْنِ والوَرَق؛
بِرَحْمَتِكَ وَنَفَسِكَ الجاذِبِ ذاك، يَصيرُ هذا العالَمُ مِنْ إحيائكَ مَملوءاً؛
أنتَ رَسُولُ رَحْمَةٍ أظْهِرِ الرَّحْمَة، أنتَ حامِلٌ للعَرْشِ وَقِبْلَةٌ للعطايا؛
العَرْشُ مَعْدِنُ مَحَلِّ العَطاءِ والمَعْدِلَة، تَحْتَهُ أَرْبَعَةُ أنهارٍ مَمْلُوءَةٍ بالمَغْفِرَة؛
نَهْرُ لَبَنٍ وَنَهْرُ شَهْدٍ خالِدان، وَنَهْرُ خَمْرٍ وَدِجْلَةُ ماءٍ جارِيان؛
تَجْري مِنَ العَرْشِ إلى عالَمِ الجِنان، وَيَظْهَرُ مِنْها في الدُّنيا شَيْءٌ ضَئيلٌ أَيْضاً؛
رَغْمَ أنَّ تِلْكَ الأَرْبَعَةَ مُلَوَّثَةٌ هُنا، مُلَوَّثَةٌ مِمَّ ؟ مِنْ سُمِّ الفَناءِ وَسُوءِ الطَّعْم؛

صُبَّتْ جُرْعَةٌ على التُّرابِ الكَدِر، مِنْ تِلْكَ الأَرْبَعَةِ وأُثيرَتْ فِتْنَة؛
لِكَيْ يَبْحَثَ هؤلاءِ الأخِسَّاءُ عَنْ أَصْلِ ذاك، فصارَ هؤلاءِ اللُّؤماءُ قانِعينَ بِهذا؛
أعطى عَطاءَ اللَّبَنِ والنَّماءِ للأطْفال، جَعَلَ في صَدْرِ كُلِّ امْرَأَةٍ عَيْناً؛
الخَمْرُ لِدَفْعِ الغُصَّةِ والوَهْم، جَعَلَ العَيْنَ مِنَ العِنَبِ في الاجْتِراء؛
العَسَلُ دَواءٌ لِبَدَنِ المَريض، جَعَلَ العَيْنَ في باطِنِ النَّحْلَة؛
عَطاءُ الماءِ عامٌّ للأصْلِ والفَرْع، مِنْ أجْلِ الطُّهْرِ وَمِنْ أجْلِ الكَرْع؛
حَتَّى مِنْ هذِهِ تَنْقُلُ الخُطى نَحْوَ الأُصُول، فَصِرْتَ قانِعاً بِهذِهِ أيْ بو الفُضُول؛
اِسْمَعِ الآنَ ما جَرى للتُّراب، ماذا يقُولُ مِنْ قَوْلِ حِيْلَةٍ كمِحْراك؛
صارَ عَبُوساً أمامَ إسرافيل، جاءَ بِمِئَةِ نَوْعٍ مِنَ الإشْكالِ والتَّمَلُّق؛
أنْ بِحَقِّ الذَّاتِ الطَّاهِرَةِ لِذي الجلال، لا تَجْعَلْ هذا القَهْرَ حلالاً عَلَيّ؛
أنا أجِدُ عَبيراً مِنْ هذا التَّقْليب، إنَّ ظَنَّاً سَيِّئاً يَجري في رأسي؛
أنتَ رَسُولُ رَحْمَةٍ أظْهِرِ الرَّحْمَة، ذلِكَ لأنَّ طائرَ الهما لا يؤذي طائراً؛
أَيْ شِفاءً وَرَحْمَةً لأصْحابِ الأَلَم، أنتَ كُنْ كذلِكَ فكِلاهُما يَفْعَلُ الخَير؛
فَعادَ إسرافيلُ مُسْرِعاً للمَلِك، قالَ عُذْرَهُ وَذَكَرَ ما جَرى عِنْدَ الإله؛
أنْ في الظَّاهِرِ أَمَرْتَ أنْ خُذْ، وفي الضَّميرِ أَعْطَيْتَ الإلهامَ عَكْسَ هذا؛
لَقَدْ أَمَرْتَ الأمْرَ جِهَةَ الأُذُنِ أنْ خُذْ ، وَقُمْتَ بالنَّهْيِ مِنَ القَساوَةِ جِهَةَ الوَعْي؛

إرسالُ عزرائيل مَلِكِ العَزْمِ والحَزْمِ عَلَيْهِ السَّلام بأخْذِ
حَفْنَةٍ مِنَ التُّرابِ لِيَصيرَ جِسْمُ آدَمَ مُسَوَّىً سَريعاً

قالَ اللهُ سريعاً لِعِزرائيلَ أَسْرِعْ، أُنْظُرْ ذاكَ التُّرابَ المَمْلُوءَ بالتَّخْييل؛
وَلْتَجِدْ تِلْكَ العَجُوزَ الضَّعِيْفَةَ الظَّالِمَة، وأحْضِرْ قَبْضَةً مِنَ التُّرابِ سَريعاً؛
ذَهَبَ عِزرائيلُ ضابِطُ القَضاء، نَحْوَ كُرَةِ التُّرابِ لأجْلِ الإقْتِضاء؛

وَشَرَعَ التُّرابُ بالبُكاءِ وِفْقَ القانُون، وَأَقْسَمَ عَلَيْهِ وَكَمْ أَقْسَمَ مِنَ الأَيْمان؛
أنْ أَيُّها الغُلامُ الخاصُّ أيْ حَمّالَ العَرْش، أيْ مُطاعَ الأمْرِ في العَرْشِ والفَرْش؛
بِحَقِّ رَحْمَةِ الرَّحْمنِ الفَرْدِ اذْهَبْ، بِحَقِّ ذاكَ الَّذي أعطاكَ اللُّطْفَ اذْهَبْ؛
بِحَقِّ المَلِكِ الَّذي لا مَعْبُودَ سِواه، والَّذي لا يُرَدُّ عِنْدَهُ بُكاءُ شَخْص؛
قالَ لا أَسْتَطيعُ بِهذا التَّمَلُّقِ أنْ ، أرْجِعَ عَنْ أمْرِ آمِرِ السِّرِّ والعَلَن؛
قالَ أخيراً هُوَ يَأمُرُ بالحِلْم، كلاهُما أمْرٌ فَخُذْ ذاكَ مِنْ طَرِيقِ العِلْم؛
قالَ هذا تأويلٌ أو هذا قِياس، في صَريحِ الأمْرِ لا تَطْلُبِ الإلْتِباس؛
مِنَ الأفْضَلِ أنْ تَقُومَ بِتَأْويلِ فِكْرِكَ، لا أنْ تَقُومَ بِتَأويلِ غَيْرِ المُتَشابِهِ هذا؛
قَلبي يقومُ بِحَرْقي مِنْ ضراعَتِك، صَدْري امْتَلأَ بالدَّمِ مِنْ مائكَ المُضْطَرِب؛
لَسْتُ بلا رَحْمَةٍ بَلْ رَحْمَتي أَلَمَ المُتَأَلِّم، أَكْثَرُ مِنْ رَحْمَةِ أولئكَ الثَّلاثَةِ الطَّاهِرين؛
إذا كُنْتُ قُمْتُ بِلَطْمِ ذاكَ اليَتيم، وإذا كانَ أعْطاهُ الحَلْوى باليَدِ ذاكَ الحَليم؛
هذهِ اللَّطْمَةُ أَلَذُّ مِنْ حَلْواه، وَلَو صارَ هُوَ مَغْرُوراً بِحَلْواه؛
مِنْ بُكائكَ كَبِدي تَحْتَرِق، لكِنَّ الحَقَّ يَظَلُّ يُعطيني اللُّطْف؛
اللُّطْفُ مَخْفِيٌّ في العِقاب، في العِقابِ اخْتَفى عقيقٌ غالٍ بلا ثَمَن؛
قَهْرُ الحَقِّ أفْضَلُ مِنْ مِئَةِ حِلْمٍ مِنّي، مَنْعُ الرُّوحِ عَنِ الحَقِّ نَزْعٌ للرُّوح؛
أسْوَأُ قَهْرٍ مِنْهُ أفْضَلُ مِنْ حِلْمِ الكَونَيْن، نِعْمَ رَبُّ العالَمِيْنَ وَنِعْمَ العَون؛
الأَلْطافُ مُضْمَرَةٌ في قَهْرِه، تَسْليمُ الرُّوحِ مِنْ أجْلِهِ زيادَةٌ في الرُّوح؛
ألا فَدَعْ سُوءَ الظَّنِّ والضَّلال، اِجْعَلِ الرَّأْسَ قَدَماً إنْ قالَ لَكَ تَعالْ؛
تَعالَ تِلْكَ مِنْهُ تَهَبُ التَّعالي، تَهَبُ السُّكْرَ والرِّفْقَةَ والسُّرُور؛
لا أَسْتَطِيْعُ إهْمالَ ذاكَ الأمْرِ السَّنِيّ، ولا التَّهاوُنَ في شَأْنِهِ والاِعْوِجاج؛
ذاكَ التُّرابُ الحَزينُ سَمِعَ كُلَّ هذا، وكانَ قَيْدٌ على أُذُنِهِ مِنْ ظَنِّ السُّوءِ ذاك؛
فَجاءَ ذاكَ التُّرابُ الحَضِيْضُ بِلَونٍ آخَر، وراحَ بالتَّضَرُّعِ كالسَّكْرانَ وبالسُّجُود؛

قالَ كلَّا انْهَضْ فلا ضَرَرَ مِنْ هذا، رَأْسِيْ وَرُوحِيْ لِهذا رَهْنٌ وَضَمان؛
لا تُفَكِّرْ عَبَثاً ولا تَتَضَرَّعْ أَكْثَر، إلَّا لِذلِكَ المَلِكِ الرَّحيمِ العادِل؛
أنا عَبْدُ أَمْرِهِ فلا أَقْدِرُ على التَّراجُع ، عَنْ أمْرِهِ الَّذي يُثيرُ الغُبارَ مِنَ البَحْر؛
إلَّا مِنْ خلَّاقِ الأُذُنِ والعَيْنِ والرَّأْسِ، لا أَسْمَعُ الخَيْرَ والشَّرَّ حَتَّى مِنْ روحي؛
أُذُني عَنْ قَوْلِ غَيْرِهِ صَمَّاء، هُوَ عِنْدي أَعَزُّ مِنْ رُوحِيَ العَذْبَة؛
الرُّوحُ أَتَتْ مِنْهُ، لَمْ يَأْتِ مِنَ الرُّوح، وأعطى مِئاتِ أُلُوفِ الأرواحِ بالمجّان؛
مَنْ تَكُونُ الرُّوحُ لأخْتارَها على الكريم، وما يَكُونُ البَرْغُوثُ لأحْرِقَ مِنْهُ اللِّحاف؛
أنا لا أعْرِفُ خَيْراً سِوى خَيْرِه ، أنا صُمٌّ وَبُكْمٌ وَعُمْيٌ عَنْ غَيْرِه؛
أُذُنِيْ عَنِ المُتَضَرِّعِيْنَ صَمَّاء، فأنا في كَفِّهِ كَمِثْلِ السِّنان؛

بيانٌ في أنَّ ذلِكَ الشَّخْصَ الَّذي وَصَلَكَ مِنْهُ ظُلْمٌ هُوَ في الحَقِيْقَةِ مِثْلُ آلَةٍ، العارِفُ ذاكَ الَّذي يَرْجِعُ إلى الحَقِّ لا إلى الآلَة، وإذا قامَ بالرُّجُوعِ إلى الآلَةِ فذاكَ بالظَّاهِرِ وَلَمْ يَفْعَلْ ذاكَ مِنَ الجَهْل، بَلْ مِنْ أَجْلِ مَصْلَحَةٍ ، وهكذا قالَ بايَزيد قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ ، أنْ مُنْذُ سِنينَ لَمْ أتَحَدَّثْ مَعَ مَخْلُوقٍ وَلَمْ أَسْمَعْ حَديثاً مِنْ مَخْلُوق ، والخَلْقُ يَظُنُّونَ أنَّنيْ أَتَحَدَّثُ إلَيْهِم ، وأنَّنيْ أَسْمَعُ مِنْهُم ، لأنَّهُمْ لا يَرَونَ المُخاطَبَ الأكْبَر ، فإنَّهُمْ مِثْلَ صَدىً لَهُ نِسْبَةٌ إلى حالَتي ، والتِفاتُ المُسْتَمِعِ العاقِلِ لا يكونُ إلى الصَّدى، كما في المَثَلِ المَعْرُوف: *قالَ الجِدارُ للوَتَدِ لِمَ تَشُقُّني ، قالَ الوَتَدُ انْظُرْ إلى مَنْ يَدُقُّني*

لا تَطْلُبِ الرَّحْمَةَ حَمَقاً مِنَ السِّنان، أُطْلُبْها مِنَ الشَّاهِ فالسِّنانُ في يَدِه؛
كَيْفَ تَشْكُو إلى السَّيْفِ أو السِّنان، وَهُوَ أَسيرٌ في يَدِ ذاكَ السَّنِيّ؛

هُوَ بالصَّنْعَةِ آذَرُ وأنا الصَّنَم، أنا أكُونُ الآلَةَ الَّتي صَنَعَ كما صَنَع؛
إذا صَنَعَ مِنِّي كأساً أكُونُ كأساً، وإذا صَنَعَ مِنِّي خَنْجَراً أَكُونُ خَنْجَراً؛
وإذا جَعَلَ مِنِّي عَيْناً أَهَبُ ماءً، وإذا جَعَلَني ناراً أُهْدي ضياءً؛
وإذا جَعَلَني مَطَراً أُعْطِيْ مَحْصُولاً، وإذا جَعَلَني سَهْماً أنْطَلِقُ للبَدَن؛
وإذا جَعَلَني حَيَّةً أنْفثُ سُمَّاً، وإذا جَعَلَني مُعِيْناً أُعْطِيْ خِدْمَةً؛
أنا مِثْلَ القَلَمْ بَيْنَ إصْبَعَيْن، لَسْتُ في صَفِّ الطَّاعَةِ *بَيْنَ بَيْن*؛
جَعَلَ التُّرابَ القَدِيْمَ مَشْغُولاً، واخْتَطَفَ كَفَّاً مِنْ ذلِكَ التُّرابِ آنَذاك؛
اخْتَطَفَهُ مِنْ تُرابِ الأَرْضِ بِسِحْر، مِنَ التُّرابِ المَشْغُولِ بالحَديثِ كفاقِدِ النَّفْس؛
حَمَلَ إلى الحَقِّ تُرْبَةً بِلا رأْي، حَمَلَ ذاكَ الهارِبَ بالقَدَمِ إلى المَكْتَب؛
قالَ اللهُ إنَّهُ بِعِلْمِيَ المُضيء، سَأجْعَلُ مِنْكَ جَلَّادَ هؤلاءِ الخلائق؛
قالَ يا ربّ يَتَخِذُني الخَلْقُ عَدُوّاً، حِيْنَ أَضْغَطُ على حَلْقِ الخَلْقِ في المَوت؛
أَتُجِيْزُ أي إلهاً سَنِيّاً، أنْ تَجْعَلَ مِنِّي مَبْغُوضاً وَعَدُوَّ مَسْلَك؛
قالَ آتي بِأَسْبابٍ ظاهِرَةٍ للعيان، مِنْ حَرارَةٍ وَقُولَنْجٍ وَوَرَمٍ وَسِنان؛
فأُحَوِّلَ نَظَرَهُمْ عَنْكَ، إلى الأمْراضِ والأَسْبابِ المُشْتَبِكَة؛
قالَ يا ربّ إنَّ هُناكَ عَبيداً، يُمَزِّقُونَ الأَسْبابَ أَيْضاً أَيْ عَزيز؛
عَيْنُهُمْ تَكُونُ خارِقَةً للسَّبَب، تَعْبُرُ الحُجُبَ مِنْ فَضْلِ الرَّبّ؛
واجِدُو كُحْلِ التَّوحِيْدِ مِنْ كَحَّالِ الحال، مُتَحَرِّرُونَ مِنَ العِلَّةِ والاِعْتِلال؛
لا يَنْظُرُونَ في الحرارَةِ والقُولَنْجِ والسِّلّ، ولا يُعْطُونَ الطَّريقَ للقَلْبِ لِهذِهِ الأَسْبابِ؛
لأنَّ لِكُلِّ مَرَضٍ مِنْ هذِهِ الأمْراضِ دَواء، إذا لَمْ يَقْبَلِ الدَّواءَ فَذاكَ فِعْلُ القَضاء؛
كُلُّ مَرَضٍ لهُ دواءٌ اعْلَمْ يَقيناً، مِثْلَما دَواءُ أَلَمِ البَرْدِ لُبْسُ الصُّوف؛
إذا أرادَ اللهُ أنْ يُبَرِّدِ شِخْصاً، يعبُرُ البَرْدُ مِنْ مِئَةِ لِباسِ صُوف؛
وَيَجْعَلُ في وُجُودِهِ ارتِعاشاً فَذاكَ، لا باللِّباسِ يَصيرُ حَسَناً ولا بالمَسْكَن؛

إذا جاءَ القَضاءُ صارَ الطَّبيبُ أَبْلَهاً، وذاكَ الدَّواءُ يَضِلُّ الطَّرِيقَ للنَّفْع؛
مَتى يَصيرُ مَحجوباً إدراكُ البَصير، مِنْ هذِهِ الأَسْبابِ الَّتي هِيَ حِجابٌ للأَبْلَه؛
النَّظَرُ يَرى الأَصْلَ إذا كانَ أَكْمَلاً، الرَّجُلُ يَرى الفَرْعَ إذا كانَ أَحْوَلاً؛

مجيءُ الجَواب أنْ ذلِكَ الَّذي لا يكونُ نَظَرُهُ للأَسْبابِ والمَرَضِ وَجَرْحِ السَّيْف لا يكونُ نَظَرُهُ إلى عَمَلِكَ أَيْضاً فأنتَ أيْضاً سَبَبٌ رَغْمَ أَنَّكَ أخفى مِنْ تِلْكَ الأسباب، وقد لا يكونُ مَخْفِيَّاً عَنْ ذلِكَ المَريض أنْ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ولكنْ لا تُبْصِرون

قالَ اللهُ أنْ ذلِكَ الَّذي يكُونُ عالِماً بالأَصْل، متى كانَ ناظِراً إِلَيْكَ في الوَسَط؛
رَغْمَ أَنَّكَ أَخْفَيْتَ النَّفْسَ عَنِ العامَّة، أنتَ أمامَ عَيْنِ المُبْصِرينَ أَيْضاً حِجاب؛
هؤلاءِ يكونُ الأجَلُ لَهُمُ كالسُّكَّرِ اعْلَمْ، ما دامَ نَظَرُهُمْ سَكرانَ في الدُّوَل؛
مَوْتُ البَدَنِ لا يَكُونُ مُرَّاً لَهُمْ ، لأَنَّهُمْ يَذْهَبُونَ مِنَ البِئْرِ والسِّجْنِ للرَّوض؛
تَحَرَّروا مِنَ العالَمِ المَليءِ بالإِلْتِواء، لا شَخْصَ يبكي على فواتِ هَباء؛
لَوْ هَدَمَ قالِعُ الحِجارَةِ بابَ السِّجْن، لَنْ يَأْلَمَ مِنْهُ قَلْبُ السَّجينِ أَبَداً؛
أنْ أَسَفاً كَسَرَ حَجَرَ المَرْمَرِ هذا، لَتَتَحَرَّرَ أرواحُنا ونُفُوسُنا مِنَ الحَبْس؛
ذاكَ الرُّخامُ الجَميلُ وذاكَ الحَجَرُ الشَّريف، بُرْجُ السِّجْنِ مِنْهُ بَهِيٌّ وأليف؛
فَكَيْفَ كَسَرَهُ لِيَنْجُوَ السَّجين، يَجِبُ كَسْرُ يَدِهِ بِهذا الجُرْم؛
ما مِنْ سَجِيْنٍ يقولُ هذا الكلامَ الثَّقِيْلَ، إلَّا شَخْصٌ يأْخُذُونَهُ مِنَ الحَبْسِ للمَشْنَقَة؛
متى كانَ مُرَّاً لِلشَّخْصِ أنْ يُحْمَلَ، مِنْ بَيْنِ سُمِّ الأفاعي إلى الشَّهْد؛
صارَتِ الرُّوحُ مُجَرَّدَةً مِنْ غَوغاءِ البَدَن، تُحَلِّقُ بِجَناحِ القَلْبِ بلا ساقِ البَدَن؛
مِثْلَ سَجِيْنٍ في البِئْرِ ينامُ في اللَّيْل، ويرى في المنامِ في اللَّيْلِ الرَّوض؛

فَيَقُولُ أَيْ اَللهُ لا تُعِدْني للبَدَن، لِيَكُونَ لي في هذا الرَّوضِ كَرٌّ وَفَرّ؛
فَيَقُولُ لَهُ اللهُ دُعاؤكَ مُسْتَجاب، لا تَعُدْ واللهُ أَعْلَمُ بالصَّواب؛
أُنْظُرْ لِمِثْلِ هذا المنامِ كم يكُونُ جَميلاً، ذهابٌ إلى الجَنَّةِ دُونَ رُؤيَةِ المَوت؛
لَنْ يأكُلَ الحَسْرَةَ أَبَداً على الانتباه، على البَدَنِ المُقَيَّدِ بالسَّلاسِلِ في قَعْرِ البِئْر؛
مُؤمِنُ ادخُلْ أخيراً في صَفِّ الحَرْب، ففي السَّماءِ حَفْلٌ مُعَدٌّ لأجْلِك؛
على أَمَلِ الطَّريقِ للأعلى قُمْ بالقِيام، مِثْلَ الشَّمْعِ أمامَ المِحْرابِ أي غُلام؛
أمْطِرِ الدَّمْعَ واحْتَرِقْ في الطَّلَب، كالشَّمْعِ تُقْطَعُ رَأْسُهُ طِيْلَةَ اللَّيْل؛
وأغْلِقِ الشِّفاهَ عَنِ الطَّعامِ وَعَنِ الشَّراب، وأسْرِعْ سَريعاً جِهَةَ مائِدَةِ السَّماء؛
داوِمْ على الأَمَلِ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ بالسَّماء، راقِصاً كالصَّفْصافِ في هوى السَّماء؛
لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ يأتيكَ مِنَ السَّماء، الماءُ والنَّارُ وَيَزيدُ لَكَ الرِّزْق؛
فإنْ حَمَلَكَ إلى هُناكَ لا يَكُونُ عَجَبٌ، لا تَنْظُرْ إلى العَجْزِ وانْظُرْ في الطَّلَب؛
فَهَذا الطَّلَبُ مِنْكَ رَهِيْنَةُ الله، ذلَكَ أنَّ كُلَّ طالِبٍ لائقٌ بالمَطْلُوب؛
فاجْتَهِدْ كَيْ يَصيرَ هذا الطَّلَبُ زائداً، ليَصيرَ قَلْبُكَ خارِجاً مِنْ بِئْرِ البَدَن؛
وَيَقُولَ الخَلْقُ ماتَ فُلانٌ المِسْكِينُ ذاك، وأنتَ تَقُولُ أَيْ غافِلُونَ أنا حَيّ؛
إذا كانَ بَدَني هَدَأً كالأبْدانِ النَّائِمَة، فإنَّ الجَنَّاتِ الثَّمانيَ تَفَتَّحَتْ في قَلْبي؛
ما دامَتِ الرُّوحُ نائِمَةً بينَ الوَرْدِ والنِّسْرين، أَيُّ غَمٍّ إذا بَقِيَ الجِسْمُ في البَعْر؛
رُوحُ النَّائمِ ما خَبَراً تَمْلِكُ عَنِ البَدَن، أَهُوَ نائمٌ بِرَوضٍ أمْ نائمٌ في القمامة؛
الرُّوحُ في العالَمِ بِلَونْ الماءِ، صائحَةٌ تَقُولُ *يا لَيْت*؛
إذا كانَتِ رُوحُكَ لا تُريدُ الحَياةَ بلا بَدَن، *في السَّماءِ رِزْقُكُم* تكُونُ رِزْقُ مَنْ إذَنْ؛

في بيانِ وخامَةِ دَسَم وَحُلْوِ الدُّنيا ، وَمَنْعِهِ مِنْ طعامِ اللهِ كما قُرِّرَ
***الجُوعُ طَعامُ اللهِ يُحْيي بِهِ أَبْدانَ الصِّدِّيْقِين* أَيْ في الجُوعِ طَعامُ الله**
وَقَولُهُ *أَبيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنـي وَيَسْقينـي* ، وَقَولُهُ *يُرْزَقُونَ فَرِحِين*

عِنْدَما تَتَحَرَّرُ مِنْ طعامِ الفُتاتِ الكثيف، تَقَعُ في الطَّعامِ وفي القوتِ الشَّريف؛
لَوْ أَكَلْتَ مِنْ دَسَمِهِ آلافَ الأرْطال، تَمْضي عَنْهُ خَفيفاً طاهِراً كالمَلَك؛
ولا يُحْدِثُ لَكَ الحَبْسَ في الرِّيْحِ والقُولَنْج، ولا يَسْحَبُكَ مُثَبَّتاً مِنْ أَلَمِ المَعِدَة؛
إذا أَكَلْتَ قَليلاً بَقِيْتَ جائعاً كالزَّاغ، وإنْ أكَلْتَ وامْتَلأتَ أَخَذَكَ القُياءُ في الدِّماغ؛
قِلَّةُ الأكْلِ طَبْعٌ سَيِّئٌ وَيَبَسٌ وَدَقّ، والأكْلُ حَتَّى الاِمْتِلاءِ تَخَمُ بَدَنٍ مُسْتَحَقّ؛
مِنْ طعامِ اللهِ والقُوتِ الطَّيِّبِ السَّائغ، على مِثْلِ هذا البَحْرِ سِرْ كالسَّفينَة؛
كُنْ في الصَّومِ صابِراً وَمُصِرّاً ، مُنْتَظِراً القُوتَ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ مِنَ الله؛
فذاكَ الإلهُ حَسَنُ الفِعالِ الحَليم، يُعْطي الهَدايا في الاِنْتِظار؛
الرَّجُلُ الشَّبْعانُ لَيْسَ في انتِظارِ الخُبْز، أنْ سَوفَ تَأتيهِ الوَجْبَةُ سَريعاً أَمْ تَتَأَخَّر؛
الفَقيْرُ المُعْدِمُ في كُلِّ لَحْظَةٍ يَسْأَلُ أَيْن، مُنْتَظِراً في المَجاعَةِ في تَفَحُّصٍ وَطَلَب؛
إنْ لَمْ تَكُنْ مُنْتَظِراً لا يَجِيْءُ إلَيْك، نَوالُ دَوْلَةِ السَّبْعِيْنَ ضِعْفاً ذاك؛
أيُّها الأبُ الانتِظارَ الاِنْتِظار ، مِنْ أَجْلِ المائِدَةِ العُليا فِعْلَ الرِّجال؛
كُلُّ جائِعٍ في العاقِبَةِ وَجَدَ القُوت، وَشَعَّتْ عَلَيْهِ شَمْسُ الدَّولَة؛
الضَّيْفُ ذُو الهِمَّةِ إذا لمْ يَأكُلُ مِنَ الحِساء، صاحِبُ السُّفْرَةِ يأتيهِ بِحِساءٍ أَفْضَل؛
إلَّا صاحِبُ سُفْرَةٍ مُعْدِمٌ وَلَئيم، لا تَظُنَّ ظَنَّ السُّوءِ بالرَّزَّاقِ الكَريم؛
اِرْفَعِ الرَّأْسَ مِثْلَ الجَبَلِ أَيْ سَنَد، حَتَّى يَقَعَ عَلَيْكَ أَوَّلُ نُورِ الشَّمْس؛
فإنَّ رَأْسَ ذاكَ الجَبَلِ العالي المُسْتَقِرّ، هُوَ لِشَمْسِ السَّحَرِ مُنْتَظِر؛

جَوابُ ذلِكَ المُغَفَّلِ الَّذي قالَ ما أَجْمَلَ هذِهِ الدُّنيا لَو لَمْ يَكُنْ بِها مَوت، وما أَجْمَلَ مُلْكَ الدُّنيا لَو لَمْ يَكُنْ لَهُ زوال، وعلى هذِهِ الشَّاكِلَةِ مِنَ الأَقوالِ الباطِلَة

ذاكَ واحِدٌ كانَ يَقُولُ ما أَجْمَلَ الدُّنيا، لَو لَمْ تَكُنْ قَدَمُ المَوْتِ مَوجُودَةً فيها؛
ذاكَ آخَرٌ قالَ لَوْ لَمِ يكُنْ مَوتٌ، ما ساوَتْ هذِهِ الدُّنيا المُعْوَجَّةُ قشَّةً؛
كانَتْ مَحْصُولاً مُكَدَّساً في فلاة، تُرِكَ هَمْلاً فَلَمْ يُدْرَس وَلَمْ يُدَقّ؛
أمَنْ ظَنَنْتَ المَواتَ حَياةً ، وَزَرَعْتَ البِذْرَةَ في الأَرْضِ البُور؛
العَقْلُ الكاذِبُ مَعْكُوسُ الرُّؤيَة، رأى المَوتَ حَياةً أَيْ غَبين؛
أَيْ اَللهُ أظْهِرْ كُلَّ شَيْءٍ ، كما هُوَ على الحَقيقَةِ في دارِ الخِداع؛
أَيُّ مَيْتٍ لَمْ يَمْتَلِئْ حَسْرَةً مِنَ المَوت، حَسْرَتُهُ تِلْكَ تَكُونُ مِنْ قِلَّةِ الزَّاد؛
فَقَدِ انتقَلَ مِنَ البِئْرِ للصَّحْراء، إلى وَسَطِ الدَّوْلَةِ والعَيْشِ والبَسْط؛
مِنْ مقامِ المَأْتَمِ وَضِيْقِ المُناخِ هذا، تَمَّ نَقْلُهُ إلى الصَّحْراءِ الواسِعَة؛
مَقْعَدِ الصِّدْقِ لا إيوانِ الكَذِب، خَمْرِ الخاصَّةِ لا سُكْرِ الثُّفْل؛
مَقْعَدِ الصِّدْقِ الَّذي جَليسُهُ الحَقّ، تَحَرَّرَ مِنْ ماءِ وَطِيْنِ بَيْتِ النَّارِ هذا؛
إنْ لَمْ تَكُنْ عِشْتَ الحَياةَ المُشْرِقَة، فَقَدْ بَقِيَ لَكَ نَفَسٌ أو نَفَسانِ فَمُتْ كالرِّجال؛

في ما يُرْجى مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تعالى مُعْطِي النِّعَمِ قَبْلِ اسْتِحْقاقِها، *وهُوَ الَّذي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا*، وَرُبَّ بُعْدٍ يُورِثُ قُرْباً، وَرُبَّ مَعْصِيَةٍ مَيْمُونَة، وَرُبَّ سَعادَةٍ تأتي مِنْ حَيْثُ يُرْجى النِّقَم لِيَعْلَمَ أنَّ اللهَ يُبَدِّلُ سَيِّئاتِهِم حَسَنات

جاءَ في الحَديثِ أنَّهُ يومَ القِيامَةِ، يَجيءُ الأمْرُ لِكُلِّ بَدَنٍ أنْ انْهَضْ؛
نَفْخُ الصُّورِ أَمْرٌ مِنَ الإلهِ الطَّاهِرِ، أنْ ارْفَعُوا الرَّأْسَ أَيُّها الخَلْقُ مِنَ التُّراب؛
وَتَعُودُ رُوْحُ كُلِّ واحِدٍ إلى البَدَن، كما تَعُودُ لِلْبَدَنِ اليَقَظَةُ وَقْتَ الصُّبْح؛
الرُّوحُ تَعْرِفُ بَدَنَها وَقْتَ النَّهار، تَرْجِعُ إلى خرابَةِ نَفْسِها مِثْلَ الكَنْز؛
تَعْرِفُ جِسْمَ نَفْسِها وَتَذْهَبُ فيه، رُوحُ صائِغِ الذَّهَبِ مَتى تَذْهَبُ للخَيَّاط؛
رُوْحُ العالِمِ تُسْرِعُ جِهَةَ العالِم، رُوْحُ الظَّالِمِ تُسْرِعُ جِهَةَ الظَّالِم؛
فَقَدْ جَعَلَها عِلْمُ الإلهِ عالِمَةً مُمَيِّزَةً، كالتَّمييزِ بينَ الحَمَلِ والشَّاةِ وَقْتَ الصَّباح؛
القَدَمُ تَعْرِفُ حِذاءَ نَفْسِها في الظُّلَم، كيفَ لا تَعْرِفُ الرُّوحُ بَدَنَ نَفْسِها أَيْ صَنَم؛
الصُّبْحُ أَيْ مُسْتَجيرُ هُوَ الحَشْرُ الأَصْغَر، فَخُذْ عَنْهُ قِياسَ الحَشْرِ الأكْبَر؛
هكذا كما طارَتِ الرُّوحُ إلى الطِّيْن، تَطايَرُ الكُتُبُ لليسارِ ولليمين؛
يُوْضَعُ في كَفِّهِ كِتابُ البُخْلِ والجُود، والفُسْقِ والتَّقْوى وما كانَ قَدْ تَطَبَّعَ عَلَيْه؛
إذا صارَ صاحِياً مِنَ النَّومِ في السَّحَر، عادَ راجِعاً إِلَيْهِ ذلِكَ الخَيْرُ والشَّرّ؛
إنْ كانَ قامَ بالرِّياضَةِ لِطَبْعِ نَفْسِهِ، وَقْتَ اليَقَظَةِ عَيْنُ ذاكَ يَجِيْءُ إلى أمامِه؛
إنْ كانَ لَيْلَةَ الأمْسِ فَجَّاً وقبيحاً وذا ضلال، يَجِدُ كِتابَ العزاءِ الأَسْوَدَ بالشِّمال؛
إنْ كانَ لَيْلَةَ الأمْسِ طاهِراً وذا تَقْوى وَدِيْن، يَحْظى وَقْتَ اليَقَظَةِ بالدُّرِّ الثَّمين؛
يَومُنا وَيَقَظَتُنا كِلاهُما لنا، شاهِدانِ على علامَةِ المَوتِ والمَحْشَر؛
الحَشْرُ الأَصْغَرُ يُظْهِرُ الحَشْرِ الأكْبَر، والمَوْتُ الأَصْغَرُ أوْضَحَ المَوْتَ الأكْبَر؛

لكِنَّ هذا الكِتابَ خَيالٌ وَخَفِيّ، وذاكَ في الحَشْرِ الأكْبَرِ يَصيرُ عياناً؛
هذا الخيالُ هُنا خَفِيٌّ ظاهِرُ الأثَر، مِنْ هذا الخيالِ تنمو هُناكَ الصُّوَر؛
انظُرِ المُهَنْدِسَ فخيالُ المُهَنْدِسِ ذاكَ، يَكُونُ في قَلْبِهِ مِثْلَ بِذْرَةٍ في الأرْض؛
ذاكَ الخَيالُ يَخْرُجُ للخارِجِ مِنَ الدَّاخِل، مِثْلَ الأرْضِ الَّتي تَلِدُ مِنَ البُذُورِ الدَّفينَة؛
كُلُّ خيالٍ اسْتَوْطَنَ في القَلْب، سَتَصيرُ لَهُ صُورَةٌ يَومَ المَحْشَر؛
اعْرِفْ خيالَ ذاكَ المُهَنْدِسِ في الضَّمير، مِثْلَ النَّباتِ بِذْرَةً في الأرْض؛
مَخْلَصي مِنْ هذينِ المَحْشَرَيْنِ قِصَّة، للمُؤمِنينَ في بيانِها حِصَّة؛
حِيْنَ تَطْلَعُ شَمْسُ القيامَة، الحَسَنُ والسَّيِّئُ ينهضانِ مُسْرِعَيْنِ مِنَ التُّراب؛
يَصيرانِ جِهَةَ دِيوانِ القَضاء، يَدْخُلُ النَّقْدُ الحَسَنُ والنَّقْدُ السِّيِّئُ في مَوْقِدِ النَّار؛
النَّقْدُ الصَّحيحُ مَسرُورٌ وذا دلال، والنَّقْدُ الزَّائفُ في عذابٍ وفي انْصِهار؛
الامْتِحاناتُ تَصِلُ لَحْظَةً بِلَحْظَة، سِرُّ القُلُوبِ يَظْهَرُ على الجَسَد؛
كما مِنَ القَنديلِ يَظْهَرُ الماءُ والزَّيْت، أو كالتُّرابِ الَّذي تنمو أَسْرارُهُ الدَّفينَة؛
مِنَ البَصَلِ والكُرَّاثِ والخَشْخاش، يَدُ الرَّبيعِ تُظْهِرُ سِرَّ الشِّتاء؛
ذاكَ أَخْضَرُ الرَّأْسِ أنْ نَحْنُ المُتَّقُون، وذاكَ الآخَرُ ناكِسُ الرَّأْسِ كالبَنَفْسَج؛
العُيُونُ جَحَظَتْ مِنَ الخَطَر، صارَتِ العُيُونُ عَشْرَةً مِنْ خَوْفِ المُسْتَقَرّ؛
العُيُونُ مُتَوَقِّفَةٌ بالانتِظار، مَخافَةَ يَجيءُ الكِتابُ مِنَ اليَسار؛
العُيُونُ تَدُورُ لِجِهَةِ اليمينِ والشِّمال، ذاكَ أَنَّ بَخْتَ كِتابِ اليمينِ لَيْسَ سَهْلاً؛
فكِتابٌ أَسْوَدُ يَجيْءُ إلى يَدِ عَبْدٍ، كُلُّهُ مَمْلُوءٌ مِنَ الجُرْمِ والفِسْق؛
لَيْسَ فيهِ مِنْ خَيْرٍ واحِدٍ ولا تَوفيق، لَيْسَ فيهِ إلَّا أذى قَلْبِ الصَّديق؛
مَمْلُوءٌ مِنَ الرَّأْسِ للقَدَمِ مِنْ سُوءٍ وَذَنْبٍ، ومِنْ سُخْرِيَةٍ واسْتِهْزاءٍ مِنْ أَهْلِ الطَّريق؛
بِفِعْلِ الدَّغَلِ مِنْهُ والسَّرِقات، وتِلْكَ الأنا والأنانِيَةِ مِنْهُ كَفِرْعَون؛
إذا قَرَأَ ذلِكَ الثَّقيلُ كِتابَ نِفْسِه، عَلِمَ أَنَّهُ راحِلٌ إلى جِهَةِ السِّجْن؛

فَصارَ يَجْري كاللُّصوصِ جِهَةَ المَشْنَقَة، الجُرْمُ ظاهِرٌ وأُغْلِقَ طَريقُ الاِعْتِذار؛
أُلوفُ الحُجَجِ تِلْكَ وأقْوالُ السُّوء، صارَتْ على فَمِهِ كَمِسْمارِ السُّوء؛
المتاعُ المَسْروقُ على بَدَنِهِ وَفي مَنْزِلِه، صارَ ظاهِراً وَصارَ خِداعُهُ مَفْقُوداً؛
فَيَرُوحُ يَسْعى إلى سِجْنِ السَّعِير، فما للشَّوكِ مِنْ مَهْرَبٍ مِنَ النَّار؛
الملائكُ المُوَكَّلُونَ بِهِ مِنْ أمامٍ وخَلْف،كانُوا مَخْفِيّينَ وَصارُوا ظاهِرينَ كالعَسَس؛
يأخُذُونَهُ وَيَخزونَهُ بالمَياسِم، أنِ اذْهَبْ أيْ كَلْبُ إلى إِسْطَبْلِكَ وَمَعْلَفِك؛
يَجُرُّ القَدَمَ على رأْسِ كُلِّ طَريق، أنْ عسى أنْ يَقْفِزَ خارِجَ تِلْكَ البِئْر؛
يَقِفُ مُنْتَظِراً وَيَمْتَنِعُ عَنِ السَّيْر، على أَمَلِ أنْ يُدِيْرَ الوَجْهَ للخَلْفِ راجِعاً؛
وَيُمْطِرُ الدَّمْعَ كأنَّهُ مطَرُ الخَريف، يابِسَ الأمَلِ ما يمْلِكُ غَيْرَ الدَّمْع؛
وَكُلَّ لَحْظَةٍ يُديرُ الوَجْهَ للخَلْف، يُوَجِّهُ الوَجْهَ إلى العَتَبَةِ المُقَدَّسَة؛
فَيَجيءُ الأَمْرُ مِنَ الحَقّ مِنْ إقليمِ النُّور، أنْ قُولُوا لَهُ أَيُّها البَطَّالُ العُور؛
ماذا تَنْتَظِرُ أَيْ مَنْجَمَ الشَّرّ، ما نَظَرُكَ للخَلْفِ أَيْ دائِرَ الرَّأْس؛
كِتابُكَ هُوَ ذاكَ الَّذي أتاكَ باليَد، أَيْ مُخاصِمَ اللهِ وأيْ عابِدَ الشَّيْطان؛
ما دُمْتَ رَأَيْتَ كِتابَ أَعْمالِ نَفْسِك، ما نَظَرُكَ للخَلْفِ أُنْظُرْ جَزاءَ فِعْلِك؛
ما لَكَ تَقُومُ بالتَّوَقُّفِ بَعْدَ التَّوَقُّفِ سُدى، في مِثْلِ هذِهِ البِئْرِ أَيْنَ الأَمَلُ بالضِّياء؛
ما لَكَ مِنْ وَجْهِ الظَّاهِرِ طاعَة، ولا لَكَ في السِّرِّ والباطِنِ نِيَّة؛
ما لَكَ في اللَّيالي المُناجاةُ والقِيام، ولا لَكَ في النَّهارِ التَّقْوى والسَّلام؛
ولا لَكَ حِفْظُ اللِّسانِ عَنْ أَذى الغَيْر، ولا نَظَرُ الاِعْتِبارِ مِنْ أمامٍ وَخَلْف؛
الأمامُ ما يَكُونُ، ذِكْرُ المَوتِ وَنَزْعِ النَّفْس، الخَلْفُ ما يكونُ، مَوتُ الرِّفاقِ قَبْلَك؛
ما لَكَ على الظُّلْمِ تَوْبَةٌ مِلْؤها النَّشيج، أَيْ عارِضَ القَمْحِ بائِعَ الشَّعِيْرِ الماكِر؛
ما دامَ مِيْزانُكَ كانَ مائلاً وَمُنْحَرِفاً، كيفَ تَطْلُبُ مِيْزانَ الجَزاءِ بِحَقّ؛
كُنْتَ تَسْعى بالشِّمالِ في الغَدْرِ والبَخْس، فَكَيْفَ يأتيكَ الكِتابُ باليَدِ اليمين؛

بِما أنَّ الجَزاءَ كالظِّلِّ أَيْ مُنْحَنِيَ القَدّ، وَقَعَ ظِلُّكَ مُعْوَجّاً أمامَكَ أَيْضاً؛
تَجيءُ الخِطاباتُ الخَشِنَةُ مِنْ هذا القَبيل، مِمَّا يَصيرُ الجَبَلُ مِنْهُ مُعْوَجَّ الظَّهْر؛
فَيَقُولُ العَبْدُ كُلَّ ما قُلْتَ مِنْ بيان، أنا مِئَةٌ مِنْهُ مِئةٌ مِنْهُ مِئَةٌ مِنْه؛
وأنتَ سَتَرْتَ ما هُوَ أَسْوَأُ بالحِلْم، مَعَ أَنَّكَ عالِمٌ بالفَضائحِ بِعِلْم؛
لكِنْ خارِجَ الجِهادِ وَفِعْلِ النَّفْس، مِنْ وراءِ الخَيْرِ والشَّرِّ والكُفْرِ والدِّيْن؛
وَمِنْ ضَراعَةِ عَجْزِ النَّفْس، وَمِنْ خيالي وَوَهْمي أنا وَمِئَةٍ مِنّي؛
كانَ لي أَمَلٌ بِمَحْضِ لُطْفِك، مِنْ وراءِ الإِسْتِقامَةِ أو وراءَ العُتُوّ؛
بالعَطاءِ المَحْضِ مِنَ اللُّطْفِ بلا عِوَض، كانَ لِيَ الأَمَلُ أَيْ كَريمُ بلا غَرَض؛
أَدَرْتُ الوَجْهَ إلى جِهَةِ ذلِكَ الكَرَمِ المَحْض، لَسْتُ بالنَّاظِرِ إلى جِهَةِ فِعْلِ النَّفْس؛
وَجَّهْتُ الوَجْهَ إلى جِهَةِ ذلِكَ الكَرَم، الَّذي أَعْطاني الوُجُودَ مِنْ قَبْلِ القَبْل؛
خِلْعَةَ الوُجُودِ أَعْطى بلا ثَمَن، أنا كُنْتُ دائماً على ذاكَ مُعْتَمِداً؛
عِنْدَما يُعَدِّدُ أَخْطاءَهُ وَذُنُوبَهُ، مَحْضُ العَطاءِ يأْتيهِ في العَطاء؛
أَنْ أَيْ ملائكَةُ أَرْجِعُوهُ لنا، فَقَدْ كانَتْ لَهُ عَيْنُ قَلْبٍ إلى جِهَةِ الرَّجاء؛
نُحَرِّرُهُ وِفاقَ *لا أُبالي*، وَنَشْطبُ تِلْكَ الأَخْطاءَ كُلَّها؛
لا أُبالي مُباحَةٌ لِشَخْصٍ ، لَمْ يُصِبْهُ ضَرَرٌ مِنَ الغَدْرِ والصَّلاح؛
فَلْنُشْعِلْ مِنَ الكَرَمِ ناراً جَميلَةً، حَتَّى لا يبقى مِنَ الجُرْمِ أو الزَّلَّةِ كثيرٌ أو قليلٌ؛
ناراً مِنْ شُعْلَتِها أَقَلُّ شِرار، يحْرِقُ الجُرْمَ والجَبْرَ والإِخْتيار؛
نُشْعِلُ الشُّعْلَةَ في المقامِ الإنسانيّ، نُحَوِّلُ الشَّوكَ إلى رَوضِ وَرْدٍ رُوحانيّ؛
نَحْنُ أَرْسَلْنا مِنَ الفَلَكِ التَّاسِع، كِيْمياءَ *يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُم*؛
ما يَكُونُ أمامَ نُورِ المُسْتَقَرّ، كَرٌّ وَفَرٌّ اخْتيارِ أَبي البَشَر؛
آلَةُ القَوْلِ مِنْهُ قِطْعَةُ اللَّحْم، مَنْظَرُ النَّظَرِ مِنْهُ قِطْعَةُ الشَّحْم؛
مَسْمَعُهُ ذانِكَ العَظْمانِ الاِثْنان، مَدْرَكُهُ قَطْرَتا دَمٍ أَيْ الجَنان؛

دُودَةٌ مَمْلُوءَةٌ مِنَ القَذَر، وَمَلأتِ العالَمَ بالضَّجيج؛
كُنْتَ مِنَ المَني فَدَعْ قَوْلَ أنا، أي إياز تَذَكَّرْ ذلِكَ اللِّباسَ الصُّوفِي؛

قِصَّةُ إياز وامْتلاكِهِ حُجْرَةً مِنْ أَجْلِ حِذاءِهِ الجِلْدِيّ وَثَوبِ الصُّوفِ ، وَظَنُّ الحاشِيَةِ أنَّهُ يَمْتلِكُ في تِلْكَ الحُجْرَةِ كَنْزاً بِسَبَبِ إحكامِ إغلاقِ البابِ وَثِقْلِ القِفْل

ذكاءُ إيازَ ذاكَ كانَ باعِثاً لَهُ، لِتَعْليقِ حِذاءِهِ وَثَوْبِهِ مِنَ الصُّوف؛
يَذْهَبُ كُلَّ يَومٍ إلى حُجْرَةِ الخلا، أنْ انْظُرْ إلى حِذاءِكَ هذا لا تَنْظُرْ في العُلا؛
قالُوا لِلْمَلِكِ إنَّ عِنْدَهُ حُجْرَةً، فِيْها الذَّهَبُ والفِضَّةُ والجِرار؛
لا يَسْمَحُ بالدُّخُولِ إلَيْها لِشَخْصٍ، وَيُحافِظُ عَلَيْها مُقْفَلَةً دائماً؛
قالَ المَلِكُ عَجَباً لِذلِكَ العَبْد، ما الَّذي خَبَّأَ عَنَّا وَسَتَرَ عَنَّا؛
أَعْطى الإشارَةَ لأميرٍ أنْ اذْهَبْ، مُنْتَصَفَ اللَّيْلِ وافْتَحِ الحُجْرَةَ وادْخُلْها؛
وَكُلَّ ما تَجِدُ بِها اسْلبْهُ، واجْعَلْ سِرَّهُ فاشِياً على النُّدَماء؛
مَعَ كُلِّ هذا الإكرامِ واللُّطْفِ بلا عَدَد، يُخْفي الفِضَّةَ والذَّهَبَ عَنَّا مِنَ اللُّؤم؛
إنَّهُ يُظْهِرُ الوفاءَ والعِشْقَ والوَجْد، وآنَذاكَ يَعْرِضُ القَمْحَ وَيَبيعُ الشَّعِير؛
كُلُّ مَنْ وَجَدَ الحَياةَ في العِشْق، غَيْرُ العُبُودِيَّةِ عِنْدَهُ كُفْر؛
ذلِكَ الأميرُ وثلاثونَ مُعْتَمَداً، تشاوروا في فَتْحِ حُجْرَتِهِ مُنْتَصَفَ اللَّيْل؛
عَدَدٌ مِنَ الأَبْطالِ حَمَلوا المَشاعِل، وَسارُوا إلى جِهَةِ الحُجْرَةِ فَرِحين؛
أنْ بِأَمْرِ السُّلْطانِ نَحْنُ نغيرُ على الحُجْرَة، وكُلٌّ مِنَّا يأخُذُ هَمياناً مِنَ الذَّهَب؛
ذاكَ واحِدٌ قالَ ما مَحَلُّ الذَّهَب، تَحَدَّثْ عَنِ العَقيقِ والياقُوتِ وَعَنِ الجَوْهَر؛
إنَّهُ خاصُّ خاصِّ مَخْزَنِ السُّلْطان، لا بَلْ إنَّهُ الآنَ للمَلِكِ كالرُّوح؛

ما مَحَلُّ اللَّعْلِ أمامَ هذا العَشيق، وَمَحَلُّ الياقُوتِ والزُّمُرُّدِ والعَقيق؛
لَمْ يَكُنْ للشَّاهِ سُوءُ ظَنٍّ بِه، كانَ يَسْخَرُ بِهِمْ لأجْلِ الإمْتِحان؛
كانَ يَعْرِفُهُ طاهِراً مِنْ كُلِّ غِشٍّ وَغِلّ، فَعادَ مِنَ الوَهْمِ يَرْتَجِفُ قَلْبُه؛
أنْ لا كانَ ذاكَ وأنْ يَصيرَ مُتَأَلِّماً، أنا لا أُريدُ أنْ يَجْرِيَ عَلَيْهِ الخَجَل؛
إنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ هذا وإِنْ شاءَ جائزٌ لَهُ، كُلَّ ما أرادَ قُلْ افْعَلْ أَيْ مَحْبُوبَنا؛
كُلَّ ما فَعَلَ مَحْبُوبي أنا فَعَلْت، هُوَ أنا، أنا هُوَ رَغْمَ أنِّي في حِجاب؛
وَعادَ فقالَ هُوَ بَعِيْدٌ عَنْ تِلْكَ الطِّباعِ والخِصال، مِثْلُ هذا التَّخْليطِ هَذْرٌ وَخَيال؛
هذا مِنْ إياز مُحالٌ وَبَعِيْد، هُوَ بَحْرٌ لا يَظْهَرُ قَعْرُهُ هُوَ فَريد؛
سَبْعَةُ البِحارِ فيهِ قَطْرَةٌ واحِدَة، جُمْلَةُ الوُجُودِ مِنْ مَوْجِهِ رَشْحَة؛
جُمْلَةُ الطَّهاراتِ تُؤخَذُ مِنْ ذلِكَ البَحْر، قَطَراتُهُ قَطْرَةً قَطْرَةً كُلُّ قَطْرَةٍ إكسير؛
إنَّهُ مَلِكُ المُلُوكِ بَلْ صانِعُ المُلُوك، مِنْ أجْلِ عَيْنِ السُّوءِ اِسْمُهُ إياز؛
بَلْ إنَّ العُيُونَ الحَسَنَةَ لَتُؤذيه، مِنْ طَريقِ الغَيْرَةِ إذْ حُسْنُهُ بلا حَدّ؛
أُريدُ فَماً لَهُ سَعَةُ الفَلَك، حَتَّى أَقُولَ وَصْفَ الحَسَدِ لِذلِكَ المَلِك؛
وَلَوْ وَجَدْتُ فَماً وَمِثْلَهُ وَمِئَةَ مِثْل، لَقَصُرَ الصُّراخُ عَنْ هذا الحَنين؛
والقَدرُ إذا لَمْ أَقُلْ أَيْ سَيِّد، فإنَّ زُجاجَةَ القَلْبِ مِنَ الضَّعْفِ تَنْكَسِر؛
وَلَمَّا رَأَيْتُ زُجاجَةَ القَلْبِ رَقيقَةً، كَمْ مِنَ الثِّيابِ مَزَّقْتُ للتَّسْكين؛
أنا رَأْسَ كُلِّ شَهْرٍ ثلاثَةَ أَيَّامٍ أَيْ صَنَم، بلا شَكٍّ يَجِبُ أنْ أُجَنَّ ثلاثَةَ أَيَّام؛
ألا إنَّ اليَومَ أَوَّلُ الثَّلاثَةِ أَيّام، إنَّهُ يَومُ الفَتْحِ لا يَومُ الفَيْروز؛
كُلُّ قَلْبٍ يكونُ في غَمِّ الشَّاه، يكونُ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ بِرَأْسِ الشَّهْر؛
صِرْتُ مَجْنُوناً ضاعَتْ مِنَ اللَّحْن، قِصَّةُ مَحْمُود وأوصافُ إياز؛

بيان أنَّ كُلَّ ما سَيُذْكَرُ هُنا هُوَ صُورَةُ القِصَّة، وأنَّ تِلْكَ الصُّورَةَ مُلائِمَةٌ لأولئكَ الآخِذِيْنَ بالصُّورَة ، وَمُناسِبَةٌ لِمِرآةِ تَصْويرِهِم ، وَمِنَ القُدُّوسِيَّةِ الَّتي هِيَ الحَقيقَةُ الصَّحيحَةُ لِهذِهِ القِصَّة يَخْجَلُ النُّطْقُ مِنْ هذا التَّرْتيب ، وَمِنَ الخَجَلِ تَضِيْعُ الرَّأْسُ واللِّحْيَةُ والعِلْم، والعاقِلُ تَكْفِيْهِ الإشارَة

لِأنَّ فِيْلي رأى بلادَ الهِنْدِ في النَّوم، اقْطَعِ الأمَلَ مِنَ الخِراج فالقَرْيَةُ غَدَتْ خراباً؛

كَيْفَ يَأتـي النَّظْمُ لـي والقافِيَه بَعْدَما ضاعَتْ أُصُولُ العافِيَه

ما جُنُونٌ واحِدٌ لـي في الشُّجُون بَلْ جُنُونٌ في جُنُونٍ في جُنُون

ذابَ جِسْمي مِنْ إشاراتِ الكُنى مُنْذُ عايَنْتُ البَقاءَ في الفَنا

أَيْ إياز صِرْتُ مِنْ عِشْقِكَ كالشَّعْرَة، تَوَقَّفْتُ عَنْ قِصَّتِكَ قُلْ لِيَ القِصَّة؛ كَمْ قَرَأْتُ قِصَّةَ عِشْقِكَ بالرُّوح، فاقْرَأْني فَقَدْ صِرْتُ قِصَّةً؛ أَنْتَ الَّذي تَقْرَأُ لا أنا أَيْ مُقْتَدَى، أنا جَبَلُ الطُّورِ أنتَ مُوسى وَهذا الصَّدى؛ الجَبَلُ المِسْكِيْنُ ما عِلْمُهُ بالكلام، الجَبَلُ فارِغٌ مِنْ ذاكَ الَّذي يَعْلَمُ مُوسى؛ الجَبَلُ يَعْلَمُ بِقَدرِ نَفْسِهِ، البَدَنُ يَعْرِفُ القَليلَ مِنْ لُطْفِ الرُّوح؛ البَدَنُ مِثْلَ الإِصْطرلابِ للاِحْتِساب، إِنَّهُ آيَةٌ مِنَ الرُّوحِ مِثْلَ الشَّمْس؛ بِما أنَّ ذاكَ المُنَجِّمَ لَيْسَ حادَّ النَّظَر، شَرْطٌ لَهُ الفَيْضُ مِنْ رَجُلِ الإِصْطِرلاب؛ حَتَّى يَصْنَعَ لَهُ إِصْطِرلاباً، حَتَّى يَحْصَلَ على نَفْحَةٍ مِنْ عَبيرِ الشَّمْس؛ الرُّوحُ الباحِثَةُ مِنَ الاِصْطِرلابِ عَنِ الصَّواب، أَيَّ قَدْرٍ تَعْلَمُ عَنِ الفَلَكِ والشَّمْس؛ وَأَنْتَ الَّذي تَنْظُرُ مِنْ إِصْطِرلابِ العَيْن، أَنتَ في رُؤيَةِ العالَمِ يَقيناً قاصِرٌ جِدّاً؛ أَنْتَ رَأَيْتَ العالَمَ على قَدْرِ العَيْن، أَيْنَ العالَمُ لِمَ مَسَحْتَ الشّارِب؛ إنَّ للعارِفِيْنَ كُحْلاً فاطْلُبْ ذاك، حَتَّى هذِهِ العَيْنُ كالجَدْوَلِ تَصِيْرُ كالبَحْر؛

لَو كانَ مَعِيْ ذَرَّةٌ مِنَ العَقْلِ والوَعْي، ما هذا الهَوَسُ والتَّخْليطُ في الحَديث؛
بما أنَّ لُبِّي خالٍ مِنَ العَقْلِ والوَعْي، ما يَكُونُ ذَنبي في هذا التَّخْليط؛
أَلَيْسَ الذَّنْبُ ذَنْبَهُ فَقَدْ أَخَذَ عَقْلي، عَقْلُ جُمْلَةِ العاقِلِيْنَ ماتَ أمامَه؛

يا مُجِيْرَ العَقْلِ فَتَّانَ الحِجى ما سِواكَ للعُقُولِ مُرْتَجى

ما اشْتَهَيْتُ العَقْلَ مُذْ جَنَّنْتَني ما حَسَدْتُ الحُسْنَ مُذْ زَيَّنْتَني

هَلْ جُنوني في هَواكَ مُسْتَطاب قُلْ بلى واللّهُ يَجْزيكَ الثَّواب

تَكَلَّمَ بالعَرَبِيَّةِ أمْ بالفارِسِيَّةِ سَواءً، أَيْنَ أُذُنٌ تَصِلُ لِفَهْمِهِ وَعَقْل؛
إنَّ خَمْرَتَهُ لا تُلائمُ كُلَّ وَعْي، وإنَّ حَلْقَتَهُ لَيْسَتْ مُسَخَّرَةً لِكُلِّ أُذُن؛
مَرَّةً أُخْرى أَتَيْتُ كالمَجْنُون، اِذْهَبْ اذْهَبْ أَيْ حَبيبُ مُسْرِعاً وهاتِ الزَّنْجير؛
غَيْرَ ذاكَ الزَّنْجيرِ مِنْ جَدِيْلَةِ مَعْشُوقي، لَوْ جَلَبْتَ مِئَتَيْ زَنْجِيْرٍ أُقَطِّعُها؛

حِكْمَةُ النَّظَرِ في الحِذاءِ الجِلْدِيّ والثَّوْبِ مِنَ الصُّوف أنْ فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ مِمَّ خُلِق

عُدْ بِنا إلى قِصَّةِ عِشْقِ إياز، فذاكَ كَنْزٌ فَريدٌ طافِحٌ بالأسرار؛
كُلَّ يَومٍ يَذْهَبُ إلى الحُجْرَةِ العُليا، حَتَّى يرى الحِذاءَ القَديمَ وَثَوبَ الصُّوف؛
ذاكَ أنَّ الوُجُودَ يَأتي بالسُّكْرِ الشَّديد، يَأخُذُ العَقْلَ مِنَ الرَّأْسِ والحَياءَ مِنَ القَلْب؛
كذا لِمِئاتِ أُلُوفِ القُرُونِ الماضِيَة، سُكْرُ الوُجُودِ قَطَعَ الطَّريقَ مِنْ هذا الكمين؛
عَزازيلُ مِنْ هذا السُّكْرِ صارَ إبليساً، أَنْ لِمَ يَكُونُ آدَمُ عَلَيَّ رَئيساً؛
وأنا سَيِّدٌ وابْنُ سَيِّدٍ أَيْضاً، وأنا قابِلٌ لِمِئةِ فَضْلٍ وَمُسْتَعِدّ؛
أنا في الفَضْلِ لَسْتُ أَقَلَّ مِنْ شَخْصٍ، حَتَّى أَصِيْرَ واقِفاً في الخِدْمَةِ أمامَ العَدُوّ؛
أنا مَولُودٌ مِنَ النَّارِ وَهُوَ مِنَ الوَحَل، ما هُوَ الوَحَلُ أمامَ النَّارِ وأيُّ مَحَلّ؛

هُوَ أَيْنَ كانَ في ذلِكَ الدَّوْرِ إذْ كُنْتُ، صَدْرَ العالَمِ وَكُنْتُ فَخْرَ الزَّمَن؛

خَلَقَ الجانَّ مِنْ مارِجٍ مِنْ نار وَقَوْلُهُ تَعالى
في حَقِّ إبليس ***إِنَّهُ كانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَق***

نارُ رُوحِ السَّفيهِ كانَتْ تُطْلِقُ الشُّعَل، كانَ مِنَ النَّارِ *والوَلَدُ سِرُّ أَبيه*؛
لا ، غَلَطْتُ ذاكَ قَهْرُ الله، لِماذا القيامُ بِتَقْدِيْمِ عِلَّة؛
الفِعْلُ بلا عِلَّةٍ مُبَرَّأٌ مِنَ العِلَل، وَمُسْتَمِرٌّ وَمُسْتَقِلٌّ مُنْذُ الأَجَل؛
في كَمالِ الصُّنْعِ الطَّاهِرِ المُسْتَحَثّ، ما مَحَلُّ عِلَّةِ الحادِثِ أوِ الحَدَث؛
سِرُّ الأبِ ما يَكُونُ وأبُونا صُنْعُه، الصُّنْعُ لُبٌّ وأبُ الصُّورَةِ كالقِشْر؛
اِعْرِفِ العِشْقَ رَفيقاً لَكَ أَيْ بُنْدُقَ البَدَن، رُوحُكَ تَطْلُبُ اللُّبَّ وَتَحطِمُ القِشْر؛
مَنْ كانَ رَفيقَهُ القِشْرُ جَهَنَّمِيّ، يُعْطى الجِلْدَ مِنْ بَدَّلناهُم جُلُوداً؛
مَعناكَ وَلُبُّكَ حاكِمانِ على النَّار، لكِنَّ قُشُورَكَ حَطَبٌ للنَّار؛
كُوزُ الخَشَبِ الَّذي بِهِ ماءُ النَّهْر، قُدْرَةُ النَّارِ كُلُّها على ظَرْفِه؛
مَعْنى الإنسانِ مالِكٌ على النَّار، مالِكُ النَّارِ متى يكُونُ هالِكاً فيها؛
فلا تَزِدْ في بَدَنِكَ وَزِدْ في المَعْنى، حَتَّى تَصيرَ مِثْلَ مالِكٍ، سَيِّداً على النَّار؛
وأنتَ تَزيدُ القُشُورَ على القُشُور، لا جَرَمَ أنتَ كالقِشْرِ في هباءِ النَّار؛
ذلِكَ أنَّ النَّارَ ما لَها غَيرَ القِشْرِ مِنْ عَلَف، قَهْرُ الحَقِّ ينزعُ قِشْرَ ذاكَ الكِبْر؛
هذا التَّكَبُّرُ مِنْ نَتيجَةِ القِشْر، الجاهُ والمالُ مِنْ ذاكَ صَديقانِ للكِبْر؛
هذا التَّكَبُّرُ ما دامَ غَفْلَةً عَنِ اللُّباب، مُنْجَمِدٌ كَغَفْلَةِ الثَّلْجِ عَنِ الشَّمْس؛
إذا صارَ خَبيراً بالشَّمْسِ لا يَظَلُّ ثَلْجاً، يَصيرُ لَيِّناً وَيَصِيْرُ حارَّاً ويجري مُسْرِعاً؛
صارَ البَدَنُ كُلُّهُ مِنْ رُؤيَةِ اللُّبِّ في طَمَع، صارَ ذليلاً وعاشِقاً، ذَلَّ مَنْ طَمَع؛

لَمَّا لَمْ يَرَ اللُّبَّ ظَلَّ قانِعاً بالقِشْر، صارَتْ لَهُ السِّجْنَ عَزَّ مَنْ قَنَع؛
العِزَّةُ هُنا مَجُوسِيَّةٌ والذُّلُّ للدِّين، الصَّخْرُ ما لَمْ يَفْنَ لا يصيرُ فَصَّ خاتَم؛
أنتَ في مقامِ الصَّخْرِ وَتَقُولُ أنا، الوَقْتُ لَكَ وَقْتُ المَسْكَنَةِ والفَنا؛
مِنْ ذلِكَ يَبْحَثُ عَنِ الجاهِ والمالِ الكِبْر، المَوْقِدُ ينالُ الكمالَ مِنَ البَعْر؛
فهذانِ الحاضِنانِ يَزيدانِ في القِشْر، وَيَحْشُوانِهِ بالشَّحْمِ واللَّحْمِ والنَّخْوَةِ والكِبْر؛
ولا يَرْفَعانِ النَّظَرَ إلى لُبِّ اللُّبّ، مِنْ ذلِكَ الوَجْهِ يَظُنَّانِ القِشْرَ لُبَّاً؛
كانَ إبليسُ قائداً في هذا الطَّريق، فَقَدْ وَقَعَ صَيْداً في شَبَكَةِ الجاه؛
المالُ مِثْلَ الحَيَّةِ وذاكَ الجاهُ ثُعْبان، ظِلُّ الرِّجالِ زُمُرُّدٌ لِهذَيْنِ الاِثْنَيْن؛
مِنْ ذلِكَ الزُّمُرُّدِ نَظَرُ الحَيَّةِ يَنْخَلِع، فَتَصيرُ الحَيَّةُ عَمْياءَ وَيَنْجُو السَّالِك؛
وَضَعَ الشَّوكَ على الطَّريقِ ذاكَ الرَّئيس، فَكُلُّ مَنْ تَأَلَّمَ يَقُولُ اللَّعْنَةُ على إبليس؛
يَعْني هذا الغَمُّ أَلَمَّ بي مِنْ غَدْرِه، ذاكَ المُقْتَدَى لَهُ قَدَمٌ سابِقَةٌ في الغَدْر؛
القُرُونُ بَعْدَ القُرُونِ جاءَتْ مِنْ بَعْدِه، وَالجَميعُ سارُوا على سُنَّتِه؛
كُلُّ مَنْ سَنَّ سُنَّةَ السُّوءِ أَيْ فَتى، إلى أَنْ سَقَطَ بَعْدَهُ الخَلْقُ مِنَ العَمى؛
اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ كُلُّ تِلْكَ المعاصي، كانَ رَأْساً وكانَ الجَميعُ كالذَّنَبِ المُتَّصِل؛
لكِنَّ الآدَمِيَّ كانَ يَضَعُ أمامَهُ النَّعْل، وَيَضَعُ ثَوْبَ الصُّوفِ أَنْ أنا مِنَ الطِّيْن؛
لَمَّا صارَ إِيازُ دائِمَ الوُرُودِ على حِذائِهِ ذاكَ، لا جَرَمَ صارَ في العاقِبَةِ مَحْمُوداً؛
الوُجُودُ المُطْلَقُ عامِلٌ في العَدَم، اِقْتَلِعْ مَعْمَلَ الوُجُودِ، غَيْرُ العَدَمِ ما يكُون؛
ما مِنْ أَحَدٍ يَكْتُبُ فَوْقَ مَكْتُوب، أو يَغْرِسُ غُصْناً فَوْقَ غُصْنٍ مَغْرُوس؛
بَلْ يَبْحَثُ عَنْ وَرَقَةٍ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْها، وَيَزْرَعُ البِذْرَةَ في مَوْضعٍ غَيْرِ مَزْرُوع؛
فَكُنْ أَيُّها الأخُ مَوضعاً غَيْرَ مَزروع، كُنْ وَرَقَةً بيضاءَ غَيرُ مَكْتُوبٍ عَلَيْها؛
حَتَّى تَصيرَ مُشَرَّفاً مِنْ نُونَ والقَلَم، حَتَّى يَزْرَعَ بِكَ البِذْرَةَ ذُو الكَرَم؛
خُذْ مِنْ ذلِكَ العَذْبِ المُصَفَّى الَّذي لَمْ يُلْعَقْ، خُذْ مِنَ المَطْبَخِ الَّذي لَمْ تَرَهُ عَيْن؛

لِأنَّ مِنْ هذا المَأكَلِ العَذْبِ سُكْرٌ، وَيُذْهِبُ ذِكْرَ الخَلَقِ والنَّعْلِ القَديمِ مِنَ الفِكْرِ؛
وَحِيْنَ يَطْلَعُ النَّزْعُ والمَوْتُ تُطْلِقُ الآه، وَتَذْكُرُ الخَلَقَ والحِذاءَ القَديمَ آنَذاك؛
ما دُمْتَ غَريقَ مَوْجِ القُبْحِ، حَيْثُ لا مَلْجَأَ هُناكَ ولا ظَهِير؛
لَنْ تَتَذَكَّرَ سَفينَةَ الصِّدْق، وَلَنْ تَنْظُرَ في الحِذاءِ القَديمِ وَثَوبِ الصُّوف؛
بما أنَّكَ بَقيتَ في دَوَّامَةِ الفَناء، اِجْعَلْ مِنْ *ظَلَمْنا* وِرْداً على الوَلاء؛
يَقُولُ الشَّيْطانُ انْظُرُوا هذا الفَجّ، اِقْطَعُوا رَأْسَ هذا الطَّائِرِ بلا وَقْت؛
هذِهِ الخَصْلَةُ بَعِيْدَةٌ عَنْ فَضائِلِ إياز، أنْ تَظْهَرَ صلاتُهُ وَلَيْسَتْ بِصَلاة؛
هُوَ كانَ دِيْكَ السَّماءِ مِنْ قَبْل، صِياحُهُ كانَ كُلُّهُ دائماً في وَقْتِه؛

في مَعْنى *أرِنا الأشياءَ كما هِيَ* ، ومعنى *لَوْ كُشِفَ لِيَ الغِطاءُ ما ازْدَدْتُ يَقيناً* ، وقَولُهُ :

في كُلِّ ما تنظُرُ إلَيْهِ مِنْ عَيْنِ السُّوء، أنتَ تَنْظُرُ إلَيْهِ
مِنْ نافِذَةِ وُجُودِك ، السَّاقُ العَوجاءُ تُلْقي ظِلَّاً أَعْوج

أَيْ دِيَكَةُ تَعَلَّمِي الصِّياحَ مِنْه، فَهُوَ يَصِيْحُ لأجْلِ الحَقِّ لا مِنْ أَجْلِ دانِق؛
يَجِيْءُ الصُّبْحُ الكاذِبُ ولا يَخْدَعُه، الصُّبْحُ الكاذِبُ العالَمُ وَخَيْرُهُ وَشَرُّه؛
أَهْلُ الدُّنيا ناقِصُو عُقُول، حَتَّى ظَنُّوهُ الصُّبْحَ الصَّادِق؛
الصُّبْحُ الكاذِبُ كَمْ أَضَلَّ القَوافِل، الَّتي كانَتْ خَرَجَتْ على عَبيرِ النَّهار؛
لا كانَ الصُّبْحُ الكاذِبُ قائداً للخَلْق، فَكَمْ أَعْطى مِنَ القَوافِلِ للرِّيْح؛
أَيْ مَنْ صِرْتَ رَهِيْنَةً للصُّبْحِ الكاذِب، لا تَرَ الصُّبْحَ الصَّادِقَ أَيْضاً كاذِباً؛
إنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ أمانٌ مِنَ النِّفاقِ والسُّوء، مِمَّ لَدَيْكَ ظَنُّ السُّوءِ على أخِيْك؛

وَظانُّ السُّوءِ دائماً قَبيحُ الفِعْل، وَيَقْرَأُ في حَقِّ الصَّديقِ كِتابَهُ هُوَ؛
أولئكَ الأخِسَّاءُ الباقُونَ في الاِعْوِجاج، قالُوا عَنِ الأنبياءِ ساحِرُونَ وَمُنْحَرِفُون؛
وأولئكَ الأُمَراءُ أخِسَّاءُ القُلُوب، حَمَلُوا هذا الظَّنَّ على حُجْرَةِ إياز؛
أنْ هُوَ يَمْلِكُ دَفينَةً وَكَنْزاً في تِلْكَ الدَّفِيْنَة، مِنْ مِرآةِ نَفْسِكَ لا تَنْظُرْ لِلآخَرين؛
الشَّاهُ كانَ عالِماً بِطَهارَتِه، وقامَ بِهذا البَحْثِ والفَحْصِ مِنْ أجْلِهِم؛
أنْ أَيْ أميرُ افْتَحْ بابَ تِلْكَ الحُجْرَة، مُنْتَصَفَ اللَّيْلِ وَهُوَ غافِلٌ عَنْ ذاك؛
حَتَّى يَصِيْرَ فِكْرُهُ السَّيِّئُ ظاهِراً، وَمِنْ بَعْدِ ذلِكَ عِقابُهُ عَلَيْنا؛
أَنْ أنا وَهَبْتُكُمْ ذلِكَ الذَّهَبَ والجَوْهَرَ، أنا مِنْ ذلِكَ الذَّهَبِ لا أَطْلُبُ غَيْرَ الخَبَر؛
يَقُولُ هذا وَقَلْبُهُ يَخْفِقُ ، مِنْ أجْلِ ذاكَ الإِياز بلا نَديد؛
أنْ أهذا أنا الَّذي يَجْري هذا على لِساني، إذا هُوَ سَمِعَ هذا الجَفاءَ كَيْفَ يَصير؛
وَيَعُودُ فَيَقُولُ وَحَقِّ دِيْنِهِ، إنَّ تَمْكِيْنَهُ لَيَزِيْدُ مِنْ هذا؛
مَتى كانَ لِيَتَطَيَّرُ بِهذا الاِفْتِراءِ مِنِّي، أو لِيَغْفَلُ عَنِ الغَرَضِ وَعَنْ السِّرّ مِنِّي؛
المُبْتَلى إذا رأى تَأويلاتِ الأَلَم، رآهُ رِبْحاً مَتى يَصِيْرُ مَقْطُوعاً مِنَ الأَلَم؛
صاحِبُ التَّأويلِ إيازُ صابِر، إنَّهُ إلى بَحْرِ العواقِبِ ناظِر؛
مِثْلَ يُوْسُفَ وَرُؤيا هذَيْنِ السَّجِيْنَيْن، كانَ تَعْبيرُها أمامَهُ عياناً؛
إذا لَمْ يَعْرِفْ تَأْوِيْلَ مَنامِهِ رَجُلُ الخَيْر، مَتى يَكُونُ واقِفاً على سِرِّ مَنامِ الغَيْر؛
لَوْ ضَرَبْتُهُ مِئَةَ ضَرْبَةِ سَيْفٍ لِلاِمْتِحان، فَلَنْ تَقِلَّ وُصْلَةُ ذاكَ الرَّحِيْم؛
فإنَّهُ يَعْلَمُ أَنِّيْ أَضْرِبُ نَفْسي بِذلِكَ السَّيْف، أنا هُوَ في الحَقِيْقَةِ وَهُوَ أنا؛

بيانُ اتِّحادِ العاشِقِ والمَعْشُوقِ مِنْ وَجْهِ الحَقيقَةِ رَغْمَ أنَّـهُما مُتَضادَّانِ مِنْ وَجْهِ أنَّ الإفْتِقارَ ضِدُّ الإسْتِغْناء، كذلِكَ المِرآةُ بلا صُورَةٍ وَبِسِيطَةٌ، وانعِدامُ الصُّورَةِ ضِدُّ الصُّورَةِ ولكِنَّ بَيْنَـهُما اتِّحاداً في الحَقيقَة ، وَشَرْحُ ذاكَ طَويل، والعاقِلُ تَكْفِيْهِ الإشارة

جِسْمُ المَجْنُونِ مِنْ أَلَمِ الفِراق، أَلَمَّ بِهِ مَرَضٌ فَجْأَةً؛
دَمُهُ جاشَ مِنْ شُعْلَةِ الاِشْتياق، حَتَّى بَدا على ذلِكَ المَجْنُونِ الخُناق؛
فَجاءَ الطَّبيبُ إلَيْهِ للمُداواة، قالَ لا حِيْلَةَ لا بُدَّ مِنَ الفَصْد؛
يَجِبُ فَصْدُ عِرْقِهِ مِنْ أَجْلِ دَفْعِ الدَّم، وَجاءَ فَصَّادٌ إلى هُناكَ ذُو فُنُون؛
رَبَطَ السَّاعِدَ وَأَمْسَكَ ذاكَ المِبْضَع، فَصَرَخَ في اللَّحْظَةِ ذُو طَبْعِ العِشْقِ ذاك؛
قالَ خُذْ أَجْرَكَ واتْرُكِ الفَصْدَ، وإذا مِتُّ قُلْ اذْهَبْ أَيُّها الجِسْمُ القَديم؛
قالَ خَيْراً ما الَّذي تَخافُ مِنْ هذا، ما دُمْتَ لا تَخافُ مِنْ أَسَدِ العَرين؛
الأَسَدُ والذِّئْبُ والدُّبُّ وَحِمارُ الوَحْشِ والوَحْش، تَجَمَّعَتْ حَوْلَكَ حَلْقَةً فَوْقَ حَلْقَة؛
فلم يكُنْ يَصِلُ إِلَيها مِنْكَ رائِحَةُ بَشَر، مِنْ شِدَّةِ العِشْقِ والوَجْدِ مِنْكَ في الكَبِد؛
الذِّئْبُ والدُّبُّ والأَسَدُ تَعْرِفُ العِشْق، الأعْمى عَنِ العِشْقِ أَقَلُّ مِنَ الكَلْب؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ للكَلْبِ عِرْقُ عِشْق، مَتى كانَ كَلْبُ الكَهْفِ بَحَثَ عَنِ القَلْب؛
وَمِنْ جِنْسِهِ بالصُّورَةِ هُناكَ كلاب، وإنْ لَمْ تَصِرْ مَشْهُورَةً بالدُّنيا مِثْلَه؛
أنتَ لَمْ تَجِدِ عَبيراً للقَلْبِ في جِنْسِك، متى تَجِدُ عَبيرَ القَلْبِ مِنَ الذِّئْبِ والشَّاة؛
لَوْ لَمْ يُوجَدِ العِشْقُ مَتى وُجِدَ العالَم، مَنْ كانَ رَمى لَكَ خُبْزاً ومتى كُنْتَ صِرْت؛
خُبْزُكَ صارَ مِمَّ، مِنَ العِشْقِ والاِشْتِهاء، وإلَّا مَتى كانَ للخُبْزِ طَريقٌ إلى الرُّوح؛
العِشْقُ يَجْعَلُ مِنَ الخُبْزِ المَيْتِ رُوحاً، وَيَجْعَلُ مِنَ الرُّوحِ الفانِيَةِ رُوحاً خالِدَة؛
قالَ المَجْنُونُ أنا لا أخافُ مِنَ المِبْضَع، صَبْرِي أَزْيَدُ مِنَ الجَبَلِ مِنَ الصَّخْر؛

أنا شَريدٌ لا يَسْتَريحُ بَدَني بلا جُرْح، أنا عاشِقٌ أنا أدُورُ على الجِراح؛
لكِنَّ وُجُودي مَمْلُوءٌ مِنْ لَيْلى، هذا الصَّدَفُ مَمْلُوءٌ مِنْ صِفاتِ ذلِكَ الدُّرّ؛
أخْشى أَيْ فَصَّادُ إنْ قُمْتَ بِفَصْدي، أنْ تُصيبَ بِذلِكَ المَبْضَعِ فَجْأَةً ليلى؛
فإنَّ ذاكَ العاقِلَ الَّذي كانَ قَلْبُهُ مُضيئاً ، يَعْلَمُ أَنَّهُ لا فَرْقَ ما بَيْنَ ليلى وَبَيْني؛

سَأَلَ مَعْشُوقٌ عاشِقاً أنْ مَنْ تُحِبُّ أَكْثَرَ نَفْسَكَ أَمْ أنا ، قالَ أنا عَنْ نَفْسي مَيِّتٌ وَبِكَ حَيّ ، صِرْتُ عَدَماً عَنْ نَفْسي وَعَنْ صِفاتِ نَفْسي ، صِرْتُ مَوجُوداً بِك، عِلْمَ نَفْسي نَسيتُ وَمِنْ عِلْمِكَ صِرْتُ عالِماً، قُدْرَةَ نِفسي نَسيتُ وَمِنْ قُدْرَتِكَ صِرْتُ قادِراً، إذا أحْبَبْتُ نَفْسي أكُونُ أحْبَبْتُك، وإذا أحْبَبْتُكَ أكُونُ قَدْ أَحْبَبْتُ نَفْسي

كُلُّ مَنْ كانَتْ لَهُ مِرْآةُ اليَقِيْن رَغْمَ أَنَّهُ ناظِرٌ للنَّفْسِ يرى الله

أُخْرُجْ بِصِفاتي إلى خَلْقِيْ ، مَنْ رآكَ رآني وَمَنْ قَصَدَكَ قَصَدَني وعلى هذا

قالَ مَعْشُوقٌ لِعاشِقٍ مِنَ الامْتِحان، في الصَّبُوحِ أنْ أَيْ فُلانُ بْنُ فُلان؛
أتُحِبُّني أَكْثَرَ يا تُرى عَجَباً، أمْ تُحِبُّ نَفْسَكَ أَكْثَرَ يا ذا الكُرَب؛
قالَ أنا فيكَ صِرْتُ هكذا فانِياً ، إذْ أنا مَمْلُوءٌ مِنْكَ مِنَ الرَّأْسِ للقَدَم؛
ما عِنْدي مِنْ وُجُودي شَيْءٌ سِوى الإسْم، ما في وُجُودِيْ سِواكَ أَيْ عَذْبَ الثَّغْر؛
مِنْ ذلِكَ السَّبَبِ صِرْتُ فانِياً هكذا، مِثْلَ قَطْرَةٍ مِنَ الخَلّ فيكَ أي بَحْرَ العَسَل؛
مِثْلَ حَجَرٍ صارَ كُلُّهُ ياقُوتاً خالِصاً، صارَ مَمْلُوءاً كُلُّهُ مِنْ صِفاتِ الشَّمْس؛
وَصْفُ ذلِكَ الحَجَرِ لا يبقى فيه، فَهُوَ مَمْلُوءٌ مِنْ صِفاتِ الشَّمْسِ وَجْهاً وَظِهْراً؛
بَعْدَ ذلِكَ إذا أَحَبَّ نَفْسَهُ، تِلْكَ المَحَبَّةُ مِنْهُ مَحَبَّةٌ للشَّمْسِ أَيْ فَتى؛
وإنْ أَحَبَّ الشَّمْسَ بالرُّوح، تَكُونُ تِلْكَ المَحَبَّةُ للنَّفْسِ بلا رَيْب؛

الياقُوتُ الخالِصُ أَحَبَّ النَّفْسَ، أَمْ أَحَبَّ الشَّمْسَ ذاكَ سَواء؛
ما بَيْنَ هاتَيْنِ المَحَبَّتَيْنِ لا فَرْق، كِلا الجانِبَيْنِ ليسا غَيْرَ ضِياءِ الشَّرْق؛
ما لَمْ يَصِرْ ياقُوتاً هُوَ عَدُوٌّ نَفْسِهِ، إذ لا تَكُونُ الأنا هُناكَ واحِدَةٌ بَلْ اثْنَتان؛
ذلِكَ أَنَّ الحَجَرَ ظَلْمانِيٌّ، وَأَعْمى النَّهار في الحَقيقَةِ ظَلْمانِيٌّ وَضِدُّ النُّور؛
الكافِرُ يُحِبُّ نَفْسَهُ ، لأَنَّهُ مَنَّاعٌ للشَّمْسِ الأَكْبَر؛
غَيْرُ لائقٍ بالحَجَرِ أَنْ يَقُولَ أنا، إذْ كُلُّهُ ظلامٌ وفي الفَنا؛
قالَ فِرْعَونُ أنا الحَقُّ فَصارَ وَضِيْعاً، قالَ مَنْصُورُ أنا الحَقُّ وَصارَ حُرَّاً؛
تِلْكَ الأنا لَعْنَةُ اللهِ في العَقِبْ، وهذِهِ الأنا رَحْمَةُ اللهِ أَيْ مُحِبّ؛
ذاكَ لأَنَّ ذاكَ حَجَرٌ وهذا عَقيق، وذاكَ عَدُوٌّ للنُّورِ وهذا عَشيق؛
أنا هُوَ كانَتْ في السِّرِّ أَيْ فُضُول، مِنْ اتِّحادِ النُّورِ لا مِنْ رَأْيِ الحُلُول؛
فاجْتَهِدْ أَنْ يَقِلَّ طَبْعُ الحَجَرِ فيك، كَيْ يَصِيْرَ حَجَرُكَ أَنْوَرَ مِنْ طَبيعَةِ الياقُوت؛
فاصْبِرْ في الجِهادِ وفي العَناء، لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ تَرى البَقاءَ في الفَناء؛
وَصْفُ الحَجَرِ يَقِلُّ فيكَ لَحْظَةً بِلَحْظَة، وَصْفُ الياقُوتِ فيكَ يَصِيْرُ مُحْكَماً؛
وَصْفُ الوُجُودِ يَذْهَبُ مِنْ قالَبِك، وَصْفُ السُّكْرِ يَزيدُ في رَأْسِك؛
صِرْ سَمْعاً دُفْعَةً واحِدَةً صِرْ كالأُذُن، حَتَّى تَجِدَ قُرْطاً مِنْ حَلْقَةِ الياقُوت؛
إنْ كُنْتَ شَخْصاً احْفِرْ التُّرابَ كَحَفَّارِ البِئْر، مِنَ البَدَنِ التُّرابِيِّ حَتَّى تَبْلُغَ الماء؛
لَوْ وَصَلَتْ جَذْبَةُ اللهِ إلى الماءِ المَعِيْن، لَجاشَ البِئْرُ مِنْ غَيْرِ حَفْرٍ مِنَ الأَرْض؛
فاعْمَلِ العَمَلَ ولا تَسْمَعْ لِقَوْلِ ذاك، وَأَزِلِ التُّرابَ مِنَ البِئْرِ شَيْئاً فَشَيْئاً؛
فَكُلُّ مَنْ رأى الأَلَمَ ظَهَرَ لَهُ الكَنْز، وَكُلُّ مَنْ جَدَّ وَصَلَ إلى الجَدّ؛
قالَ الرَّسُولُ : الرُّكُوعُ والسُّجُود ، ببابِ الحَقِّ قَرْعٌ لِحَلْقَةِ الوُجُود؛
لِحَلْقَةِ ذاكَ البابِ الَّذي كُلُّ مَنْ قَرَعَهُ، أَخْرَجَتْ مِنْ أَجْلِهِ الدَّوْلَةُ الرَّأْسَ للخارِج؛

مَجيءُ ذلِكَ النَّمّامِ مَعَ الأَبْطالِ في مُنْتَصفِ اللَّيْلِ لِفَتْحِ بابِ حُجْرَةِ إياز تِلْكَ وَرُؤيَتُهُمْ الحِذاءَ القَديمَ والثَّوْبَ الصُّوفِيَّ مُعَلَّقَيْن ، وَظَنُّهُمْ أَنَّ ذاكَ كانَ مَكْراً وَتَضْليلاً ، وَحَفْرُهُم الغُرْفَةَ في كُلِّ زاوِيَةٍ مِنَ الظَّنّ ، وَجَعْلُهُم الحُفَرَ في الأَرْضِ والثُّقُوبَ في الجُدْران، وَعَدَمُ وُجْدانِهِمْ شَيْئاً ، وَخَجَلُهُمْ وَيَأْسُهُم كَسَيِّئي الظَّنِّ وَذَوِي الأوهامِ في عَمَلِ الأنبياءِ والأولِياء إذْ كانُوا يَقُولُونَ عَنْهُمْ أَنَّهُم ساحِرُونَ يَبْحَثُونَ عَنْ رِفْعَةِ أَنْفُسِهِم وَعَنِ التَّصَدُّر ، وَبَعْدَ التَّفَحُّصْ خَجَلُوا وَلَمْ يَجِدُوا نَفْعاً

أولئكَ الأُمَناءُ صارُوا إلى بابِ الحُجْرَة، طالِبينَ للكَنْزِ والذَّهَبِ والجِرار؛
بِضْعَةُ أَشْخاصٍ يُعالِجُونَ القِفْلَ للفَتْح، بِمائتَيْ فَنٍّ وَعِلْمٍ مِنَ الهَوَس؛
فَقَدْ كانَ القِفْلُ صَعْباً جِدّاً وَمُعَقَّداً، كانَ قِفْلاً مُخْتاراً مِنْ بَيْنِ أَقْفال؛
لَيْسَ مِنْ ضَنٍّ بِفِضَّةٍ وَمالٍ وَذَهَبٍ خام، بَلْ مِنْ أَجْلِ كَتْمِ ذلِكَ السِّرِّ عَنْ العوام؛
إذَنْ لَطافَتْ جَماعَةٌ على خَيالِ السُّوء، وَلَدَعاني قَومٌ آخَرُونَ مَكّاراً؛
أَسْرارُ الرُّوحِ تَكُونُ عِنْدَ ذي الهِمَّة، مَحْفُوظَةً عَنِ اللِّئامِ أَكْثَرَ مِنْ لَعْلِ المَنْجَم؛
الذَّهَبُ أَفْضَلُ مِنَ الرُّوحِ عِنْدَ البُلْه، والذَّهَبُ نِثارٌ للرُّوحِ عِنْدَ المُلُوك؛
أولئكَ أَسْرَعُوا نَشيطِيْنَ مِنْ حِرْصِ الذَّهَب، وَعَقْلُهُمْ كانَ يَقُولُ لَهُمْ رَوَيْداً؛
الحِرْصُ يَجْري مُسْرِعاً للسَّرابِ عَبَثاً، والعَقْلُ يَقُولُ ذاكَ لَيْسَ ماءً انْظُرْ حَسَناً؛
الحِرْصُ غَلَبَ وَصارَ الذَّهَبُ كالرُّوح، وَصُراخُ العَقْلِ تِلْكَ اللَّحْظَةَ اخْتَفى؛
صارَ حِرْصُهُ وَغَوغاؤهُ مِئَةَ ضِعْف، وَصارَتْ حِكْمَتُهُ وإيماؤهُ خَفاءً؛
إلى أنْ هَوى في بِئْرِ الغُرُور، آنَذاكَ سَمِعَ المَلامَةَ مِنَ الحِكْمَة؛
حِيْنَ مِنْ قَيْدِ الشِّباكِ انْكَسَرَ كِبْرُهُ، سَيْطَرَتْ عَلَيْهِ النَّفْسُ اللَّوّامَة؛
ما لَمْ يَرْتَطِمْ رَأْسُهُ بِجِدارِ البَلاء، لَنْ تَسْمَعَ أُذُنُهُ الصَّمّاءُ نَصِيْحَةَ القَلْب؛

الأطْفالُ مِنْ حِرْصِ حَلْواءِ اللَّوزِ والسُّكَّر، يُصِمُّونَ كِلتا الأُذُنَيْنِ عَنِ النَّصائح؛
فإذا بَدَأَ أَلَمُ الدُّمَّلِ يُؤلِمُ الطِّفْل، تَصيرُ كِلْتا أُذُنَيْهِ مَفْتُوحَتَيْنِ للنُّصْح؛
أولئكَ الأَشْخاصُ فَتَحُوا الحُجْرَةَ، بِحِرْصٍ وَمِئَةِ نَوْعِ هَوَسٍ تِلْكَ اللَّحْظَة؛
وَدَخَلُوا مِنَ البابِ بازْدِحام، كما تَقَعُ في اللَّبَنِ الخاثِرِ الهَوامّ؛
تَقَعُ بِعِشْقٍ بِكَرٍّ وَفَرّ، ولا إمكانَ للأَكْلِ والجناحانِ مُقَيَّدان؛
نَظَرُوا مِنَ اليَسارِ وَمِنَ اليَمِيْنِ ، حِذاءٌ جِلْدِيٌّ وَثَوبُ صُوفٍ مُمَزَّقان؛
قالُوا هذا المَكانُ لَيْسَ بلا شَهْدٍ ، الحِذاءُ الجِلْدِيُّ المُمَزَّقُ هُنا للإِضْلالِ لا غَيْر؛
هَيَّا اجْلِبُوا المَسامِيْرَ الحادَّة، احفِرُوا الحُفَرَ وَتَفَحَّصُوا وَنَقِّبُوا؛
وَحَفَرَ الفَريقُ وَفَحَصَ مِنْ كُلِّ طَرَف، حَفَرُوا حُفَراً وَمَجارِيَ عَمِيْقَةً؛
وكانَتِ الحُفَرُ تَصْرُخُ بِهِمْ آنَذاك، نَحْنُ حُفَرٌ خالِيَةٌ أَيْ فاسِدُون؛
فَصارُوا خَجِلِيْنَ مِنْ ذلِكَ الفِكْرِ السَّيِّئ، وَعادُوا يَرْدمُونَ الحُفَرَ مِنْ جَدِيْد؛
في كُلِّ صَدْرٍ *لا حَوْلَ* بلا عَدَد، وَطائِرُ حِرْصِهِمْ ظَلَّ بلا حَبَّة؛
مِنْ تِلْكَ الضَّلالاتِ تَسُوقُهُم عَبَثاً، صارَتْ حُفَرُ الجُدرانِ والبابُ تَشي بِهِم؛
فَلَمْ يَكُنْ مُمْكِناً دَهْنُ تِلْكَ الجُدْران، وَلَمْ يَكُنْ إمكانٌ لأيِّ إنكارٍ مَعَ إياز؛
لَو ادَّعَوا خِداعاً أَنَّهُمْ بلا ذَنْب، الحائِطُ والعَرْصَةُ شاهِدانِ عَلَيْهِم؛
وعادُوا راجِعِيْنَ إلى المَلِك، صُفْرَ الوُجُوهِ يَعْلُوهُمُ الغُبارُ وفي خَجَل؛

عَوْدَةُ النَّمَّامِيْنَ مِنْ حُجْرَةِ إياز نَحْوَ الشَّاه بِخُرْجٍ خالٍ وَخَجِلِيْن، مِثْلَ حالِ سَيِّئي الظَّنِّ في حَقِّ الأنبياءِ عَلَيْهِم السَّلام في وَقْتِ ظُهُورِ البَراءَةِ لَهُمْ والتَّطْهِير ، *يومَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوه* ، وَقَوْلُهُ *وَتَرى الَّذينَ كَذَبُوا على اللهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ*

قالَ المَلِكُ قاصِداً ما الأحْوال، ما بالُ آباطِكُمْ وَأَكْياسِكُمْ فارِغَة؛
إذا كُنْتُ أَخْفَيْتُم الدَّنانيرَ والدَّراهِمَ، أَيْنَ نَضْرَةُ السُّرورِ في الوَجْهِ وعلى الجَبين؛
الجَذْرُ رَغْمَ أَنَّهُ مَخْفِيٌّ فَكُلُّ جَذْر، يُنْمِي وَرَقَ سِيْماهُم وُجُوهٌ خُضْر؛
كُلُّ ما أَكَلَ ذلِكَ الجَذْرُ مِنْ سُمٍّ وَسُكَّرٍ، يُنادي بِهِ نِداءَ الغُصْنُ الَّذي يَرْتَفِع؛
لَو كانَ الجَذْرُ بلا رِزْقٍ ولا رَأْسِمال، ما هذِهِ الأوراقُ الخُضْرُ على الغُصْن؛
لَقَدْ وَضَعَ خَتْمَ الطِّيْنِ على لِسانِ الجَذْر، والغُصْنُ يَقُومُ بالشَّهادَةِ باليَدِ والقَدَم؛
أولئكَ الأُمَناءُ جاؤوا جَميعاً بالعُذْر، سَجَدُوا مِثْلَ الظِّلالِ أمامَ القَمَر؛
اعْتِذاراً عَنْ ذاكَ الهِياجِ والهَذْرِ وَنَحْنُ وأنا، ذَهَبُوا أمامَ الشَّاهِ بالسَّيْفِ والكَفَن؛
يَعَضُّونَ على الأَنامِلِ مِنَ الخَجَلِ جَميعاً، وَكُلُّ واحِدٍ يَقُولُ أَيْ شاهَ العالَم؛
إذا أَرَقْتَ الدَّمَ هُوَ لَكَ حَلالٌ حلال، وإنْ عَفَوْتَ فَهُوَ إنْعامٌ وَنَوال؛
لَقَدْ عَمِلْنا ذاكَ الَّذي هُوَ لائقٌ بِنا، فما هُوَ أَمْرُكَ أَيُّها الشَّاهُ المَجيد؛
إنْ عَفَوْتَ عَنْ جُرْمِنا أَيْ مُنيرَ القَلْب، فاللَّيْلُ يُنْتِجُ الظَّلامَ والنَّهارُ النُّور؛
إذا وَهَبْتَ وَجَدَ الآيِسُ الفَتْح، وإلَّا فالمِئاتُ مِنْ أَمْثالِنا فِداءٌ للشَّاه؛
قالَ المَلِكُ لا فَهذا اللُّطْفُ وهذا العِقاب، أنا لَنْ أَفْعَلَ ذاكَ حَقُّ إياز؛

تَحْويلُ المَلِكِ قَبُولَ تَوْبَةِ أولئكَ النَّمَّامِيْنَ وفاتِحِي الحُجْرَةِ وَإنْزالَ العِقابِ بِهِمْ إلى إياز ، إذْ أنَّ هذِهِ الجِنايَةَ جَرَتْ على عَرْضِه

هذِهِ الجِنايَةُ جَرَتْ على بَدَنِهِ وَعَرْضِهِ، هِيَ طَعْنٌ في عِرْقِ ذاكَ الحَسَنِ الخُطى؛
رَغْمَ أنَّنا نَفْسٌ واحِدَةٌ مِنْ وَجْهِ الرُّوح، ظاهِراً أنا بَعِيْدٌ عَنْ هذا النَّفْعِ والضُّرّ؛
التُّهْمَةُ للعَبْدِ لَيْسَتْ عاراً للشَّاه، لَيْسَتْ غَيْرَ مَزيدِ حِلْمٍ واسْتِظْهار؛
المَلِكُ جَعَلَ مِنْ مُتَّهَمٍ قارُوناً، فَتَمَعَّنْ ماذا يَفْعَلُ مَعَ البريء؛
لا تَرَ المَلِكَ غافِلاً عَنْ عَمَلِ شَخْص، مانِعُ الإظْهارِ ذاكَ الحِلْمُ وَحَسْب؛
هُنا مَنْ يَشْفَعُ أمامَ عِلْمِهِ، أَيْنَ المُتَجاوِزُ إلّا حِلْمُه؛
الذَّنْبُ الأوَّلُ ذاكَ طَلَعَ مِنْ حِلْمِهِ ، وإلّا مَتى كانَتِ الهَيْبَةُ لِتُعْطِيَ المَجالَ لِذاك؛
ثَمَنُ دَمِ جُرْمِ النَّفْسِ القاتِلَة، هُوَ على حِلْمِهِ، الدِّيَّةُ على العاقِلَة؛
نَفْسُنا سَكِرَتْ وَذَهِلَتْ مِنْ ذلِكَ الحِلْم، الشَّيْطانُ اخْتَطَفَ القُبَّعَةَ عَنْها في السُّكْر؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ ساقِيْ الحِلْمِ يَسْكُبُ الخَمْر، مِنْ أَيْنَ كانَ لإبْلِيْسَ أنْ يُخاصِمَ آدَم؛
وَقْت عَلَّمَ *آدَمَ* ما كانَ آدَمُ للملائكَة، كانَ أُسْتاذَ العِلْمِ وَنَقَّادَ النُّقُود؛
وحِيْنَ شَرِبَ شَرابَ الحِلْمِ في الجَنَّة، صارَ أَصْفَرَ الوَجْهِ مِنْ لُعْبَةٍ مِنَ الشَّيْطان؛
تِلْكَ الأَشْرِبَةُ مِنْ تَعْلِيْمِ الوَدُود، جَعَلَتْهُ ذَكِيّاً وَعالِماً وماهِراً؛
ثُمَّ إنَّ أَفْيُونَ حِلْمِهِ القَوِيَّ ذاك، جَلَبَ اللِّصَّ إلى جِهَةِ متاعِه؛
جاءَ العَقْلُ مُسْتَجِيراً جِهَةَ حِلْمِه، أنتَ كُنْتَ ساقِيَّ خُذْ بِيَدِي؛

أَمْرُ الشَّاهِ لإياز بالاِخْتِيار بَيْنَ العَفْوِ أو المُجازاة، أَيَّاً ما اخْتَرْتَ مِنَ العَدْلِ واللُّطْفِ فَهُوَ الصَّواب، وفي كُلِّ واحِدٍ مِنْهُما مَصالِحٌ، في العَدْلِ أُدْرِجَ أَلْفُ لُطْفٍ، وَلَكُمْ في القصاصِ حَياةٌ، والشَّخْصُ الَّذي يَكْرَهُ القصاصَ يَنْظُرُ في حياةٍ واحِدَةٍ هِيَ حَياةُ القاتِلِ ، ولا يَنْظُرُ في مِئَةِ أَلْفِ حَياةٍ ستَصيرُ مَحْقُونَةً وَمَعْصُومَةً في حِصْنِ الخَوْفِ مِنَ العِقاب

أُحْكُمْ بَيْنَ المُجْرِمِيْنَ أَيْ إياز، أي إياز الطَّاهِرُ احْكُمْ بِمِئَةِ احْتِراز؛
مَعَ أَنِّي اخْتَبَرْتُكَ في العَمَلِ مائتَيْ مَرَّةً، وَلَمْ أَجْدْ في زَبَدِ غَلَيانِكَ دَغَلاً واحِداً؛
خَلْقٌ بلا عَدَدٍ يَخْجَلُونَ مِنَ الاِمْتِحان، وَجُمْلَةُ الاِمْتِحاناتِ مِنْكَ خَجِلَة؛
بَحْرٌ بلا قَعْرٍ لا مُجَرَّدَ عِلْم، جَبَلٌ وَمِئَةُ جَبَلٍ لا مُجَرَّدَ حِلْم؛
قالَ أنا أَعْلَمُ أنَّ هذا عَطاؤك، لَولاهُ كُنْتُ أنا صاحِبَ ذاكَ النَّعْلِ القَديمِ والثَّوب؛
مِنْ أَجْلِ ذلِكَ شَرَحَ النَّبِيُّ هذا، كُلُّ مَنْ عَرِفَ النَّفْسَ عَرِفَ الله؛
حِذاؤكَ النُّطْفَةُ وَثَوبُكَ القَديمُ دَمُك، والباقِيْ أَيُّها السَّيِّدُ عَطاءٌ مِنْهُ؛
أَعْطاكَ ذاكَ العَطاءَ لِتَطْلُبَ عَطاءً آخَرَ، لا تَقُلْ لَيْسَ عِنْدَهُ غَيْرُ هذا القَدْر؛
عَرَضَ البُسْتانِيُّ بِضْعَ تُفّاحاتٍ، حَتَّى تَعْرِفَ نَخْلَ وَدَخْلَ البُسْتان؛
أعطى كَفَّ قَمْحٍ مِنْ ذاكَ للمُشْتَرِي، لِيَصِيْرَ على عِلْمٍ بِقَمْحِ المَخْزَن؛
الأُسْتاذُ يَشْرَحُ نُقْطَةً مِنْ ذاك، لِتَعْرِفَ عِلْمَهُ وَتَطْلُبَ الاِسْتِزادَة؛
إذا قُلْتَ هذا ما عِنْدَهُ وَحَسْب، أَلْقاكَ كالقَشَّةِ مِنَ اللِّحْيَةِ بَعِيْداً؛
أي إيازُ أَقْبِلْ الآنَ واحْكُمْ، ضَعْ أَساسَ العَدْلِ النَّادِرِ في الأَرْض؛
المُجْرِمُونَ بِحَقِّكَ مُسْتَحِقُّونَ للقَتْل، وَيَدُورُونَ على عَفْوِكَ وَحِلْمِكَ مِنَ الطَّمَع؛
إلى أنْ تَغْلِبَ الرَّحْمَةُ أو الغَضَب، أو يَغْلِبَ ماءُ الكَوْثَرِ أوِ اللَّهَب؛

غُصْنا الحِلْمِ والغَضَبِ مِنْ عَهْدِ أَلَسْت، كُلٌّ مِنْهُما في طَلَبِ خَطْفِ الخَلْق؛
في لَفْظِ *أَلَسْتُ* للمُسْتَبين، اقْتَرَنَ النَّفْيُ والإِثْبات؛
ذاكَ أنَّ هذا الاِسْتِفْهامَ للإِثْبات، لكِنَّهُ دَفِيْنٌ فِيْهِ لَفْظُ لَيْسَ؛
أُتْرُكْ هذا باقِياً كالتَّقْريرِ الخام، لا تَضَعْ كَأْسَ الخاصَّةِ على سُفْرَةِ العَوامّ؛
القَهْرُ واللُّطْفُ مِثْلَ الصَّبا وَمِثْلَ الوَبا، ذاكَ يَجْذِبُ الحَدِيْدَ وَذا يَجْذِبُ القَشّ؛
الحَقُّ يَجْذِبُ الصَّادِقِيْنَ حَتَّى الرَّشَد، وَقِسْمُ الباطِلِ يَجْذِبُ الباطِلين؛
مَعِدَةُ الحَلْوانِيِّ جاذِبَةُ الحَلْواء، وَمَعِدَةُ الصَّفْراوِيِّ جاذِبَةُ الخَلّ؛
الفَرْشُ الحارُّ يأخُذُ البُرُوْدَةَ مِنَ الجالِسِ، والفَرْشُ البارِدُ يَمْتَصُّ الحرارَة؛
ترى الحَبيبَ فَتَتِبُ مِنْكَ الرَّحْمَةُ، ترى الخَصْمَ فَتَثِبُ مِنْكَ السَّطْوَة؛
أَيْ إياز أَسْرِعْ بإنْجازِ هذا العَمَل، ذاكَ لأَنَّ الاِنْتِظارَ نَوْعُ انتِقام؛

أمْرُ المَلِكِ لإياز بالفَصْلِ في هذا الأمْرِ سَريعاً وَعَدَمِ الاِنْتِظارِ وَعَدَمِ قَولِ الأَيَّامُ بَيْنَنا ، فالاِنْتِظارُ هُوَ المَوْتُ الأَحْمَرُ وَجَوابُ إياز للمَلِك

قالَ أَيْ مَلِكُ جُمْلَةُ الأمْرِ لَكَ، بِوُجُودِ الشَّمْسِ يَفنى النَّجْم؛
مَنْ تَكُونُ الزُّهْرَةُ أَمْ عُطارِدُ أَمِ الشِّهاب، حَتَّى تَخْرُجَ ظاهِرَةً أمامَ الشَّمْس؛
لَوْ تَخَلَّيْتُ عَنِ الخِرْقَةِ وَثَوْبِ الصُّوف، مَتى كُنْتُ زَرَعْتُ مِثْلَ بِذْرَةِ الملامَةِ هذه؛
ما يَكُونُ القِفْلُ على بابِ الحُجْرَةِ، في وَسَطِ مِئَةِ خيالِ حَسُود؛
وَضَعُوا اليَدَ وَسَطَ ماءِ النَّهر، كُلٌّ مِنْهُمُ يَطْلُبُ الطِّيْنَ اليابِس؛
الطِّيْنُ اليابِسُ مَتى كانَ في النَّهر، كيفَ تَصيرُ السَّمَكَةُ عاصِيَةً للماء؛
أنا المِسْكينُ يَظُنُّونَ بيَ الجَفاء، وَمِنْ وفائي يَخْجَلُ الوفاء؛
ولولا حُصُولُ المُضايَقَةِ لِغَيْرِ المُحْرِمِ، لَقُلْتُ بَعْضَ الحُرُوفِ عَنِ الوفاء؛

ما دامَ عالَمٌ طالِباً للشُّبْهَةِ والإشْكال، نَسُوقُ حَرْفاً مِنَ القِشْرِ الخارِجِيّ؛
حِيْنَ تَكْسِرُ النَّفْسَ تَصيرُ لُبّاً، وَتَسْمَعُ حِكايَةَ اللُّبِ البَدِيْعَة؛
للجَوْزِ في القُشُورِ صُراخٌ، فَأَيْنَ هُوَ صَوْتُ اللُّبِ والزَّيْت؛
إنَّ لِلُّبِ صَوْتاً لا يُناسِبُ الأُذُنَ، إنَّ صَوتَهُ خَفِيٌّ في أُذُنٍ مِنَ الشَّهْد؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ للُّبِ صَوْتٌ جَمِيْلٌ، مَنْ كانَ يَسْتَمِعُ لأصْواتِ قُشُورِ الجَوْز؛
مِنْ أَجْلِ ذاكَ تَتَحَمَّلُ أصْواتَ ذاكَ، حَتَّى تَقَعَ على اللُّبِ في صَمْت؛
فَصِرْ بلا شَفَةٍ ولا أُذُنٍ لِبِضْعِ أوقات، ثُمَّ آنَذاكَ صِرْ كالشَّفَةِ حَرِيفَ الشَّهْد؛
كَمْ قُلْتَ مِنَ النَّظْمِ والنَّثْرِ والسِّرِّ فاشِياً، أَيْ سَيِّدُ امْتَحِنْ يَوماً واحِداً كُنْ صامِتاً؛

حِكايَةٌ عَنْ تَقْريرِ هذا الحَديث أنْ قَدْ جَرَّبْنا القِيْلَ والقالَ مَرَّاتٍ كَثيرَةً فَلْنُجَرِّبْ مُدَّةً الصَّبْرَ والصَّمْت

كم طَبَخْتَ مِنْ مَشْرُوبٍ مُرٍّ ومالِحٍ وحادٍّ، مَرَّةً واحِدَةً امْتَحِنْ اطْبِخْ العَذْب؛
ذاكَ واحِدٌ في القيامَةِ مِنَ الإنتِباه، يَجيءُ في كَفِّهِ كِتابُ العِصْيانِ الأَسْوَد؛
أَسْوَدُ الرَّأْسِ مِثْلَ كُتُبِ التَّعْزِيَة، امْتَلأَ بالمَعاصِي مَتْنُ الكِتابِ والحاشِيَة؛
كُلُّهُ جُمْلَةً مَمْلُوءٌ بالفِسْقِ والمَعْصِيَة، كما هِيَ دارُ الحَرْبِ مَمْلُوءَةٌ بالكُفْر؛
مِثْلُ ذاكَ الكِتابِ الدَّنِسِ المَمْلُوءِ بالوَبال، لا يَأتي باليَمِيْنِ بَلْ يأتي بالشِّمال؛
فانْظُرْ بِنَفْسِكَ كِتابَ نَفْسِكَ هاهُنا، ألائقٌ ذاكَ بِيَدِكَ الشِّمالِ أَمْ باليَمين؛
الفَرْدَةُ اليُسْرى والفَرْدَةُ اليُمْنى للحِذاءِ في الدُّكَّان، اليُسْرى تَعْرِفُها قَبْلَ الامْتِحان؛
إذا لَمْ تَكُنْ يَمِيْناً فاعْلَمْ أنَّكَ شِمال، وَصَوتُ الأَسَدِ وَصَوْتُ القِرْدِ بيّنان؛
الَّذي جَعَلَ الوَرْدَ جَمِيلاً وَطَيِّبَ العَبير، فَضْلُهُ يَجْعَلُ كُلَّ يسارٍ يَمِيناً؛
إنَّهُ يُعْطي لِكُلِّ شِمالٍ يَميناً، إنَّهُ يُعْطي البَحْرَ ماءً مَعِيناً؛
إذا كُنْتَ ياسِراً كُنْ في حَضْرَتِهِ يامِناً، حَتَّى ترى اليَدَ تنالُ الأَلْطاف؛

ترى كَيْفَ أنَّ هذا الكِتابَ المَهِيْن، يَنْتَقِلُ مِنَ اليَسارِ ويجيءُ لليَمِين؛
مِثْلُ هذا الكِتابِ المَمْلُوءِ بالظُّلْمِ والجَفاء، مَتى كانَ مِنْ نَفْسِهِ لائقاً باليَدِ اليَمين؛

في بيان أنَّ شَخْصاً يَقُولُ كلاماً وَيَدَّعِي دَعْوى ، وذاكَ الكلامُ وَتِلْكَ الدَّعْوى غَيْرُ مُناسِبَيْنِ لِحالِه كأولئكَ الكَفَرَة، ولئنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ، أَيُّ تناسُبٍ بَيْنَ خِدْمَةِ الصَّنَمِ الحَجَرِيِّ وَبَذْلِ الرُّوحِ والذَّهَبِ فِداءً لَهُ، وَبَيْنَ الرُّوحِ الَّتي تَعْلَمُ أنَّهُ خالِقُ السَّمواتِ والأَرْضِ والخلائق، إلهٌ سَميعٌ بَصيرٌ حاضِرٌ مُراقِبٌ مُسْتَولٍ غَيُورٌ إلخ

كانَ لِزاهِدٍ زَوْجَةٌ غَيُور، وكانَ لَهُ جارِيَةٌ كأَنَّها الحُور؛
كانَتِ المَرْأَةُ مِنَ الغَيْرَةِ تَحْرِسُ الزَّوْج، ولا تَتْرُكُ لَهُ فُرْصَةَ الخَلْوَةِ مَعَ الجارِيَة؛
إلى مُدَّةٍ والمَرْأَةُ تُراقِبُ كِلا الإِثْنَيْن، كَيْ لا تَحْصَلَ لَهُما فُرْصَةُ الخَلْوَة؛
حَتَّى أَتى حُكْمُ وَتَقْدِيْرُ الإله، صارَ العَقْلُ الحارِسُ حائِرَ الرَّأْسِ وَتائهاً؛
حُكْمُهُ وَتَقْدِيْرُهُ يَجِيْئانِ بلا وُقُوف، العَقْلُ ما يَكُونُ، في القَمَرِ يَقَعُ الخُسُوف؛
كانَتْ تِلْكَ المَرْأَةُ في الحَمَّام، تَذَكَّرَتِ الطَّسَّ فَجْأَةً وكانَ ذاكَ في المَنْزِل؛
قالَتْ للجارِيَةِ اذْهَبي مُسْرِعَةً كالطَّيْرِ، إلى المَنْزِلِ واجْلِبي مِنْهُ الطَّسَّ الفِضِّيّ؛
فانتَعَشَتْ تِلْكَ الجارِيَةُ لَمَّا سَمِعَتْ هذا، إذْ سَوْفَ تَصِلُ في هذا الوَقْتِ للسَّيِّد؛
السَّيِّدُ في المَنْزِلِ والخَلْوَةُ هذِهِ اللَّحْظَة، فَأَسْرَعَتْ تَجْري سَعِيْدَةً للمَنْزِل؛
كانَ هذا عِشْقَ الجارِيَةِ لِسِتِّ سِنين، أنْ تَجِدَ السَّيِّدَ في خَلْوَةٍ كَهَذِه؛
فراحَتْ طائِرَةً تُسْرِعُ إلى المَنْزِل، فَوَجَدَتِ السَّيِّدَ في المَنْزِلِ في خَلْوَة؛
واخْتَطَفَتِ الشَّهْوَةُ كِلا العاشِقَيْن، فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُما احْتياطٌ وَتَذَكُّرٌ لإِغْلاقِ الباب؛
تداخلا آنَذاكَ بِبَعْضِهِما مِنَ النَّشاط، تعانَقَتِ الرُّوحُ مَعَ الرُّوحِ مِنَ الاِخْتِلاط؛

تَذَكَّرَتِ المَرْأَةُ في اللَّحْظَةِ أنْ أنا ، كَيْفَ أَرْسَلْتُ الجارِيَةَ إلى جِهَةِ الدَّار؛
لَقَدْ وَضَعْتُ بِنَفْسي القِطْنَ في النَّار، وَأَلْقَيْتُ بالفَحْلِ الذَّكَرِ وَسَطَ النِّعاج؛
رَفَعَتِ الطِّيْنَ عَنِ الرَّأْسِ وَجَرَتْ والِهَةً، وأَسْرَعَتْ في إثْرِها تَجُرُّ الذَّيْل؛
تِلْكَ جَرَتْ مِنْ عِشْقِ الرُّوحِ وهذِهِ خَوْفاً، العِشْقُ أَيْنَ والخَوفُ أَيْنَ، فَرْقٌ عَظيم؛
سَيْرُ العارِفِ كُلَّ لَحْظَةٍ إلى تَخْتِ الشَّاه، سَيْرُ الزَّاهِدِ كُلَّ شَهْرٍ مَسيرَةُ يَوم؛
رَغْمَ أنَّ الزَّاهِدَ لَهُ رِزْقٌ عَظيم، متى كانَ يَومُهُ بِخَمْسينَ أَلْفاً؛
قَدْرُ كُلِّ يَومٍ مِنْ عُمْرِ رَجُلِ الأمْر، قَدْرُ خَمْسينَ أَلْفاً مِنْ سِنيِّ الدُّنيا؛
العُقُولُ خارِجَ البابِ مِنْ هذا السِّرّ، إذا تَمَزَّقَتْ مَرارَةُ الوَهْمِ قُلْ تَمَزَّقِي؛
الخَوْفُ لَيْسَ شَعْرَةً أمامَ العِشْق، الجَمِيْعُ قَرابينُ في مَذْهَبِ العِشْق؛
العِشْقُ وَصْفُ اللهِ لكِنَّ الخَوفَ، وَصْفُ العَبْدِ المُبْتَلى بالفَرَحِ والخَوْف؛
حِيْنَ تَقْرَأُ *يُحِبُّونَ* في القُرآن، اجْعَلْها قَرينَةَ *يُحِبُّهُمْ* في المَطْلَب؛
فالمَحَبَّةُ والعِشْقُ وَصْفٌ للحَقِّ اعْلَمْ، وَلَيْسَ الخَوفُ وَصْفاً للهِ أَيْ عَزيز؛
أَيْنَ وَصْفُ الحَقِّ مِنْ وَصْفِ التُّراب، أَيْنَ وَصْفُ الحادِثِ مِنْ وَصْفِ الطَّاهِر؛
وَصْفُ العِشْقِ لَوْ تَحَدَّثْتُ بِهِ على الدَّوام، لَمَرَّتْ مِئَةُ قَيامَةٍ وَلَمْ أَصِلْ للتَّمام؛
ذاكَ أنَّ تاريخَ القِيامَةِ لَهُ حَدّ، وَأَيْنَ الحَدُّ هُناكَ حَيْثُ وَصْفُ الله؛
للعِشْقِ خَمْسُمائةِ جَناحٍ وَكُلُّ جَناح، يَصِلُ مِنْ أَعْلى العَرْشِ إلى تَحْتَ الثَّرى؛
الزَّاهِدُ يَجْرِي على القَدَمِ بِخَوف، العُشَّاقُ أَسْرَعُ طَيَراناً مِنَ البَرْقِ والهَواء؛
الخائِفُونَ مَتى يَصِلُونَ إلى حَلْقَةِ العِشْق، وَأَلَمُ العِشْقِ جَعَلَ السَّماءَ فَرْشاً؛
إلّا أنْ تَجِيْءَ عِناياتُ الضِّياء، فَتَقُولَ لَكَ تَحَرَّرْ مِنَ الكَوْنِ وَسَيْرِه؛
تَحَرَّرْ مِنْ كَرِّ النَّفْسِ وَفَرِّ النَّفْسِ مِنْ جَديد، فإنَّ بازَ المَلِكِ وَجَدَ الطَّرِيقَ للمَلِك؛
الكَرُّ والفَرُّ هُما الجَبْرُ والاِخْتيار، مِنْ وراءِ الاِثْنَيْنِ جاءَ جَذْبُ الحَبيب؛
حِيْنَ وَصَلَتِ المَرْأَةُ للبَيْتِ وَفَتَحَتِ الباب، وَصَلَ الصَّوْتُ إلى أُذُنَيْهِما حالاً؛

انْفَصَلَتِ الجارِيَةُ مُضْطَرِبَةً مِنَ المَكْر، والرَّجُلُ وَثَبَ وَدَخَلَ في الصَّلاة؛
رَأَتِ المَرْأَةُ الجارِيَةَ مُضْطَرِبَةً، مُتَداخِلَةً مُرْتَبِكَةً بَلْهاءَ مُتَمَرِّدَةً؛
وَرَأَتْ زَوْجَها قائماً في الصَّلاة، وَقَعَتِ المَرْأَةُ في الظَّنِّ مِنْ ذلِكَ الاِهْتِزاز؛
رَفَعَتِ الثَّوبَ عَنِ الزَّوْجِ بلا خَطَر، رَأَتْ مُلَوَّثاً بالمَنِيِّ الخِصْيَةَ والذَّكَر؛
كانَ باقي المَنِيِّ يَقْطِرُ مِنَ الذَّكَر، والفَخِذُ والرُّكْبَةُ مُلَوَّثَتَيْنِ وَنَجِسَتَيْن؛
صَفَعَتْهُ باليَدِ على الرَّأْسِ قالَتْ أَيْ مَهِين، أهذِهِ خِصْيَةُ رَجُلٍ يَكُونُ في الصَّلاة؛
ألائقٌ بالذِّكْرِ والصَّلاةِ هذا الذَّكَر، وَهَذِهِ الفَخِذُ وَهذِهِ العَوْرَةُ المُلَوَّثَتانِ بالقَذَر؛
كِتابٌ مَمْلُوءٌ بالظُّلْمِ والفِسْقِ والكُفْرِ والحِقْد، ألائقٌ أنْ يَكُونَ باليَمِيْنِ أنْصِفْ؛
لَوْ سَأَلْتَ المَجُوسِيَّ أنْ هذِهِ السَّماء، مَنْ خَلَقَها وَخَلَقَ هذا الخَلْقَ والعالَم؛
لَقالَ خَلَقَها اللهُ تعالى، وإنَّ ما خَلَقَ شاهِدٌ على أُلُوهِيَّتِه؛
فَهَلْ ظُلْمُهُ الكَثيرُ وَكُفْرُهُ وَفِسْقُهُ، يَليقُ بِمِثْلِ هذا الإقْرارِ مِنْه؛
ألائقٌ بِمِثْلِ هذا الإقْرارِ الصَّحِيْح، تِلْكَ الفَضائحُ وذلِكَ الفِعْلُ القَبيح؛
فِعْلُهُ قامَ بِتَكْذيبِ ذلِكَ القَوْل، حَتَّى صارَ لائقاً بِعَذابِ الهَوْل؛
يَوْمَ المَحْشَرِ كُلُّ مُخْتَفٍ يَظْهَرُ ، وَكُلُّ مُجْرِمٍ يَصيرُ مَفْضُوحاً حَتَّى مِنْ نَفْسِه؛
اليَدُ والقَدَمُ تُدْلِيانِ بالشَّهادَةِ ببيان، على فَسادِهِ أمامَ المُسْتَمِعين؛
اليَدُ تَقُولُ أنا هكذا سَرَقْتُ، الشَّفَةُ تَقُولُ أنا هكذا سَأَلْتُ؛
القَدَمُ تَقُولُ أنا سِرْتُ إلى مِنى، وَيَقُولُ الفَرْجُ أنا زَنَيْتُ؛
وَتَقُولُ العَيْنُ أنا نَظَرْتُ للحرام، وَتَقُولُ الأُذُنُ وأنا سَمِعْتُ سُوءَ الكلام؛
فَيَجيءُ كاذِباً مِنْ قَرْنِهِ إلى قَدَمِه، فَقَدْ كذَّبَتْهُ كُلُّ أعْضاءِ بَدَنِه؛
كذلِكَ ذاكَ في الصَّلاةِ ذاتِ الضِّياء، مِنْ شَهادَةِ الخِصْيَةِ ظَهَرَ خِداعُهُ والرِّياء؛
فافْعَلِ ذاكَ الفِعْلَ الَّذي بلا لِسان، يَقُولُ أَشْهَدُ قَولاً وَعَيْنَ بيان؛
حَتَّى أنَّ كُلَّ البَدَنِ عُضْواً عُضْواً أَيْ وَلَد، يَقُولُ أَشْهَدُ في النَّفْعِ والضُّرّ؛

سَيْرُ العَبْدِ في إِثْرِ السَّيِّدِ شاهِدٌ ، أنْ أنا مَحْكُومٌ وهذا مَولى؛

إذا كُنْتَ قَدْ سَوَّدْتَ كِتابَ عُمرِكَ، تُبْ مِنْ ذلِكَ الَّذي فَعَلْتَ مِنْ قَبْل؛

إذا كانَ العُمُرُ قَدْ مَرَّ ففي هذِهِ اللَّحْظَةِ، اِرْوِ جَذْرَهُ بماءِ التَّوْبَةِ إنْ كانَ بلا ماء؛

جَذْرَ عُمْرِكَ اسْقِ ماءَ الحَياة، حَتَّى تَصِيْرَ شَجَرَةُ العُمرِ ذاتَ نبات؛

جُمْلَةُ الماضي يَصيرُ طَيِّباً كهذا، والَّذي كانَ شَمْعاً يَصيرُ كالسُّكَّر؛

يُبَدِّلُ سَيِّئاتِكَ الحَقّ ، يَصِيْرُ طاعَةً ما سَبَق؛

أيْ سَيِّدُ دُرْ جَيِّداً على التَّوْبَةِ النَّصُوح، واسْعَ بالبَدَنِ واسْعَ أَيْضاً بالرُّوح؛

واسْتَمِعْ مِنِّي لِشَرْحِ هذِهِ التَّوْبَةِ النَّصُوح ، لَقَدْ صَدَّقْتَ ولكِنْ صَدِّقْ مِنْ جَديد؛

حِكايَةٌ في بيانِ أنَّ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ كاللَّبَنِ الَّذي يَخْرُجُ مِنَ الثَّدْيِ لا يَعُودُ إِلَيْهِ ثانِيَةً ، وذلِكَ الَّذي تابَ تَوْبَةً نَصُوحاً لا يَعُودُ يَذْكُرُ ذَنْبَهُ ذاكَ مِنْ طَرِيقِ الرَّغْبَةِ أبَداً ، بَلْ إنَّ نَفْرَتَهُ مِنْهُ تَزيدُ في كُلِّ لَحْظَةٍ، وَتِلْكَ النَّفْرَةُ دَليلٌ على أنَّهُ وَجَدَ لَذَّةَ القَبُول، وَتِلْكَ الشَّهْوَةُ الأولى صارَتْ بلا لَذَّةٍ، جَلَسَتْ هذِهِ في مَحَلِّ تِلْك، كما قِيْل:

لا يُذْهِبُ العِشْقَ إلّا عِشْقٌ آخَر، لِمِ لا تَتَّخِذُ مِنَ الرَّفيقِ رَفيقاً أَفْضَلْ

وذلِكَ الَّذي قَلْبُهُ يَرْغَبُ ثانِيَةً بِذلِكَ الذَّنْبِ فَتِلْكَ علامَةٌ على أنَّهُ لَمْ يَجِدْ لَذَةَ القَبُولِ في مَحَلِّ لَذَّةِ الذَّنْبِ تِلْك ، وَلَمْ تَصِرْ لَهُ *سَنُيَسِّرُهُ لليُسْرى*، وَبَقِيَتْ لَهُ *سَنُيَسِّرُهُ للعُسْرى*

كانَ هُناكَ فيما مضى رَجُلٌ اِسْمُهُ نَصُوح، كانَ لَهُ مِنْ تَدْليكِ النِّساءِ فُتُوح؛

وَجْهُهُ كانَ مِثْلَ وَجْهِ النِّساء، وكانَ يُحافِظُ على رُجُولَتِهِ مَخْفِيَّةً؛

كانَ يَعْمَلُ في حَمَّامِ النِّساءِ دَلَّاكاً، وكانَ في الدَّغَلِ والحِيْلَةِ ماهِراً جِدَّاً؛

ظَلَّ لِسِنِيْنَ يَعْمَلُ دَلَّاكاً وما مِنْ شَخْص، شَمَّ عَبيراً مِنْ حالِ وَسِرِّ ذاكَ الهَوَس؛

كانَ مِنْ جِهَةِ الصَّوتِ والوَجْهِ كالمَرْأَة، أمَّا شَهْوَتُهُ فكانَتْ كامِلَةً وَيَقِظَةً؛
يَلْبَسُ الفُسْتانَ وَغِطاءَ الرَّأْسِ والنِّقاب، رَجُلٌ شَهْوانِيٌّ وفي غرَّةِ الشَّباب؛
كانَ يُدَلِّكُ وَيَغْسِلُ مِنْ هذا الطَّريق، بَناتِ المُلوكِ والأميراتِ ذاكَ العَشيق؛
كانَ يَتُوبُ كثيراً وَيَتْرُكُ هذا العَمَل، وكانَتِ النَّفْسُ الكافِرَةُ تُمَزِّقُ تَوْبَتَه؛
ذَهَبَ قَبيحُ الفِعْلِ ذاكَ إلى عارِفٍ، قالَ لَهُ اذْكُرْنا بالدُّعاء؛
ذلِكَ الرَّجُلُ الحُرُّ عَرِفَ سِرَّهُ، لكِنْ كما يَفْعَلُ حِلْمُ اللهِ لَمْ يُظْهِرْهُ؛
على شَفَتَيْهِ قِفْلٌ وفي القَلْبِ أَسْرار، الشَّفَةُ صامِتَةٌ والقَلْبُ مليءٌ بالأَخْبار؛
العارِفُونَ الشَّارِبُونَ مِنْ جامِ الحَقّ، عَرِفُوا الأسْرارَ وَسَتَرُوها؛
وكُلَّ مَنْ عَلَّمُوهُ أَسْرارَ الأمْر، خاطُوا فَمَهُ وَخَتَمُوا عَلَيْه؛
تَبَسَّمَ ضاحِكاً وقالَ أَيْ سَيِّئَ الأَصْل، أَعْطاكَ اللهُ التَّوْبَةَ مِنَ الَّذي تَعْلَم؛

في بيان أنَّ دُعاءَ العارِفِ الواصِلِ وَطَلَبَهُ مِنَ الحَقِّ مِثْلُ طَلَبِ الحَقِّ مِنْ نَفْسِهِ ، أنْ *كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً ولِساناً وَيَداً* ، قَوْلُهُ *وما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ولكِنَّ اللهَ رمى* ، والآياتُ والأَخْبارُ والآثارُ في هذا كثير ، وَشَرْحُ تَهْيِئَةِ الحَقِّ للسَّبَبِ ليَأْخُذَ بأُذُنِ المُجْرِمِ وَيَجُرَّهُ للتَّوْبَة

هذا الدُّعاءُ عَبَرَ السَّبْعَةَ الأفلاك، أَمْرُ ذاكَ المِسْكِيْنِ صارَ في الآخِرِ حَسَناً؛
فَدُعاءُ ذاكَ الشَّيْخِ لَيْسَ مِثْلِ كُلِّ دُعاء، إنَّهُ فانٍ وَقَوْلُهُ قَوْلُ الله؛
اللهُ إنْ سَأَلَ نَفْسَهُ وَطَلَبَ مِنْ نَفْسِهِ ، كَيْفَ يَرُدُّ دُعاءَ نَفْسِهِ إذَنْ؛
صُنْعُ ذي الجلالِ هَيَّأَ سَبَباً ، حَتَّى يُخَلِّصَهُ مِنَ اللَّعْنَةِ والوبال؛
بينَما كانَ في ذلِكَ الحَمَّامِ يَمْلأُ الطَّسْتَ، إذْ ضاعَتْ جَوْهَرَةٌ مِنْ بِنْتِ المَلِك؛

جَوْهَرَةٌ مِنْ حَلَقاتِ أُذنِها، ضاعَتْ وانْبَرَتْ كُلُّ امْرَأَةٍ للبَحْث؛
أَغْلَقْنَ بابَ الحمَّامِ بإحكام، طَلَبْنَها أوّلاً في ثنايا المَتاع؛
فَتَّشْنَ في الأمْتِعَةِ وَلَمْ تَصِرْ ظاهِرَةً، كما لَمْ يُعْثَرْ على سارِقِ الجَوْهَرَة؛
فانتَقَلْنَ في البَحْثِ مِنَ الجُزافِ لِلجِدّ، وصارَ البَحْثُ في الفَمِ والأُذُنِ وكُلِّ شِقّ؛
في الشُّقُوقِ مِنْ تَحْتٍ وَفَوْقٍ وَكُلِّ طَرَف، يُفَتِّشْنَ وَيَبْحَثْنَ عَنْ دُرَّةِ الصَّدَف؛
وَعَلَتْ صَرْخَةٌ أنْ تَعَرَّوا جَمِيْعاً، وَلْيَتَعَرَّ الجَمِيْعُ مِنْ عَجُوزٍ وَشابَّة؛
وراحَتِ الحاجِبَةُ تُفَتِّشُهُنَّ واحِدَةً واحِدَةً، حَتَّى تَظْهَرَ حَبَّةُ الجَوْهَرِ العَجيبَة؛
نَصُوحُ ذاكَ مِنَ الخَوْفِ راحَ في خَلْوَة، أَصْفَرَ الوَجْهِ أَزْرَقَ الشَّفَةِ مِنَ الخَوف؛
كانَ يرى المَوْتَ مِنْ أمامِ عَيْنَيْه، مَشَى وَهُوَ يَرْتَجِفُ كالوَرَقَة؛
قالَ يا رَبِّ لَقَدْ عُدْتُ لِهذا الأمْرِ مَرَّاتٍ، وَكَسَرْتُ العُهُودَ والتَّوبات؛
لَقَدْ عَمِلْتُ ما أَسْتَحِقُّ بِهِ العِقابَ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيَّ مِثْلُ هذا السَّيْلِ الأَسْوَد؛
إذا وَصَلَتْ نَوْبَةُ التَّفْتيشِ إلَيَّ، واهٍ لِما سَتَتَحَمَّلُ رأسي مِنَ الشَّدائِد؛
لَقَدْ وَقَعَ في كَبِدي مِئَةُ شَرَر، اُنْظُرْ في مُناجاتي إلى رائحَةِ كَبِدي؛
لا كانَ مِثْلُ هذا الغَمِّ يَنزِلُ بِكافِرٍ، تَمَسَّكْتُ بأذْيالِ الرَّحْمَةِ المَدَدَ المَدَد؛
يا لَيْتَ أنَّ أُمِّيْ لَمْ تَلِدْني، أو لَيْتَ أَسَداً افْتَرَسَني وَأَكَلَني؛
أي اَللهُ افْعَلْ ذاكَ الَّذي أنتَ لَهُ أَهْلٌ، فَمِنْ كُلِّ جُحْرٍ تَلْدَغُني حَيَّةً؛
رُوحي مِنَ الصَّخْرِ وَقَلْبي مِنَ الحَديد، وإلَّا لصارا دَماً في هذا الحَنينِ والألَم؛
الوَقْتُ ضاقَ بَقِيَ لِي مُجَرَّدُ نَفَسٍ، أظْهِرْ سُلْطانَكَ لَبِّ اسْتِغاثَتي؛
إذا أنتَ في هذِهِ المَرَّةِ سَتَرْتَني، أنا تائبٌ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ لا يليق؛
اِقْبَلْ تَوْبَتي هذِهِ المَرَّةَ أَيْضاً، حَتَّى أَعْقِدَ للتَّوْبَةِ مِئَةَ زنَّار؛
إذا أنا قُمْتُ بالتَّقْصِيْرِ هذِهِ المَرَّة، بَعْدَها لا تَسْمَعْ دُعائي وَقَولي مَرَّةً أُخْرى؛
يَئِنُّ وَيُمْطِرُ مِئَةَ قَطْرَةٍ مِنَ الدَّمْع، أنْ وَقَعْتُ في يَدِ الجَلَّادِ والعُوان؛

لا ماتَ هكذا أَيُّ إفْرَنْجِيٍّ ، ولا كانَ مِنْ مُلْحِدٍ مِثْلُ هذا الحَنين؛
يقُومُ بالنُّواحِ على رُوحِ نَفْسِهِ ، لَقَدْ رأى وَجْهَ عزرائيلَ يَقْتَرِبُ مِنْه؛
وكم قالَ أي اللهُ وأي الله ، حَتَّى صارَ شَفيعاً لَهُ البابُ والجِدار؛
وما بَيْنَ نِداءِ يا ربِّ و وَنِداءِ يا رَبّ، ارْتَفَعَ الصَّوتُ مِنْ وَسَطِ البَحْثِ والتَّفْتيش؛

وُصُول نَوْبَة التَّفْتيش إلى نَصُوح ومجيء النِّداء أنْ فَتَّشْنا الجَميعَ فَتِّشُوا نَصُوح ، وغياب نَصُوح عن الوَعْي مِنْ هَيْبَةِ ذاك، وانفِراجُ الأمْرِ مِنْ بَعْدِ نِهايَةِ الضِّيْق، كما كانَ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ ، إذا أَصابَهُ مَرَضٌ أو هَمٌّ ، *اشْتَدِّي أزْمَةُ تَنْفَرِجِي*

لَقَدْ فَتَّشْنا الجَميعَ تَقَدَّمِيْ أَيْ نَصُوح، فَفَقَدْ الوَعْيَ تِلْكَ اللَّحْظَةَ وَطارَتِ الرُّوح؛
لَقَدْ وَقَعَ مِثْلَ جِدارٍ مَهْدُودٍ، ذَهَبَ وَعْيُهُ وَعَقْلُهُ وَصارَ كالجِدار؛
لَمَّا ذَهَبَ وَعْيُهُ مِنَ البَدَنِ بلا أمان، اتَّصَلَ سِرُّهُ بالحَقِّ ذلِكَ الزَّمان؛
عِنْدَما صارَ خالِياً وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ وُجُود، دعا اللهُ بازَ رُوحِهِ إلَيْه؛
عِنْدَما انكَسَرَتْ سَفينَتُهُ تِلْكَ بلا مُراد، وَقَعَ على شاطِئِ رَحْمَةِ البَحْر؛
لَمَّا صارَ بلا وَعْيٍ اتَّصَلَتِ الرُّوحُ بالحَقّ، مَوْجُ الرَّحْمَةِ بَدَأَ يَجِيْشُ تِلْكَ اللَّحْظَة؛
عِنْدَما رُوحُهُ تَحَرَّرَتْ مِنْ عارِ البَدَن، سارَتْ مَسْرُورَةً إلى عِنْدِ أَصْلِ نَفْسِها؛
الرُّوحُ كالبازِ والبَدَنُ كخَشَبَةٍ في القَدَم، فَهُوَ مِنْها مُقَيَّدُ القَدَمِ كَسِيْرُ الجَناحِ وَعَبْد؛
عِنْدَما وَعْيُهُ ذَهَبَ وَتَحَرَّرَتْ قَدَمُهُ ، طارَ ذاكَ البازُ نَحْوَ مَلِكَ المُلُوك؛
عِنْدَما جاشَتْ بُحُورُ الرَّحْمَةِ ، أَجْرَتْ مِنَ الحِجارَةِ عَذْبَ ماءِ الحَياة؛
الذَّرَّةُ الضَّئيلَةُ صارَتْ عَظيمَةً عَجِيْبَةً. فَرْشُ التُّرابِ صارَ أَطْلَساً مُطَرَّزاً بالذَّهَب؛

مَيْتُ مِئَةِ عامٍ خَرَجَ مِنَ القَبْر، الشَّيْطانُ المَلْعُونُ صارَ مَحْسُودَ الحُورِ بالحُسْن؛
وصارَ وَجْهُ الأَرْضِ كُلُّهُ أَخْضَراً، والخَشَبُ اليابِسُ نَمَتْ براعِمُهُ وصارَ جَميلاً؛
صارَ الذِّئْبُ حَريفَ المُدامِ للشَّاة، صارَ اليائسونَ حَسَنِي المزاجِ حَسَني الخُطى؛

العُثُورُ على الجَوْهَرَةِ واعْتِذارُ حاجِباتِ الأميرَةِ والخادِماتِ مِنْ نَصُوح

مِنْ بَعْدِ خَوفِ الهلاكِ للرُّوحِ ذاك، جاءَتِ البِشاراتُ أنْ ها هُوَ المَفْقُود؛
جاءَ النِّداءُ فَجْأَةً أنْ انتهى الخَوْف، وُجِدَ ذاكَ المَفْقُودُ وُجِدَ ذاكَ الدُّرُّ اليتيم؛
لَقَدْ وُجِدَ وانتَقَلْنا إلى الفَرَح، أعطُوا البِشارَةَ ، وَجَدْنا الجَوْهَرَة؛
وَمِنَ الصَّخَبِ والصُّراخِ والتَّصْفيق، امْتَلأَ الحَمَّامُ *قَدْ زالَ الحَزَن*؛
وَنَصُوحُ الغائبُ عَنِ الوَعْيِ عادَ للنَّفْس، وَرأتْ عَيْنُهُ أمامَهُ ضَوءَ مِئَةِ نَهار؛
وكُلُّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِ، وَرُحْنَ يُقَبِّلْنَ يَدَيْهِ القُبَلَ الكَثيرَة؛
حَمَلْنا لَكِ ظَنَّ السُّوءِ فاجْعَلينا في حِلٍّ، أَكَلْنا لَحْمَكِ بالقِيْلِ والقال؛
كانَ الظَّنُّ بِهِ أكْثَرَ مِنَ الجَميع، لأنَّهُ كانَ مُقَرَّباً أكْثَرَ مِنَ الجَميع؛
كانَ نَصُوحُ دَلَّاكَها الخاصَّ والمَحْرَم، بَلْ كانا رُوحاً واحِدَةً في بَدَنَيْن؛
لَوْ أنَّ الجَوْهَرَةَ سُرِقَتْ لكانَ هُوَ سارِقَها، إذْ لَمْ يَكُنْ شَخْصٌ أَلْصَقَ بالأميرَةِ مِنْهُ؛
كانَتْ تُريدُ تَفْتيشَهُ في المِعْمَعَةِ أوَّلاً، لكِنَّها مِنْ أجْلِ الحُرْمَةِ أَخَّرَتْ تَفْتيشَه؛
فَرُبَّما كانَ لَيُلْقي تِلْكَ في مكانٍ، في هذِهِ المُهْلَةِ وَيُخَلِّصُ النَّفْس؛
رُحْنَ يَطْلُبْنَ مِنْهُ العُذْر، وَنَهَضْنَ جَميعاً للاِعْتِذارِ مِنْهُ؛
قالَ ذاكَ كانَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيَّ ، ولولاهُ كُنْتُ أَسْوَأَ مِنْ ذلِكَ الَّذي قِيْل؛
وأيُّ عَفْوٍ يَجِبُ أنْ يُطْلَبَ مِنّي أنا، وأنا أَكْبَرُ أَهْلِ الزَّمَنِ جُرْماً؛
وأنا أَسْوَأُ مِئَةَ مَرَّةٍ مِنْ ذلِكَ الَّذي قِيْل، وهذا لي كَشْفٌ إذا كانَ لِشَخْصٍ شَكّ؛
أَيُّ شَخْصٍ لا يَعْرِفُ عَنّي سِوى القليل، يَعْرِفُ واحِداً مِنَ الآلافِ مِنْ جرائمي؛

أنا كُنْتُ أَعْلَمُ وَسَتَّاري ذاكَ يَعْلَمُ، بِأَفْعالي القَبيحَةِ وَجَرائمي؛
أَوّلاً كانَ إبليسُ لي أُسْتاذاً، بَعْدَ ذلِكَ صارَ إبليسُ عِنْدي هَباءً؛
الحَقُّ رأى كُلَّ ذاكَ وَسَتَرَهُ، حَتَّى لا أَصِيْرَ أَصْفَرَ الوَجْهِ مِنَ الفَضِيْحَة؛
وعادَتِ الرَّحْمَةُ فَخاطَتْ لِيَ الثَّوب، وَجَعَلَتِ التَوْبَةَ العَذْبَةَ كالرُّوحِ لي رِزْقاً؛
وكُلَّ ما فَعَلْتُ اعْتَبَرَ لَمْ أَفْعَلْ، وَكُلَّ ما لَمْ أَجِئْ بِهِ مِنْ طاعَةٍ اعْتَبَرَ فَعَلْتُ؛
وَجَعَلَني حُرَّاً كالسَّرْوِ والسَّوْسَن، وَجَعَلَني سَعِيْدَ قَلْبٍ كالبَخْتِ والإقْبال؛
وَكَتَبَ اسْمِي في كِتابِ المُطَهَّرين، وَكُنْتُ جَهَنَّمِيَّاً فَوَهَبَني الجَنَّة؛
قُلْتُ آهِ فَصارَتْ آهَتي كالجَبَل، صارَتْ حَبْلاً أَتَعَلَّقُ بِهِ في بِئْري؛
أمْسَكْتُ بِذلِكَ الحَبْلِ وَخَرَجْتُ ، سَعِيداً جَسيماً عَظيماً بِلَونْ الوَرْد؛
لَقَدْ كُنْتُ عاجِزاً في قَعْرِ البِئْر، وأنا الآنَ لا يَسَعُني العالَمُ كُلُّهُ؛
فَلَكَ الثَّناءُ كُلُّهُ يا الله، فَقَدْ فَصَلْتَني فَجْأَةً عَنِ الغَمّ؛
فَلَو أنَّ كُلَّ شَعْرَةٍ مِنِّي وَجَدَتْ لِساناً، لما أمْكَنَ لي أداءُ شُكْرِكَ بالبيان؛
أَصْرُخُ في هذِهِ الرَّوْضَةِ والعُيُون، بالخَلْقِ *يا لَيْتَ قَومي يَعْلَمُون*؛

اسْتِدْعاءُ بِنْتِ المِلِكِ لِنَصُوحَ مُجَدَّداً مِنْ أَجْلِ الدَّلْك بَعْدَ اسْتِحْكامِ التَّوْبَةِ مِنْهُ وَقَبُولِها ، وَتَعَلُّلُهُ وَرَفْضُه

بَعْدَ ذلِكَ جاءَتْ واحِدَةٌ أنْ مِنْ أَجْلِ المَرْحَمَة، بِنْتُ سُلْطانِنا تَدْعُوكِ؛
بِنْتُ مَلِكِكِ تَدْعُوكِ أنْ تعالَيْ، حَتَّى تَغْسِلي الآنَ رَأْسَها أَيْ عَفيفَة؛
قَلْبُها لا يُرِيدُ سِواكِ دَلّاكَةً، كي تَقُومَ بِدَلْكِها أَوْ غَسْلِها بالطِّيْن؛
قالَ اذْهَبي اذْهَبي يَدي صارَتْ بلا فَنٍّ ، وَنَصُوحُكِ هذهِ صارَتْ مَرِيضَةً الآن؛
اِذْهَبي وابْحَثي عَنْ شَخْصٍ آخَرَ سَريعاً، فإنَّ يَدي واللهِ عاجِزَةٌ عَنِ العَمَل؛

قالَ لِقَلْبِهِ جاوَزَ الجُرْمُ الحَدّ، مَتى يَذْهَبُ ذلِكَ الغَمُّ والخَوفُ مِنْ قلبي؛
قَدْ مِتُّ مَرَّةً وَرَجَعْتُ مِنْ جَديد، لَقَدْ تَذَوَّقْتُ مَرارَةَ المَوْتِ والعَدَم؛
لَقَدْ تُبْتُ حَقيقَةً إلى الله، لَنْ أكْسِرَ التَّوْبَةَ حَتَّى تُفارِقَ رُوحي البَدَن؛
مِنْ بَعْدِ تِلْكَ المِحْنَةِ مَرَّةً أُخْرى، مَنْ يَذْهَبُ بالقَدَمِ نَحْوَ الخَطَرِ إلَّا الحِمار؛

حِكايَةٌ في بيانِ أنَّ ذلِكَ الَّذي يَتُوبُ وَيَنْدَمُ ويَعُودُ فَيَنْسى ذلِكَ النَّدَمَ، وَيُجَرِّبُ المُجَرَّبَ مِنْ جَديدٍ يَقَعُ في الخَسارَةِ للأبَد، بِما أنَّ تَوبَتَهُ لَمْ يَصِلْها مَدَدٌ مِنَ الثَّباتِ والقُوَّةِ والحلاوَةِ والقَبُول، مِثْلَ شَجَرَةٍ بلا جَذْر ، تَصيرُ في كُلِّ يَوْمٍ أكْثَرَ اصْفِراراً وأكْثَرَ يَبَساً، نَعُوذُ بالله

كانَ هُناكَ غَسَّالُ ثيابٍ لَهُ حِمار، نَحيفٌ وَجَريحُ الظَّهْرِ وخاوي البَطْن؛
في أرْضٍ صَخْرِيَّةٍ لا نباتَ فيها، مِنَ النَّهارِ لِلَّيْلِ بلا زادٍ ولا مأوى؛
لَمْ يَكُنْ هُنالِكَ شَيْءٌ سِوى الماء، الحِمارُ في السَّوادِ والكَبَدِ في اللَّيْلِ والنَّهار؛
وكانَ في الجِوارِ حَقْلُ قَصَبٍ وَغابَةٌ، وكانَ هُناكَ أَسَدٌ حِرْفَتُهُ الصَّيْد؛
وَقَعَ عِراكٌ بَيْنَ الأَسَدِ وَفيلٍ ذَكَرٍ، فَصارَ ذاكَ الأسَدُ جَريحاً وعاجِزاً عَنْ الصَّيْد؛
تَوَقَّفَ مُدَّةً عَنِ الصَّيْدِ مِنَ الضَّعْف، فَصارَتِ الوُحُوشُ بلا طعامٍ ولا قُوت؛
لأنَّها كانَتْ تأكُلُ مِنْ فُضالَةِ الأسَد، لَمَّا صارَ الأَسَدُ مَريضاً صارَتْ في ضيق؛
أَمَرَ الأَسَدُ ثَعْلَباً أنِ اذْهَبْ، اِبْحَثْ لي عَنْ حِمارٍ أَصْطادُه؛
إذا وَجَدْتَ حِماراً مِنْ حَوْلِ المُرُوج، اِسْحَرْهُ بالحَديثِ واخْدَعْهُ واجْلِبْهُ؛
فأنا متى وَجَدْتُ القُوَّةَ مِنْ لَحْمِ الحِمار، فَسَوْفَ أَصِيْدُ بَعْدَ ذاكَ صَيْداً آخَر؛
آكُلُ مِنْهُ القَليلَ والبَقِيَّةُ لَكَ، إنَّما أنا سَبَبٌ لَكُمْ في الغِذاء؛

اِبْحَثْ لي عَنْ بَقَرَةٍ أو عَنْ حِمار، قُلْ مِنْ أحاديثِ السِّحْرِ تِلْكَ الَّتي تَعْلَم؛
مِنَ المَكْرِ بِهِ وَمِنْ عَذْبِ الحَديثِ لَهُ ، أَخْرِجْهُ مِنَ الدَّرْبِ واسْحَبْهُ إلى هُنا؛

تَشْبيهُ القُطْبِ الَّذي يَكُونُ عارِفاً وواصِلاً في إجراءِ العَطاءِ للخَلْقِ مِنْ قُوتِ المَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ على المَراتِبِ الَّتي أَلْهَمَهُ إيَّاها الحَقّ ، وَتَمْثيلُهُ بالأَسَدِ الَّذي يُعْطي الطَّعامَ وما يَفْضُلُ عَنْهُ مِنَ الأكْلِ للوُحُوشِ على مراتِبِ قُرْبِها مِنَ الأَسَد، لا بالقُرْبِ المكانِيّ بَلْ بالقُرْبِ الصِّفاتِيّ ، وتفاصِيْلُ هذا كَثيرَةٌ واللهُ الهادي

القُطْبُ هُوَ الأَسَدُ وَعَمَلُهُ الصَّيْد، والباقُونَ مِنَ الخَلْقِ يأكُلُونَ مِنْ فُضالَتِه؛
اِسْعَ ما اسْتَطَعْتَ في رِضا القُطْبِ ، كي يَصِيْرَ قَوِيَّاً وَيَصِيدَ الوُحُوش؛
إذا تَأَلَّمَ بَقِيَ بلا غِذاءٍ الخَلْق، فَمَنْ كَفِّ العَقْلِ جُمْلَةُ رِزْقِ الحَلْق؛
لأنَّ وُجْدَ الخَلْقِ بَقِيَّةُ طَعامِهِ، فإذا كانَ قَلْبُكَ طالِبَ الصَّيْدِ احْفَظْهُ؛
هُوَ كالعَقْلِ والخَلْقُ كأَعْضاءِ البَدَن، تَدْبيرُ البَدَنِ مَرْبُوطٌ بالعَقْل؛
ضَعْفُ القُطْبِ يَكُونُ في البَدَنِ لا في الرُّوح، الضَّعْفُ يكُونُ بالسَّفِيْنَةِ لا بِنُوح؛
القُطْبُ ذاكَ الَّذي دَورانُهُ حَوْلَ نَفْسِهِ، وَمِنْ حَوْلِهِ يَكُونُ دَورانُ الأفْلاك؛
أَعْطِهِ العَوْنَ في مَرَمَّةِ سَفينَتِه، إذا كُنْتَ غُلاماً خاصَّاً لَهُ وَعَبْداً؛
عَوْنُكَ زيادَةٌ فيكَ لا فَيْه، الحَقُّ قالَ إنْ تَنْصُروا اللهَ تُنْصَرُوا؛
صِدِ الصَّيْدَ كالثَّعْلَبِ واجْعَلْهُ فِداءً لَهُ ، حَتَّى تَأْخُذَ أَلْفَ عِوَضٍ مِنَ الصَّيْد؛
مِثْلَ صَيْدِ الثَّعالِبِ يَكُونُ صَيْدُ المُريد، صَيْدُ المَيْتَةِ صَيْدُ الضَّبُعِ المَريد؛
تَجُرُّ المَيْتَةَ إِلَيْهِ فَتَصِيْرَ حَيَّةً ، الأوساخُ في البُسْتانِ تَنْمُو نباتاً؛
قالَ الثَّعْلَبُ للأسَدِ أَقُومُ بالخِدْمَةِ، أُهَيِّئُ الحِيَلَ أَفْصُلُهُ عَنْ العَقْل؛
الحِيْلَةُ وَعَمَلُ المَكْرِ عَمَلي ، الحِيْلَةُ والإضْلالُ عَنِ الطَّرِيقِ شُغْلي؛

أَسْرَعَ مِنْ رَأْسِ الجَبَلِ إلى جانِبِ النَّهْر، فَوَجَدَ ذاكَ الحِمارَ المِسْكِيْنَ النَّحِيْل؛
سَلَّمَ عَلَيْهِ السَّلامَ الحارَّ واقْتَرَبَ مِنْهُ، صارَ إلى ذلِكَ السَّاذَجِ القَلْبِ الدَّرويش؛
قالَ كَيْفَ أنتَ في هذِهِ الصَّحْراءِ القاحِلَة، ما بَيْنَ هذِهِ الصُّخُورِ والمَحَلِّ الخَشِن؛
قالَ الحِمارُ أَكُنْتُ في الغَمِّ أمْ في أَرَمْ، الحَقُّ أَعْطاني قِسْمَتي وأنا لِذاكَ شاكِر؛
أنا شاكِرٌ للحَبيبِ في الخَيْرِ والشَّرّ، فَهُناكَ ما هُوَ أَسْوَأُ مِنَ السَّيِّئ في القَضاء؛
بِما أَنَّهُ هُوَ القَسَّامُ فالشِّكايَةُ كُفْرٌ، يَجِبُ الصَّبْرُ فالصَّبْرُ مِفْتاحُ الصِّلَة؛
هُوَ الصَّديقُ والكُلُّ خلا الحَقَّ أَعْداءٌ، متى حَسُنَتِ الشِّكايَةُ للعَدُوِّ مِنَ الصَّديق؛
إذا أَعْطاني اللَّبَنَ الخاثِرَ لا أَطْلُبُ العَسَل ، ذلِكَ أنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ لها غَمٌّ قَرين؛

حِكايَةُ رُؤيَةِ حِمارِ السَّقَّاءِ لِغِذاءِ الخُيُولِ الأَصِيْلَةِ في الإصْطَبْلِ الخاصِّ وَتَمَنِّيْ تِلْكَ الدَّولَة، في المَوْعِظَةِ أَنَّهُ لا يَنْبَغِيْ التَّمَنِّي إلَّا لِلْمَغْفِرَةِ والعِنايَة، فإنَّهُ إذا كُنْتَ في مِئَةِ لَوْنٍ مِنَ الأَلَمِ وكانَتْ لَكَ لَذَّةُ المَغْفِرَةِ يَصِيْرُ كُلُّ ذلِكَ عَذْباً ، وفي البَقِيَّةِ فإنَّ كُلَّ دَولَةٍ لَمْ تُجَرِّبْها وَتَتَمَنَّاها فَهِيَ قَرِينَةٌ للألَم، وَأَنْتَ لا تَرى ذاك كما في كُلِّ شَبْكَةٍ هُناكَ حَبَّةٌ ظاهِرَةٌ وَفَخٌّ خَفِيّ ، أنتَ بَقِيْتَ في هذِهِ الشَّبَكَةِ الواحِدَة وَتَتَمَنَّى أنْ لَيْتَني ذَهَبْتُ إلى تِلْكَ الحُبُوب، تَظُنُّ أنَّ تِلْكَ الحُبُوبَ بلا شِباك

كانَ هُناكَ سَقَّاءٌ وكانَ لَهُ حِمارٌ، صارَ مِنَ المِحْنَةِ مَحْنِيَّ القامَةِ كالحَلَقَة؛
ظَهْرُهُ مِنَ الحِمْلِ الثَّقِيْلِ بِمِئَةِ جُرْحٍ ، كانَ يَطْلُبُ يَوْمَ مَوْتِهِ وَيَعْشَقُ المَوْت؛
لا شَعِيْرَ ولا يَشْبَعُ مِنَ القَشّ، وفي العَقِبِ الجُرْحُ وَسِيْخُ الحَديد؛
رآهُ أميرُ الإصْطَبْلِ وَرَحِمَهُ ، كانَ ذلِكَ الرَّجُلُ يَعْرِفُ صاحِبَ الحِمار؛
فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَسَأَلَهُ عَنِ الحال، أنْ مِمَّ صارَ هذا الحِمارُ مَحْنِيَّاً كالدَّال؛

فقالَ مِنَ الفَقْرِ وَمِنَ التَّقْصِيْرِ مِنِّي، فَهُوَ لا يَجِدُ ما يَسُدُّ بِهِ الرَّمِق؛
قالَ سَلِّمْهُ لي لِبِضْعَةِ أَيّامٍ، حَتَّى يَصِيْرَ في إِصْطَبْلِ الشَّاهِ ذا قُوَّة؛
فَسَلَّمَهُ الحِمارَ وعاشِقُ الرَّحْمَةِ ذاك، رَبَطَهُ في وَسَطِ إِصْطَبْلِ السُّلْطان؛
فَرَأى الحِمارُ في كُلِّ جِهَةٍ جواداً أَصِيْلاً، ذا أَكْلٍ وَسِمَنٍ وَمَنْظَرٍ جَميلٍ بَهِيْج؛
مَكْنُوسَ تَحْتِ الأَقْدامِ والماءُ مَرْشُوشٌ، والتِّبْنُ والشَّعِيْرُ دَوماً في الوَقْتِ والمَوْعِد؛
ورأى تَدْلِيْكَ وَتَمْسيدَ الجِياد، فَرَفَعَ البُوزَ للأعلى أَيُّها الرَّبُّ المَجِيْد؛
لا تَعُدَّني مَخْلُوقاً لَكَ وَعُدَّني حِماراً، مِمَّ أنا عاجِزٌ وَجَرِيحُ الظَّهْرِ وَنَحِيْل؛
أَظَلُّ مِنْ وَجَعِ الظَّهْرِ وَمِنْ جُوْعِ البَطْنِ، أَشْتَهِيْ المَوْتَ في اللَّيْلِ لَحْظَةً بِلَحْظَة؛
هذِهِ الجِيادُ حَسَنَةُ الحالِ مَعَ الغِذاء، ما بالي خُصِصْتُ بالتَّعْذيبِ والبلاء؛
فَجْأَةً علا ضَجِيْجُ وَنِداءُ الحَرْب، هذا وَقْتُ السَّرْجِ والعَمَلِ للجِياد؛
لَقَدْ تَلَقَّتْ جِراحَ السِّهامِ مِنَ العَدُوّ، وجاءَتْها الحِرابُ مِنْ كُلِّ حَدْبٍ وَصَوبٍ؛
وَعِنْدَما عادَتْ مِنَ الغَزْوِ تِلْكَ الجِياد، ارْتَمَتْ جَميعاً على الظَّهْرِ في الإِصْطَبْل؛
وَقُيِّدَتْ أَقْدامُها بالأَرْبِطَةِ بإِحْكامٍ، وَوَقَفَ المُعالِجُونَ البَيْطَرِيُّونَ صَفّاً؛
وراحُوا يَشُقُّونَ الأَجْسادَ بالمَباضِع، حَتَّى يُخْرِجُوا النِّصالَ مِنَ الجِراح؛
الحِمارُ رأى ذاكَ وقالَ أَيْ اَلله، أَعْطِني الرِّضا بالفَقْرِ والعافِيَة؛
أنا نافِرٌ مِنْ ذلِكَ الغِذاءِ وتِلْكَ الجِراحِ الخَطيرَة ، كُلُّ مَنْ أرادَ العافِيَةَ تَرَكَ الدُّنيا؛

رَدُّ الثَّعْلَبِ قَوْلَ الحِمارِ أَنْ أنا راضٍ بالقِسْمَة

قالَ الثَّعْلَبُ طَلَبُ الرِّزْقِ الحلال، فَرْضٌ وَهُوَ مِنْ أَجْلِ الإمْتِثال؛
إِنَّ العالَمَ بالأَسْبابِ ولا شَيْءَ يَجِيْءُ، دُونَ سَبَبٍ فالطَّلَبُ إِذَنْ مُهِمّ؛
وابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ أَمْر، حتَّى لا يُضْطَرَّ المَرْءُ للغَصْبِ كالنَّمْر؛
قالَ النَّبِيُّ مِنْ أَجْلِ الرِّزْقِ أَيْ فَتى، البابُ مُغْلَقٌ وعلى البابِ أَقْفال؛

فالحَرَكَةُ والمَجِيْءُ مِنَّا والاِكْتِساب، هِيَ المِفْتاحُ لِذاكَ القِفْلِ والحِجاب؛
لا طَريقَ لِفَتْحِ هذا البابِ دُونَ مِفْتاح، سُنَّةُ اللهِ لَيْسَتْ غَيْرَ طَلَبِ الرِّزْق؛

جَوابُ الحِمارِ للثَّعْلَب

قالَ ذاكَ يَكُونُ مِنْ ضَعْفِ التَّوَكُّل، الَّذي أَعْطى الشَّخْصَ الرُّوحَ يُعْطِيْهِ الخَبْزَ؛
كُلُّ مَنْ كانَ باحِثاً عَنِ السُّلْطانِ والظَّفَر، قَلَّما يَجِدُ لُقْمَةَ الخُبْزِ أَيْ وَلَد؛
الحَيَوانُ والوَحْشُ جُمْلَةً أَكَّالُ رِزْق، ما مِنْهُمْ ذا كَسْبٍ أو حَمَّالُ رِزْق؛
الرَّزَّاقُ يُعْطِيْهِمْ جَميعاً القُوت، وَيَجْعَلُ قِسْمَةَ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ أمامَهُ؛
الرِّزْقُ يأتي للكُلِّ مِنَ التَّحَلِّي بالصَّبْر ، وَكُلُّ آلامِ السَّعْيِ مِنْكَ مِنْ عَدَمِ الصَّبْر ؛

جَوابُ الثَّعْلَبِ للحَمار

قالَ الثَّعْلَبُ ذاكَ التَّوَكُّلُ نادِرٌ ، وَقَليلٌ مَنْ هُوَ بِهِ ماهِرٌ؛
والطَّوافُ حَوْلَ النَّادِرِ مِنَ الجَهْل، مَتى كانَ لِكُلِّ شَخْصٍ طَريقُ السُّلْطان؛
إذا كانَ الرَّسُولُ سَمَّى القَناعَةَ كَنْزاً، فما كُلُّ شَخْصٍ يَصِلُ إلى الكَنْزِ المَخْفِيّ؛
اِعْرِفْ حَدَّ النَّفْسِ ولا تَطِرْ لأعْلى ، حَتَّى لا تَقَعَ في حَضِيْضِ الفِتْنَةِ والشَّرّ ؛

جَوابُ الحِمارِ للثَّعْلَب

قالَ اعْلَمْ أنتَ تَقُولُ هذا مَعْكُوساً، الفِتْنَةُ والشَّرُّ يَأْتِيانِ للرُّوحِ مِنَ الطَّمَع؛
مِنَ القَناعَةِ لَمْ يَصِرْ شَخْصٌ بلا رُوح، وَمِنَ الحِرْصِ لَمْ يَصِرْ شَخْصٌ سُلْطاناً؛
الكِلابُ والخَنازيرُ لَمْ تُحْرَمْ مِنَ الخُبْز، المَطَرُ والغَيْمُ لَيْسا مِنْ كَسْبِ الخَلْق؛

في تَقْرِيرِ مَعْنى التَّوَكُّلِ وَحِكايَةُ ذلِكَ الزَّاهِدِ الَّذي كانَ يَقُومُ بامْتِحانِ التَّوَكُّلِ وَخَرَجَ مِنْ بَيْنِ الأَسْبابِ والمَدِيْنَةِ ، وابْتَعَدَ عَنِ القَوارِعِ وَطَرِيقِ الخَلْقِ ، وراحَ إلى أَصْلِ جَبَلٍ مَهْجُورٍ مَفْقُودٍ وَهُوَ في غايَةِ الجُوعِ ، وَوَضَعَ الرَّأْسَ على صَخْرَةٍ ونامَ ، وقالَ للنَّفْسِ تَوَكَّلْتُ على مُسَبِّبِ السَّبَبِ والرَّزَّاقِ ، وانْقَطَعْتُ عَنِ الأَسْبابِ ، حَتَّى أرى سَبَبِيَّةَ التَّوَكُّل

ذاكَ زاهِدٌ سَمِعَ مِنَ المُصْطَفى ، أنَّ الرِّزْقَ يَصِلُ يَقيناً مِنَ اللهِ للحَيّ؛
وَسَواءً أَرَدْتَ أمْ لَمْ تُرِدْ فإنَّ رِزْقَكَ، يَجيءُ أمامَكَ مُسْرِعاً عاشِقاً لَكَ؛
ذَهَبَ ذلِكَ الرَّجُلُ لِأجْلِ الاِمْتِحانِ، إلى الصَّحْراءِ إلى جِوارِ جَبَلٍ ونامَ مُسْرِعاً؛
أنْ سَأرى أيَجِيْءُ لِيَ الرِّزْقُ، حَتَّى يَصِيْرَ ظَنِّيْ في الرِّزْقِ يَقِيْناً؛
ضَلَّتْ قافِلَةٌ في الطَّرِيقِ وَلَجَأَتْ ، إلى الجَبَلِ فَرَأَتْ ذاكَ المُمْتَحِنَ نائماً؛
قالُوا ما لِهذا الرَّجُلِ ها هُنا وَحِيداً ، بَعِيداً عَنِ المَدينَةِ والطَّرِيقِ في الصَّحْراء؛
أيْ عَجَباً أَمَيِّتٌ هُوَ أمْ حَيّ، وَكَيْفَ لا يَخافُ مِنْ ذِئْبٍ ولا عَدُوّ؛
جاؤوا إلَيْهِ وَوَضَعُوا عَلَيْهِ اليَدَ، قَصْداً لَمْ يَقُلْ شَيْئاً ذلِكَ الوَقُور؛
كما لَمْ يَتَحَرَّكْ وَلَمْ يُحَرِّكِ الرَّأْسَ، حَتَّى أَنَّهُ مِنْ قَبيلِ الاِمْتِحانِ لَمْ يَفْتَحِ العَيْن؛
فقالُوا إنَّ هذا الضَّعِيْفَ بلا مُراد، وَقَعَ في سَكْتَةٍ مِنْ شِدَّةِ الجُوع؛
فأَتَوا بالخُبْزِ وبالطَّعامِ في القِدْر، حَتَّى يَسْكِبُوهُ في فَمِهِ وفي حَلْقِهِ؛
فَشَدَّ الرَّجُلُ على أَسْنانِهِ قاصِداً ، حَتَّى يَرى صِدْقَ ذاكَ المِيْعاد؛
فَجاءَتْهُمُ الرَّحْمَةُ أنْ هذا شَديدُ الجُوع، إنَّهُ هالِكُ المَوْتِ والفَناءِ مِنَ الجُوع؛
جاءَهُ أولئكَ القَوْمُ مُسْرِعِيْنَ بِسِكِّيْنٍ، وَجَعَلُوا بَيْنَ أَسْنانِهِ المُغْلَقَةِ شِقّاً؛
وَسَكَبُوا في فَمِهِ الحِساءَ قسْراً، وَكَبَسُوا في فَمِهِ قِطَعاً مِنَ الخُبْز،
فقالَ أَيْ قَلْبُ رَغْمَ أَنَّكَ تُمانِعُ، أنتَ تَعْرِفُ السِّرَّ وَتَقُومُ بالدَّلال؛

قالَ القَلْبُ أَعْلَمُ وقاصِداً أَفْعَلُ، رازِقُ رُوحي وَبَدَني هُوَ الله؛
كَيْفَ يكونُ الاِمْتِحانُ أَكْثَرَ مِنْ هذا، الرِّزْقُ يَسِيْرُ السَّيْرَ الحَسَنَ للصَّابرين؛

جَوابُ الثَّعْلَبِ للحِمارِ وَتَحْرِيْضُهُ الحِمارَ على الكَسْب

قالَ الثَّعْلَبُ دَعْكَ مِنْ هذِهِ الحِكايات، مُدَّ اليَدَيْنِ للكَسْب اِبْذِلْ جهْدَ المُقِلّ؛
أعْطاكَ اللهُ يَداً فَقُمْ بالعَمَل، قُمْ بالكَسْبِ وَقَدِّمِ العَوْنَ للصَّديق؛
كُلُّ شَخْصٍ يَنْقُلُ الخُطى في الكَسْب، يَقُومُ بالعَوْنِ للأَصْدِقاءِ الآخَرين؛
لأنَّ جُمْلَةَ الكَسْبِ لا تَجِيْءُ مِنْ واحِدٍ، فَثَمَّةَ النَّجّارُ وَثَمَّةَ السَّقَّاءُ وَثَمَّةَ الحائِكُ؛
هذا العالَمُ قائِمٌ على المُشارَكَة، كُلُّ شَخْصٍ يَخْتارُ عَمَلاً مِنَ الحاجَة؛
إنَّ النُّكُوصَ في الوَسَطِ لَيْسَ شَرْطاً، طَرِيقُ السُّنَّةِ العَمَلُ والمَكْسَبُ؛

جَوابُ الحِمارِ للثَّعْلَبِ أنْ التَّوَكُّلُ أَفْضَلُ المكاسِبِ ، إذْ كُلُّ شَخْصٍ مُحْتاجٌ للتَّوَكُّلِ ، أنْ أَيْ اَللهُ يَسِّرْ لي هذا الأمْرَ، والدُّعاءُ مُتَضَمِّنٌ للتَّوَكُّلِ ، والتَّوَكُّلُ كَسْبٌ ، وَهُوَ غَيْرُ مُحْتاجٍ لأيِّ كَسْبٍ آخَرَ إلخ

قالَ لا أَعْرِفُ في العالَمَيْنِ مِنْ مَكْسَب، يَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ التَّوَكُّلِ على الرَّبّ؛
ولا أَعْلَمُ في الكَسْبِ لِشُكْرِ اللهِ مِنْ نَديد، لِيَجْلِبَ شُكْرُ اللهِ الرِّزْقَ والمَزيد؛
وَطالَ بَيْنَهُما البَحْثُ والخِطاب، حَتَّى كَلَّا عَنِ السُّؤالِ وَعَنِ الجَواب؛
بَعْدَ ذاكَ قالَ لَهُ اعْرِفْ بِهذِهِ المَمْلَكَه، نَهْيَ لا تُلْقُوا بأيْدِيَكُمْ إلى التَّهْلُكَه؛
الصَّبْرُ بَيْنَ الصُّخُورِ في الصَّحْراءِ اليابِسَة، حَماقَةٌ وأَرْضُ اللهِ واسِعَة؛

اِنْتَقِلْ مِنْ هُنا إلى جِهَةِ المُرُوجِ، لِتَرْعى هُناكَ العُشْبَ في جِوارِ الجَدْوَلِ؛
مَرْجٌ أَخْضَرُ كأَنَّهُ الجِنان، يَصِلُ العُشْبُ الأَخْضَرُ مِنْهُ إلى الخَصْرِ؛
سَعِدَ الحَيَوانُ الَّذي يَصِيْرُ إلى هُناك، إنَّ الجَمَلَ في العُشْبِ يَصِيْرُ غَيْرَ مَرْئِيّ؛
وَفي كُلِّ طَرَفٍ مِنْهُ نَبْعُ ماءٍ جارٍ، الحَيَوانُ مِنْهُ مُرَفَّهٌ وفي الأمانِ؛
مِنْ طَبْعِ الحِمارِ لَمْ يَقُلْ لَهُ أَيْ لَعِيْن، لِمَ أنتَ ضَعِيْفٌ هكذا وأنتَ مِنْ هُناك؛
أَيْنَ النَّشاطُ والسِّمَنُ فيكَ والبَهاء، ما هذا البَدَنُ النَّحِيْلُ والمُضْطَرِ؛
إذا كانَ وَصْفُ الرَّوْضَةِ لَيْسَ كَذِباً وَزُوراً ، لِماذا نَظَرُكَ مِنْهُ لَيْسَ مَخْمُوراً؛
نَظَرُ الاِسْتِجْداءِ مِنْكَ وهذا العَمى، مِنَ الفَقْرِ والحاجَةِ لا مِنَ الغِنى؛
إنْ كُنْتَ آتِياً مِنَ العَيْنِ لِمَ أنتَ يابِسٌ، إنْ كُنْتَ نافِجَةَ غزالٍ أَيْنَ عَبيرُ المِسْك؛
عَنْ ذلِكَ الَّذي تَقُولُ وَتَشْرَحُ ، كَيْفَ لا تَطْلُعُ مِنْكَ علامَةٌ أَيْ سَنِيّ؛

إيرادُ مَثَلِ الجَمَلِ في بيانِ أنَّ المُخْبِرَ عَنِ الدَّوْلَةِ والنَّعِيْم ولا يُرى عَلَيْهِ أَثَرُ ذلِكَ يَكُونُ مُتَّهَماً ، وأنَّهُ مُقَلِّدٌ في ذاك

ذاكَ واحِدٌ سَأَلَ الجَمَلَ أنْ أنتَ ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ أَيْ مُبارَكَ القَدَم؛
قالَ مِنَ الحَمَّامِ الحارِّ في حَيِّكَ، قالَ ذاكَ ظاهِرٌ مِنْ رُكْبَتِك؛
فِرْعَوْنُ العَنُودُ رأى حَيَّةَ مُوسى، فَطَلَبَ المُهْلَةَ وَأَظْهَرَ اللِّيْن؛
الأذكِياءُ قالوا كانَ يَجِبُ أنْ يَكُونَ، أَسْرَعَ في هذا ما دامَ هُوَ رَبُّ دِيْن؛
حَيَّةً كانَتِ المُعْجِزَةُ أَمْ ثُعْباناً، ما جَرى للنَّخْوَةِ والغَضَبِ الرُّبُوبيّ؛
إذا كانَ في المَجْلِسِ الرَّبَّ الأعْلى ، ما هذا التَّمَلُّقُ مِنْهُ مِنْ أَجْلِ دُودَة؛
إذا كانَتْ رُوحُكَ سَكْرى النَّبيذِ والزَّبيب، اِعْلَمْ أنَّ رُوْحَكَ لَمْ تَرَ عناقِيْدَ الغَيْب؛
فالعلاماتُ عَنْ تِلْكَ الرُّؤيَةِ للنُّور، هِيَ التَّجافي مِنْكَ عَنْ دارِ الغُرُور؛

الطَّائِرُ إذا كانَ يَدُورُ حَوْلَ الماءِ الآسِنِ، فَلأنَّهُ لَمْ يَرَ المَدَدَ مِنَ الماءِ العَذْب؛
بَلْ إيمانُهُ ذاكَ يَكُونُ تَقْليداً، وَرُوحُهُ تِلْكَ لَمْ تَرَ وَجْهَ الإيمان؛
وَحِيْنَ يَرى وَجْهَ الحَقِّ يَصِيْرُ آمِنا، وَيَصِيْرُ مِنْ اضْطِراباتِ الشَّكِّ ساكِناً؛
زَبَدُ البَحْرِ إلى أنْ يَصِلَ إلى التُّرابِ ، الَّذي هُوَ لَهُ أَصْلٌ يَظَلُّ في اصْطِكاك؛
ذاكَ الزَّبَدُ الغَريبُ في الماءِ تُراب، لا مَناصَ لَهُ في الغُرْبَةِ مِنَ الاِضْطِراب؛
عِنْدَما صارَتْ عَيْنُهُ مَفْتُوحَةً وَقَرَأَ ذلِكَ النَّقْش، لَمْ تَبْقَ للشَّيْطانِ بَعْدَها عَلَيْهِ يَد؛
رَغْمَ أنَّ الحِمارَ قالَ للثَّعْلَبِ الأَسْرارَ، فَقَدْ قالَها مِنَ الثَّرْثَرَةِ وَمِنَ التَّقْليد؛
أَثْنى على الماءِ وَلَمْ يَكُنْ تائقاً، خَمَشَ الوَجْهَ والثَّوْبَ وَلَمْ يَكُنْ عاشِقاً؛
رُدَّ العُذْرُ مِنَ المُنافِقِ لا مِنَ الصَّديق، لأنَّ ذاكَ كانَ في الشَّفَةِ لا في القَلْب؛
لَهُ رائِحَةُ التُّفاحِ وَلَيْسَ جُزْءَ تُفَّاح، هذهِ الرَّائِحَةُ مِنْهُ لَيْسَتْ لِغَيْرِ طَلَبِ الأذى؛
حَمْلَةُ النِّساءِ في وَسَطِ المَعْمَعَة، لا تَشُقُّ الصُّفُوفَ بَلْ تُوْهِنُ العَمَل؛
رَغْمَ أنَّكَ تراهُ كالأَسَدِ في الصَّفّ، فَقَدْ أَمْسَكَ بالسَّيْفِ وَكَفُّهُ تَرْتَجِف؛
واهٍ لِذاكَ الَّذي عَقْلُهُ أُنْثى، وَنَفْسُهُ القَبيحَةُ ذَكَرٌ مُسَيْطِر؛
لا جَرَمَ يَصِيْرُ مَغْلُوباً عَقْلُه، لِغَيْرِ جِهَةِ الخُسْرانِ لا يَكُونُ نَقْلُه؛
أَيْ سَعِدَ ذاكَ الَّذي كانَ عَقْلُهُ ذَكَراً، وَنَفْسُهُ القَبيحَةُ أُنْثى وَخاضِعَة؛
عَقْلُهُ الجُزْئِيُّ يَكُونُ ذَكَراً وغالِباً، العَقْلُ للنَّفْسِ الأُنْثى كانَ سالِباً؛
حَمْلَةُ الأُنْثى بالصُّوْرَةِ جَريئَةٌ أَيْضاً، آفَتُها مِثْلَ ذاكَ الحِمارِ مِنْ طَبْعِ الحِمار؛
الوَصْفُ الحَيَوانِيُّ زائِدٌ عِنْدَ المَرْأة، لأنَّها تَرْكَنُ إلى جِهَةِ اللَّونِ والرَّائِحَة؛
ذاكَ الحِمارُ سَمِعَ بِلَوْنِ وَعَبيرِ المَرْج، جُمْلَةُ الحجَجِ مِنْ طَبْعِهِ هَرَبَتْ؛
لا غَيْمَ وكانَ مُحْتاجاً وَظامِئاً للمَطَر، لا صَبْرَ وَنَفْسُهُ في جُوعِ البَقَر؛
الصَّبْرُ دِرْعٌ مِنَ الحَديدِ أَيْ أَب، الحَقُّ كَتَبَ على الدِّرْعِ جاءَ الظَّفَر؛
ذاكَ المُقَلِّدُ جاءَ بِمِئَةِ دَليلٍ في البيان، قالَ ذاكَ مِنَ القِياسِ لا مِنَ العيان؛

مُلَوَّثٌ بالمِسْكِ إلّا أنَّهُ لَيْسَ مِسْكاً، لَهُ رائِحَةُ المِسْكِ وَلَيْسَ غَيْرَ بَعْر؛
حَتَّى يَتَحَوَّلَ البَعْرُ إلى المِسْكِ أَيْ مُريد، يَجِبُ الرَّعْيُ سِنِيْنَ في تِلْكَ الرَّوْضَة؛
وَيَجِبُ عَدَمُ أَكْلِ التِّبْنِ والشَّعِيْرِ كالحَمِير، ارْعَ الأُرْجُوانَ مِثْلَ غِزْلانِ خَتَن؛
لا تَرْعَ إلّا القرنفلَ أو الياسَمِيْنَ أو الوَرْد، اِذْهَبْ لِصَحْراءِ خَتَنَ مَعَ أولئكَ النَّفَر؛
عَوّدِ المَعِدَةَ على الرَّيْحانِ والوَرْد، حَتَّى تَجِدَ الحِكْمَةَ وَقُوْتَ الرُّسُل؛
حُلْ بَيْنَ طَبْعِ المَعِدَةِ وَبَيْنَ الشَّعِيرِ والتِّبْن، وابْدَأْ بأَكْلِ الرَّيْحانِ والوَرْد؛
مَعِدَةُ البَدَنِ تَشُدُّ إلى مَعْلَفِ التِّبْن، مَعِدَةُ القَلْبِ تَشُدُّ إلى جِهَةِ الرَّيْحان؛
كُلُّ مَنْ أكَلَ الخُبْزَ والشَّعِيْرَ صارَ قُرباناً، كُلُّ مَنْ طَعِمَ نُوْرَ الحَقِّ صارَ قُرآناً؛
نِصْفُكَ مِسْكٌ وَنِصْفٌ بَعْرٌ انْتَبِه، لا تَزِدْ في البَعْرِ زِدْ في ضفائرِ المِسْك؛
ذاكَ المُقَلِّدُ جاءَ بِمِئَةِ دَليلٍ وَمِئَةِ بيان، على اللِّسانِ وما لَدَيْهِ مِنْ رُوح؛
إذا كانَ القائلُ لا يَمْلِكُ الرُّوحَ والنُّور، مَتى يَكُونُ لِمَقالِهِ الوَرَقُ والثَّمَر؛
يُظْهِرُ الشَّجاعَةَ للنَّاسِ في الطَّريق، وَهُوَ بالرُّوحِ أَكْثَرُ ارْتِعاشاً مِنْ وَرَقَةِ قَشّ؛
فَرَغْمَ أنَّ حَديثَهُ كانَ زائِدَ الحُسْنِ، فَقَدْ كانَ في حَديثِهِ رَعْشَةٌ مُضْمَرَة؛

الفَرْقُ ما بَيْنَ دَعْوَةِ الشَّيْخِ الكامِلِ الواصِلِ وما بَيْنَ حَديثِ النَّاقِصِيْن المُتَعَلِّقِيْنَ بِتَحْصِيْلِ فُضُولِ الفَضْل

الشَّيْخُ النُّورانِيُّ خَبيرٌ بالطَّريق، وَيَجْعَلُ النُّورَ لِحَديثِهِ رَفيقاً؛
فاجْتَهِدْ أنْ تَصيرَ سَكْرانَ وَنُورانيّاً، حَتَّى يَصِيْرَ نُورُهُ لِحَديثِكَ أَساساً؛
كُلُّ ما يَصِيْرُ مَغْلِيّاً بالدِّبْس، يَصِيْرُ لَهُ إذا انْعَقَدَ طَعْمُ الدِّبْس؛
مِنْ جَزَرٍ وَمِنْ تُفَّاحٍ وَمِنْ جوزٍ ، تَجِدُ مِنْ كُلِّ ذلِكَ لَذَّةَ الدِّبْس؛
العِلْمُ إذا صارَ مَغْمُوساً بالنُّور، القَوْمُ اللُّدُّ يَجِدُونَ مِنْ عِلْمِكَ النُّور؛

وَكُلُّ ما تَقُولُ يَكُونُ مُخالَطاً بالنُّور، فالسَّماءُ لا تُمْطِرُ إلَّا الطَّاهِرَ أَبَداً؛
فَصِرْ سَماءً صِرْ غَيْماً أَمْطِرِ المَطَر، أَمْطِرِ المِيْزابَ مَطَراً يَجْعَلُهُ بلا عَمَل؛
الماءُ في ميزابِ الماءِ عارِيَة، الماءُ في السَّحابِ والبَحْرِ فِطْرَة؛
الفِكْرُ والظَّنُّ والتَّخْييلُ مِثْلَ الميزاب، الكَشْفُ والوَحْيُ سَماءٌ وَسَحاب؛
ماءُ المَطَرِ جَلَبَ للرَّوْضِ مِئَةَ لَوْن، والمِيْزابُ حَوَّلَ الجارَ إلى مُحارِب؛
حَمَلَ الحِمارُ على الثَّعْلَبِ في البَحْثِ حَمْلَتَيْنِ ثلاثاً، وإِذْ كانَ مُقَلِّداً أَكَلَ خِداعَهُ؛
لَمْ يَكُنْ يَمْتَلِكُ طَنْطَنَةَ إدراكِ النَّظَر، دَمْدَمَةُ الثَّعْلَبِ أَلْزَمَتْهُ السُّكُوت؛
حِرْصُ الأَكْلِ جَعَلَهُ هكذا ذَليلاً، فَصارَ مَهْزوماً وَمَعَهُ خَمْسُمائةِ دَليل؛

حِكايَةَ ذلِكَ المُخَنَّثِ وَسُؤالُ اللُّوطِيّ لَهُ في حالَةِ اللِّواطَةِ أنْ هذا الخَنْجَرُ مِنْ أَجْلِ ماذا ، قالَ مِنْ أجْلِ أَنْ أَشُقَّ بَطْنَ ذاكَ الَّذي يَظُنُّ بي ظَنَّ السُّوء، واللُّوطِيُّ عَلَيْهِ يَرُوحُ وَيَجِيْءُ وَيَقُولُ الحَمْدُ للهِ أَنّي لا أظُنُّ بِكَ ظَنَّ السُّوء

إنَّ بَيْتي لَيْسَ بَيْتاً إنَّهُ إقْليم   إنَّ هَزْلي لَيْسَ هَزلاً إنَّهُ تَعْليم

إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيي أنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها ، أي فما فَوْقَها في تَغْييرِ النُّفُوسِ بالإنكار ، *ماذا أرادَ اللهُ بِهذا مَثَلاً* ، يُجِيْب *يُضِلُّ بِهِ كَثيراً وَيَهْدي بِهِ كَثيراً* ، أَرَدْتُ هذا، فَكُلُّ فِتْنَةٍ تَكُونُ مِثْلَ ميزان ، كثيرُونَ يَصِيْرُونَ مِنْها حُمْرَ الوُجُوه ، وكثيرُونَ يصيرونَ خائبين ، وَلَو تَأَمَّلْتَ فيهِ قليلاً وَجَدْتَ مِنْ نتائجِهِ الشَّريفَةِ كَثيراً

لُوْطِيٌّ أَخَذَ مُخَنَّثاً إلى مَنْزِلِه، ألقى بِهِ مَقْلُوباً وَكَبَسَ عَلَيْه؛
رأى ذاكَ اللَّعِيْنُ على خَصْرِهِ خَنْجَراً، فقالَ لَهُ ما هذا الَّذي على خَصْرِكَ؛

قالَ ذاكَ مِنْ أَجْلِ إذا ما سَيِّئُ خُلُقٍ ، ظَنَّ بِيَ السُّوءَ مَزَّقْتُ بِهِ بَطْنَهُ؛
قالَ اللُّوطِيُّ الحَمْدُ للهِ لِأَنَّني، لَمْ أَظُنَّ بِكَ ظَنَّ السُّوءِ مِنْ عِظَمِ فَضْلي؛
إذا لَمْ تَكُنْ رُجُولَةٌ ما نَفْعُ الخناجِرِ، ما لَمْ يَكُنْ قَلْبٌ لا تَنْفَعُ الخُوَذ؛
مِنْ عَلِيٍّ مِيْراثُكَ ذُو الفقار، إنْ كانَ عِنْدَكَ عَضُدُ أَسَدِ اللهِ احْمِلْهُ؛
أيْ وَقيحُ تَذْكُرُ فُتُونَ المَسِيْح، أَيْنَ شَفَةُ وأَسْنانُ عيسى المَسيح؛
تَصْنَعُ سَفينَةً مِنَ التَّوزيعِ والفُتُوح، قُلْ أَيْنَ ملَّاحٌ للسَّفينَةِ كَنوح؛
وَلْنَفْتَرِضْ أَنَّكَ كَسَرْتَ الصَّنَمَ كإبراهيم، أيْنَ تَضْحِيَتُكَ بِصَنَمِ البَدَنِ في النَّار؛
إنْ كانَ لَكَ دَليلٌ اجْعَلْهُ فاعِلاً، اِجْعَلْ سَيْفَ الخَشَبِ مِنْ ذاكَ ذا الفقار؛
ذاكَ الدَّليلُ الَّذي يكُونُ لَكَ مانِعاً، يكُونُ إذْ يَعْمَلُ للنِّقْمَةِ صانِعاً؛
جَعَلْتَ مِنْ جُبَناءِ الطَّريقِ شُجْعاناً، إذْ أنتَ أكْثَرُ مِنْ جَميعِ الرَّعاديدِ جُبْناً؛
تَقْرَأُ على الجَميعِ دَرْسَ التَّوكُّل، وأنتَ تَقْصِدُ البَعُوضَةَ في الهَواء؛
أيُّها المُخَنَّثُ الَّذي تَقَدَّمْتَ الجَيْشَ، عل كَذِبِ لِحْيَتِكَ أنتَ شاهِدٌ؛
إذا كانَ القَلْبُ مَحْشُوّاً مِنَ اللُّؤمِ، اللِّحْيَةُ والشَّارِبُ مُوْجِبانِ للضَّحِك؛
قُمْ بالتَّوْبَةِ أَمْطِرِ الدَّمْعَ كالمَطَر، واشْتَرِ الشَّارِبَ واللِّحْيَةَ مِنَ الضَّحِك؛
واشْرَبْ دواءَ الرُّجُولَةِ مِنَ العَمَل، لِتَصِيْرَ الشَّمْسُ الحامِيَةُ في الحَمَل؛
وَدَعِ المَعِدَةَ وامْشِ في دلالٍ للقَلْب، حَتَّى يَجِيْءَ السَّلامُ مِنَ الحَقِّ بلا حِجاب؛
تَكَلَّفِ المَشْيَ خُطْوَةَ خُطْوَتَيْنِ أَحْسِنْ صُنْعاً، لِيَأْخُذَ العِشْقُ آنذاكَ بِأُذُنِكَ وَيَجُرُّك؛

غَلَبَةُ حِيْلَةِ الثَّعْلَبِ على اسْتِعْصامِ وَتَعَفُّفِ الحِمارِ
وَسَحْبُ الثَّعْلَبِ للحِمارِ نَحْوَ الأَسَدِ في الغابَة

الثَّعْلَبُ في الحِيْلَةِ كانَ ثابِتَ القَدَمِ، أمْسَكَ بِلِحْيَةِ الحِمارِ وَجَرَّ ذاكَ الحِمار؛
أَيْنَ مُطْرِبُ تِلْكَ الخانِقاه لِيَقْرَعَ بِنَشاطٍ، على الدَّفِّ ذَهَبَ الحِمارُ ذَهَبَ الحِمار؛

ما دامَ أَرْنَبٌ جَرَّ أَسَداً إلى البئر، كَيْفَ لا يأخُذُ ثَعْلَبٌ الحِمارَ إلى العُشْب؛
فأغْلِقِ الأُذُنَ ولا تَأكُلِ الفُتُون، إلَّا فِتْنَةَ ذاكَ الوَلِيِّ العادِل؛
فِتْنَتُهُ تِلْكَ أعْذَبُ مِنْ حَلْواه، ذاكَ الَّذي مِنْ تُرابِ قَدَمِهِ مِئَةُ حَلْوى؛
الدِّنانُ الكَسْرَوانِيَّةُ المَمْلُوءَةُ مِنَ الخَمْر، أخَذَتْ ما عِنْدَها مِنْ خَمْرِ شَفَتَيْه؛
عاشِقُ الخَمْرِ هُوَ تِلْكَ الرُّوحُ البَعِيْدَةُ، الَّتي لَمْ تَرَ خَمْرَ عَقيقِ شَفَتَيْه؛
الطَّائِرُ الأعمى ما دامَ لَمْ يَرَ الماءَ العَذْبَ، كَيْفَ لا يَدُورُ حَوْلَ الماءِ الآسِنْ؛
مُوسى الرُّوحِ يَجْعَلُ مِنَ الصَّدْرِ سَيْناءً، وَيَجْعَلُ البَبَّغاواتِ العُمْيَ مُبْصِرَةً؛
جاءَتْ نَوْبَةُ خَسْرُو شيرين الرُّوح، لا جَرَمَ صارَ القَنْدُ في المَدِيْنَةِ رَخِيْصاً؛
يُوْسُفِيُّو الغَيْبِ يَجُرُّونَ العَسْكَرَ، يَسْحَبُونَ أحْمالَ سُكَّرِ النَّباتِ والسُّكَّر؛
جِمالُ مِصْرَ وُجْهَتُها صَوْبَنا، اِسْمَعِيْ أَيْ بَبَّغاواتُ صَوْتَ الأجْراس؛
مَدينَتُنا تَصيرُ مَمْلُوءَةً مِنَ السُّكَّرِ غَداً، السُّكَّرُ رَخيصٌ وَسَوْفَ يَرْخصُ أكْثَر؛
تمازَجُوا مَعَ السُّكَّرِ يا حَلْوانِيِّيْن، مِثْلَ البَبَّغاءِ رَغْمَ الصَّفْرائيِّيْن؛
دُقُّوا قَصَبَ السُّكَّرِ هذا العَمَلُ وَحَسْب، انثُرُوا الرُّوحَ، هذا الحَبيبُ وَحَسْب؛
لَمْ يَبْقَ في مَدِيْنَتِنا عابِسُ وَجْه، لأنَّ شيرينَ جَعَلَتِ الجَميعَ مُلُوكاً؛
والنُّقْلُ على النُّقْلِ والخَمْرُ على الخَمْر، اِصْعَدْ على المَنارَةِ وارْفَعْ نِداءَ العَطاء؛
خَلٌّ عَشْرِ سِنينَ يَصيرُ عَذْباً، الحَجَرُ والمَرْمَرُ يَصيرانِ ياقُوتاً وَذَهَباً؛
الشَّمْسُ في الفَلَكِ تُصَفِّقُ باليَدَيْن، والذَّرَّاتُ تَلْعَبُ راقِصَةً كالعاشِقِيْن؛
العُيُونُ صارَتْ مَخْمُورَةً مِنَ المُرُوج، والوَرْدُ تَفَتَّحُ براعِمُهُ على الأغْصان؛
عَيْنُ الدَّوْلَةِ تَفْعَلُ السِّحْرَ المُطْلَق، مَنْصُورُ صارَ رُوحاً تَصْرُخُ *أنا الحَقّ*؛
إذا جَرَّ الثَّعْلَبُ الحِمارَ مِنَ الرَّأْس، قُلْ خُذْهُ، لا تَكُنْ حِماراً ولا تأكُلِ الغَمّ؛

حِكايَةُ ذلِكَ الشَّخْصِ الَّذي مِنَ الخَوْفِ أَلْقى بالنَّفْسِ في مَنْزِلٍ، الوَجْنَتانِ شاحِبَتانِ كالزُّعْفُران، الشَّفَتانِ زَرْقاوانِ نِيْلِيَّتان، اليَدانِ مُرْتَعِشَتانِ كأوراقِ الشَّجَر، سَيِّدُ المَنْزِلِ سأَلَهُ خَيْراً ما الواقِعَة؟، قالَ إِنَّـهُمْ يأخُذُونَ الحَمِيْرَ في الخارِجَ للسُّخْرَةِ، قالَ أيْ مُبارَكُ أنتَ لَسْتَ حَماراً فما خَوْفُكَ، قالَ يأخُذُونَ الحَمِيْرَ بِعُنْفٍ بِجِدٍّ، ارْتَفَعَ التَّمييزُ اليومَ، أخشى يَعْتَبِروني حِماراً

ذاكَ واحِدٌ كانَ يَهْرَبُ إلى مَنْزِلٍ، شاحِبَ الوَجْهِ أزرَقَ الشَّفَةِ فاقِدَ اللَّون؛
قالَ لَهُ صاحِبُ المَنْزِلِ خَيْراً، فَأَنْتَ تَرْتَجِفُ مِثْلَ يَدِ العَجُوز؛
ما الواقِعَةُ ولِماذا أنتَ هارِبٌ، ما بالُ لَونِ وَجْهِكَ هكذا بلا لَوْن؛
قالَ إِنَّهُمْ للمَلِكِ العَنيدِ مِنْ أجْلِ السُّخْرَة، يَأخُذونَ كُلَّ حِمارٍ اليَوْمَ في الخارِجِ؛
قالَ فلْيَأْخُذُوها فأَيْنَ الحِمارُ أَيْ رُوحَ العَمّ، ما دُمْتَ لَسْتَ حِماراً اذْهَبْ بلا غَمّ؛
قالَ هُمْ جِدِّيُّونَ جِدّاً وَنَشِيْطُونَ بالأَخْذ، فَلَو اعْتَبَرُوني حِماراً فَلَيْسَ ذاكَ عَجَباً؛
لَقَدْ مَدُّوا الأيْدي لأخْذِ الحِمير، بِجِدِّ الجِدّ بلا تَمييزٍ مِنْهُمْ أَيْضاً؛
ما دامَ غَيْرُ ذَوِي التَّمْييزِ مِنَّا رُؤساءَنا ، يأخُذُونَ صاحِبَ الحِمارِ بَدَلَ الحِمار؛
شاهُ مَدينَتِنا لَيْسَ بالآخِذِ بلا تَمْييز، إنَّ لَهُ تَمْييزاً إنَّهُ سَمِيْعٌ بَصير؛
كُنْ آدَمِيَّاً ولا تَخْشَ أَخْذَ الحَمِير، لَسْتَ حِماراً أَيْ عِيْسى العَصْرِ لا تَخَفْ؛
الفَلَكُ الرَّابِعُ امْتَلأَ مِنْ نُورِكَ أَيْضاً، حاشَ للهِ أنْ يكُونَ مَقامُكَ الإِسْطَبْل؛
بَلْ أنتَ أَعْلى مِنَ الفَلَكِ والنُّجُوم، رَغْمَ أنَّكَ مِنْ أجْلِ المَصْلَحَةِ في الإِسْطَبْل؛
أميرُ الإِصْطَبْلِ شَيْءٌ والحِمارُ شَيْءٌ ، ما كُلُّ مَنْ يكونُ في الإِسْطَبْلِ حِمارٌ؛
ما هذا السُّقُوطُ مِنَّا في إِثْرِ الحِمار، تَحَدَّثْ عَنْ رَوْضَةِ الوَرْدِ والوُرُودِ النَّضيرَة؛
عَنِ الرُّمَّانِ والأُتْرُجِ وأَغْصانِ التُّفَّاح، وَعَنِ الشَّرابِ والحِسانِ بلا حَسيب؛

أو عَنْ ذلِكَ البَحْرِ الَّذي مَوْجُهُ جَوْهَرٌ، وَجَوْهَرُهُ ناطِقٌ وناظِرٌ؛
أو عَنْ تِلْكَ الطُّيُورِ الَّتي تَجْني مِنَ الوَرْد، وَتَضَعُ بُيُوضاً مِنَ الفِضَّةِ والذَّهَب؛
أو عَنْ طُيُورِ الباز المُرَبّيَةِ لِلحَجَلِ، وَتَطيرُ على الظَّهْرِ كما تَطيرُ على البَطْن؛
السَّلالِمُ مَخْفِيَّةٌ في الدُّنيا، دَرجَةً دَرجَةً إلى عِنانِ السَّماء؛
وَلِكُلِّ مَجْمُوعَةٍ سُلَّمٌ مُخْتَلِفٌ، وَلِكُلِّ مَسْلَكٍ سَماءٌ أُخْرى؛
وَكُلُّ واحِدٍ عَنْ حالِ الآخَرِ بلا خَبَر، مُلْكٌ شاسِعٌ بلا بِدايَةٍ ولا نِهايَة؛
هذا بِذاكَ حَيْرانُ أنْ مِمَّ هُوَ سَعِيْدٌ، وذاكَ مِنْ هذا مُنْدَهِشٌ أنْ ما حَيْرَتُه؛
صَحْنُ أَرْضِ اللهِ أُعِدَّ واسِعاً، وَكُلُّ شَجَرَةٍ أَطَلَّتْ بالرَّأْسِ مِنْ أرْض؛
أوراقُ وأغْصانُ الأَشْجارِ ناطِقَةٌ بالشُّكْر، أنْ نِعْمَ المَلِكُ وَنِعْمَ العَرْصَةُ الواسِعَة؛
والبلابِلُ حَوْلَ البراعِمِ المَمْلُوءَةِ بالعُقَد، أنْ مِنْ ذلِكَ الَّذي تأكُلينَ أعْطِنا؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ آنَ الرُّجُوع ، إلى ذلِكَ الثَّعْلَبِ والأَسَدِ والسُّقْمِ والجُوع؛

أَخْذُ الثَّعْلَبِ الحِمارَ إلى الأَسَد ، وفرارُ الحِمارِ مِنَ الأَسَد ،
وعِتابُ الثَّعْلَبِ للأسَدِ أنِ الحِمارُ كانَ لا يزالُ بَعِيداً وَتَعَجَّلْتَ،
واعْتِذارُ الأَسَدِ وَتَمَلُّقُهُ للثَّعْلَب أنِ اذْهَبْ مَرَّةً أُخْرى واخْدَعْه

عِنْدَما أَخَذَهُ مِنَ الجَبَلِ إلى جِهَةِ المَرْج، حَتَّى يَحْمِلَ عَلَيْهِ الأَسَدُ وَيُمَزِّقَهُ إرباً؛
كانَ بَعِيْداً عَنِ الأَسَدِ والأَسَدُ مِنَ العَجَلَة، لَمْ يَصْبِرْ حَتَّى يَقْتَرِبَ مِنْهُ الحِمار؛
هَجَمَ عَلَيْهِ مِنَ الأَعْلى أَسَدُ الهَوْل، لكِنَّهُ كانَ بلا قُوَّةٍ ولا حَوْل؛
الحِمارُ رآهُ مِنْ بَعِيْدٍ وَرَجَعَ هارِباً، حَتَّى مَزَّقَ النَّعْلَ في الرَّكْضِ لِأَسْفَلِ الجَبَل؛
فقالَ الثَّعْلَبُ للأَسَدِ أَيْ مَلِكَنا، كَيْفَ لَمْ تَتَحَلَّ بالصَّبْرِ في وَقْتِ الوَغى؛
لِيَصِلَ إلى مَقْرُبَةٍ مِنْكَ ذاكَ الغَوِيّ، حَتَّى بأَقَلِّ حَمْلَةٍ عَلَيْهِ تَصِيْرَ غالِباً؛
إنَّ التَّسَرُّعَ والعَجَلَةَ مَكْرُ الشَّيْطان، وإنَّ الصَّبْرَ والاِحْتِساب لُطْفُ الرَّحْمن؛

كانَ بَعِيْداً ورأى الحَمْلَةَ وَهَرَبَ، ضَعْفُكَ صارَ ظاهِراً وَماءُ وَجْهِكَ أُريق؛

قالَ أنا كُنْتُ أَظُنُّ أنَّ قُوَّتي باقِيَة، وَلَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أنَّ ضَعْفي لِهذا الحَدّ؛

كما أنَّ جُوعي وَحاجَتي تَجاوزا الحَدّ، وَصَبْري وَعَقْلي مِنَ الجُوعِ شَرَدا؛

إذا كُنْتَ مَرَّةً أُخْرى مِنَ العَقْلِ، تَقْدِرُ أنْ تَرُدَّهُ راجِعاً إلَيَّ؛

فَسَوْفَ يَكُونُ لَكَ عَلَيَّ مِنَنٌ كَثيرَةٌ، فاجْتَهِدْ فَعَسى أَنْ تُعِيْدَهُ لِيْ بِفَنّ؛

قالَ نَعَمْ إذا ما أعانَني الله، وَخَتَمَ على قَلْبِهِ الخَتْمَ مِنَ العَمى؛

فَيَصِيْرَ ناسِياً للهَوْلِ الَّذي رأى، وذا لَيْسَ بَعِيْداً عَنْهُ مِنْ طَبْعِ الحِمار؛

لكِنْ إذا أنا جِئْتُكَ بِهِ لا تُسْرِعْ بالهُجُوم، حَتَّى لا تُسَلِّمَهُ للرِّيْحِ مِنَ التَّعَجُّلِ ثانِيَةً؛

قالَ نَعَمْ لَقَدْ جَرَّبْتُ فَأنا، مَريضٌ جِدّاً وَصِرْتُ مُخَلْخَلَ البَدَن؛

ما لَمْ يَصِلِ الحِمارُ إلى جِواري على التَّمام، لَنْ أَتَحَرَّكَ وَأَكُونُ نائِماً في القِوام؛

ذَهَبَ الثَّعْلَبُ وَهُوَ يَقُولُ أَيْ اَللّهُ الهِمَّةَ، حَتَّى تُغَطِّيَ عَقْلَهُ الغَفْلَة؛

الحِمارُ تابَ إلى اللهِ تَوباتٍ، أنْ لا يَصِيْرَ مَخْدُوعاً لِكُلِّ مُحْتال؛

سَوْفَ أَضْرِبُ تَوْباتِهِ بَعْضَها ببعْض، نَحْنُ عَدُوٌّ للعَقْلِ والعَهْدِ المُضِيْئَيْن؛

رَأْسُ الحِمارِ في مَلْعَبِ أَطْفالِنا كُرَةٌ، وَفِكْرَتُهُ في أيْدِينا دُمْيَةٌ؛

العَقْلُ الَّذي يَكُونُ مِنْ دَوَرانِ زُحَل، ما لَهُ عِنْدَ العَقْلِ الكُلِّيِّ مِنْ مَحَلّ؛

هُوَ صارَ عالِماً مِنْ عُطارِدَ وَزُحَل، وَنَحْنُ مِنْ عَطاءِ اللهِ اللَّطيفِ صِرْنا؛

عَلَّمَ الإنسانَ خَتْمُ طَغْرائنا، عِلْمُ " *عِنْدَ الله* " جُمْلَةُ مقاصِدِنا؛

نَحْنُ تَرْبِيَةُ تِلْكَ الشَّمْسِ المُضِيْئَة، مِنْ ذلِكَ الوَجْهِ نَقُولُ رَبِّيَ الأَعْلى؛

وإنْ كانَتْ صارَتْ لَهُ مِنْ هذا كُلِّهِ تَجْرِبَةٌ، مِئَةُ تَجْرِبَةٍ تَتَحَطَّمُ مِنْ هذِهِ الدَّمْدَمَة؛

فَعَسى يَنْقضُ التَّوْبَةَ ذاكَ الواهِنُ الطَّبْع، فَيَصِلُ شُؤمُ نَقْضِهِ التَّوْبَةَ إلَيْه؛

في بيان أنَّ نَقْضَ العَهْدِ والتَّوْبَةِ مُوجِبٌ للبلاءِ بَلْ مُوْجِبٌ للمَسْخ ، كما حَصَلَ مَع أَصْحابِ السَّبْت ، وَمَعَ أَصْحابِ مائِدَةِ عِيْسى أنْ وَجَعَلَ مِنْـهُمُ القِرَدَةَ والخنازير، وفي هذِهِ الأُمَّةِ يَكُونُ المَسْخُ للقَلْب، وفي القِيامَةِ يُعْطى البَدَنُ صُورَةَ القَلْب

نَقْضُ المِيْثاقِ وَكَسْرُ التَّوبات، يَكُونُ في الإنتِهاءِ مُوجِبَ اللَّعَنات؛
نَقْضُ التَّوبَةِ والعَهْدِ مِنْ أَصْحابِ السَّبْت، كانَ مُوجِباً للمَسْخِ والإهلاكِ والمَقْت؛
جَعَلَ اللهُ أولئكَ القَوْمَ قُرُوداً، بِما نَقَضُوا عَهْدَ الحَقِّ مِنَ العِناد؛
في هذِهِ الأُمَّةِ لَمْ يَكُنْ مَسْخُ بَدَن، بَلْ كانَ مَسْخُ قَلْبٍ أَيْ ذا الفِطَن؛
القَلْبُ المَمْسُوخُ يصيرُ مِثْلَ قَلْبِ القِرْد ، فيصيرُ بَدَنُهُ ذاكَ ذليلاً مِنْ قَلْبِ القِرْد؛
لَوْ كانَ لِقَلْبِهِ فَضْلٌ مِنَ الاخْتيار، متى كانَ صارَ ذليلاً مِنْ صُورَةِ الحِمار؛
كَلْبُ أَصْحابِ الكَهْفِ كانَ حَسَنَ السِّيْرَةِ، وَلَمْ تكُنْ بِهِ مَنْقَصَةٌ مِنْ تِلْكَ الصُّورَة؛
أَهْلُ السَّبْتِ صارَ لَهُمُ المَسْخُ الظَّاهِرُ، حَتَّى يرى الخَلْقُ عَلَيْهِمُ الكَبْتَ الظَّاهِر؛
مِئاتُ أُلُوفِ الآخَرِيْنَ مِنْ كَسْرِ التَّوْبَةِ، صارُوا خنازيرَ وَحَمِيْراً مِنْ طَرِيقِ السِّرّ؛

مَجيءُ الثَّعْلَبِ للمَرَّةِ الثَّانِيَةِ إلى ذلِكَ الحِمارِ الهارِبِ لِيَخْدَعَهُ مِنْ جَديد

ثُمَّ جاءَ الثَّعْلَبُ سَريعاً إلى الحِمار، قالَ الحِمارُ مِنْ مِثْلِكَ صَديقٍ يَنْبَغي الحَذَر؛
أَيُّها اللَّئيمُ ماذا فَعَلْتُ لَكَ، حَتَّى تأخُذَني إلى أمامِ الثُّعْبان؛
ما يَكُونُ مُوجِبُ حِقْدِكَ على رُوحي، غَيْرَ خُبْثِ جَوْهَرِكَ أَيْ عَنُود؛
مِثْلَ العَقْرَبِ يَلْدَغُ قَدَمَ الفَتى، وَلَمْ يَكُنْ وَصَلَ إلَيْهِ مِنْهُ أَذى؛
أو مِثْلَ الشَّيْطانِ الَّذي هُوَ عَدُوُّ رُوحِنا، وَلَمْ يَصِلْهُ مِنَّا ضَرَرٌ ولا خسارَةٌ؛

هُوَ خَصْمُ رُوحِ الآدَمِيّ بالطَّبْع، وَيَكُونُ مِنْ هلاكَ الآدَمِيّ في سُرُور؛
لا يكفُّ عَنْ تَعَقُّبِ كُلِّ آدَمِيّ، مَتى يَتْرُكُ طَبْعَهُ القبيحَ ذاكَ وَطَبيعَتَه؛
ذاكَ أنَّ خُبْثَ الذَّاتِ مِنْهُ بلا مُوجِبٍ، لَهُ نَحْوَ الظُّلْمِ والعُدْوانِ جاذِب؛
يَدْعُوكَ في كُلِّ لَحْظَةٍ إلى المَضافَةِ، لِكَيْ يُلْقِيَ بِكَ في البِئْر؛
أنْ في المَكانِ الفُلانِيّ حَوْضُ ماءٍ وَعُيُون، حَتَّى يُلْقِيَ بِكَ مَقْلُوباً في الحَوْض؛
آدَمُ بِكُلِّ ما لَهُ مِنَ الوَحْيِ والنَّظَر، أَلْقى بِهِ ذاكَ اللَّعِيْنُ في الفِتْنَةِ والشَّرّ؛
بلا ذَنْبٍ بلا أَذِيَّةٍ سابِقَةٍ، وَصَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ آدَمَ بغَيْرِ حَقّ؛
قالَ الثَّعْلَبُ ذاكَ كانَ طَلَّسْمَ سِحْرٍ، أَظْهَرَ لَكَ ذلِكَ الأَسَدَ في العَيْن؛
فها أنا أَكْثَرُ ضَعْفاً مِنْكَ بالجَسَد، وأنا في اللَّيْلِ والنَّهارِ في ذلِكَ المكانِ أرعى؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ نَوْعِ ذلِكَ الطِّلَّسْمِ السِّحْرِيّ، لكانَ هَجَمَ على كُلِّ ما يَرْتَعي هُناك؛
عالَمٌ ضَعِيْفٌ مَملُوءٌ بأمْثالِ الفِيْلِ والفِيْل، مَتى يكُونُ المَرْجُ الأَخْضَرُ بلا طِلَّسْم؛
أنا كُنْتُ أُريدُ أنْ أَشْرَحَ لَكَ الدَّرْسَ ، أنْ إذا رَأَيْتَ مِثْلَ ذلِكَ الهَوْلِ لا تَخَفْ؛
لكِنْ نَسيتُ أنْ أُعَلِّمَكَ ذَهَبَ مِنْ فِكْري، فَقَدْ كُنْتُ مُسْتَغْرِقاً في مَحَبَّتِك؛
رَأَيْتُكَ في جُوعِ الكَلْبِ وبلا غِذاء، فَأَسْرَعْتُ حَتَّى تَصِلَ للدَّواء؛
وإلّا كُنْتُ قُلْتُ لَكَ شَرْحَ الطِّلَّسْم، أنْ ذاكَ يَظْهَرُ خيالاً وَلَيْسَ بِجِسْم؛

جوابُ الحِمارِ للثَّعْلَب

قالَ اذْهَبْ اذْهَبْ مِنْ أمامي أَيْ عَدُوّ، حتَّى لا أرى وَجْهَكَ أَيْ قبيحَ الوَجْه؛
اللهُ تعالى جَعَلَكَ سَيِّئَ البَخْت، وَجَعَلَ وَجْهَكَ القبيحَ واللَّئيمَ كريهاً؛
بِأَيِّ وَجْهٍ أنتَ آتٍ إلَيَّ ، مِثْلَ هذِهِ الصَّفاقَةِ لا يَمْلِكُ الكَرْكَدَنّ؛
كُنْتَ ذاهِباً في دَمِ رُوحي عِياناً، عِنْدَما أَخَذْتني في الطَّرِيقِ إلى المَرْج؛

حَتَّى أنَّني رَأَيْتُ وَجْهَ عزرائيل، ثُمَّ تَجِيْءُ لي مُجَدَّداً بالفَنِّ والتَّسْويل؛
أَكُنْتُ عارَ الحَميرِ أمْ حِماراً مُبارَكاً، أنا مِنَ الأحْياءِ ، هذِهِ الرُّوحُ متى تُشْتَرى؛
ذاكَ الَّذي رَأَيْتُ مِنْ هَوْلٍ بلا أمان، لَو رآهُ طِفْلٌ لَشاخَ في الحَال؛
مِنْ خَوْفِ تِلْكَ الرَّهْبَةِ أَلْقَيْتُ بالنَّفْس، مَقْلُوباً مِنَ الجَبَلِ سَلِيْبَ القَلْبِ والرُّوح؛
قَدَمِي انْعَقَدَتْ آنَذاكَ مِنَ الرُّهاب، عِنْدَما رَأَيْتُ ذاكَ العَذابَ بلا حِجاب؛
عاهَدْتُ اللهَ أَنْ أَيْ ذا المِنَن، أَطْلِقْ مِنَ القَيْدِ قَدَمَيّ؛
لَنْ أَجْزَعَ بَعْدَ هذا وَسْوَسَةَ شَخْص، عَهْداً عَلَيَّ نَذْراً عَلَيَّ أَيْ مُعِيْن؛
الحَقُّ فَكَّ تِلْكَ اللَّحْظَةَ قَدَمِي، مِنْ ذلِكَ الدُّعاءِ والضَّراعَةِ والإشارَةِ مِنِّي؛
وَلَولا ذاكَ لَوَصَلَ إلَيَّ الأَسَدُ الهَصُور، وماذا يَكُونُ الحِمارُ تَحْتَ قَبْضَةِ الأَسَد؛
ثُمَّ عادَ وَأَرْسَلَكَ إلَيَّ أَسَدُ العَرين، أرسَلَكَ مِنَ المَكْرِ أَيْ بِئْسَ القَرين؛
وَحَقِّ الذَّاتِ الطَّاهِرَةِ للهِ الصَّمَد، إنَّ الحَيَّةَ الرَّقْطاءَ أَفْضَلُ مِنْ رَفيقِ السُّوء؛
الحَيَّةُ الرَّقْطاءُ تَسْلبُ رُوحَ السَّليم، رفيقُ السُّوءِ يأخُذُ إلى عذابِ الجَحِيْمِ المُقِيْم؛
القَلْبُ يَسْرِقُ الطَّبْعَ خِفْيَةً مِنْ طَبْعِ القَرِين، بلا قَوْلٍ مِنْهُ ولا مقالٍ ولا حَديث؛
ما دامَ قَدْ أَلْقى عَلَيْكَ ظِلَّهُ، يَسْرِقُ ذاكَ العَدِيْمُ القَدْرِ مِنْكَ القَدْر؛
عَقْلُكَ وَلَوْ كانَ ثُعْباناً يَصِيْرُ سَكْراناً، رَفِيْقُ السُّوءِ يَمْلِكُ الزُّمُرَّدَ اعْلَمْ ذاك؛
نَظَرُ عَقْلِكَ يَخْرُجُ خارِجاً مِنْهُ ، طَعْنُهُ لَكَ يُسْلِمُكَ لَكَفِّ الطَّاعُون؛

جَوابُ الثَّعْلَبِ للحَمار

قالَ الثَّعْلَبُ خَمْرُنا صافٍ بلا كَدَر، لكِنَّ تَخْييلاتِ الوَهْمِ لَيْسَتْ قَلِيْلَةً؛
هذا كُلُّهُ وَهْمُكَ أي بَسِيْطَ القَلْب، فَلَيْسَ لَكَ عِنْدِيْ غِشٌّ ولا غِلّ؛
لا تَنْظُرْ إلَيَّ مِنْ خيالِكَ القَبيح، علامَ تَمْلِكُ سُوءَ الظَّنِّ بالمُحِبِّيْن؛

اِحْمِلِ الظَّنَّ الحَسَنَ لإخْوانِ الصَّفاء، وَلَوْ جاءَ ظاهِراً مِنْهُمُ الجَفاء؛
الخَيالُ والوَهْمُ السَّيّئُ إذْ صارا ظاهِرَيْن، فَرَّقا بَيْنَ مِئاتِ الأُلُوفِ مِنَ الأَصْدِقاء؛
وَلَوْ أنَّ مُشْفِقاً قامَ بالجَوْرِ والاِمْتِحان، يَجِبُ العَقْلُ كَيْ لا يَكُونَ سُوءُ ظَنّ؛
أنا لَسْتُ سَيّئَ الأَصْلِ بَلْ سَيّئَ الاِسْم، ما رَأَيْتَ مِنَ السُّوءِ لَيْسَ سُوءاً بَلْ طِلَّسْم؛
ولَو كانَ سُوءاً ذلِكَ الفِكْرُ في الشَّكْل، الأَصْدِقاءُ أمَرُوا بالعَفْوِ عَنْ ذلِكَ الخَطأ؛
عالَمُ الوَهْمِ والخَيالِ والطَّمَعِ والخَوْفِ، هُوَ للسَّالِكِ مِثْلَ سَدٍّ عَظِيْم؛
نُقُوشُ هذا الخَيالِ قَيْدٌ على النَّفْس، سَبَّبَتِ الأذى لِمِثْلِ الخَلِيْلِ الَّذي كانَ جَبَلاً؛
إبراهيمُ الحَكِيْمُ قالَ هذا رَبِّي، عِنْدَما وَقَعَ في عالَمِ الوَهْم؛
قامَ لِذِكْرِ الكَوْكَبِ بِهكذا تَأْويل، ذلِكَ الشَّخْصُ الَّذي نَظَمَ جَواهِرَ التَّأْويل؛
عالَمُ الوَهْمِ والخيالِ سَدٌّ على النَّظَر، نَقَلَ مِثْلَ ذلِكَ الجَبَلِ مِنْ مَوْضعِه؛
حَتَّى جاءَ قالَهُ هذا رَبِّي، فَكَيْفَ يَكُونُ حالُ البَطَّة والحِمار؛
لَقَدْ غَرِقَتْ عُقُولٌ كالجِبال، في بِحارِ الوَهْمِ وَلُجَّةِ الخَيال؛
وكانَ للجِبالِ مِنْ هذا الطُّوفانِ فُضُوح، فَأَيْنَ الأمانُ إلَّا في سَفِيْنَةِ نُوح؛
مِنْ هذا الخَيالِ قاطِعِ طَرِيقِ اليَقِيْن، صارُوا اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِيْنَ مِلَّةً أَهْلُ الدِّيْن؛
رَجُلُ الإيقانِ تَحَرَّرَ مِنَ الوَهْمِ والخَيال، فَلَمْ يَقُلْ عَنْ شَعْرَةِ الحاجِبِ أنَّها الهِلال؛
ذاكَ الَّذي لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نُوْرِ عُمَرِهِ سَنَد، قَطَعَتْ دَربهُ شَعْرَةٌ مِنَ الحاجِبِ مائلَة؛
مِئاتُ أُلُوفِ السُّفُنِ المَهُولَةِ الرَّهِيْبَةِ ، تَقَطَّعَتْ خَشْبَةً خَشْبَةً في بِحارِ الوَهْم؛
أَقَلُّها فِرْعَوْنُ الماهِرُ الفَيْلَسُوف، قَمَرُهُ في بُرْجِ الوَهْمِ في خُسُوف؛
لا شَخْصَ يَعْرِفُ المَرْأَةَ البَغِيَّ مَنْ تَكُون، الَّذي يَعْرِفُ هُوَ بلا وَهْمٍ في النَّفْس؛
فكيفَ أنتَ وَلَدَيْكَ الوَهْمُ وحائرٌ، مِمَّ صِرْتَ تَدُورُ حَوْلَ وَهْمِ ذاكَ الآخَر؛
أنا مُفْلِسٌ مِنْ هذِهِ الأنانيةِ مِنْ نَفْسي، فلِماذا جَلَسْتَ مَمْلُوءاً بالأنانِيَةِ أمامي؛
أنا أَسْعى بالرُّوحِ دُونَ نَحْنُ وأنا، حَتَّى أَصِيْرَ كُرَةً لِذلِكَ الصَّولَجانِ الجَميل؛

كُلُّ مَنْ صارَ بلا أنا صارَ كُلَّ أنا، مَنْ لَيْسَ حَبيباً لِنَفْسِهِ صارَ حَبيبَ الجَميع؛
المِرْآةُ بلا نَقْشٍ غالِيَةُ الثَّمَن، لأنَّها صارَتْ حاكِيَةً لِجَمِيْعِ النُّقُوش؛

حِكايَةُ السَّيِّد مُحَمَّدْ سَرْوَرِي غَزْنَوِي قَدَّسَ اللهُ سِرَّه

زاهِدٌ في غَزْنَةَ ذُو مَزِيَّةٍ مِنَ العِلْم، كانَ باسْمِ مُحَمَّد وَكُنْيَتُهُ سَرْوَرِي؛
كانَ إفْطارُهُ الثَّرِيدَ كُلَّ لَيَلَةٍ، لِسَبْعِ سِنينَ ظَلَّ في مَطْلَبٍ؛
كَمْ رأى مِنَ العَجائِبِ مِنْ شاهِ الوُجُود، لكِنَّ مَقْصُودَهُ كانَ جَمالَ الشَّاه؛
ذاكَ المَلُولُ مِنَ النَّفَسِ ذَهَبَ إلى رَأْسِ جَبَلٍ، قالَ تَجَلَّ أو أُلْقِيَ بِنَفْسي للأَسْفَل؛
قالَ لَمْ تَأْتِ مُهْلَةُ تِلْكَ المَكْرُمَة، وَلَوْ سَقَطْتَ لَنْ تَمُوتَ وَلَنْ أَقْتُلَك؛
أَسْقَطَ النَّفْسَ للأَسْفَلِ مِنَ الوِداد، فَسَقَطَ في وَسَطِ ماءٍ عَمِيْق؛
شَبِعَ مِنَ الحَياةِ ولَمْ يَمُتْ مِنَ النَّكْس، فراحَ يَنُوحُ على النَّفْسِ مِنْ فِراقِ المَوت؛
فَهذِهِ الحياةُ تَبْدُو لَهُ كأنَّها المَوْت، فَقَدْ صارَ الأمْرُ مِنْ أمامِهِ مَقْلُوباً؛
صارَ يَسْتَجْدِي المَوْتَ مِنَ الغَيْب، يُرَدِّدُ إنَّ في مَوتي حَياتي؛
لَمَّا صارَ قابِلاً للمَوْتِ كالحَياة، صارَ قَلْباً واحِداً في هلاكِ النَّفْس؛
السَّيْفُ والخَنْجَرُ رَيْحانُهُ كَعَلِيّ، النَّرْجِسُ والنِّسْرِينُ عَدُوٌّ لِرُوحِه؛
جاءَ النِّداءُ اذْهَبْ مِنَ الصَّحْراءَ للمَدِيْنَة، نِداءٌ طُرْفَةٌ مِنْ وراءِ السِّرِّ والجَهْر؛
فقالَ أَيْ عالِمَ سِرِّي شَعْرَةً بِشَعْرَةٍ ، ما أَفْعَلُ في المَدِيْنَةِ مِنْ خِدْمَةٍ لَكَ قُلْ؛
قالَ خِدْمَةً يَكُونُ بِها ذُلُّ النَّفْس، اِجْعَلْ مِنَ النَّفْسِ شَحَّاذاً مِثْلَ عَبَّاس دَبْس؛
مُدَّةً تَأْخُذُ الذَّهَبَ مِنَ الأَغنياء، ثُمَّ تُعْطِيْهِ للمساكِيْنَ والفُقَراء؛
هذِهِ خِدْمَتُكَ مُدَّةً مِنَ الوَقْت، قالَ سَمْعاً وطاعَةً أَيْ ملاذَ الرُّوح؛
كَمْ مِنْ سُؤالٍ وَمِنْ جوابٍ وما جَرى، كانَ بَيْنَ الزَّاهِدَ وَرَبِّ الورى؛

امْتَلأَتِ الأَرْضُ والسَّمواتُ بالنُّور، كُلُّ ذلِكَ في المقالاتِ مذْكُور؛
لكِنَّني جَعَلْتُ ذلِكَ الحَديثَ مُخْتَصَراً ، حَتَّى لا يَشْرَبَ الأَسْرارَ كُلُّ خَسيس؛

مَجيءُ الشَّيْخِ بَعْدَ بِضْعِ سِنِيْنَ مِنَ الصَّحْراء إلى مَدينَةِ غزنين ، وَدَوَرانُهُ بالزَّنْبيل عَنْ إشارَةٍ غَيْبِيَّةٍ وَتَوزيعُهُ ما يَجْمَعُ على الفُقَراء

كُلُّ مَنْ لَهُ رُوحُ عِزٍّ لَبَّيْكَ، لَهُ كِتابٌ على كِتابٍ وَرَسُولٌ على رَسُول؛
يكُونُ كما الكُوَّةُ في المَنْزِلِ لا يَنْقَطِعُ عنها، ضَوءُ القَمَرِ والشَّمْسِ والكِتاب؛
وَجَّهَ الوَجْهَ قابِلُ الأمْرِ ذاكَ للمَدِيْنَة، مَدينَةُ غَزْنينَ صارَتْ مِنْ وَجْهِهِ مُنِيرَة؛
خَلْقٌ مِنَ الفَرَحِ ذَهَبُوا للاِسْتِقْبال، لكِنَّهُ دَخَلَ مِنْ طريقٍ خَفِيٍّ خِلْسَةً مُسْرِعاً؛
جُمْلَةُ الأعيانِ والوُجَهاءِ نَهَضُوا، زَيَّنُوا مِنْ أَجْلِهِ القُصُور؛
قالَ أنا لَمْ آتِ لأجْلِ التَّباهي، أنا لَمْ آتِ لِغَيْرِ الذُّلِّ والاِسْتِجْداء؛
أنا لَسْتُ في عَزْمِ قِيْلٍ وقال، أنا دائرٌ بالزَّنْبيلِ بالكَفِّ مِنْ بابٍ لِباب؛
أنا عَبْدٌ أُنْفِذُ الأمْرَ فالأمْرُ لي مِنَ اللهِ ، بأنْ أصيرَ شَحَّاذاً سأصيرُ شَحَّاذاً؛
في الاِسْتِجْداءِ لا آتي بِلَفْظٍ نادِرٍ، غَيْرَ طَريقِ الشَّحَّاذينَ البائسينَ لا أَسْلُكُ؛
حَتَّى أَصِيْرَ غارِقاً بالمَذَلَّةِ على التَّمام، وَأَسْمَعَ مِنَ الخاصِّ والعامِّ سَقْطَ الكلام؛
أمْرُ الحَقِّ رُوحي وأنا لِذاكَ تَبَع، أَمَرَنِيْ بالطَّمَعِ *ذَلَّ مَنْ طَمَعْ*؛
بما أنَّ سُلْطانَ الدِّيْنِ طَلَبَ مِنِّي الطَّمَعَ، فلْيَكُنِ التُّرابَ على فَرْقِ القناعَةِ بَعْدَها؛
طَلَبَ مِنِّي المَذَلَّةَ فمتى أطلبُ العِزَّةَ، طَلَبَ مِنِّي الاِسْتِجْداءَ فَمَتى أطلِبُ الإمْرَة؛
مِنَ الآنَ الكَدُّ والمَذَلَّةُ رُوحي، عِشْرُونَ عَبَّاساً مَعِي في الخِرْج؛
وراحَ الشَّيْخُ يَدُورُ والزَّنبيلُ في يَدِه، شَيْءٌ للهِ يا سَيِّدُ لَكَ التَّوفيق؛
أعلى مِنَ الكُرْسِيِّ والعَرْشِ أَسْرارُهُ، شُغْلُهُ *شَيْءٌ للهِ شَيْءٌ لله*؛
هُوَ فَنُّ الأنبياءِ كُلِّ الأنبياء، إنَّهُمْ يَسْتَجْدُونَ الخَلْقَ المُفْلِس؛

يَقُولُونَ اَقْرِضُوا اللهَ أَقْرِضُوا الله، يَنْطِقُونَ بالعَكْسِ *اِنْصُروا اللهَ*؛
الشَّيْخُ يُورِدُ الحاجَةَ مِنْ بابٍ إلى باب، وعلى الفَلَكِ مِئَةُ بابٍ مَفْتُوحَةٍ للشَّيْخ؛
فذاكَ الشَّحَّاذُ السَّاعِي في الشَّحاذَةِ بِجِدّ، ساعٍ في سَبيلِ اللهِ لا مِنْ أَجْلِ الحَلْق؛
وَلَو سَعى أَيْضاً مِنْ أجْلِ الحَلْق، ذاكَ الحَلْقُ مِنْ نُورِ الحَقِّ لَهُ غُلُوّ؛
أَكْلُ خُبْزٍ وَشَهْدٍ وَلَبَنٍ في الحَقّ، خَيْرٌ مِنْ أربَعِيْنِيَّةٍ وَصِيامِ ثلاثَةِ أَيَّامِ مِئةِ فَقير؛
لا تَقُلْ هُوَ يأكُلُ الخُبْزَ إنَّهُ يأكُلُ النُّور، بالصُّورَةِ يَرْعى وبالحَقيقَةِ يَزْرَعُ الشَّقائق؛
مِثْلَ الشِّرارِ يأكُلُ الزَّيْتَ عَنِ الشَّمْع، فَيَزيدُ النُّورُ مِنْ أكْلِهِ للجَمْع؛
عَنْ أكْلِ الخُبْزِ قالَ الحَقُّ لا تُسْرِفُوا، وَعَنْ أكْلِ النُّورِ لَمْ يَقُلْ اكْتَفُوا؛
ذاكَ حَلْقُ ابتِلاءٍ وهذا الحَلْق، فارِغٌ مِنَ الإسْرافِ وآمِنٌ مِنَ الغُلُوّ؛
كانَ أمْراً وَتَقْريراً لا حِرْصاً وَطَمَعاً، مِثْلُ تِلْكَ الرُّوحِ لَيْسَتْ للحِرْصِ تَبَعاً؛
لَو قالَ أعْطِني كِيْمِياءَ تَبْدِيْلِ النُّحاس، لا تَظُنَّنَّ أَنَّ ذاكَ مِنْهُ طَمَعٌ؛
كُنُوزُ التُّرابِ إلى سابِعِ طَبَق، مَعْرُوضَةٌ أمامَ شَيْخِ الحَقّ؛
الشَّيْخُ قالَ أي خالِقا أنا عاشِق، إنْ بَحَثْتُ عَنْ غَيْرِكَ أنا فاسِق؛
لَوْ جَعَلْتُ الجِنانَ الثَّمانِيَ في النَّظَر، لو قُمْتُ بالخِدْمَةِ خَوفاً مِنْ سَقَر؛
أكُونُ مُؤمِناً باحِثاً عَنِ السَّلامَة، لأنَّ كِلا هذينِ الإثْنَيْنِ حَظُّ البَدَن؛
العاشِقُ الَّذي مِنْ عِشْقِ يَزدانَ أَكَلَ القُوت، مِئَةُ بَدَنٍ عِنْدَهُ لا تُساوِي وَرَقَةَ تُوت؛
وهذا البَدَنُ الَّذي يَمْلِكُ الشَّيْخُ الفَطِن، صارَ شَيْئاً آخَرَ لا تُسَمِّهِ البَدَن؛
أَعاشِقٌ عِشْقَ اللهِ ثُمَّ تَطْلُبُ الأجْرَ، أجَبرائيلُ مُؤتَمَنٌ ثُمَّ يكُونُ سارِقاً؛
عاشِقُ ليلى السَّوداءِ بلا جَمال، مُلْكُ العالَمِ عِنْدَهُ مِثْلَ وَرَقَةِ التُّوت؛
صارَ واحِداً عِنْدَهُ التُّرابُ والذَّهَب، الذَّهَبُ ما يَكُونُ لا خَطَرَ عِنْدَهُ للرُّوح؛
الأَسَدُ والذِّئْبُ والوَحْشُ وَقَفَتْ عَلَيْهِ، تَجَمَّعَتْ عَلَيْهِ كأَنَّها لَهُ أَهْل؛
إذْ أنَّهُ صارَ طاهِراً مِنَ الطَّبْعِ الحَيَوانِيّ، مَمْلُوءٌ مِنَ العِشْقِ وَلَحْمُهُ وَشَحْمُهُ سُمّ؛

سُكّرُ العَقْلِ الَّذي يَقْطِرُ سُمٌّ للوَحْش، ذلِكَ لأنَّ الحَسَنَ الجَمِيْلَ ضِدٌّ للسَّيِّئ؛
لَحْمُ العاشِقِ لا يَكُونُ غِذاءً للوَحْش، العِشْقُ مَعْرُوفٌ لدى السَّيِّئِ والحَسَن؛
وإنْ أَكَلَهُ كانَ لَهُ مَصْيَدَةً وَوَحْشاً، يصيرُ لَحْمُ العاشِقِ سُمّاً وَيَقْتُلُه؛
كُلُّ ما سِوى العِشْقِ صارَ مَأكُولَ العِشْق، العالَمانِ حَبَّةٌ أمامَ مِنْقارِ العِشْق؛
فَهَلْ أَكَلَتْ حَبَّةٌ طائراً أَبَداً، وَهَلْ أكَلَ عَلَفٌ جواداً قطّ؛
قُمْ بالعُبُودِيَّةِ لِتَصيرَ عاشِقَ اللَّعَل، العُبُودِيَّةُ تَصيرُ كَسْباً في العَمَل؛
العَبْدُ يَطْمَعُ أنْ يَصِيْرَ حُرّاً مِنَ الجَدّ، العاشِقُ لا يَطْلُبُ الحُرِّيَّةَ إلى الأَبَد؛
العَبْدُ يُرِيدُ الخِلْعَةَ والرِّزْقَ دائماً، خِلْعَةُ العاشِقِ رُؤيَةُ الحَبيبِ دائماً؛
العِشْقُ لا يُسْتَوْعَبُ بالحَديث، العِشْقُ بَحْرٌ لا يُرى لَهُ قَعْر؛
قَطَراتُ البَحْرِ غَيْرُ مُمْكِنَةِ العَدّ، البِحارُ السَّبْعَةُ أمامِ ذاكَ البَحْرِ فُتات؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ أي فُلان، عُدْ بِنا إلى قِصَّةِ شَيْخِ الزَّمان؛

في مَعْنى لَولاكَ ما خَلَقْتُ الأفلاك

الشَّيْخُ صارَ شَحّاذاً مِنْ حَيٍّ إلى حَيّ، العِشْقُ جاءَ " *لا أُبالي* " اتَّقُوا؛
العِشْقُ جَعَلَ البَحْرَ يَغْلي كالقِدْر، العِشْقُ سَحَقَ الجَبَلَ كأنَّهُ الرَّمْل؛
العِشْقُ شَقَّ الفَلَكَ مِئَةَ شِقّ، العِشْقُ زَلْزَلَ الأَرْضَ بلا كُلْفَة؛
العِشْقُ الطَّاهِرُ كانَ لِمُحَمَّدٍ شَفِيْعاً، مِنْ أَجْلِ عِشْقِهِ قالَ لَهُ اللهُ *لَولاك*؛
بِما أنَّهُ كانَ وَحْدَهُ المُنْتَهى في العِشْق، خَصَّصَهُ اللهُ عَنِ الأنبياءِ بِذاك؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَجْلِ العِشْقِ الطَّاهِر، مَتى كُنْتُ أوجَدْتُ الأفلاك؛
أنا رَفَعْتُ الفَلَكَ السَّنِيَّ، حَتَّى تَفْهَمَ عُلُوَّ العِشْق؛
منافِعُ أُخْرى تَجِيْءُ مِنَ الفَلَك، هِيَ كالبيضَةِ تابِعٌ وهذا كالفَرْخ؛

جَعَلْتُ التُّرابَ جُمْلَةً ذليلاً، حَتَّى تُدْرِكَ مِنْ ذُلِّ العاشِقِيْنَ عَبيراً؛
أَعْطَيْتُ التُّرابَ الخُضْرَةَ والجِدَة، حَتَّى تَصِيْرَ مُدْرِكاً لِتَبْدِيْلِ الفقير؛
وَتَقُولَ لَكَ هذِهِ الجِبالُ الرَّاسِيات، وَصْفَ حالِ العاشِقِيْنَ في الثَّبات؛
رَغْمَ أنَّ ذاكَ مَعْنىً وهذا صُورَةٌ أَيْ وَلَد، حَتَّى يَكُونَ ذاكَ أَقْرَبَ إلى فَهْمِك؛
شَبَّهُوا الغُصَّةَ بالشَّوك، هِيَ لَيْسَتْ شَوكاً ذاكَ تَنْبيه؛
ذاكَ القَلْبُ القاسي الَّذي سَمَّوْهُ صَخْراً، لا نِسْبَةَ لهُ مَعَ الصَّخْرِ ساقُوا ذاكَ مِثالاً؛
عَيْنُ ذاكَ لا تَجِيْءُ بالتَّصْوير، لا تَنْفِهِ واجْعَلِ العَيْبَ في التَّصْوير؛

ذهابُ ذاكَ الشَّيْخِ يَوماً بِزَنْبيلِهِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ إلى مَنْزِلِ أميْرٍ للاِسْتِجْداء عَنْ إشارَةٍ غَيْبِيَّةٍ وعِتابُ الأَمِيْرِ لَهُ على تِلْكَ الوَقاحَةِ واعْتِذارُهُ للأمير

الشَّيْخُ يَوماً أَرْبَعَ كرَّاتٍ كالفقير، ذَهَبَ مُسْتَجْدِياً إلى قَصْرِ الأمير؛
في كَفِّهِ الزَّنبيلُ وَيَقُولُ شَيْئاً لله، خالِقُ الرُّوحِ يَسْأَلُ لُقْمَةَ الخُبْز؛
نِعالٌ مَعْكُوسَةٌ أَيْ وَلَد، تَجْعَلُ العَقْلَ الكُلِّيَّ دائرَ الرَّأْس؛
عِنْدَما رآهُ الأميرُ قالَ لَهُ أَيْ وَقِيْح، أَقُولُ لَكَ شَيْئاً ولا تَدْعُني بالشَّحِيْح؛
أَيَّةُ جُرْأَةٍ وَأَيُّ عَمَلٍ وبِأَيِّ وَجْه، تَجِيْءُ إلَيَّ في اليَومِ أَرْبَعَ مَرَّات؛
أيُّ شَيْخٍ مِنَ الشُّيُوخِ أنتَ هُنا، أنا لَمْ أَرَ شَحَّاذاً ذَكَراً قَطُّ مِثْلَك؛
ذَهَبْتَ بِحُرْمَةِ وماءِ وَجْهِ الشَّحَّاذين، أَيُّ عبَّاسٍ قَبيحٍ أنتَ في التَّسَوُّل؛
عَبَّاسُ الدَّبْس واحِدٌ مِنْ أتباعِك، لا كانَتْ لِمُلْحِدٍ هذِهِ النَّفْسُ المَنْحُوسَة؛
قالَ أَيْ أميرُ أنا عَبْدٌ للأَمْرِ فاصمتْ، لَسْتَ خَبيراً بِناري فلا تجِشْ أكثَر؛
لَو رَأَيْتُ في النَّفْسِ حِرْصاً لأَجْلِ الخُبْز، لَمَزَّقْتُ هذا البَطْنَ الَّذي يَطلبُ الخُبْز؛

سَبْعَ سِنينَ أطبخُ الجِسْمَ في دَرْبِ العِشْق، كُنْتُ آكُلُ أوراقَ الكَرْمِ في الصَّحْراء؛
مِنْ كَثْرَةِ ما أَكَلْتُ مِنْ وَرَقٍ يابِسٍ وَأَخْضَرٍ، صارَ بَدَني هذا أَخْضَرُ اللَّون؛
ما دُمْتَ باقِياً في حِجابِ أبي البَشَر، أقِلَّ النَّظَرَ إلى العاشِقِيْنَ باحْتِقار؛
الأذْكِياءُ الَّذينَ يَشُقُّونَ الشَّعْرَةَ، أدْرَكُوا عِلْمَ الهَيْئَةِ بالرُّوح؛
عِلْمَ النِّيْرَنْجاتِ والسِّحْرَ والفَلْسَفَة، وإنْ لَمْ يَعْرِفُوهُ تمامَ المَعْرِفة؛
لكِنَّهُمْ سَعَوا بِقَدْرِ إمكانِهِمْ، وَسَبَقُوا جَمِيْعَ أَقْرانِهِمْ؛
غَيْرَةُ العِشْقِ أَغْلَقَتْ دُونَهُمُ البابَ، صارَتْ هكذا شَمْسٌ عَنْهُمْ خافِيَةً؛
نُورُ العَيْنِ الَّذي رأى النَّجْمَ في النَّهار، كَيْفَ خَبَّأَتْ عَنْهُ الشَّمْسُ الوَجْهَ؛
فاعْبُرْ مِنْ هذا واقْبَلْ نَصِيْحَتي، وانْظُرْ إلى العاشِقِيْنَ بِعَيْنِ العِشْق؛
الوَقْتُ يَنْحُلُ والرُّوحُ في الرَّصد، لا أَسْتَطِيْعُ أنْ أَقُولَ لَكَ الآنَ العُذْر؛
اِفْهَمْ لا تَكُنْ مَوقُوفَ ذاكَ الكلام، لا تَخْدِشْ كثيراً صُدُورَ العاشِقِيْن؛
أنتَ لَمْ تَحْصَلْ على خَيالٍ مِنْ هذا النَّشاط، لا تَقُمْ بالحَزْمِ قُمْ بالاِحْتياط؛
واجِبٌ وجائزٌ وَمُسْتَحِيْل، خُذْ هذا الوَسَطَ في الحَزْمِ أَيْ دَخِيْل؛

بُكاءُ الأميرِ مِنْ نَصِيحَةِ الشَّيْخ وانعِكاسُ صِدْقِهِ وإيثارُهُ المَخْزَنَ بَعْدَ تِلْكَ الجُرْأة، واسْتِعصامُ الشَّيْخ وَعَدَمُ قَبُولِهِ وَقَوْلُهُ أنا لا أَقُومُ بِتَصَرُّفٍ بلا إشارَة

قالَ هذا وانبرى في البُكاءِ والنَّشيج، دُمُوعُ الخاطِئِ على وَجْهِهِ تَجْري؛
صِدْقُهُ وَقَعَ على ضَمِيْرِ الأمير، العِشْقُ يَطْبِخُ كُلَّ لَحْظَةٍ قِدْراً بَدِيْعَةً؛
صِدْقُ العاشِقِ يَقَعُ على الجماد، فما العَجَبُ إنْ وَقَعَ على قَلْبِ العالِم؛
صِدْقُ مُوسى وَقَعَ على العَصا والجَبَل، بَلْ وَقَعَ على البَحْرِ المَملُوءِ بالعَظَمَة؛

صِدْقُ أَحْمَدَ وَقَعَ على جَمالِ القَمَر، بَلْ قَطَعَ الطَّريقَ على الشَّمْسِ المُشِعَّة؛
وَجَّها الوَجْهَ للوَجْهِ كِلاهُما في نَفير، صارَ باكِياً الأميرُ وصارَ باكِياً الفَقِيْر؛
بَعْدَ أنْ بَكَيا ساعَةً طَويلَةً، قالَ لَهُ الأميرُ انْهَضْ أَيْ كَريم؛
انتَخِبْ مِنَ الخَزانَةِ كُلَّ ما تُريد، رَغْمَ أنَّكَ تَسْتَحِقُّ مِئَةً مِنْ أمثالِ هذا؛
البَيْتُ لَكَ وكُلُّ ما تَميلُ إِلَيْهِ لَكَ، اِنْتَخِبْ وإنَّ كِلا العالَمَيْنِ قَليل؛
قالَ إنَّهُ لَمْ يُعْطِني الإذْنَ هكذا، وأنْ أَخْتارَ بيَدِي شَيْئاً؛
لا أقْدِرُ مِنَ النَّفْسِ على فِعْلِ هذا الفُضُول، أَفْعَلُ هذا وأَقُومُ كالدُّخَلاءِ بالدُّخُول؛
عَمِلَ هذا الاعْتِذارَ وأَغْلَقَ الحديث، المانِعُ كانَ أنَّ ذاكَ العَطاءَ لَمْ يَكُنْ صادِقاً؛
لَمْ يَكُنْ صادِقاً خالِياً مِنَ الغِلِّ والغَضَب، فكُلُّ صِدْقٍ يَجِيْءُ للشَّيْخِ في النَّظَر؛
قالَ هكذا أُعْطِيَ لِيَ الأمْرُ مِنَ الإله ، أنِ اذْهَبْ كالشَّحَّاذِيْنَ واطْلُبِ الخُبْز؛

مَجيءُ الإشارَةِ مِنَ الغَيْبِ للشَّيْخِ أنْ هاتانِ السَّنَتانِ بِأَمْرِنا أَخَذْتَ وَأَعْطَيْتَ ، بَعْدَ هذا أَعْطِ ولا تَأْخُذْ ، مُدَّ يَدَكَ تَحْتَ الحَصِيْرِ فَقَدْ جَعَلْنا ذاكَ لَكَ مِثْلَ مَخْزَنِ أبي هُرَيْرَة ، كُلَّ ما تُرِيْدُ تَجِدُ ، حَتّى يَحْصَلَ اليَقِيْنُ لأهْلِ هذا العالَمِ أنَّ وراءَ هذا عالِماً، يَأخُذُ التُّرابَ بالكَفِّ فَيَصِيْرُ ذَهَباً ، المَيْتُ الَّذي يَجِيئُهُ يَصِيْرُ حَيَّاً ، إذا جاءَ عَلَيْهِ النَّحْسُ الأَكْبَرُ صارَ سَعْداً أَكْبَرَ، وإذا جاءَ عَلَيْهِ الكُفْرُ صارَ إيماناً ، وإذا جاءَ عَلَيْهِ السُّمُّ صارَ تِرْياقاً ، لَيْسَ داخِلَ هذا العالَمِ ولا خارِجَ هذا العالَم ، لا تَحْتَ ولا فَوْقَ ، لا مُتَّصِلَ ولا مُنْفَصِلَ، بلا كَيْفٍ ولا كَيْفِيَّةٍ ، تَظْهَرُ مِنْهُ كُلَّ لَحْظَةٍ الآثارُ والأمْثالُ ، كما تَكُونُ صَنْعَةُ اليَدِ مَعَ صُورَةِ اليَد ، وَغَمْزَةُ العَيْنِ مَعَ صُورَةِ العَيْن ،

وَفَصاحَةُ اللِّسانِ مَعَ صُورَةِ اللِّسان، لا داخِلٌ ولا خارِجٌ ولا مُتَّصِلٌ ولا مُنْفَصِلٌ، والعاقِلُ تَكْفِيْهِ الإشارَة

إلى سَنَتَيْنِ يَعْمَلُ هذا العَمَلَ رَجُلُ العَمَلِ ذاك، مِنْ بَعْدِ ذاكَ أتاهُ الأمْرُ مِنَ الله؛
أنْ بَعْدَ هذا أَعْطِ ولا تَطْلُبْ مِنْ شَخْصٍ، أنا أَعْطَيْتُكَ مِنَ الغَيْبِ هذِهِ الوَسِيْلَة؛
لِكُلِّ مَنْ سَأَلَكَ مِنَ الواحِدِ إلى الألْف، مُدَّ يَدَكَ تَحْتَ الحَصِيْرِ وَأَخْرِجْ؛
أَعْطِ مِنْ كَنْزِ الرَّحْمَةِ بلا حِساب، أَعْطِ فالتُّرابُ في كَفِّكَ يَصِيْرُ ذَهَباً؛
كُلَّ ما سُئِلْتَ أَعْطِ لا تُفَكِّرْ بِذاك، عَطاءُ اللهِ لَكَ يَصِيرُ أَكْثَرَ فَأَكْثَر؛
في عَطائنا لا تَخْسِيْرَ ولا تَقْليل، ولا أَسَفَ ولا حَسْرَةَ مِنْ هذا الكَرَم؛
ضَعِ اليَدَ تَحْتَ الحَصِيْرِ أَيْ سَنَد، مِنْ أجْلِ التَّعْمِيَةِ على عَيْنِ السُّوء؛
ثُمَّ خُذْ مِنْ تَحْتِ الحَصِيْرِ مِلْءَ قَبْضَتِك، ضَعْها في يَدِ السَّائلِ مَكْسُورِ الظَّهْر؛
بَعْدَ هذا مِنَ الأجْرِ غَيْرِ المَمْنُونِ أَعْطِ، كُلَّ مَنْ طَلَبَ الجَوْهَرَ المَكْنُونَ أَعْطِ؛
كُنْ مَسْلَكَ *يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيْهِم*، مِثْلَما يَدُ اللهِ تَهَبُ مَجَّاناً الرِّزْق؛
حَرِّرِ المَدِيْنينَ مِنْ رِبْقَةِ الدَّيْن، كالمَطَرِ اجْعَلْ بِساطَ الدُّنيا أَخْضَر؛
كانَ شُغْلُهُ هكذا لِسَنَةٍ أُخْرى، يُعْطِيَ الذَّهَبَ هكذا مِنْ كِيْسِ رَبِّ الدِّيْن؛
يَصِيْرُ التُّرابُ الأَسْوَدُ في كَفِّهِ ذَهَباً، حاتِمُ الطَّائِيُّ عِنْدَهُ في صِفَةِ شَحَّاذ؛

مَعْرِفَةُ الشَّيْخِ بِضَميرِ السَّائلِ دُونَ مقال وَمَعْرِفَتُهُ مِقْدارَ دَيْنِ المَدِيْن بلا مقال ، أنْ تِلْكَ علامَة أُخْرُجْ بِصِفاتي إلى خَلْقِي

وَلَو لَمْ يَقُلْ حاجَةَ نَفْسِهِ ذاكَ الفَقِيْر، كانَ يُعْطِيْهِ وَيَعْلَمُ الضَّمِيْر؛
كُلُّ ما كانَ في قَلْبِ ذاكَ المُنْحَنِي الظَّهْر، كانَ يُعْطِيْهِ بِقَدْرِهِ لا زِيادَةً ولا نَقْصاً؛

فقالُوا كَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّهُ، كانَ يُفَكِّرُ بِهذا القَدْرِ أَيْ عَمّ؛
قالَ مَنْزِلُ القَلْبِ خَلْوَةٌ، خالٍ مِنَ الكِذْيَةِ مِثالُ الجَنَّة؛
لا شُغْلَ فِيْهِ غَيْرُ عِشْقِ الله، ولا دَيَّارَ غَيْرُ خيالِ وَصْلِ الله؛
كَنَسْتُ المَنْزِلَ مِنْ كُلِّ حَسَنٍ وَسَيِّئٍ، مَنزِلي مُمْلُوءٌ مِنْ عِشْقِ الأَحَد؛
وكُلُّ ما أرى فِيْهِ خلا عِشْقَ الله، لا يَكُونُ أنا ذاكَ صُورَةُ السَّائل؛
إذا ظَهَرَ في الماءِ نَخْلٌ أَوْ عَرْجُونٌ، لا يَكُونُ غَيْرَ صُورَةِ النَّخْلِ في الخارِجِ؛
في الماءِ الرَّائِقِ رَأَيْتَ صُورَةً، تِلْكَ الصُّورَةُ عَكْسٌ لِما في الخارِجِ أَيْ فَتى؛
لكِنْ لِيَصِيْرَ الماءُ خالِياً مِنَ القَذى ، التَّنْقِيَةُ في جَدْوَلِ البَدَنِ شَرْط؛
حَتَّى لا يبقى بِهِ كَدَرٌ ولا قَشٌّ ، حَتى يُظْهِرَ بِأَمانَةٍ صُورَةَ الوَجْه؛
أَيْ مُقِلّ ما في يَدَيْكَ غَيْرُ ماءِ الطِّيْنِ، أَيْ خَصْمَ القَلْبِ صَفِّ الماءَ مِنَ الطِّيْن؛
أنتَ في كُلِّ لَحْظَةٍ مِنَ الأكْلِ والنَّوم ، تُلْقِي المَزيدَ مِنَ التُّرابِ في هذا الجَدْوَل؛

سَبَبُ مَعْرِفَة ضَمائِر الخَلْق

حِيْنَ قَلْبُ الماءِ خلا مِنَ الشَّوائب، صُورَةُ الوُجُوهِ مِنَ الخارِجِ انبَثَقَتْ في الماء؛
لكِنَّ باطِنَكَ لَمْ يَصِرْ مُصَفَّىً، بَيْتٌ مَلِيْءٌ مِنَ الشَّيْطانِ والنَّسْناسِ والوَحْش؛
أي حِمارُ مِنَ العِنادِ بَقِيتَ حِماراً، متى تَجِدُ العَبيرَ مِنْ أرواحِ المَسِيح؛
متى تَعْلَمُ إنْ أطَلَّ خَيالٌ بالرَّأْس، مِنْ أَيِّ مَكْمَنٍ يا تُرى أَطَلَّ بالرَّأْس؛
البَدَنُ يَصِيْرُ مِثْلَ خيالٍ في الزُّهْد، حَتَّى تَكْنِسَ الخيالاتِ في داخِلِه؛

غَلَبَةُ مَكْرِ الثَّعْلَبِ على اسْتِعْصامِ الحِمار

لَقَدْ قالَ بِدَفْعِهِ وَسَعى كثيراً الحِمار، لكِنَّ جُوعَ الكَلْبِ كانَ شَفيعاً مَعَ الحِمار؛
جاءَ الحِرْصُ غالِباً وَصَبْرُهُ ضَعِيفاً، كم مِنَ الحُلُوقِ قَطَعَ عِشْقُ الرَّغِيف؛
مِنَ الرَّسُولِ الَّذي اسْتَسْلَمَتْ لَهُ الخلائق، جاءَتْ *كادَ الفَقْرُ أَنْ يكونَ كُفْراً*؛
صارَ ذاكَ الحِمارُ للمَجاعَةِ أَسِيْراً، قالَ إنْ كانَ مَكْراً فإنَّما هِيَ مَوتَةٌ؛
مِنْ عَذابِ الجُوعِ هذا أَتَحَرَّرُ مَرَّةً أَخِيراً، إنْ كانَتْ الحَياةُ هذِهِ فَخَيْرٌ لِيَ المَوت؛
إنْ كانَ الحِمارُ تابَ أَوَّلاً وَأَقْسَمَ، العاقِبَةُ أَنَّهُ يَخْبِطُ مِنْ طَبْعِ الحِمارِ فيه؛
الحِرْصُ يَأْتي بالعَمى والحُمُقِ والجَهْل، يَجْعَلُ المَوْتَ سَهْلاً على الحَمْقى؛
وَلَيْسَ المَوتُ سَهْلاً على رُوحِ الحَمِير، إذْ هِيَ لا تَمْلِكُ رُوحَ الحَياةِ الخالِدَة؛
ما دامَ لا يَمْلِكُ الرُّوحَ الخالِدَةَ فَهُوَ شَقِيٌّ، جُرْأَتُهُ على الأَجَلِ مِنَ الحُمُق؛
اِجْتَهِدْ لِتَصِيْرَ لَكَ الرُّوحُ المُخَلَّدَة، حَتَّى بِيَومِ المَوْتِ يَصِيْرُ لَكَ الرِّزْق؛
اعْتِمادُهُ أَيْضاً لَمْ يَكُنْ على الرَّازِق، بِأَنْ يَنْثُرَ لَهُ الجُودَ مِنَ الغَيْب؛
إلى الآنَ لا يَمْلِكُ الفَضْلَ بلا قُوت، وإنْ اخْتارَ لِبَدَنِهِ الجُوعَ مِنْ حِيْنٍ لِحِيْن؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ الجُوعُ لأَطَلَّ بِرأسِهِ مِنْكَ، مِئَةُ أَلَمٍ كالقُياءِ والإسْهال؛
أَلَمُ الجُوعِ أَولى مِنْ تِلْكَ العِلَل، مِنْ حَيْثُ اللُّطْفُ وَمِنْ حَيْثُ الخِفَّةُ وَمِنَ العَمَل؛
أَلَمُ الجُوعِ أَطْهَرُ مِنْ بَقِيَّةِ الآلام، خاصَّةً وفي الجُوعِ مِئَةُ نَفْعٍ وَفَضْل؛

في بيانِ فَضِيْلَةِ الإحْتِماءِ والجُوع

الجُوْعُ ذاتُهُ سُلْطانُ الأَدْوِيَة، اِطْبَعِ الجُوعَ في الرُّوحِ لا تَنْظُرْ لَهُ وَضِيْعاً؛
كُلُّ عذابٍ مِنَ المجاعَةِ صارَ عَذْباً، جُمْلَةُ اللَّذائِذِ بلا مَجاعَةٍ مَرْذُودَة؛

مَثَلْ

ذاكَ واحِدٌ كانَ يَأْكُلُ خُبْزَ نُخالَة ، قالَ سائلٌ كَيْفَ تَمْلِكُ الشَّهِيَّةَ لِمِثْلِ هذا؛
قالَ حِيْنَ يَصِيْرُ الجُوعُ مُضاعَفاً مِنَ الصَّبْر، خُبْزُ الشَّعِيْرِ يَصِيْرُ عِنْدي حَلوى؛
أَقْدِرُ أنْ آكُلَ كُلَّ الطَّعامِ كالحَلْوى، حِيْنَ أَصْبِرُ وأنا صَبُورٌ لا جَرَم؛
ما كُلُّ شَخْصٍ بِمَغْلُوبٍ للجُوع، فَمَزارِعُ العَلَفِ خارِجَةٌ عَنِ القياس؛
أُعْطِيَ الجُوعُ لِخاصَّةِ الحَقّ، لِيَصِيْرُوا مِنَ الجُوعِ أُسُوداً قَوِيَّةً؛
متى يُعْطى الجُوعُ لِكُلِّ مُتَسَوِّلٍ جِلْفٍ، العَلَفُ لَيْسَ قليلاً يَضَعُونَ أمامَهُ العَلَف؛
أنْ كُلْ فَأَنْتَ تَسْتَحِقُّ هذا، أنتَ لَسْتَ طائرَ ماءٍ أنتَ طائرُ خُبْز؛

حِكايَةُ مُريدٍ صارَ الشَّيْخُ واقِفاً على حِرْصِهِ وَضَمِيْرِهِ فَنَصَحَهُ باللِّسان، وَضِمْنَ النَّصِيْحَةِ وَهَبَهُ قُوَّةَ التَّوَكُّلِ بِأَمْرِ الحَقّ

كانَ شَيْخٌ يَمْشي مَعَ مُريدٍ بلا تَوَقُّفٍ، نَحْوَ مَدِيْنَةٍ كانَ الخُبْزُ فيها قليلاً؛
خَوْفُ الجُوعِ والقُحْطِ في فِكْرِ المُريد، يَصِيْرُ ظاهِراً كُلَّ لَحْظَةٍ مِنَ الغَفْلَة؛
كانَ الشَّيْخُ مُدْرِكاً وواقِفاً على الضَّمِيْر، قالَ لَهُ إلى كَمْ تَظَلُّ في وَجَل؛
احْتَرَقْتَ مِنْ أَجْلِ غُصَّةِ الخُبْز، أَغْلَقْتَ عَيْنَ الصَّبْرِ والتَّوَكُّل؛
أنتَ لَسْتَ مِنْ أولئكَ المُدَلَّلِيْنَ الأعِزَّة، لِيَمْلِكُوكَ بلا جَوْزٍ ولا زَبيب؛
الجُوعُ رِزْقُ رُوحِ خاصَّةِ الله، متى يَكُونُ مَغلوباً لِشَحَّاذٍ مِثْلِكَ أَعْوَج؛
كُنْ فارِغاً أنتَ لَسْتَ مِنْ أولئك، كَيْ تَقِفَ في هذا المَطْبَخِ بلا خُبْز؛
الصَّحْنُ بالصَّحْنِ والخُبْزُ بالخُبْزِ على الدَّوام، مِنْ أَجْلِ هؤلاءِ الأَكَّالِيْنَ العَوامّ؛
إذا ماتَ يَذْهَبُ الخُبْزُ يَتَقَدَّمُهُ، أنْ أَيْ مَنْ خَشْيَةَ فَوْتِ القُوتِ قَتَلْتَ النَّفْس؛

أنتَ ذَهَبْتَ وَبَقِيَ الخُبْزُ انْهَضْ خُذْ ، أي مَنْ قَتَلْتَ النَّفْسَ في العَناء؛
هيَّا تَوَكَّلْ لا تَرْتَجِفْ يَداً وَقَدماً، رِزْقُكَ أَكْثَرُ عِشْقاً لَكَ مِنْك؛
إنَّهُ عاشِقٌ وذلِكَ التَّأخِيْرُ مِنْهُ، لِما يَرى مِنْ انْعِدامِ صَبْرِكَ أَيْ فُضُول؛
لَوْ كانَ لَكَ صَبْرٌ جاءَكَ الرِّزْقُ، ورمى نَفْسَهُ عَلَيْكَ كالعاشِقِيْن؛
فما حُمَّى الاِرْتِعاشِ هذِهِ خَشْيَةَ الجُوعِ ، والعَيْشُ في الشِّبَعِ في التَّوَكُّلِ مَقْدُور؛

حِكايَةُ تِلْكَ البَقَرَةِ الَّتي كانَتْ وَحِيْدَةً في جَزيرَةٍ كبيرَةٍ، والحَقُّ تعالى ملأَ تِلْكَ الجَزيرَةَ الكَبيرَةَ مِنَ النَّباتِ والرَّياحِين ممّا يكونُ عَلَفاً للبَقَر، إلى اللَّيْلِ والبَقَرَةُ تأكُلُ وَتَسْمَنُ وَتَصيرُ كأنَّها قِطْعَةٌ مِنَ الجَبَل، فإذا حَلَّ اللَّيْلُ لا يَجِيْئُها النَّومُ مِنَ الغَمِّ والخَوْف، أنْ رَعَيْتُ كُلَّ الصَّحْراءِ فماذا آكُلُ غَداً ، إلى أنْ تَصِيْرَ مِنْ هذا الغَمِّ نَحِيْلَةً كَعُودِ الخِلال ، وَيَطْلَعُ النَّهارُ وَتَرى الصَّحْراءَ أَكْثَرَ اخْضِراراً وأَكْثَرَ إقْبالاً مِنَ الأمْس، فَتَأْكُلُ مِنْ جَديدٍ وَتَسْمَنُ ، ويَأخُذُها الغَمُّ عَيْنُهُ مِنْ جَديدٍ في اللَّيْل ، لِسِنينَ وَهِيَ ترى هذا ولا تَقُومُ بالاِعْتِماد

ثَمَّةَ جَزيرَةٌ خَضْراءُ في الدُّنيا، فيها بَقَرَةٌ وَحِيْدَةٌ حَسَنَةُ الفَمّ؛
تَرْعى جُمْلَةَ الصَّحْراءِ إلى اللَّيْلِ، حَتَّى تَصِيْرَ سَمِيْنَةً جَسِيْمَةً مُنْتَجَبَةً؛
وفي اللَّيْلِ مِنَ التَّفْكِيْرِ بِماذا سآكُلُ غداً، تَصِيْرُ ناحِلَةً مِنَ الغَمِّ كَخَيْطِ الشَّعْرَة؛
فإذا طَلَعَ الصُّبْحُ اخْضَرَّتِ المفازَةُ، وَوَصَلَ القَصِيْلُ الأَخْضَرُ والزَّرْعُ لِلخَصْر؛
فَتَقَعُ بِهِ البَقَرَةُ ذاتُ جُوعِ البَقَر، وَتَرْعاهُ كُلَّهُ جَمِيْعاً جُمْلَةً؛
فَتَصِيْرَ سَمِيْنَةً وَجَسِيْمَةً وَضَخْمَةً ، وَيَصِيْرُ جِسْمُها مَمْلُوءاً مِنَ الشَّحْمِ والقُوَّة؛
وفي اللَّيْلِ تَقَعُ في الحُمَّى مِنَ الفَزَع، حَتَّى تَصِيْرَ نَحِيْلَةً مِنَ الخَوْفِ المُنْتَجَع؛
أنْ ماذا سآكُلُ غَداً وَقْتَ الطَّعام، وَظَلَّ هذا شُغْلَ تِلْكَ البَقَرَةِ لِسِنين؛

وَلَمْ تُفَكِّرْ أَبَداً كم مِنَ السِّنينَ مَرَّتْ، وأنا آكُلُ مِنْ هذا المَرْجِ وهذا الرَّوض؛
وَمِنْ جَديدٍ يَحِلُّ اللَّيْلُ وَتِلْكَ البَقَرَةُ السَّمِيْنَةُ، تَصِيْرُ نَحِيْلَةً أنْ آهِ ذَهَبَ الرِّزْق؛
البَقَرَةُ هِيَ النَّفْسُ والصَّحْراءُ الدُّنيا، النَّفْسُ تَصِيْرُ دوماً نَحِيْلَةً خَوفاً على الخُبْز؛
أنْ ماذا سآكُلُ في المُسْتَقْبَلِ عَجَباً، مِنْ أَيْنَ سَأَقُومُ بِطَلَبِ قُوتِ الغَد؛
سِنينَ تأكُلُ وَلَمْ يَنْقَطِع الأكْل، فَقُمْ بِتَرْكِ المُسْتَقْبَلِ وانْظُرْ في الماضِي؛
وَتَذَكَّرْ ما أَكَلْتَ مِنْ أنواعِ الأطْعِمَة، ولا تَنْظُرْ إلى الغابِرِ وَأَقِلَّ الشَّكْوى؛

صَيْدُ الأَسَدِ لِذلِكَ الحَمار وَظَمَأُ الأَسَدِ مِنَ الجهْدِ وَذَهابُهُ للعَيْنِ لِيَشْرَبَ الماءَ ، حتَّى إذا عادَ الأَسَدُ لِيَأكُلَ القَلْبَ والكَبِدَ والكُلْوَةَ كانَ الثَّعْلَبُ قَدْ أَكَلَها جَمِيْعاً إذْ هِيَ أَلْطَفُ ما فيه، طَلَبَ الَسَدُ القَلْبَ والكَبِدَ فَلَمْ يَجِدْهُما ، سَأَلَ الثَّعْلَبَ أنْ أَيْنَ القَلْبُ والكَبِد ، أجابَ الثَّعْلَبُ لَو كانَ لَهُ قَلْبٌ وَكَبِدٌ وقد رأى مِثْلَ ذاكَ التَّهْديدِ والخَطَرِ ذلِكَ اليَومَ، وَنَجا بالرُّوحِ بَعْدَ أَلْفِ حِيْلَةٍ متى كانَ عادَ راجِعاً إِلَيْكَ، *لَو كُنَّا نَعْقِلُ أَوْ نَسْمَعُ ما كُنَّا في أَصْحابِ السَّعِيْر*

أَخَذَ الثَّعْلَبُ الصَّغيرُ الحِمارَ إلى أمامِ الأَسَد، فَقَطَّعَهُ ذاكَ الأَسَدُ الشُّجاعُ قِطَعاً؛
سَلْطانُ الوُحُوشِ صارَ ظامِئاً مِنَ الجُهْد، فَذَهَبَ نَحْوَ العَيْنِ حتَّى يَشْرَبَ الماء؛
أَكَلَ الثَّعْلَبُ الصَّغِيْرُ الكَبِدَ والمِعْلاقَ والقَلْب،في اللَّحْظَةِ إذْ حَصَلَتْ لَهُ الفُرْصَة؛
لَمَّا عادَ الأَسَدُ مِنَ العَيْن للأكْل، طَلَبَ قَلْبَ الحِمارِ فَلَمْ يَجِدْ قَلْباً ولا كَبِداً؛
قالَ للثَّعْلَبِ أَيْنَ الكَبِدُ وما جرى للقَلْب، لا بُدَّ مِنْ وُجُودِ هذينِ الإثْنَيْنِ في الحَيّ؛
قالَ لَوْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أو كَبِدٌ ، متى كانَ جاءَ إلى هُنا عائداً مَرَّةً أُخْرى؛
ذاكَ الَّذي رأى كانَ قِيامَةً وَنَشْراً، وذاكَ السُّقُوطُ مِنَ الجَبَلِ والهَوْلِ والهَرَب؛

لَو كانَ لَهُ قَلْبٌ أو كانَتْ لَهُ كَبِدٌ، متى كانَ جاءَ إِلَيْكَ مَرَّةً أُخْرى؛
ما لَمْ يَكُنْ نُورُ القَلْبِ فذاكَ لَيْسَ بِقَلْب، ما لَمْ تَكُنِ الرُّوحُ فذاكَ لَيسَ سِوى طِيْن؛
تِلْكَ الزُّجاجَةُ الَّتي لا تَمْلِكُ نُورَ الرُّوح، هِيَ قارُورَةُ بَوْلٍ لا تُسَمِّها قَنْدِيلاً؛
نُورُ المِصْباحِ عَطاءُ ذي الجلال، وذاكَ الزُّجاجُ والخَزَفُ صَنْعَةُ الخَلْق؛
لا جَرَمَ في الظَّرْفِ يَكُونُ التّعداد، وفي اللُّبِّ ما ثَمَّةَ إلَّا الاتِّحاد؛
إذا مَزَجْتَ نُورَ سِتَّةِ قنادِيل، لا يكونُ في نُورِها تَعَدُّدٌ ولا حِساب؛
ذاكَ اليَهُودِيُّ مِنَ الظَّرْفِ صارَ مُشْرِكا، ذاكَ المُؤمِنُ رأى النُّورَ وَصارَ مُدْرِكاً؛
عِنْدَما يَقَعُ نَظَرُ الرُّوحِ على الظَّرْف، يرى شِيْثَ ونُوحاً اثْنَيْن؛
الجَدْوَلُ يُدْعى جَدْوَلاً إذا كانَ فِيْهِ ماءٌ، والآدَمِيُّ هُوَ ذاكَ الَّذي تَكُونُ فِيْهِ الرُّوح؛
هؤلاءِ لَيْسُوا رِجالاً إنَّهُمْ صُوَر، إنَّهُمْ مَيِّتُو الخُبْزِ وَقَتيلُو الشَّهْوَة؛

حِكايَةُ ذاكَ الرَّاهِبِ الَّذي كانَ يَدُورُ بالسِّراجِ في وَسَطِ البازارِ في النَّهارِ مِنْ حالَةِ وَجْدٍ كانَتْ بِه

ذاكَ واحِدٌ كانَ يَدُورُ بالشَّمْعِ في النَّهار، حَوْلَ البازارِ تَمْلأُ قَلْبَهُ الحُرْقَةُ والعِشْقُ؛
فُضُولِيٌّ قالَ لَهُ عَمَّ تَبْحَثُ أَيْ فُلان، فَأَنْتَ تَجْري جِهَةَ كُلِّ دُكَّان؛
ما لَكَ تَدُورُ باحِثاً بالمِصْباح، وَسَطَ النَّهارِ المُضِيْءِ أَيُّ مُزاح؛
قالَ أنا أَبْحَثُ بِكُلِّ اتِّجاهٍ عَنْ آدَمِيّ، يكُونُ حَيَّاً مِنْ حَياةِ تِلْكَ النَّفْخَة؛
هَلْ هُنا رَجُلٌ قالَ السُّوقُ ملآنٌ، بالرِّجالِ أخيراً أَيُّها العالِمُ الحُرّ؛
قالَ أُريدُ رَجُلاً على الجادَةِ في الطَّريقَيْن، في طَريقِ الغَضَبِ وفي أوانِ الشَّرَه؛
وَقْتَ الغَضَبِ وَوَقْتَ الشَّهْوَةِ أَيْنَ الرَّجُل، أنا أجْري طَلَباً للرَّجُلِ أَيْنَ هُوَ الرَّجُل؛
أَيْنَ بِهذِهِ الحالِ رَجُلٌ في الدُّنيا، حَتَّى أَجْعَلَ فِداءً لَهُ الرُّوحَ اليَوْم؛

قالَ أنتَ تَطْلُبُ شَيْئاً نادِراً ولكِنْ، أنتَ غافِلٌ عَنِ الحُكْمِ والقَضاءِ انْظُرْ حَسَناً؛
أنتَ ناظِرُ الفَرْعِ وَعَنِ الأَصْلِ بلا خَبَرٍ، الفُرُوعُ نَحْنُ والأَصْلُ أَحْكامُ القَدَر؛
القَضاءُ جَعَلَ الفَلَكَ الدَّائِرَ تائهاً، وَجَعَلَ مِنْ مِئَةِ عُطارِدٍ أَبْلَها؛
وَيَجْعَلُ دُنيا المَسَالِكِ ضَيِّقَةً، وَيَجْعَلُ الحَدِيْدَ والصَّخْرَ ماءً؛
أي مَنْ قَرَّرْتَ قَطْعَ الطَّرِيقِ خُطْوَةً خُطْوَةً، أنتَ خامٌ خامٌ خامٌ خامٌ خامٌ خامٌ؛
ما دُمْتَ رَأَيْتَ حَجَرَ الطَّاحُونِ تَدُور، فَلْتَرَ ماءَ النَّهْرِ أَخِيراً تعال؛
رَأَيْتَ الغُبارَ يَعْلُو في الهَواء، أُنْظُرْ إلى الرِّيْحِ في وَسَطِ الغُبار؛
ترى قُدُورَ الفِكْرِ تَغْلي، فَلْتَرَ النَّارَ أَيْضاً بالوَعْي؛
الحَقُّ قالَ لِأَيُّوبَ أَعْطَيْتُكَ في المَكْرُمَة، صَبْراً بِعَدَدِ كُلِّ شَعْرَةٍ مِنْ شَعْرِك؛
ألا لا تَنْظُرِ النَّظَرَ الكَثيرَ في صَبْرِك، رَأَيْتَ الصَّبْرَ فانْظُرْ إلى عَطاءِ الصَّبْر؛
كَمْ رَأَيْتَ دَوَرانَ الدُّولاب، اِرْفَعِ الرَّأْسَ وانْظُرْ إلى دَفْعِ الماءِ أَيْضاً؛
أَنتَ تَظَلُّ قائلاً أنا أرى ولكِنْ ، تِلْكَ الرُّؤيَةُ لَها علاماتٌ كَثِيْرَةٌ حَسَنَةٌ؛
ما دُمْتَ رَأَيْتَ مُخْتَصَراً مِنْ دَوَرانِ الزَّبَد، تَجِبُ الحَيْرَةُ والنَّظَرُ إلى البَحْر؛
ذاكَ الَّذي رأى الزَّبَدَ يَقُولُ الأسرار، وَذاكَ الَّذي رأى البَحْرَ يَكُونُ حَيْراناً؛
ذاكَ الَّذي رأى الزَّبَدَ نَوى النِّيَّات، وذاكَ الَّذي رأى البَحْرَ جَعَلَ القَلْبَ بَحْراً؛
ذاكَ الَّذي رأى الزَّبَدَ صارَ في الحِساب، وَمَنْ رأى البَحْرَ فَقَدَ الاِخْتيار؛
الَّذي رأى الزَّبَدَ صارَ في دُوار ، والَّذي رأى البَحْرَ صارَ صافِياً مِنَ الأكدار؛

دَعْوَةُ المُسْلِمِ للمَجُوسيّ

قالَ رَجُلٌ لِمَجُوسِيٍّ أَيْ فُلان، صِرْ مُسْلِماً وَكُنْ مِنَ المُؤمِنين؛
قالَ لَو أرادَ اللهُ أَنْ أَكُونَ لَكُنْتُ مُؤمِناً، وَلَو زادَ فَضْلاً لصِرْتُ أَيْضاً مُوقِناً؛
قالَ اللهُ يُرِيدُ مِنْكَ الإيمان، حَتَّى تُحَرِّرَ رُوحَكَ مِنْ يَدِ جَهَنَّم؛

لكِنَّ نَفْسَكَ المَشْؤومَةَ والشَّيْطانَ القَبيح، يَسْحَبانِكَ جِهَةَ مَعْبَدِ النَّارِ والكُفران؛

قالَ أَيْ مُنْصِفُ ما داما كانا غالِبَيْن، فأنا تابِعٌ للغالِبِ إِذْ هُوَ قَوِيّ؛

أنا أَقْدِرُ أنْ أكُونَ تابِعاً لِذاكَ الغالِب، وَأَرُوحَ ذاكَ الطَّرِيقَ فالغالِبُ جاذِب؛

إذا كانَ اللهُ يُريدُ مِنّي الصِّدْقَ العَظيم، وإرادَتُهُ لا تَمْضي ما نَفْعُ إرادَتِه؛

النَّفْسُ والشَّيْطانُ تَمْضي إرادَتُهما، وتِلْكَ العِنايَةُ تُقْهَرُ وَتُحْطَمُ وَتُهْزَم؛

أَنتَ بَنَيْتَ قَصْراً وإيواناً، وَزَيَّنْتَ القَصْرَ مِنَ الدَّاخِلِ بِمِئَةِ نَقْشٍ جَميل؛

وَأَرَدْتَ أنْ يَكُونَ مكانُ الخَيْرِ ذاكَ مَسْجِداً، وَجاءَ آخَرٌ وَجَعَلَ مِنْهُ دَيْراً؛

أَوْ أَنَّكَ نَسَجْتَ نَسيجاً مِنَ الكِرْباس، لِتَجْعَلَ مِنْهُ قَباءً جَميلاً تَلْبَسُه؛

أنتَ طَلَبْتَ القَباءَ والخَصْمُ مِنَ العِداء، جَعَلَ مِنَ الكِرْباسِ سِرْوالاً رَغْماً عَنْك؛

ما حِيْلَةُ الكِرْباسِ أَيْ عَزيزي، غَيْرَ أنْ يَصِيْرَ تابِعاً لِذاكَ الغالِب؛

هُوَ مَغْلُوبٌ فما جُرْمُ هذا الكِرْباس، وَمَنْ هُوَ ذاكَ الَّذي لَيْسَ مَغْلوباً لِغالِب؛

هَجَمَ شَخْصٌ على شَخْصٍ بلا طَلَبٍ مِنْهُ، وَغَرَسَ شَجَرَةَ شَوكٍ في مُلْكِهِ وَمَنزِلِه؛

وكانَ صاحِبُ المَنْزِلِ بِهذا الهَوان، بِحَيْثُ جرى هذا عَلَيْهِ دُونَ اسْتِخلافٍ مِنْهُ؛

ما دامَتْ إرادَةُ النَّفْسِ جاءَتْ غالِبَةً، *ما شاءَ اللهُ* كانَتْ إِذَنْ سُخْرِيَةً؛

وَلَو كُنْتُ عارَ المَجُوسِ أَو كافِراً، فَلَسْتُ أَحْمِلُ هذا الظَّنَّ على الله؛

وَأَنْ يَكُونَ شَخْصٌ رَغْماً وبلا إرادَتِه، يصِيْرُ صاحِبَ الحُكْمِ في مُلْكِهِ وَمَمْلَكَتِه؛

وَيَأْخُذُ مُلْكَهُ غَصْباً هكذا، وَخالِقُ النَّفَسِ لا يُطْلِقُ النَّفَس؛

يُريدُ دَفْعَهُ والدَّفْعُ واجِبٌ عَلَيْه، والشَّيْطانُ في كُلِّ لَحْظَةٍ يَزيدُهُ غُصَّةً؛

فَيَجِبُ الصَّيْرُورَةُ عَبْداً لِهذا الشَّيْطان، ما دامَ هُوَ الغالِبُ في كُلِّ مُعْتَرَك؛

لِئَلَّا يَحْمِلَ الشَّيْطانُ عَلَيَّ الحِقْد، فما العَوْنُ الَّذي يَمُدُّني بِهِ ذُو المِنَن؛

ذاكَ الَّذي يَبْلُغُ المُرادَ فيما أراد، فَمِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ يَصِيْرُ أَمْري حَسَناً؛

مَثَلُ الشَّيْطانِ على بابِ الرَّحْمن

حاشَ للهِ، بَلْ *ما شاءَ اللّهُ كانَ*، إنَّهُ الحاكِمُ في المكانِ واللّامكان؛

لا شَخْصَ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيْدَ في مُلْكِهِ ، مِقْدارَ خَيْطِ شَعْرَةٍ بلا أَمْرِه؛

المُلْكُ مُلْكُهُ والأمْرُ أَمْرُهُ، والشَّيْطانُ أَقَلُّ كَلْبٍ على بابِه؛

التُّرْكُمانِيُّ إذا كانَ لَهُ كَلْبٌ على الباب، يَكُونُ واضِعاً على بابِهِ الرَّأْسَ والوَجْه؛

وَأَطْفالُ المَنْزِلِ يَشُدُّونَ ذَنَبَهُ ، وَهُوَ في يَدِ الأَطْفالِ خاضِعٌ ذَليل؛

ثُمَّ هُوَ إذا عَبَرَ غَريبٌ، يَحْمِلُ عَلَيْهِ كأنَّهُ الأسَدُ الهَصُور؛

فَقَدْ صارَ أَشِدَّاءَ على الكُفَّار، مَعَ الوَلِيّ وَرْدٌ وَمَعَ العَدُوّ كالشَّوك؛

مِنْ حساءِ السُّمَّاقِ الَّذي أعْطاهُ التُّرْكُماني، صارَ حارِساً وَفِيّاً إلى ذلِكَ الحَدّ؛

فالكَلْبُ الشَّيْطانُ الَّذي أَوْجَدَهُ الحَقّ، كَلْبٌ بِمِئَةِ فِكْرَةٍ وَحِيْلَةٍ مَنْسُوجَة؛

وَيَجْعَلُ غِذاءَهُ ماءَ الوُجُوه، حَتَّى يُريقَ ماءَ وَجْهِ الحَسَنِ وَالسَّيّئ؛

حساءُ السُّمَّاقِ ماءُ وَجْهِ العامّ، الكَلْبُ الشَّيْطانُ يَجِدُ مِنْ ذلِكَ الطَّعام؛

رُوْحُهُ على بابِ خَيْمَةِ القُدْرَة، كَيْفَ لا تَكُونُ قُرْباناً للحُكْمِ قُلْ؛

مِثْلَ كَلْبٍ باسِطِ الذِّراعَيْنِ بالوَصِيْد، والقَطِيْعُ بالقَطِيْعِ مِنْ مُريدٍ وَمِنْ مَرِيْد؛

كالكَلْبِ على بابِ كَهْفِ الأُلُوهِيَّةِ، مُنْتَفِخَ العِرْقِ يَنْتَظِرُ الأَمْرَ ذَرَّةً ذَرَّةً؛

أَيُّها الشَّيْطانُ الكَلْبُ امْتَحِنْ لَترى، كَيْفَ يَنْقُلُ القَدَمَ في الطَّريقِ الورى؛

اِحْمِلِ الحَمْلَةَ وَقُمْ بالمَنْعِ وانْظُرْ، مَنْ يكُونُ أُنثى في الصِّدْقِ وَمَنْ يَكُونُ ذَكَراً؛

إذنْ أعُوذُ مِنْ أَجْلِ ماذا تَكُونُ والكَلْب، يَصِيْرُ مِنَ التَّنَمُّرِ حادَّ العَدْو؛

أعُوذُ تِلْكَ قَوْلُكَ لِتُرْكِيّ *خَطا*، اِصْرَخْ بِكَلْبِكَ لِيَسْكُتَ وافْتَحِ الطَّريق؛

حَتَّى أَجِيْءَ إلى بابِ خَيْمَتِك، وَأَطْلُبُ الحاجَةَ مِنْ جُودِكَ وَمِنْ جاهِك؛

والتُّرْكِيُّ عَنْ لَجْمِ سَطْوَةِ الكَلْبِ عاجِز، أَعُوذُ هذِهِ لا تَجُوزُ والصُّراخُ غَيْرُ جائز؛

التُّرْكِيُّ أيضاً يَقُولُ أَعُوذُ مِنَ الكَلْبِ إِذَن، أنْ أنا عاجِزٌ عَنِ الكَلْبِ في الوَطَن؛
أنتَ لا تَجْرُؤُ تَجِيْءُ إلى هذا الباب، وأنا لا أَجْرُؤُ على الخُرُوجِ مِنْ هذا الباب؛
فليَكُنِ التُّرابُ على رَأْسِ التُّرْكِيِّ والضَّيْف، لأنَّ كَلْباً واحِداً رَبَطَهُما مِنَ العُنُق؛
حاشَ للهِ فالتُّرْكِيُّ يَصْرُخُ صَرْخَةً، الأَسَدُ يَقِيْءُ لها دَماً ما يَكُونُ الكَلْب؛
أَيْ مَنْ سَمَّيْتَ نَفْسَكَ أَسَدَ الإله، مَرَّتْ سِنُونَ وأنتَ عاجِزٌ مِنْ كَلْب؛
ما دامَ هذا الكَلْبُ يَقُومُ بالصَّيْدِ مِنْ أَجْلِكَ ، كَيْفَ صِرْتَ صَيْداً للكَلْب واضِحاً؛

جَوابُ المُؤْمِنَ السُّنِّيّ للكافِرِ الجَبْرِيّ، وَقَوْلُهُ الدَّلِيْلَ في إِثْباتِ اخْتِيارِ العَبْد ، السُّنَّةُ طَرِيقٌ سَلَكَتْهُ أَقْدامُ الأنبياء، وعلى يَمِيْنِ ذاكَ الطَّرِيقِ صَحْراءُ الجَبْر الَّتي لا ترى اخْتياراً للنَّفْس وَيَكُونُ الأَمْرُ والنَّهْيُ لَها مُنْكَراً وَتَقُومُ بالتَّأويل، ومِنَ الكَونِ مُنْكِراً لِلأَمْرِ والنَّهْيِ يَجِيْءُ لازِماً إنكارُ الجَنَّةِ إِذِ الجَنَّةُ جزاءُ المُطِيْعِيْنَ أَمْر ، والنَّارُ جزاءُ المُخالِفِيْنَ أمْر، وَلَنْ أَقُولَ غَيْرَ هذا إلامَ يَنْتَهِي الأمْر. فالعاقِلُ تكفيهِ الإشارةُ، وعلى يسارِ ذاكَ الطَّرِيقِ صَحْراءُ القَدَر حَيْثُ أَنَّكَ ترى قُدْرَةَ الخالِقِ مَغْلُوبَةً لِقُدْرَةِ الخَلْق ، وَإِنَّهُ مِنْ ذلِكَ الفَسادِ يُوْلَدُ ما يُسَمِّيْهِ ذلِكَ المَجُوسِيُّ جَبْراً

قالَ المُؤمِنُ اسْمَعْ الخِطابَ أَيْ جَبْرِيُّ ، قُلْتَ ذاكَ سَآتيكَ بالجَوابِ عَلَيْه؛
رَأَيْتُ لُعْبَتَكَ أَيْ لاعِبَ الشَّطْرَنْج، فانْظُرْ إلى لُعْبَةِ خَصْمِكَ العَرِيضَةِ الطَّويلَة؛
لَقَدْ قَرَأْتَ كِتابَ عُذْرِ نَفْسِكَ، فاقْرَأْ كِتابَ السُّنِّيّ لِمَ تَوَقَّفْت؛
قُلْتَ مَعْنىً عَنِ الجَبْرِ في القَضاء، اِسْمَعْ سِرَّ ذاكَ مِنِّي في قِصَّة؛
إنَّ لنا اخْتياراً بلا شَكّ، الحِسُّ لا يُمْكِنُ أَنْ يُنْكَرَ عياناً؛
ما من شخصٍ يقولُ للحجرِ تعال، أيْنَ شَخْصٌ يَطلُبُ الوفاءَ مِنْ قَطْعَةِ الطِّيْن؛

وما مِنْ شَخْصٍ يَقُولُ للآدَمِيِّ طِرْ، أو يَقُولُ للأعْمى تَعالَ وانْظُرْ إلَيّ؛
قالَ اللهُ ما على الأعْمى حَرَج، متى وَضَعَ رَبُّ الفَرَجِ على شَخْصٍ الحَرَج؛
لَمْ يَقُلْ شَخْصٌ لِحَجَرٍ تَأَخَّرْتَ في المجيء، أو أيَّتُها العَصا لِماذا ضَرَبْتِنِي؛
أمِثْلُ هذِهِ الطَّلَباتِ مِنَ المَجْبُور، أَشَخْصٌ يُعاتِبُ أو يَضْرِبُ المَعْذُور؛
الأَمْرُ والنَّهْيُ والزَّجْرُ والتَّشْرِيفُ والعَتَب، لَيْسَتْ لِغَيْرِ المُخْتارِ أَيْ طاهِرَ الجَيْب؛
وَهُناكَ اخْتيارٌ في الظُّلْمِ والجَوْر، أنا الَّذي طَلَبْتُ هذا مِنَ الشَّيْطانِ والنَّفْس؛
الاِخْتيارُ في باطِنِكَ ساكِنْ، ما لَمْ يَرَ يُوسُفِيَّ الكَفِّ لا يَنْهَض؛
الاِخْتيارُ والدَّاعِيَةُ في النَّفْس، أُنْظُرْهُما وافْتَحِ الرِّيْشَ والجَناح؛
الكَلْبُ ينامُ وَيَصِيْرُ اخْتيارُهُ مَفْقُوداً، وَعِنْدَما يرى قِطْعَةَ اللَّحْمِ يُحَرِّكُ الذَّنَب؛
كما أنَّ الحِصانَ يُحَمْحِمُ إذْ يَرى الشَّعِيْر، وَعِنْدَما يَتَحَرَّكُ اللَّحْمُ تَمُوءُ القِطَّة؛
الرُّؤيَةُ جاءَتْ مُحَرِّكَةً لِذَلِكَ الاِخْتيار، كما يُثِيْرُ النَّفْخُ في النَّارِ الشِّرار؛
فاخْتِيارُكَ تَحَرَّكَ عِنْدَما صارَ إبليسُ، دَلَّالَكَ وَجاءَكَ بِرِسالَةِ مَعْشُوقِكَ؛
عِنْدَما يَعْرِضُ مَطْلُوباً على هذا الشَّخْص، فإنَّ الاِخْتيارَ النَّائِمَ يَفْتَحُ الحَرْب؛
وَيَقُومُ ذلِكَ المَلِكُ رَغْمَ أنْفِ الشَّيْطان، بِعَرْضِ أنواعِ الخَيْرِ صارِخاً في القَلْب؛
حَتَّى يَتَحَرَّكَ اخْتيارُ الخَيْرِ مِنْك، فَقَدْ كانَ هذانِ الطَّبْعانِ قَبْلَ العَرْضِ نائِمَيْن؛
فالملاكُ والشَّيْطانُ صارا عارِضَيْن، مِنْ أَجْلِ تَحْريكِ عُرُوقِ الاِخْتيار؛
فَيَصِيْرُ اخْتيارُ الخَيْرِ والشَّرِّ عِنْدَكَ، مِنْ أنواعِ الإلْهامِ والوَسْوَسَةِ عَشْرَةَ سُطُور؛
وَقْتَ التَّحَلُّلِ مِنَ الصَّلاةِ أَيْ مَليح، مِنْ ذلِكَ السَّلامِ أَرْسِلْ إلى المَلَك؛
أنْ مِنْ إلهامِكَ وَدُعائِكَ الطَّيِّبَيْن، كانَ اخْتياري لِهذِهِ الصَّلاةِ مُتاحاً؛
كما مِنْ بَعْدِ الذَّنْبِ تَلْعَنُ إبليس، مُجَدِّداً لأنَّكَ صِرْتَ مِنْهُ مُنْحَنِياً؛
هذانِ الضِّدَّانِ يَعْرِضانِ عَلَيْكَ في السِّرار، جاءَ العارِضانِ في حِجابِ الغَيب؛
عِنْدَما يَرْتَفِعُ مِنْ أمامِكَ حِجابُ الغَيْب، ترى وَجْهَ دَلَّالَيْك؛

وَتَعْلَمُ مِنْ كلامِهِمْ بلا أذى، أنَّ أولئكَ المُتَحَدِّثينَ بالخفاءِ كانوا هؤلاء؛
الشَّيْطانُ يَقُولُ أَيْ أَسِيْرَ الطَّبْعِ والبَدَن، عَرَضْتُ عَلَيْكَ وَلَمْ أَجْبِرْكَ بالقُوَّة؛
وَذاكَ الملاكُ يَقُولُ لَكَ لَقَدْ قُلْتُ لَكَ، أنَّ هذا الفَرَحَ سَوْفَ يَزيدُ في غَمِّك؛
أَلَمْ أَقُلْ لَكَ في ذلِكَ اليَومِ الفُلانِيّ، أنَّ الطَّريقَ نَحْوَ الجِنانِ مِنْ ذلِكَ الصَّوب؛
نَحْنُ مُحِبُّو رُوحِكَ وَالمُزيدُونَ في الرُّوح، وَنَحْنُ السَّاجَدُونَ والمُخْلِصُونَ لأبيك؛
وَنَحْنُ نَخْدِمُكَ هذا الزَّمانَ أَيْضاً، وَنَحْنُ نَدْعُوكَ أَيْضاً إلى جِهَةِ المَخْدُوم؛
تِلْكَ الجَماعَةُ كانَتْ أَعداءً لأبيك، وَأَبَتِ السُّجُودَ عِنْدَ خِطابِ اسْجُدُوا؛
أَخَذْتَ ذاكَ مِنْهُمْ وَرَمَيْتَ ذاكَ مِنَّا، وَلَمْ تَعْرِفْ حَقَّ خِدْماتِنا لَك؛
هذِهِ اللَّحْظَةُ نَحْنُ وَهُمْ عِيان، اُنْظُرْنا واعْرِفْنا مِنَ اللَّحْنِ والبيان؛
إذا سَمِعْتَ سِرَّاً وَسَطَ اللَّيْلِ مِنْ صَديق، إذا قالَ القَوْلَ في السَّحَرِ تَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ؛
وَلَو جاءَكَ شَخْصانِ في اللَّيْلِ بِخَبَرٍ، تَعْرِفُهُما في النَّهارِ كِلَيْهِما مِنَ الحَديث؛
صَوْتا الأَسَدِ والكَلْبِ وَصَلا في اللَّيْل، وَلَمْ تَرَ صُوْرَةَ أَيٍّ مِنْهُما مِنَ الظَّلام؛
فإذا طَلَعَ النَّهارُ وَأَطْلَقَ كُلٌّ مِنْهُما الصَّوت، عَرِفَهُما الذَّكِيُّ كِلَيْهِما مِنَ الصَّوت؛
مَخْلَصُ هذا أنَّ الشَّيْطانَ والرُّوحَ عارِضان، كِلا الاِثْنَيْنِ لأَجْلِ إتْمامِ الاِخْتِيار؛
هُناكَ اخْتيارٌ مَوجُودٌ بنا غَيْرُ ظاهِر، عِنْدَما رأى المَطْلَبَيْنِ صارَ في مَزيد؛
الأساتِذَةُ يَضْرِبُونَ الأَطْفال، مَتى يَقُومُونَ بِتَأْدِيبِ الحِجارَةِ السُّود؛
إنَّكَ لا تَقُولُ أَبَداً للحَجَرِ تعالَ غداً، وإنْ لَمْ تَأْتِ سَأُعاقِبُكَ جَزاءً؛
ما مِنْ عاقِلٍ يَضْرِبُ قِطْعَةً مِنَ الطِّيْن، وما مِنْ شَخْصٍ قامَ بِمُعاتَبَةِ حَجَرٍ أَبَدا؛
الجَبْرُ أَكْثَرُ افْتِضاحاً مِنَ القَدَرِ في العَقْل، ذاكَ أنَّ الجَبْرِيَّ مُنْكِرٌ لِحِسِّ النَّفْس؛
وَرَجُلُ القَدَرِ ذاكَ لَيْسَ مُنْكِراً للحِسّ، فِعْلُ الحَقِّ لا يكُونُ حِسِّيَّاً أَيْ وَلَد؛
مُنْكِرُ فِعْلِ المَلِكِ الجَليل، هُوَ في إنكارِ مَدْلُولِ الدَّليل؛
ذاكَ يَقُولُ هُناكَ دُخانٌ ولا نارٌ، وهُناكَ نُورُ شَمْعٍ مُضِيْءٍ بلا شَمْع؛

أمَّا هذا فرأى النَّارَ المُعَيَّنَةَ، وَيَقُولُ لا نارَ طَلَباً للإنكار؛
ثَوبُهُ يَحْتَرِقُ وَيقُولُ ما مِنْ نار، وَيَخِيْطُ ثَوبَهُ وَيقُولِ ما مِنْ خَيْط؛
السَّفْسَطَةُ هِيَ دَعْوى الجَبْرِ هذِه، لا جَرَمَ هُوَ أَسْوَأَ مِنَ المَجُوسِ مِنْ هذا الوَجْه؛
المَجُوسِيُّ يَقُولُ هُناكَ عالَمٌ ولا رَبّ، وَقَوْلُ يا رَبّ لَيْسَ بالمُسْتَحَبّ؛
وهذا يَظَلُّ يَقُولُ العالَمُ نَفْسُهُ لا شَيْء، هُوَ سَفْسُطائِيٌ مُنْثَنٍ انثِناءً على انثِناء؛
جُمْلَةُ العالَمِ مُقِرٌّ بالإخْتيار، بالأمْرِ والنَّهْيِ وافْعَلْ هذا ولا تَفْعَلْ ذاك؛
هُوَ يَظَلُّ يَقُولُ الأَمْرُ والنَّهْيُ عَدَم، ما مِنْ اخْتيارٍ هذا جُمْلَةً خَطَأ؛
الحَيَوانُ مُقِرٌّ بالحِسِّ أَيْ رَفيق، لكِنَّ إدراكَ الدَّليلِ هُوَ الدَّقيق؛
بِما أَنَّ الاِخْتِيارَ مَحْسُوسٌ لَنا، يَكُونُ تَكْليفُ العَمَلِ جَمِيْلاً لَه؛

إدراكُ الوجْدان كالإخْتِيارِ والاِضْطِرار ، والغَضَبِ والاِصْطِبار ، والشّبَعِ والجُوع ، يكونُ في مَحَلِ الحَسِّ الَّذي يَعْرِفُ الأَصْفَرَ مِنَ الأَحْمَرِ ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَهُما ، والصَّغِيْرَ مِنَ الكَبير والمُرَّ مِنَ العَذْب ، والمِسْكَ مِنَ البَعْر، والخَشِنَ مِنَ النَّاعِمِ بِحِسِّ اللَّمْس، والحارَّ مِنَ البارِدِ ، والحَلِيْبَ المُحْرِقَ مِنَ الفاتِر، والرَّطْبَ مِنَ اليابِسِ ، وَمَلْمَسَ الجَدارِ مِنْ مَلْمَسِ الشَّجَرَة ، فَمُنْكِرُ الوُجْدانِ مُنْكِرٌ للحِسِّ إذَنْ ، بَلْ وَمُنْكِرٌ لأَكْثَرَ مِنَ الحِسّ ، إذ الوُجْدانُ أَظْهَرُ مِنَ الحِسّ ، ذلِكَ لأَنَّ الحِسَّ مُمْكِنُ التَّقْييد ، والمَنْعَ مِنَ الإحْساسِ مُمْكِنٌ، وَسَدُّ طَريقِ وَمَدْخَلِ الوُجْدانِيَّات غَيْرُ مُمْكِن، والعاقِلُ تَكْفِيْهِ الإشارَة

الإدراكُ الوُجْدانِيُّ في مَوْضِعِ الحَسّ، كلاهُما يَجْريانِ في جَدْوَلٍ واحِدٍ أَيْ عَم؛
جَمِيْلاً يَجيءُ لَهُ افْعَلْ أو لا تَفْعَلْ، الأَمْرُ والنَّهْيُ والحَديثُ والمِثال؛
قَوْلُكَ غداً سَأَعْمَلُ هذا أو سَأَعْمَلُ ذاك، هُوَ دَليلُ اخْتيارٍ أَيْ صَنَم؛
ذلِك النَّدَمُ مِنْكَ إذا أَكَلْتَ مِنْ ذلِكَ السَّيِّئِ، صِرْتَ مُهْتَدِياً إِلَيْهِ مِنْ اخْتيارِ نَفْسِك؛
جُمْلَةُ القُرآنِ أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَوَعِيْدٌ، مَنْ رأى تَوْجِيْهَ أَمْرٍ لِحَجَرِ المَرْمَر؛
ما مِنْ عالِمٍ ولا عاقِلٍ فَعَلَ هذا، وأنْ يَحْقِدَ وَيَغْضَبَ على الحَجَرِ والطِّيْن؛
أنْ قُلْتُ لَكَ افْعَلْ هذا أو افْعَلْ هكذا، لِمَ لَمْ تَفْعَلْ أَيْ مَيِّتُ وأي عاجِز؛
العَقْلُ متى حَكَمَ على الخَشَبِ والصَّخْر، العَقْلُ مَتى أَنْشَبَ في الصُّورَةِ الظُّفْر؛
أنْ أَيْ غُلامُ مَغْلُولُ اليَدِ مَكْسُورُ القَدَمِ، اِحْمِلِ الرُّمْحَ وَأَقْبِلْ إلى الوَغى؛
الخالِقُ الَّذي خَلَقَ النُّجُومَ والفَلَكَ، متى يُصْدِرُ الأَمْرَ والنَّهْيَ كالجاهِلِيْن؛
لَقَدْ أَبْعَدْتَ احْتِمالَ العَجْزِ عَنِ الحَقِّ ، وَدَعَوْتَهُ جاهِلاً وتائِهاً وَسَفيهاً؛
العَجْزُ لَيْسَ مِنْ أَمْرِ الإلهِ عِنْدَكَ ولكِنْ، إنَّ الجَهْلَ يكُونُ أَسْوَأَ مِنَ العَجْز؛
التُّرْكِيُّ يَقُولُ للضَّيْفِ مِنَ الكَرَم، تَعالَ بلا كَلْبٍ ولا خَلَقٍ جِهَةَ بابي؛
وَتَعالَ مِنَ الجِهَةِ الفُلانِيَّةِ بِأَدَبٍ، لِيُغْلِقَ كَلْبي عَنْكَ الشَّفَةَ والأنياب؛
وَأَنْتَ تَفْعَلُ عَكْسَ ذاكَ وَتَذْهَبُ للباب، لا جَرَمَ سَوْفَ تُجْرَحُ مِنْ عَضَّةِ الكِلاب؛
اِذْهَبْ هكذا على هَيْئَةِ الغِلْمان، لِيَصِيْرَ كَلْبُهُ رَحِيْماً وَمُحِبّاً؛
إذا أَخَذْتَ مَعَكَ كَلْباً أَوْ ثَعْلَباً، يَهِيْجُ كُلُّ كَلْبٍ على بابِ كُلِّ خَيْمَة؛
إنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ اختيارٌ لِغَيْرِ الحَقِّ سُبْحانَهُ، لِماذا يَجِيْئُكَ الغَضَبُ على المُجْرِم؛
لِماذا تَعَضُّ على الأَسْنانِ على العَدُوّ، عِنْدَما ترى الذَّنْبَ مِنْهُ والجُرْم؛
لَوْ أَنَّ خَشَبَةً مِنْ سَقْفِ المَنْزِلِ انْكَسَرَتْ، وَوَقَعَ عَلَيْكَ السَّقْفُ بِعُنْفٍ وَجَرَحَك؛
لا يَجِيْئُكَ أَيُّ غَضَبٍ على خَشَبِ السَّقْفِ، ولا تكونُ مَوقُوفَ الحِقْدِ عَلَيْهِ أَبَداً؛
أنْ لِماذا ضَرَبَني وَكَسَرَ يَدِي، هُوَ عَدُوٌّ لِيْ وَخَصْمٌ لِرُوحِي؛

وَكَيْفَ تَضْرِبُ الأَطْفالَ الصِّغار، ما دُمْتَ تُنَزِّهُ عَنِ الاِخْتِيارِ الكِبار؛

وَتَقُولُ لِمَنْ يَسْرِقُ مالَكَ أَمْسِكُوه، اقْطَعُوا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ واحْبِسُوه؛

وذاكَ الَّذي يَقْصِدُ لَكَ عَوْرَةً، يَطْلَعُ عَلَيْهِ مِنْكَ مِئَةُ أَلْفِ غَضَب؛

وَلَو جاءَ سَيْلٌ وَأَخَذَ مَتاعَكَ، العَقْلُ لا يَحْقِدُ على السَّيْلِ أَبَداً؛

وَلَو جاءَتْكَ الرِّيْحُ واخْتَطَفَتْ عَمامَتَك، متى يُظْهِرُ قَلْبُكَ الغَضَبَ على الرِّيْح؛

الغَضَبُ فيكَ صارَ بَيانَ الاِخْتِيار، حَتَّى لا تَقُومَ كالجَبْرِيِّيْنَ بالاِعْتِذار؛

لَوْ أنَّ جَمَّالاً قامَ بِضَرْبِ جَمَلٍ، فإنَّ ذاكَ الجَمَلَ يَقُومُ بِقَصْدِ الضَّارِب؛

غَضَبُ الجَمَلِ لَيْسَ على عصاهُ تِلْكَ، الجَمَلُ وَجَدَ عَبيراً مِنَ الاِخْتِيار؛

كذلِكَ الكَلْبُ إذا رَمَيْتَ عَلَيْهِ حَجَراً، فإنَّهُ يَنْثَني وَيَقُومُ بالهُجُومِ عَلَيْك؛

وَلَو أَخَذَ الحَجَرَ مِنَ الغَضَبِ مِنْكَ، إذْ أنتَ بَعِيْدٌ عَنْهُ ولا يَمْلِكُ اليَدَ عَلَيْك؛

كَيْفَ عَرِفَ العَقْلُ الحَيَوانِيُّ الاِخْتِيار، لا تَقُلْ هذا أَيْ عَقْلَ الإنسانِ اخْجَلْ؛

طَلَعَ الفَجْرُ ولكِنْ مِنْ طَمَعِ السُّحُور، ذاكَ الآكِلُ أَغْلَقَ العَيْنَ عَنِ النُّور؛

وَلَمَّا كانَ كُلُّ مَيْلِهِ لأَكْلِ الخُبْز، جَعَلَ الوَجْهَ للظَّلامِ أنْ لَمْ يَطْلَعِ النَّهار؛

وما دامَ الحِرْصُ قَدْ أَخْفى الشَّمْس، ما العَجَبُ إنْ أَدارَ الظَّهْرَ للبُرْهان؛

حِكايَةٌ في بيانِ تَقْريرِ اخْتِيارِ الخَلْق وبيان أنَّ التَّقْدِيْرَ والقَضاءَ غَيْرُ نافِيَيْنِ للاِخْتِيار

قالَ سارِقٌ للشُّرَطِيّ أَيْ شاه، كُلُّ ما عَمِلْتُ كانَ حُكْمَ الإله؛

قالَ الشُّرَطِيُّ والَّذي أَعْمَلُ أنا أَيْضاً، حُكْمُ الحَقِّ أَيْ نُورَ عَيْنَيَّ الاِثْنَتَيْن؛

وَلَوْ أنَّ شَخْصاً أَخَذَ بِطِّيْخَةً مِنْ دُكَّان، أنْ هذا حُكْمُ الإلهِ أَيْ صاحِبَ العَقْل؛

لَضَرَبَهُ على الرَّأْسِ بِقَبْضَةِ اليَدِ مَرَّتَيْنِ أو ثلاثاً، أنْ وهذا حُكْمٌ أَعِدْها أَيْ كَرِه؛

إذا كانَ هذا العُذْرُ في بِطِّيْخَةٍ أي فُضُولِيّ، لا يَجِدُ القَبُولَ حَتَّى عِنْدَ بَقَّال؛
فَكَيْفَ يَكُونُ لَكَ اعْتِمادٌ على هذا العُذْر، وَأَنتَ تَدُورُ مِنْ حَوْلِ ثُعْبان؛
مِنْ هذا العُذْرِ أَيُّها السَّليمُ لا النَّبيل، لاسْتِحلالِ الدَّمِ والمالِ والعَرِضِ فَتْحُ سَبيل؛
لِكُلِّ شَخْصٍ يَنْتَزِعُ مِنْكَ الشَّارِبَ إِذَن، وَيَعْتَذِرُ إِلَيْكَ أَنَّهُ فَعَلَ مُضْطَرَّاً؛
إذا كانَ حُكْمُ الحَقِّ عِنْدَكَ عُذْراً، أعْلِمْنيهِ إِذَنْ وَأَعْطِني بِهِ الفَتْوى؛
فإنَّ عِنْدي مِئَةَ رَغْبَةٍ وَشَهْوَةٍ، وَيَدِي مُقَيَّدَةٌ مِنَ الخَوْفِ والهَيْبَة؛
فَتَكَرَّمْ عَلَيَّ وَعَلِّمْني العُذْرَ، حَرِّرْ يَدِيَ وَقَدَمِيْ مِنَ القَيْد؛
لَقَدْ قُمْتَ باخْتِيارِ حِرْفَةٍ ، أنْ أنا عِنْدِي الاِخْتِيارُ والفِكْر؛
وإلَّا كَيْفَ انتَقَيْتَ تِلْكَ الحِرْفَةَ، مِنْ بَيْنِ الحِرَفِ أَيُّها الشَّخْصُ المُوَقَّر؛
حِيْنَ تَجيءُ نَوْبَةُ النَّفْسِ والهوى، يَجِيئُكَ الاِخْتِيارُ قَدْرَ عِشْرِيْنَ رَجُلاً؛
وَحِيْنَ اَخَذَ الرَّفيقُ مِنْكَ حَبَّةً، فَتَحَ في رُوحِكَ اخْتِيارَ الحَرْب؛
فإذا جاءَتْ نَوْبَةُ شُكْرِ النِّعَم، فلا اخْتِيارَ لَكَ وَأَنْتَ أَقَلُّ مِنْ حَجَر؛
سَوْفَ يَكُونُ لِجَحِيْمِكَ العُذْرُ يَقِيْناً، أنْ انْظُرْ إِلَيَّ مَعْذُورَةً في حَرْقِك؛
لا شَخْصَ يراكَ مَعْذُوراً بِهذِهِ الحُجَّة، وَلَنْ تُبْعِدَكَ هذِهِ عَنْ كَفِّ الجلَّاد؛
فَبِهذا الحاكِمِ صارَ العالَمُ مَنْظُوماً، وحالُ ذاكَ العالَمِ صارَ لَكَ مَعْلُوماً؛

حِكايَةٌ في جَوابِ جَبْرِيّ وإثْباتُ الاِخْتِيار وَصِحَّةُ الأمْرِ والنَّهْي وبيان أنَّ عُذْرَ الجَبْرِيّ في كُلِّ مِلَّةٍ وَفِي كُلِّ دِيْنٍ غَيْرُ مَقْبُول وَغَيْرُ مُوجِبٍ للخلاصِ مِنْ جَزاءِ ذلِكَ العَمَلِ الَّذي عَمِلَ مِثْلَما لَمْ يَجِدْ إبليسُ الخلاصَ بِذَلِكَ القَولِ أنْ بِما أَغْوَيْتَني، والقَليلُ يَدُلُّ على الكثير

ذاكَ واحِدٌ كانَ يَصْعَدُ على شَجَرَةٍ، وَيُلقِي بِتِلْكَ الثِّمارِ كالسَّارِقِ بِعُنْف؛
صاحِبُ البُسْتانِ جاءَ وَقالَ أَيْ دَنِيّ، أَيْنَ خَجَلُكَ مِنَ اللهِ ، ماذا تَفْعَل؛
قالَ إذا عَبْدُ اللهِ في بُسْتانِ الله، أَكَلَ الثَّمَرَ فاللهُ أَعْطاه؛
فَكَيْفَ تَقُومُ بالملامَةِ كالعَوامّ، أَعَلى مائِدَةِ اللهِ الكَريمِ بُخْل؛
قالَ يا غُلامُ هاتِ ذاكَ الرَّسَنْ، حَتَّى أَقُولَ الجَوابَ لِهذا الحَسَن؛
رَبَطَهُ في اللَّحْظَةِ إلى الشَّجَرَةِ بِشِدَّةٍ، يَضْرِبُهُ على الظَّهْرِ والسَّاقِ بالعَصا بِقُوَّة؛
قالَ أَخِيراً كُنْ على حَياءٍ مِنَ الله، فإنَّكَ تَقْتُلُ هذا البَرِيءَ صَبْراً؛
قالَ عَبْدُ اللهِ يَضْرِبُ بِعصا الله، بِسُرُورٍ على ظَهْرِ عَبْدٍ آخَرَ لله؛
العصا للحَقِّ والصَّدْرُ والجَنْبُ للحَقّ، وأنا غُلامٌ لَهُ وآلَةٌ لِتَنْفِيْذِ أمْرِه؛
قالَ تُبْتُ مِنَ الجَبْرِ أَيْ عَيَّار، إنَّهُ الاِخْتِيارُ الاِخْتِيارُ الاِخْتِيار؛
اخْتِيارُهُ أَوْجَدَ الاِخْتِيارات، اخْتِيارُهُ مِثْلَ فارِسٍ غَطَّاهُ الغُبار؛
اخْتِيارُهُ أَوْجَدَ اخْتِيارَنا، الأَمْرُ مُسْتَنِدٌ على الاِخْتِيار؛
الحُكْمُ بِصُورَةِ عَدَمِ الاِخْتِيار، هُوَ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ مَقْدُور؛
لِيَجِرَّ بِعَدَمِ الاِخْتِيارِ الصَّيْد ، وَيَسْحَبَ مِنْ أُذُنَيْهِ زَيْد؛
لكِنَّ صُنْعَ الصَّمَدِ دُونَ أَيَّةِ آلَةٍ، يَجْعَلُ اخْتِيارَ الشَّخْصِ شَبَكَتَه؛
اخْتِيارُهُ قَيَّدَ زَيْداً، صادَهُ الحَقُّ بلا شِباكٍ ولا كَلْب؛

وَذَاكَ النَّجَّارُ على الخَشَبِ حاكِم، وذاكَ المُصَوِّرُ على الجَمالِ حاكِم؛
وهُناكَ حَدَّادٌ قَيِّمٌ على الحَدِيْد، وَهُناكَ بَنَّاءٌ حاكِمٌ على الآلَة؛
حَتَّى تَكُونَ الإِخْتِيارات الكَثِيْرَةُ، ساجِدَةً لاخْتِيارِهِ كَأَنَّها العَبْد؛
قُدْرَتُكَ على الجَماداتِ في العِراك، متى نَفَتِ الجَمادِيَّةَ عَنِ الجَمادات؛
قُدْرَتُهُ على الإِخْتياراتِ كذلِكَ، لَيْسَتْ تَنْفي الاخْتياراتِ عَنْ أولئك؛
فَقُلْ هِيَ المَشِيْئَةُ على وَجْهِ الكَمال، الَّتي ما بِها نِسْبَةُ الجَبْرِ والضَّلال؛
ما دُمْتَ قُلْتَ كُفْري مَشِيْئَتُهُ، اِعْرِفْ مَشِيْئَتَكَ أَيْضاً فَهِيَ مَوجُودَة؛
لأنَّ كُفْرَكَ لَيْسَ بلا إرادَتِكَ، اعلَمْ الكُفْرُ بلا إرادَةٍ تناقُضٌ في القَوْل؛
الأمْرُ للعاجَزِ قَبيحٌ وَذَميم، والغَضَبُ عَلَيْهِ أَسْوَأُ خاصَّةً مِنَ الرَّبِّ الرَّحِيم؛
يَضْرِبُونَ الثَّوْرَ الَّذي لا يَقْبَلُ النِّيْر، وما مِنْ ثَوْرٍ صارَ مَذْمُوماً لأَنَّهُ لا يَطِيْر؛
ما دامَ الثَّورُ في الفُضُولِ غَيْرَ مَعْذُور، صاحِبُ الثَّوْرِ مِمَّ هُوَ مَعْذُور؛
ما دُمْتَ لَسْتَ مَرِيضاً لا تَرْبِطِ الرَّأْس، لَكَ الإِخْتِيارُ لا تَضْحَكْ على شارِبِك؛
اِجْتَهِدْ لِتَجِدَ جُرْعَةً مِنْ جامِ الحَقّ، آنذاكَ تَصِيْرُ مَشْدُوهاً بِغَيْرِ اخْتيار؛
آنذاكَ تَصِيْرُ تِلْكَ الخَمْرُ كُلَّ اخْتِيارِك، وَتَصيرُ مَعْذُوراً مُطْلَقاً كالسَّكران؛
وَكُلَّ ما صَدَمْتَ فالخَمْرُ صَدَمَتْ، وَكُلَّ ما كَنَسْتَ فالخَمْرُ كَنَسَتْ؛
السَّكْرانُ متى فَعَلَ غَيْرَ العَدْلِ والصَّواب، وَهُوَ مِنْ جامِ الحَقِّ شَرِبَ الشَّراب؛
أولئكَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرْعَوْنَ قِفْ، السَّكْرانُ لا يُبالي باليَدِ والقَدَم؛
يَدُنا وَقَدَمُنا خَمْرُ ذاكَ الواحِد، اليَدُ الظَّاهِرَةُ ظِلٌّ كاسِد؛

مَعْنى *ما شاءَ اللّهُ كانَ* إرادَةُ إرادَتِهِ وَطَلَبُ رِضاه فاطلُبُوا رِضاه ،

وَمِنْ غَضَبِ الآخَرِيْنَ وَرَدِّ الآخَرِيْنَ لا تَكُونوا في ضيق، رَغْمَ أنَّ

***كانَ* تِلْكَ ماضٍ باللَّفْظ، إلاَّ أنَّ فِعْلَ اللهِ لَيْسَ فِيْهِ ماضٍ وَمُسْتَقْبَلٌ**

إذْ لَيْسَ عِنْدَ اللهِ صَباحٌ ولا مَسَاء

قَوْلُ العَبْدِ *ما شاءَ اللّهُ كان*، لَمْ يَكُنْ مِنْ أَجْلِ ذاكَ وأنْ تَتَكاسَلَ عَنْ ذاك؛
بَلْ تَحْرِيضٌ على الإخلاصِ والجَدّ، أنْ زِدْ في تِلْكَ الخِدْمَةِ واسْتَعِدّ؛
إذا قالُوا أَيْ نَجِيبُ لَكَ ما تُريد، الأمْرُ أَمْرُكَ يَجْري كما تُريد؛
ذاكَ الحِيْنُ جازَ إذا تَكاسَلْت، فَكُلُّ ما تُريدُ وكُلُّ ما تَقُولُ يَكُون؛
وإنْ قالُوا ما شاءَ اللهُ كان، والحُكْمُ حُكْمُهُ مُطْلَقاً إلى الأَبَد؛
فلِماذا لا تَكُونُ مِئَةَ رَجُلٍ في وِرْدِه، ولا تَدُورُ كالعَبيدِ مِنْ حَوْلِه؛
وَلَو قالُوا كُلُّ ما يُريدُ الوَزير، في العَطاءِ والمَنْعِ كائِنٌ بِأَمْرِهِ؛
تَصِيْرُ دائراً حَوْلَهُ مُسْرِعاً كَمِئَةِ رَجُلٍ، لِيَنْثُرَ على رَأْسِكَ الإحْسانَ والجُود؛
أو تَهْرُبُ مِنَ الوَزيرِ وَقَصْرِه، فلا تَكُونُ باحِثاً عَنْهُ ولا طالِباً لِنَصْرِه؛
فَقَدْ صِرْتَ مِنْ هذا الحَديثِ ضَعِيْفاً وَمَقْلُوباً، وَجِئْتَ مُنْعَكِسَ الإدراكِ والخاطِر؛
الأمْرُ أمْرُ ذاكَ السَّيِّدِ فُلان، ما يَعْني غَيْرَ لا تَقْعُدْ إلَّا مَعَه؛
دُرْ حَوْلَ السَّيِّدِ ما دامَ لَهُ الأمْر، فَهُوَ يَقْتُلُ العَدُوَّ وَيَحَرِّرُ رُوحَ الصَّدِيْق؛
فَكُلُّ ما أرادَ يَجِدُ يَقِيْناً، لا تَمْشِ عَبَثاً واخْتَرْ خِدْمَتَه؛
أو لَيْسَ كالحاكِمِ لا تَدُرْ حَوْلَهُ، فَتَصِيْرَ أَسْوَدَ الصَّحِيْفَةِ أصْفَرَ الوَجْه؛
إذا كانَ تَأويلاً حَقّاً وَهَبَكَ نَشاطاً، وَجَعَلَكَ مَمْلُوءاً بالأمَلِ والنَّشاطِ وذا حَياء؛
وإنْ جَعَلَكَ واهِناً فاعْلَمْ هذا حَقيقَةً، ذاكَ لَيْسَ تَأويلاً إنَّهُ تَبْدِيْل؛
هذا أتى مِنْ أَجْلِ أنْ يُعْطِيَ النَّجاة، حَتَّى يَأخُذَ بِكِلْتا يَدَي القانِطِيْن؛

أُطْلُبْ مَعْنى القُرآنِ مِنَ القُرْآن، وَمِنْ شَخْصٍ أَشْعَلَ النَّارَ في الهَوَس؛
فَصارَ للقُرْآنِ خاشِعاً وَقُرْباناً، حَتَّى صارَتْ عَيْنُ رُوحِهِ قُرآناً؛
الزَّيْتُ الَّذي صارَ كُلُّهُ فِداءً للوَرْد، سَواءٌ سَمَّيْتَهُ زَيْتاً أَمْ سَمَّيْتَهُ وَرْداً؛

وَمِثْلُ هذا أنْ جَفَّ القَلَمُ ، يَعْني جَفَّ القَلَمُ وَكَتَبَ ، لا تَسْتَوي الطَّاعَةُ والمَعْصِيَة، لا تَسْتَوي الأمانَةُ والسَّرِقَة، جَفَّ القَلَمُ أنْ لا يَسْتَوي الشُّكْرُ والكُفران، جَفَّ القَلَمُ إنَّ اللهَ لا يُضِيْعُ أَجْرَ المُحْسِنين

مِثْلُ هذا تَأويلُ جَفَّ القَلَم، مِنْ أجْلِ التَّحْريضِ على الشُّغْلِ الأَهَمّ؛
فالقَلَمُ كَتَبَ لِكُلِّ عَمَلٍ، ما يليقُ بِذاكَ مِنْ تَأْثيرٍ وَجَزاء؛
تَسِيْرُ مُعْوَجَّاً يَجِيْئُكَ الاِعْوِجاجُ جَفَّ القَلَم، تَجِيْءُ بالصِّدْقِ تُولَدُ لَكَ السَّعادَة؛
تَجِيْءُ بالظُّلْمِ أنتَ مُدْبِرٌ جَفَّ القَلَم، تَجِيْءُ بالعَدْلِ أنتَ لائِقٌ جَفَّ القَلَم؛
إذا سَرَقَ ذَهَبَتِ اليَدُ جَفَّ القَلَم، إذا شَرِبَ الخَمْرَ صارَ سَكْرانَ جَفَّ القَلَم؛
أَتَرى جائزاً أنْ يَجُوزَ أنَّ الحَقَّ، يكونُ مَعْزُولاً هكذا عَنْ حُكْمٍ سَبَقَ؛
أنِ الأَمْرُ صارَ خارِجاً عَنْ يَدِي، فلا تَأْتِني كَثيراً ولا تَشْكُ لِيْ كَثيراً؛
بَلْ مَعْنى جَفَّ القَلَمُ هُوَ أنَّهُ، لِيْسا واحِداً عِنْدِيَ العَدْلُ والظُّلْم؛
جَعَلْتُ فَرْقاً بَيْنَ الخَيْرِ والشَّرِّ، وَجَعَلْتُ فَرْقاً بَيْنَ السَّيِّئِ والأَسْوَأ؛
إذا كانَتْ فِيْكَ ذَرَّةٌ مِنَ الأَدَب، زيادَةً عَنْ رَفيقِكَ يَعْلَمُها فَضْلُ الرَّبّ؛
وَيُعْطِيْكَ زيادَةً بِقَدْرِ تِلْكَ الذَّرَّة، وَتَخْرُجُ الذَرَّةُ للخارِجِ كأنَّها جَبَل؛
المَلِكُ الَّذي لا فَرْقَ أمامَ عَرْشِهِ، ما بَيْنَ الأَمِيْنِ وما بَيْنَ الظَّالِمِ؛
ما بَيْنَ الَّذي يَرْتَعِدُ مِنْ خَوْفِ رَدِّهِ، وذاكَ الَّذي هُوَ طاعِنٌ في جَدِّهِ؛
وما مِنْ فَرْقٍ بينَ هذينِ الاِثْنَيْنِ عِنْدَه، لَيْسَ مَلِكاً وعلى رَأْسِهِ التُّراب؛

إذا زادَ جهْدُكَ مِقْدارَ ذَرَّةٍ، اِعْلَمْ تَكُونُ في ميزانِ اللهِ مَوزونَةً؛
أنتَ أمامَ هؤلاءِ المُلُوكِ دوماً في نَزْعِ روحٍ، وهُمْ غافِلُونَ عَنِ الغَدْرِ وَعَنِ الوفاء؛
وَقَوْلُ غَمَّازٍ يَقُولُ بِكَ السُّوءَ، يَجْعَلُ ضائعاً خِدْمَتَكَ لِسِنِيْن؛
وَعِنْدَ المَلِكِ الَّذي هُوَ سَمِيْعٌ بَصِيْرٌ، قَوْلُ الغَمَّازِيْنَ لا مَحَلَّ لَهُ لِيُصْرَف؛
جُمْلَةُ الغَمَّازِيْنَ يَصِيْرُونَ آيِسِيْنَ مِنْه، فَيَجِيْئونَ نَحْونا وَيَزِيدُونَ في القُيُود؛
ثُمَّ يَقُولُونَ عِنْدَنا الجَفاءَ في المَلِك، أنِ اذْهَبْ جَفَّ القَلَمُ اَقِلَّ الوفاء؛
متى كانَ ذاكَ مَعْنى جَفَّ القَلَم، وَأنْ يَكُونَ الجَفاءُ والوَفاءُ واحِداً لا فَرْق؛
بَلِ الجَفاءُ جَزاؤهُ الجَفاءُ جَفَّ القَلَم، وذاكَ الوفاءُ جَزاؤهُ الوَفاءُ جَفَّ القَلَم؛
وَهُناكَ عَفْوٌ لكِنْ أَيْنَ نُورُ الرَّجاءِ، وأنْ يَكُونَ العَبْدُ مِنَ التَّقْوى أَبْيَضَ الوَجْه؛
وإنْ حَصَلَ السَّارِقُ على العَفْوِ وَنجا بالرُّوح، متى يصيرُ وَزيراً وأميناً للمَخْزَن؛
أيْ أمِيْنَ الدِّيْنِ الرَّبَّانِيِّ تَعالَ، فَمِنْ الأمانَةِ يَطْلَعُ كُلُّ تاجٍ وَلِواء؛
لَوْ أنَّ وَلَدَ السُّلْطانِ صارَ خائناً للسُّلْطان، لأبانَ رَأْسَهُ تِلْكَ عَنِ البَدَن؛
وإذا ما جاءَ غُلامٌ هِنْدِيٌّ بالوَفاء، تَعْزِفُ لَهُ الدَّولَةُ لَحْنَ طالَ البقاء؛
ما الغُلامُ، لَوْ أنَّ كَلْباً وَفى على باب، لكانَ لَهُ في قَلْبِ السَّيِّدِ مِئَةُ رِضا؛
وَيَطْبَعُ قُبْلَةً على وَجْهِ مِثْلِ هذا الكَلْب، فأيَّ مُظَفَّرٍ يَجْعَلُ مِنْهُ لَو كانَ أَسَداً؛
حتَّى وَلَو كانَ سارِقاً إذا فَعَلَ الخدمات، صِدْقُهُ يَقْتَلِعُ جَذْرَ الجفاء؛
مِثْلَ فُضَيْلٍ قاطِعِ الطَّرِيقِ الَّذي قامَرَ بِصِدْقٍ، صارَ يَجْري للتَّوْبَةِ كَعَشْرَةِ رِجال؛
وَمِثْلَ سَحَرَةِ فِرْعَونَ أولئكَ، جَعَلُوا وَجْهَهُ أَسْوَدَ مِنَ الصَّبْرِ والوفاء؛
أَعْطَوا اليَدَ والقَدَمَ قَوَداً في الجُرْم، مَتى يُنالُ ذاكَ بِعِبادَةِ مِئَةِ عام؛
أنتَ الَّذي قُمْتَ بالخِدْمَةِ خَمْسِيْنَ عاماً ، مَتى حَصَلْتَ على مِثْلِ هذا الصِّدْق؛

حِكايَةُ ذلِكَ الدَّرْويش الَّذي شاهَدَ في هَراةَ غِلْماناً لِعَمِيْدِ خُراسانَ مُزَيَّنِيْنَ وعلى جِيادٍ عَرَبيَّةٍ وبِأَقْبِيَةٍ مُطَرَّزَةٍ بالذَّهَبِ وَقُبَّعاتٍ مُغَرَّقَةٍ وَغَيْرِ ذلِكَ فَسَأَلَ مَنْ هؤلاءِ الأُمَراء ، وأيُّ مُلوكٍ هؤلاء، فقالوا لَهُ هؤلاءِ لَيْسوا بِأُمَراءَ ، هؤلاءِ غِلْمانُ عَمِيْدِ خُراسان ، فَوَجَّهَ الوَجْهَ للسَّماءِ أنْ أَيْ اَللهُ تَعَلَّمْ تَرْبِيَةَ الغِلْمانِ مِنَ العَميد ، إذ هُم هُناكَ يُسَمُّونَ المُسْتَوفِيَ عَمِيْداً

دَرْويشٌ جَرِيْءٌ كانَ يسيرُ في هِراة، إذْ رأى غُلاماً كَأَنَّهُ القَمَر؛
ماشِياً يَلْبَسُ الأَطْلَسَ والكَمَرَ مِنْ ذَهَبٍ، فَوَجَّهَ الوَجْهَ نَحْوَ قِبْلَةِ السَّماء؛
أنْ مِنْ هذا السَّيِّدِ صاحِبِ المِنَن، كَيْفَ لا تَتَعَلَّمُ مُعامَلَةَ العَبْدِ يا رَبّ؛
تَعَلَّمْ رِعايَةَ العَبْدِ أَيْ اَللهُ، مِنْ رَئيسِنا وَمُخْتارِنا هذا الشَّاه؛
كانَ مُحْتاجاً وَعُرْياناً وبلا غِذاء، يَرْتَجِفُ مِنْ بَرْدِ الهواءِ في فَصْلِ الشِّتاء؛
ذاكَ المَفْصُولُ عَنِ النَّفْسِ أبدى انبساطاً، وَأَظْهَرَ جُرْأَةً مِنْهُ مِنْ قِلَّةِ الحَياء؛
كانَ اعْتِمادُهُ على أَلْفِ مَوْهِبَة، إذْ صارَ نَدِيماً للحَقّ وَأَهْلَ مَعْرِفَة؛
إذا ما نَدِيْمُ الشَّاهِ أَظْهَرَ جُرْأَةً، أنتَ لا تَفْعَلْ ذاكَ فَأَنْتَ لا تَمْلِكُ ذاكَ السَّنَد؛
الحَقُّ وَهَبَكَ الخَصْرَ وَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الكَمَر، وَأَعْطاكَ الرَّأْسَ وُهُوَ خَيْرٌ مِنَ التَّاج؛
إلى أنْ جاءَ يَوْمٌ اتَّهَمَ بِهِ الشَّاهُ، ذلِكَ السَّيِّدَ العَمِيْدَ وَقَيَّدَ يَدَيْهِ وَقَدَمَيْه؛
وَقامَ بِتَعْذِيْبِ أولئكَ الغِلْمان، أنْ أَظْهِرُوا دَفائِنَ السَّيِّدِ سَريعاً؛
قُولُوا سِرَّهُ فاشِياً أَيْ أَخِسَّاء، أو أَقْطَعَ مِنْكُمُ الحَلْقَ واللِّسان؛
مُدَّةَ شَهْرٍ يَقُومُ بِتَعْذِيْبِهِم، اللَّيْلَ والنَّهارَ في العَذابِ والضَّغْطِ والأَلَم؛
قَطَّعَهُمْ قِطَعاً وما مِنْ غُلام، باحَ بِسِرِّ السَّيِّدِ مِنَ الاِهْتِمام؛
قالَ للدَّرْويشِ هاتِفٌ في المَنامِ أيْ عَظيم، تَعَلَّمْ كَيْفَ تَكُونُ عَبْداً ثُمَّ تعال؛

أَيْ مَنْ مَزَّقْتَ قَمِيْصَ اليُوسُفِيّيْن، إذا مَزَّقَكَ الذِّئْبُ اعْرِفْ ذاكَ مِنْ نَفْسِكَ؛

فالبَسْ مِمَّا كُنْتَ تَلْبَسُ طِيْلَةَ العام، وَكُلْ مِمَّا كُنْتَ تَزْرَعُ طِيْلَةَ العام؛

هذِهِ الغُصَصُ فِعْلُكَ لَحْظَةً بِلَحْظَة، هذا كانَ مَعْنى جَفَّ القَلَم؛

فَسُنَّتُنا لَنْ تَتَبَدَّلَ مِنَ الرَّشَد، الخَيْرُ يُجْزى بالخيرِ والسُّوءُ بالسُّوء؛

هيَّا اعْمَلِ العَمَلَ فَسُلَيْمانُ حَيّ، ما دُمْتَ شَيْطاناً فَسَيْفُهُ قاطِع؛

ما دامَ المَلَكُ صارَ آمِناً مِنَ السَّيْفِ، فلا خَوْفَ يَكُونُ عِنْدَهُ مِنْ سُلَيْمان؛

حُكْمُهُ على الشَّيْطانِ لا على المَلَك، الأَلَمُ في التُّرابِ لا فَوْقَ الفَلَك؛

دَعْ هذا الجَبْرَ فإِنَّهُ فارِغٌ كَثيراً، حَتَّى تَعْلَمَ سِرَّ سِرِّ الجَبْرِ ما يَكُون؛

أُتْرُكْ جَبْرَ جَمْعِ الكسالى هذا، حتَّى تَجِدَ الخَبَرَ عَنْ ذلِكَ الجَبْرِ كالرُّوح؛

أُتْرُكْ كَوْنَكَ مَعْشُوقاً وَكُنْ عاشِقاً، أَيْ مَنْ ظَنَنْتَ أَنَّكَ كُنْتَ جَمِيْلاً وفائقاً؛

أيْ مَنْ أنتَ في المَعْنى أَخْفَتُ مِنَ اللَّيْل، إلامَ تَظَلُّ تَبْحَثُ عَنْ مُشْتَرٍ لِمَقالِك؛

لَقَدْ حَرَّكُوا الرَّأْسَ مِنْ أمامِكَ لأجْلِك، وَذَهَبَ في طَلَبِ مُعامَلَتِهِمْ دَهْرُك؛

تَقُولُ لي لا تُضاعِفْ لِيَ الحَسَد، ما حَسَدٌ يَأْتي للشَّخْصِ مِنْ فَوْتِ لاشَيْء؛

تَعْلِيْمُ الأَخِسَّاءِ أَيْ بلا حَياء، كَرَسْمِ رَسْمٍ دَقِيْقٍ على قِطْعَةٍ مِنْ طِيْنٍ يابِسٍ؛

عَلِّمْ نَفْسَكَ العِشْقَ والنَّظَر، فَذاكَ كَأَنَّهُ النَّقْشُ في جُرْمِ الحَجَر؛

نَفْسُكَ مَعَكَ تِلْمِيْذُكَ الوَفِيّ، فَنِيَ الغَيْرُ فَأَيْنَ تَبْحَثُ أَيْن؛

مَتى تَجْعَلُ مِنَ الغَيْرِ حَبْراً وَسَنِيّاً، تَجْعَلُ مِنْ نَفْسِكَ سَيِّئَ الطَّبْعِ وَخَلِيّاً؛

إذا صارَ قَلْبُكَ مُتَّصِلاً بِذلِكَ العَدَن، هَيَّا قُلْ ولا تَخَفْ أنْ تَصِيْرَ خالِياً؛

مِنْ هذا جاءَهُ الأَمْرُ قُلْ أيْ صادِق، لَنْ يَقِلَّ هذا قُلْ فَهذا بَحْر؛

أَنْصِتُوا تَغْني ماؤكَ بلاغ، أَقِلَّ التَّلَفَ فالبُسْتانُ يابِسُ الشَّفَة؛

هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ أَيْ أَب، أُتْرُكْ هذا الحَديْثَ وانْظُرْ للنِّهايَة؛

لَنْ أَغارَ مِنْكَ مِنْ وُقُوفِهِمْ أَمامَكَ، إنَّهُمْ يَضْحَكُونَ عَلَيْكَ وَلَيْسُوا بِعاشِقِيْك؛

فَلْتَرَ عاشِقِيْكَ خَلْفَ حِجابِ الكَرَم، يَصْرَخُونَ مِنْ أَجْلِكَ لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ؛
فَكُنْ عاشِقاً لِعاشِقِي الغَيْبِ أولئكَ، وَأَقَلَّ مِنْ اكْتِسابِ عُشَّاقِ خَمْسَةِ أَيَّام؛
فَقَدْ أَكَلُوكَ مِنَ الخِداعِ والجَذْب، لِسِنينَ لَمْ تَرَ مِنْهُمْ حَبَّةً واحِدَةً؛
كَمْ غَوغاءَ أَقَمْتَ على طَرِيقِ العامّ، صِرْتَ مُتْعَبَ الخُطى وَلَمْ تَنَلْ رَغْبَةً واحِدَةً؛
وَقْتَ الصِّحَّةِ الجَمِيْعُ رَفيقٌ وَأَلِيف، وَقْتَ الأَلَمِ والغَمّ غَيْرَ الحَقّ أَيْنَ الأَليف؛
وَقْتَ أَلَمِ العَيْنِ والأَسْنانِ لا شَخْصَ، يَأْخُذُ بِيَدِكَ إِلَّا المُغيث؛
فَتَذَكَّرِ الأَلَمَ عَيْنَهُ والمَرَض، واعْتَبِرْ بالرِّداءِ الصُّوفِيِّ مِثْلَ إياز؛
الرِّداءُ الصُّوفِيُّ حالَةُ الأَلَمِ مِنْكَ، تِلْكَ الَّتي أَمْسَكِ بِها إياز ذاكَ باليَد؛

جَوابُ ذاكَ الكافِرِ الجَبْرِيِّ مَرَّةً ثانِيَةً لِذلِكَ السُّنِّيِّ الَّذي كانَ يَدْعُوهُ للإسلام وَيَدْعُوهُ لِتَرْكِ الاِعْتِقادِ بالجَبْر وَطُولُ المُناظِرَةِ بَيْنَ الطَّرَفَيْن فلا يَقْطَعُ مادَّةَ الإِشْكالِ والجَواب إِلَّا العِشْقُ الحَقِيْقِيُّ الَّذي لَمْ يَبْقَ لَهُ خَوْفٌ مِنْ ذلِك وذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتِيْهِ مَنْ يَشاء

بَدَأَ الكافِرُ الجَبْرِيُّ بالجَواب، حَتَّى حارَ مِنْهُ رَجُلُ المَنْطِقِ والخِطاب؛
لكِنْ لَو ذَكَرْتُ كُلَّ سُؤالٍ وَجَواب، كانَ بَيْنَهُما لانْقَطَعْتُ عَنْ هذا المَقال؛
وَعِنْدَنا أَحاديثُ أَهَمُّ مِنْ ذاكَ، إِذْ بِتِلْكَ يَجِدُ فَهْمُكَ الدَّلِيْلَ أَفْضَل؛
قُلْنا القَلِيْلَ مِنْ ذلِكَ البَحْثِ أَيْ عُتُلّ، مِنَ القَلِيْلِ يَظْهَرُ قانُونُ الكُلّ؛
البَحْثُ مُسْتَمِرٌّ هكذا إلى حَشْرِ البَشَر، ما بَيْنَ الجَبْرِيِّيْنَ وَأَهْلِ القَدَر؛
لَوْ كانُوا تَوَقَّفُوا عَنْ دَفْعِ الخَصْم، لكانَ مَذْهَبُهُمْ سَقَطَ مِنْ قَبْل؛
لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَخْرَجٌ بالجَواب، لَنَفَرُوا مِنْ ذلِكَ الطَّرِيقِ التَّباب؛
بِما أَنَّ دَوامَ ذلِكَ المَسْلَكِ كانَ مَقْضِيّاً، فإِنَّهُ يُعْطِيْهِمُ العِنايَةَ مِنَ الدَّلائل؛

لِئَلَّا يَصِيْرَ مُلْزَماً مِنَ الإشْكالِ الخَصْم، وَيَصِيْرَ مَحْجُوباً مِنَ الإقبالِ الخَصْم؛
حَتَّى تَبْقى هذِهِ الاِثْنَتانِ وَسَبْعُونَ مِلَّةً، في العالَمِ على الدَّوامِ إلى يَوْمِ القِيام؛
بِما أنَّ هذِهِ الدُّنيا هِيَ دُنيا الظُّلْمَةِ والغَيب، إذْ تَجِبُ أرْضٌ مِنْ أَجْلِ الظِّلّ؛
الاِثْنَتانِ والسَّبْعُونَ باقِيَةٌ إلى القِيامَةِ، عِنْدَ المُبْتَدِعِ لَنْ يَقِلَّ الجِدال؛
عِزَّةُ المَخْزَنِ تَكُونُ في قِيْمَتِه، إذْ تَكُونُ عَلَيْهِ أَقْفالٌ كَثيرَةٌ؛
عِزَّةُ المَقْصَدِ تَكُونُ أَيْ مُمْتَحَن، بالثَّنِيَّاتِ في الطَّريقِ والعَقَباتِ وَقُطَّاعِ الطَّريق؛
عِزَّةُ الكَعْبَةِ وَتِلْكَ النَّادِيَة، مِنْ صَدِّ الأعْرابِ وَطُولِ البادِيَة؛
كُلُّ سُلُوكٍ لا يَكُونُ مَحْمُوداً في الطَّريق، هُوَ عَقَبَةٌ وَمانِعٌ وَقَاطِعُ طَريق؛
ذا مَسْلَكُ الخَصْمِ والحَقُودِ على ذاكَ، لِيَصِيْرَ المُقَلِّدُ حَيْرانَ بَيْنَ الطَّريقَيْن؛
صِدْقُ هذينِ الضِّدَّيْنِ يُرى في السُّلُوك، كُلُّ فَريقٍ في طَريقِهِ سَعِيْدُ طَبْع؛
إنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ جَوابٌ يَقْطَعُ الجَدَل، يبقى على الحالِ عَيْنِها إلى يَومِ القِيامَة؛
كُبَراؤنا عالِمُونَ بِهذا الجَواب، وَإنْ خَفِيَ عَنَّا نَحْنُ وَجْهُ الصَّواب؛
رِباطُ فَمِ الوَسْوَسَةِ العِشْقُ وَحَسْب، وإلَّا متى كانَ لِشَخْصٍ أَنْ يُقَيِّدَ الوَسْواس؛
كُنْ عاشِقاً واطْلُبْ حَسْناءَ الجَمال، كُنْ في صَيْدِ طائرِ الماءِ مِنْ نَهْرٍ إلى نَهْر؛
مَتى تنالُ الماءَ مِمَّنْ قَدْ أَخَذَ ماءَكَ، متى تَأْخُذُ مِنْ ذاكَ الفَهْمَ وَقَدْ ابْتَلَعَ فَهْمَك؛
تَجِدُ مَعْقُولاتٍ غَيْرَ هذِهِ المَعْقُولاتِ، في العِشْقِ ذي السَّناءِ وَذي البَهاء؛
للحَقِّ عُقُولٌ غَيْرُ عَقْلِكَ هذا، وَبِتِلْكَ العُقُولِ تَدْبيرُ أَسْبابِ السَّماء؛
أنتَ بِهذا العَقْلِ تَسْتَجْلِبُ الأرزاق، وَبِذاكَ الآخَرِ تَجْعَلُ مَفْرَشاً الأطْباق؛
إذا قامَرْتَ بالعَقْلِ في عِشْقِ الصَّمَد، يُعْطِيْكَ عَشْرَةً مِنْ أمثالِهِ أو سَبْعَمِئَة؛
أولئكَ النِّسْوَةُ حِيْنَ قامَرْنَ بالعُقُول، أَغَرْنَ على رُواقِ العِشْقِ مِنْ يُوسُف؛
أَخَذَ عَقْلَهُنَّ لِلَحْظَةٍ ساقِي العُمْر، فَصِرْنَ شِباعاً مِنَ العَقْلِ باقِي العَمْر؛
أَصْلُ مِئَةِ يُوسُفٍ جَمالُ ذي الجلال، أَيْ أَقَلَّ مِنْ امرَأَةٍ صِرْ فِداءَ ذاكَ الجَمال؛

العِشْقُ وَحْدَهُ يَقْطَعُ البَحْثَ أَيْ صَدِيقي، إنَّهُ يَصِيرُ المُغِيْثَ مِنَ القالِ والقِيْل؛
ذلِكَ النُّطْقُ يُصابُ بالحَيْرَةِ في العِشْقِ، فلا تَكُونُ لَهُ الجُرْأَةُ على الجِدال؛
يَخافُ إنْ فَتَحَ الفَمَ للجَواب، أَنْ تَقَعَ جَوْهَرَةٌ مِنْ شَفَتِهِ للخارِج؛
فَأَغْلَقَ الشَّفَةَ بإحْكامٍ عَنِ الخَيْرِ والشَّرّ، حَتَّى لا يَكُونَ الجَوْهَرُ يَقَعُ مِنْ فِيْه؛
مِثْلَما قالَ ذاكَ الصَّحابِيُّ عَنِ الرَّسُول، أَنَّهُ حِيْنَ كانَ يَقْرَأُ عَلَيْنا الفُصُول؛
كانَ ذاكَ الرَّسُولُ المُجْتَبى وَقْتَ النِّثار، يَطْلُبُ مِنَّا الحُضُورَ بِمِئَةِ وَقار؛
هكذا كما لَوْ أَنَّ طائراً على رَأْسِك، فَمِنْ فَواتِهِ تَصِيْرُ رُوحُكَ تَرْتَعِش؛
فلا تَقُومُ بِأَيَّةِ حَرَكَةٍ مِنَ المكان، كَيْ لا يَفِرَّ طائرُكَ الجَمِيْلُ في الهَواء؛
وَتَحْبِسُ السُّعال ولا تُطْلِقُ النَّفَسَ، حَتَّى لا يَطِيْرَ ذاكَ الطَّائِرُ المَيْمُون؛
وإنْ تَحَدَّثَ إلَيْكَ شَخْصٌ بِحُلْوٍ أو مُرّ، تَضَعُ اليَدَ على الشَّفَةِ يَعْني اسْكُتْ؛
الحَيْرَةُ ذاكَ الطَّائِرُ الَّذي أَسْكَتَكَ، أَغْلَقَتْ عَلَيْكَ القِدْرَ وَجَعَلَتْكَ تَغْلي؛

سُؤالُ المَلِكِ إياز قاصِداً كَمْ تَقُولُ الغَمَّ والسُّرُورَ إلى النَّعْلِ والثَّوْبِ الصُّوفِيّ وَهُما جَماد، يَقُولُ ذاكَ لِيَجْعَلَ إياز يَتَكَلَّم

هذِهِ الأنواعُ مِنَ المَحَبَّةِ للنَّعْلِ أَيْ إياز، ما تَكُونُ أَخِيراً هِيَ مِثْلُ عِشْقِكَ للصَّنَم؛
جَعَلْتَ مِنَ النَّعْلِ دِيناً وَمَذْهَباً، مِثْلَ فِعْلِ المَجْنُونِ مَعَ وَجْهِ لَيْلى؛
مَزَجْتَ حُبَّ الرُّوحِ بِقَدِيْمَيْنِ اثْنَيْن، جَعَلْتَ كِلا الإثْنَيْنِ مُعَلَّقَيْنِ في حُجْرَة؛
كَمْ تَتَحَدَّثُ جَدِيْدَ الحَديثِ مَعَ القَدِيْمَيْن، تَتَحَدَّثُ بالسِّرِّ القَدِيْمِ إلى الجَماد؛
كالعَرَبِ مَعَ الرَّبْعِ والأَطْلالِ أَيْ إياز، تَجْعَلُ الحَدِيْثَ طَويلاً مِنَ العِشْق؛
نَعْلُكَ القَدِيْمُ رَبْعٌ لأيِّ آصِف، قَمِيْصُكَ الصُّوفِيُّ كَأَنَّهُ قَمِيْصُ يُوسُف؛
مِثْلَ المَسِيْحِيِّ الَّذي يَعُدُّ للقسِّيْس، جُرْمَ عامٍ مِنَ الزِّنا والغِلِّ والغِشّ؛

لِيَعْفُوَ لَهُ القسّيْسُ عَنْ ذلِكَ الذَّنب، فإنَّهُ يرى العَفْوَ مِنْهُ عَفْواً مِنَ الإله؛
ولا خَبَرَ لِذلِكَ القسّيْسِ عَنِ الجُرْمِ والعَدْل، لكِنَّ العِشْقَ والاِعْتِقادَ سِحْرٌ شَديد؛
المَحَبَّةُ والوَهْمُ يَنْسُجانِ مِئَةَ يُوسُف، إنَّهُما أَسْحَرُ مِنْ هارُوتَ ومارُوت؛
السِّحْرُ يُظْهِرُ صُوَرَةً على ذِكْرِهِ، جَذْبُ الصُّورَةِ يَدْفَعُكَ للحَدِيث؛
تُعِيْدُ قَوْلَ السِّرِّ للصُّورَةِ مِئَةَ أَلْفٍ، هكذا كما يَتَحَدَّثُ الحَبيبُ للحَبيب؛
ولا صُورَةَ هُناكَ ولا هَيْكَلا، وَوُلِدَ مِنْها مِئَةُ أَلَسْتُ وَمِئَةُ بلى؛
مِثْلَ أُمٍّ سَلِيْبَةِ القَلْب، أمامَ قَبْرِ طِفْلِها حَديثِ المَوت؛
تَقُولُ الأَسْرارَ بِجِدٍّ واجْتِهاد، يَظْهَرُ لها حَيَّاً ذلِكَ الجَماد؛
ترى ذلِكَ التُّرابَ حَيَّاً وقائماً، ترى للقَشِّ اليابِسِ عَيْناً وَأُذُنا؛
عِنْدَها كُلُّ ذَرَّةٍ مِنْ تُرابِ ذلِكَ القَبْر، تَمْلِكُ الأُذُنَ وَتَمْلِكُ العَيْنَ وَقْتَ الحَنين؛
ترى ذلِكَ التُّرابَ مُسْتَمِعاً بِجِدّ، فانْظُرْ حَسَناً إلى هذا العِشْقِ السَّاحِر؛
هكذا على تُرابِ قَبْرِهِ الطَّرِيّ، لَحْظَةً بِلَحْظَةٍ تَضَعُ الوَجْهَ وَتَسْكُبُ الدَّمْع؛
وَلَمْ تَكُنْ تَفْعَلُ مِثْلَ ذاكَ في الحَياة، أو تَضَعُ الوَجْهَ على الاِبْنِ الحَبيبِ كالرُّوح؛
فإذا مَرَّتْ على العَزاءِ بِضْعَةُ أَيَّامٍ، نارُ ذاكَ العِشْقِ مِنْها تَصِيرُ ساكِنَةً؛
العِشْقُ للمَيِّتِ لا يَظَلُّ قائماً، اِجْعَلِ العِشْقَ للحَيِّ واهِبِ الرُّوح؛
بَعْدَ ذلِكَ مِنْ ذلِكَ القَبْرِ يَأْتِيْها النَّومُ، وَيُولَدُ لها مِنَ الجَمادِ الجَماد؛
ذلِكَ العِشْقُ اخْتَطَفَ فِتْنَةَ نَفْسِهِ وَمَضى، وحِيْنَ ذَهَبَتْ حرارَةُ النَّارِ بَقِيَ الرَّماد؛
كُلَّ ما رأى ذلِكَ الشَّابُّ في المِرْآةِ، يراهُ الشَّيْخُ كُلَّهُ في آجُرَة؛
عِشْقُكَ الشَّيْخُ لا بياضُ اللِّحْيَة، الآخِذُ بِيَدِ مِئَةِ أَلْفِ يائس؛
العِشْقُ في الفِراقِ يَرْسُمُ الصُّوَر، وَقْتَ التَّلاقي يَظْهَرُ الَّذي لا يُتَصَوَّر؛
أنْ أَصْلُ أَصْلِ الوَعْيِ والسُّكْرِ أنا، ذاكَ الحُسْنُ على الصُّوَرِ انْعِكاسُ حُسْنِنا؛
هذِهِ اللَّحْظَةَ رَفَعْتُ الحُجُبَ، عَرَضْتُ ذاكَ الحُسْنَ بلا واسِطَة؛

ذلِكَ أَنَّكَ مِنْ كَثْرَةِ انْشِغالِكَ بِصُورَتي، وَجَدْتَ قُوَّةَ تَجْرِيدِ ذاتي؛
عِنْدَما سَرَتْ جَذْبَتي مِنْ هذِهِ الجِهَة، لَمْ يَعُدْ يُرى القسّيسُ ما بَيْنَنا؛
إنَّهُ يَطِلِبُ المَغْفِرَةَ مِنَ الجُرْمِ والخَطَأ، مِنْ وراءِ ذلِكَ الحِجابِ مِنْ لُطْفِ الله؛
حِيْنَ يَصِيْرُ ماءُ العَيْنِ مِنَ الحَجَرِ جارِياً، يَصِيْرُ الحَجَرُ في العَيْنِ مُتَوارِياً؛
فلا شَخْصَ يَدْعُوهُ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ الحَجَر، بِما أَنَّهُ صارَ جارِياً مِنْهُ الجَوْهَر؛
اِعْرِفْ هذِهِ الصُّوَرَ كُؤوساً وَفِيْها، ما سَكَبَ الحَقُّ وَمِنْ ذاكَ تَأْخُذُ العُلُوّ؛

قَوْلُ أَهْلِ المَجْنُون إنَّ حُسْنَ لَيْلى مَحْدُودٌ وَلَيْسَ بالزَّائِد، وَكَثيراتٌ أَجْمَلُ مِنْـها في مَدِيْنَتِنا ، فَلْنَعْرِضْ عَلَيْكَ واحِدَةً واثْنَتَيْنِ وَعَشَرَةً ، واخْتَرْ أنت ، وَحَرّرْنا وَحَرّرْ نَفْسَكَ ، وَجَوابُ المَجْنُون لَهُم

البُلْهُ قالُوا مِنَ الجَهْلِ للمَجْنُون، ليلى لا تَمْلِكُ حُسْناً زائداً والأمْرُ سَهْل؛
إنَّ مِئاتِ الأُلُوفِ أجْمَلُ مِنْها، مِثْلَ الأَقْمارِ في مَدِيْنَتِنا سالِباتُ قُلُوب؛
قالَ الصُّورَةُ كُوزٌ والحُسْنُ خَمْرٌ، اللهُ مِنْ صُورَتِها يُعْطِيْني الخَمْر؛
وَهُوَ أَعْطاكُمْ مِنْ كُوزِها الخَلّ، كَيْ لا يَجُرَّكُمْ عِشْقُها مِنَ الأُذُن؛
مِنْ كُوزٍ واحِدٍ أَعْطَتِ الخَلَّ والعَسَلَ، لِكُلّ واحِدٍ يَدُ الحَقِّ عَزَّ وَجَلّ؛
ترى الكُوزَ ولكِنَّ ذلِكَ الشَّراب، لا يُظْهِرُ الوَجْهَ لِعَيْنٍ بلا صَواب؛
قاصِراتُ الطَّرْفِ لَذَّةٌ للرُّوح، لِغَيْرِ خَصْمِ النَّفْسِ لا يُبْدِيْنَ أَثَراً؛
قاصِراتُ الطَّرْفِ تِلْكَ المُدام، والحِجابُ الظُّرُوفُ مِثْلَ الخِيام؛
البَحْرُ للبَطِّ خَيْمَةٌ بِها الحَياة، وللغِرْبانِ خَيْمَةٌ بِها المَمات؛
السُّمُّ للأَفْعى غِذاءٌ وَقُوت، وَسُمُّها لِغَيْرِها أَلَمٌ وَمَوت؛
صُورَةُ كُلِّ نِعْمَةٍ وَمِحْنَة، لِهذا نارٌ ولِذاكَ جَنَّة؛

فَجَمِيْعُ الأجْسامِ والأشْياءِ *تُبْصِرُون*، وَفِيْها قُوتٌ وَسُمٌّ *لا تُبْصِرُون*؛
كُلُّ جِسْمٍ كَأَنَّهُ الكَأْسُ والكُوز، فِيْهِ القُوتُ وَفِيْهِ حُرْقَةُ القَلْب؛
الكَأْسُ ظاهِرَةٌ وَفِيْها اخْتَفى الرَّغَدُ، طاعِمُها يَعْلَمُ ما الَّذي شَرِبَ مِنْها؛
صُورَةُ يُوسُفَ كانَتْ كجامٍ جَمِيْل، يَشْرَبُ مِنْها الأَبُ مِئَةَ خَمْرٍ طَرُوب؛
وكانَتْ لإخوانِهِ سُمّاً سائلاً، فكانَ ذاكَ يَزِيْدُ فيهِم الغَضَبَ والحِقْدَ؛
ثُمَّ كانَ ذاكَ لِزَليخا سُكَّراً، تَجْرَعُ مِنَ العِشْقِ أَفْيُوناً آخَر؛
كانَ مِنْ يُوْسُفَ غِذاءٌ لِتِلْكَ الحَسْناءَ، غَيْرَ ذاكَ الَّذي كانَ مِنْهُ لِيَعْقُوب؛
الشَّرابُ أنواعٌ والكُوزُ واحِدٌ، حَتَّى لا يبقى لَكَ شَكٌّ في خَمْرِ الغَيْب؛
الخَمْرُ مِنَ الغَيْبِ والكُوزُ مِنْ هذِهِ الدُّنيا، الكُوزُ ظاهِرٌ والخَمْرُ فيهِ مَخْفِيَّةٌ جِدّاً؛
مَخْفِيَّةٌ عَنْ عَيْنِ غَيْرِ المُحْرِمِيْنَ جِدّاً، لكِنَّها لِلْمُحْرِمِيْنَ ظاهِرَةٌ وَعِيان؛

يا إلهي سُكِّرَتْ أَبْصارُنا   فاعْفُ عَنّا أَثْقَلَتْ أوزارُنا

يا خَفِيّاً قَدْ مَلأْتَ الخافِقَيْنْ   قَدْ عَلَوْتَ فَوْقَ نُوْرِ المَشْرِقَيْن

أَنْتَ سِرٌّ كاشِفٌ أَسْرارَنا   أَنْتَ فَجْرٌ مُفْجِرٌ أَنْهارَنا

يا خَفِيَّ الذَّاتِ مَحْسُوسَ العَطا   أنتَ كالماءِ وَنَحْنُ كالرَّحى

أَنْتَ كالرِّيْحِ وَنَحْنُ كالغُبار   تَخْتَفِي الرِّيْحُ وَغَبْراها جِهار

أنتَ الرَّبيعُ وَنَحْنُ كَرَوْضٍ أَخْضَرَ جَمِيلٍ، الرَّبيعُ خَفِيٌّ وَعَطاياهُ ظاهِرَةٌ للعِيان؛
أنتَ كالرُّوحِ وَنَحْنُ كاليَدِ والقَدَم، القَبْضُ والبَسْطُ مِنَ اليَدِ مُجازٌ مِنَ الرُّوح؛
أنتَ كالعَقْلِ وَنَحْنُ مِثْلَ هذا اللِّسان، هذا اللِّسانُ يَأْخُذُ مِنَ العَقْلِ البيان؛
أنتَ مِثْلَ السُّرُورِ وَنَحْنُ الضُّحْكَة، نَحْنُ نَتِيْجَةً للسُّرُورِ ضاحِكُون؛
حَرَكَتُنا كُلَّ لَحْظَةٍ تَقُولُ أَشْهَد، شَهادَةً لِذِي الجلالِ السَّرْمَد؛
حَرَكَةُ حَجَرِ الطَّاحُونِ في الاِضْطِراب، تَشْهَدُ على وُجُودِ نَهْرِ الماء؛
أي خارِجَ وَهْمِيْ وقالِيْ وَقِيْلِي ، كانَ التُّرابُ على مَفْرَقِيْ وَتَمْثيلي

العَبْدُ لا يَصْبِرُ عَنْ تَصْوِيْرِكَ الجَمِيل، كُلَّ لَحْظَةٍ يَقُوْلُ لَكَ رُوحِيْ مَفْرَشُك؛
مِثْلَ ذاكَ الرَّاعِيْ يَقُولُ يا الله، تَعالَ إلى مُحِبِّكَ تَعالَ إلى راعِيْكَ؛
حَتَّى أُزِيْلَ مِنْ قَمِيْصِكَ القَمْل، وَأَخيطَ نَعْلَكَ وَأُقَبِّلَ أَذْيالَك؛
لا شَخْصَ لَهُ شَفِيعٌ في العِشْقِ والهَوى، لكِنَّهُ كانَ قاصِراً عَنِ التَّسْبيحِ والمقال؛
عِشْقُهُ نَصَبَ الخَيْمَةَ على الفَلَك، الرُّوحُ صارَ كَلْبَ خَيْمَةِ ذلِكَ الرَّاعِي؛
عِنْدَما جاشَ بَحْرُ عِشْقِ الله، أَثَّرَ بِقَلْبِهِ وَأَصابَ أُذُنَيْك؛

حِكايَةُ جُحا الَّذي لَبِسَ ثَوْبَ امْرَأَةٍ وَجَلَسَ بَيْنَ النِّساءِ أَثْناءَ الوَعْظ ، وَكانَتْ مِنْهُ حَرَكَةٌ فَعَلِمَتْ امْرَأَةٌ أَنَّهُ رَجُلٌ وَصَرَخَتْ

واعِظٌ كانَ مُنْتَجَباً في البيانِ جِدّاً، اِجْتَمَعَ تَحْتَ منْبَرِهِ الرِّجالُ والنِّساء؛
ذَهَبَ جُحا لابِساً ثَوْبَ امْرَأَةٍ وَبُرْقُعاً، وَجَلَسَ ما بَيْنَ أولئكَ النِّسْوَةِ غَيْرَ مَعْرُوف؛
سَأَلَ سائلٌ الواعِظَ بالسِّرّ، هَلْ شَعْرُ العانَةِ نُقْصانٌ في الصَّلاة؛
قالَ الواعِظُ إذا طالَ شَعْرُ العانَةِ، حَصَلَتْ مِنْهُ كَراهَةٌ في الصَّلاة؛
فَأَزِلْهُ بالنُّوْرَةِ أو قُصَّهُ بالمِقَصّ، حَتَّى تَجِيْءَ صلاتُكَ كامِلَةً وَحَسَنَةً وَجَمِيْلَةً؛
قالَ السَّائِلُ فما حَدُّ ذلِكَ الطُّول، الَّذي يَكُونُ شَرْطاً لِتَكُونَ صلاتي ناقِصَة؛
قالَ إذا صارَ مِقْدارَ شَعِيْرَةٍ في الطُّول، صارَ قَصُّهُ واجِباً أَيُّها السَّؤول؛
قالَ جُحا سَرِيعاً أَيْ أُخْتُ انْظُرِيْ، هَلْ بَلَغَ شَعْرُ عانَتِي هذا الحَدّ؛
كرامَةً للحَقّ مُدِّيْ يَدَكِ، هَلْ وَصَلَ ذاكَ إلى مِقْدارِ الكراهَة؛
مَدَّتِ المَرْأَةُ اليَدَ في سِرْوالِ الرَّجُل، فلامَسَ العُضْوُ مِنْهُ يَدَ المَرْأة؛
فَصَرَخَتِ المَرْأَةُ صَرْخَةً في الحال، قالَ الواعِظُ لَقَدْ أَصابَ قَلْبَها مَقالي؛
قالَتْ لَمْ يُصِبِ القَلْبَ ولكِنْ أَصابَ اليَدَ، واهٍ لَو أصابَ القَلْبَ أَيْ مِلْؤكَ العَقْل؛

أَصابَ قَلْبَ أولئكَ السَّحَرَةِ قليلاً، فَصارَتِ العصا واليَدُ لهُمْ شَيْئاً واحِداً؛
لَوْ أَخَذْتَ العَصا مِنْ يَدِ شَيْخٍ أَيْ عَظيم، تَأَلَّمَ أَكْثَرَ مِنْ قَومٍ فَقَدُوا اليَدَ والقَدَم؛
صُراخُهُمْ لا ضَيْرَ وَصَلَ إلى الفَلَك، هَيَّا اقْطَعْ فالرُّوحُ تَحَرَّرَتْ مِنْ نَزْعِ الرُّوح؛
لَقَدْ عَلِمْنا أَنَّنا لَسْنا هذا البَدَن، نَحْنُ مِنْ وَراءِ هذا البَدَنِ نَحْيا بالله؛
أَيْ سَعِدَ ذاكَ الَّذي عَرِفَ نَفْسَهُ، في الأَمْنِ السَّرْمَدِي بَنى قَصْراً؛
الطِّفْلُ يبكي طَلَباً للجَوْزِ والزَّبيب، وذاكَ عِنْدَ العاقِلِ شَيْءٌ يسيرٌ جِدّاً؛
الجَوْزُ والزَّبيبُ جَسَدٌ عِنْدَ القَلْب، مَتى وَصَلَ الطِّفْلُ إلى عِلْمِ الرِّجال؛
كُلُّ مَنْ كانَ مَحْجُوباً هُوَ طِفْل، الرَّجُلُ هُوَ ذاكَ الَّذي يَكُونُ خارِجَ الشَّكّ؛
لو صارَ شَخْصٌ مِنَ اللِّحْيَةِ والخِصْيَةِ رَجُلاً، فإنَّ لِكُلِّ تَيْسٍ لِحْيَةً وَشَعْراً غَزيْراً؛
ذاكَ التَّيْسُ مِنْ كَوْنِهِ قائداً سَيِّئاً، يَأْخُذُ الأَصْحابَ مُسْرِعاً إلى القَصَّاب؛
أَطالَ لِحْيَةَ الذَّقْنِ أَنْ أنا سابِق، أنتَ سابِقٌ لكِنْ إلى المَوْتِ والغَمّ؛
هَيَّا اخْتَرِ المَسْلَكَ واتْرُكِ اللِّحْيَةَ، أُتْرُكْ هذِهِ النَّحْنُ والأنا والتَّشْويش؛
حَتَّى تَصِيْرَ مِثْلَ عَبيرِ الوَرْدِ للعاشِقِيْن، قائِداً وَمُرْشِداً إلى رَوْضَةِ الوَرْد؛
ما عَبيرُ الوَرْدِ إنَّهُ نَفَسُ العَقْلِ واللُّبّ، نِعْمَ القائِدُ في طَرِيْقِ مُلْكِ الأَبَد؛

أَمْرُ المَلِكِ لإياز مَرَّةً أُخْرى أنْ قُلْ شَرْحَ النَّعْلِ القَدِيْمِ والثَّوبِ الصُّوفِيِّ واضِحاً حتَّى يَأْخُذَ رِفاقُكَ مِنَ العَبيدِ النَّصِيْحَةَ مِنْ تِلْكَ الإشارَةِ إذ الدِّيْنُ النَّصِيْحة

أَيْ إيازُ أَبِنْ سِرَّ النَّعْلِ ، ما كُلُّ هذا الإفْتِقارِ مِنْكَ لِهذا الحِذاء؛
حَتَّى يَشْرَبَ سَنْقَرْ وَبُكْيارُق، سِرَّ سِرِّ ثَوْبِ الصُّوفِ والنَّعْل؛
أَيْ إيازُ مِنْكَ وَجَدَتِ العُبُودِيَّةُ النُّور، نُورُكَ أَسْرَعَ مِنَ الحَضِيْضِ إلى الفَلَك؛

العُبُودِيَّةُ صارَتْ حَسْرَةَ الأَحْرار، حِيْنَ أَعْطَيْتَ العُبُودِيَّةَ الحَياة؛
المُؤمِنُ ذاكَ الَّذي يكُونُ في جَزْرٍ وَمَدٍّ، الكافِرُ مِنْ إيمانِهِ في حَسْرَة؛

حِكايَةُ كافِرٍ قالُوا لَهُ في عَهْدِ بايَزِيْد صِرْ مُسْلِماً وَجَوابُهُ لَهُم

مَجُوسِيٌّ في زَمانِ بايَزِيْد ، قالَ لَهُ مُسْلِمٌ سَعِيْد؛
ما يَكُونُ إذا صِرْتَ مُسْلِماً، كَيْ تَجِدَ مِئَةَ نَجاةٍ وَرِفْعَة؛
قالَ إذا كانَ الإيمانُ أَيْ مُريد، مِثْلَ ذاكَ الَّذي عِنْدَ الشَّيْخِ العالِمِ بايزيد؛
فَأنا لا طاقَةَ لي على احْتِمالِ ذاك، فَذاكَ جاءَ زائداً على مَسَاعِي الرُّوح؛
رَغْمَ أَنّي غَيْرُ مُوقِنٍ بالإيمانِ والدِّيْن، إلَّا أَنَّني بإيمانِهِ جِدُّ مُوقِن؛
عِنْدِي إيمانٌ أَعْلى مِنَ الجَمِيْع، لَطِيفٌ جِدّاً وَذُو ضِياءٍ وذُو نُور؛
أَنا مُؤمِنٌ بِإيْمانِهِ في الخَفاء، رَغْمَ أَنَّ الخَتْمَ على فَمِي مُحْكَمٌ؛
ثُمَّ إذا كانَ الإيمانُ هُوَ إيمانُكُم، فلا مَيْلَ لِيْ لِذاكَ ولا مُشْتَهى؛
وَذاكَ الَّذي عِنْدَهُ مِئَةُ مَيْلٍ للإيمان، إذا رآكُم صارَ ذاكَ عِنْدَهُ فاتِراً؛
ذاكَ أَنَّهُ رأى اِسْماً وَلَمْ يَرَ مَعْناه، مِثْلَما تُسَمَّى الصَّحْراءُ مفازَةً؛
عِشْقُهُ جَمُدَ عَنْ إيْرادِ الإيمان، عِنْدَما نَظَرَ إلى إيمانِكُم؛

حِكايَةُ ذاكَ المُؤَذِّنِ قَبيحِ الصَّوْتِ الَّذي أَذَّنَ في دِيارِ الكُفْرِ وَأَعْطاهُ رَجُلٌ كافِرٌ هَدِيَّةً

مُؤَذِّنٌ كانَ صَوتُهُ رَدِيْئاً جِدّاً، رَفَعَ الصَّوتَ بالأذانِ في بلادِ الكُفْر؛
كم قالوا لَهُ لا تَرْفَعْ نِداءَ الصَّلاة، فَتَصِيْرَ حَرْبٌ وَعَداواتٌ طَوِيْلَة؛

لكِنَّهُ عانَدَ ثُمَّ مِنْ غَيْرِ احْترازٍ، رَفَعَ الصَّوتَ بالأذانِ في بَلَدِ الكُفْر؛
صارَ الخَلْقُ خائفينَ مِنَ الفِتْنَةِ العامَّةِ، وإذا بِكافِرٍ مُقْبِلٌ وَمَعَهُ ثَوبٌ؛
وَشَمْعٌ وَحَلْوى مَعَ ذلِكَ الثَّوْبِ اللَّطِيْف، يَحْمِلُها هَدِيَّةً وَجاءَ كالأليف؛
يَسْأَلُ أَيْنَ هُوَ هذا المُؤَذِّنُ، فَدُعاؤهُ وَصَوتُهُ مُزيدانِ في الرَّاحَة؛
قِيْلَ أَيَّةُ راحَةٍ تَكُونُ مِنْ ذلِكَ الصَّوتِ القَبيح، قالَ إنَّ نِداءَهُ بَلَغَ مَعْبَدَ النَّار؛
وَلَدَيَّ بِنْتٌ لَطِيْفَةٌ وَسَنِيَّةٌ جِدَّاً، وكانَتْ راغِبَةً في أنْ تَصِيْرَ مُؤمِنَةً؛
لَمْ يَكُنْ هذا الهَوَسُ يُفارِقُ رَأْسَها أَبَداً، وَكَمْ مِنْ كافِرٍ أَسْدى لَها النَّصائِح؛
حُبُّ الإيمانِ كانَ نَما في قَلْبِها، كانَتْ كالمَجْمَرِ وكانَ غَمّي كالعُود؛
كُنْتُ في العَذابِ والألَمِ والأذى، كانَتْ تُحَرّكُ سلْسِلَتَهُ لَحْظَةً بِلَحْظَة؛
وما كُنْتُ أَعْرِفُ لِذاكَ مِنْ حِيْلَةٍ، حَتَّى قَرَأَ هذا المُؤَذِّنُ ذاكَ الأذان؛
فَقالَتِ البِنْتُ ما هذا النِّداءُ المَكْرُوه، فَقَدْ جاءَ في أُذُني مِنْهُ الأذى الشَّديد؛
أنا ما سَمِعْتُ في هذا الدَّيْرِ والمَعْبَد، في كُلِّ عُمري مِثْلَ هذا الصَّوتِ القبيح؛
قالَتْ لَها أُخْتُها هذا صَوتُ الأذان، هذا إعلامُ وَشِعارُ المُؤمِنين؛
لَمْ تُصَدِّقْ وَسَأَلَتْ أُخْرى، وقالَتْ تِلْكَ الأخرى بلى أيْ أَبَه؛
وَلَمَّا صارَ لَها اليقينُ اصْفَرَّ وَجْهُها، وَصارَ قَلْبُها بارِداً مِنَ الإسْلام؛
فَتَحَرَّرْتُ مِنَ التَّشْويشِ والعَذاب، لَيْلَةَ الأَمْسِ وَنُمْتُ نَوماً جَمِيْلاً بلا خَوف؛
راحَتي هذِهِ كانَتْ مِنْ صَوتِهِ ذاك، فَجِئْتُ إِلَيْهِ بِهَدِيَّةٍ شُكْراً فَأَيْنَ ذاكَ الرَّجُل؛
لَمَّا رَآهُ قالَ اقْبَلْ هذِهِ الهَدِيَّةَ، فَقَدْ كُنْتَ لي مُجِيْراً وَمُنْقِذاً؛
ذاكَ الَّذي فَعَلْتَ لي مِنَ الإحْسانِ والبِرّ، صِرْتُ مِنْهُ لَكَ عَبْداً وأنا مُسْتَمِرّ؛
لَو نَطَقْتَ للمالِ والمُلْكِ والثَّرْوَةِ، لَجَعَلْتُ فَمَكَ مَمْلُوءاً مِنَ الذَّهَبِ لَوْ كُنْتُ أَمْلِك؛
فإنَّ الرِّياءَ والمُجازَ في إيمانِكُمْ، قاطِعُ الطَّريقِ مِثْلَ الأذان؛
لكِنْ مِنْ إيمانِ وَصِدْقِ بايزيد، كَمْ مِنْ حَسْرَةٍ وَصَلَتْ للقَّلْبِ والرُّوح؛

مِثْلَ تِلْكَ المَرْأَةِ الَّتي رَأَتْ جِماعَ الحَمار، قالَتْ آهِ يا لَهُ مِنْ فَحْلٍ فَريد؛
إنْ كانَ هذا الجِماعَ رَبِحَتْ هذِهِ الحَمير، هؤلاءِ الأزواجُ يَضْحَكُونَ على فُرُوجِنا؛
أَعْطى جُمْلَةَ عَطاءِ الإيمانِ بايزيد، طُوبى لِمِثْلِ هذا اللَّيْثِ الفَريد؛
لَوْ ذَهَبَتْ قَطْرَةٌ مِنْ إيْمانِهِ في البَحْر، لَصارَ البَحْرُ غَرِقاً في قَطْرَتِه؛
مِثْلَ ذَرَّةٍ مِنَ النَّارِ في الأَجَم، تَصِيْرُ الأَجَمَةُ في تِلْكَ الذَّرَّةِ فَناءً؛
مِثْلَ خَيالٍ في قَلْبِ المَلِكِ أو الجَيْش، جَعَلَ الخُصُومَ في الحَرْبِ بَدَداً؛
نَجْمَةٌ وَجَّهَتْ إلى مُحَمَّدَ الوَجْه، حَتَّى صارَ فَناءً جَوْهَرُ المَجُوسِ واليَهُود؛
ذاكَ الَّذي وَجَدَ الإيمانَ مَضى في الزَّمان، الكُفارُ الباقُونَ صاروا نَوعَيْن؛
الكُفْرُ الصِرْفُ للأَوَّلِيْنَ لَمْ يَبْقَ، حَلَّ مَحَلَّهُ إمَّا الإسْلامُ وَإمَّا الخَوْف؛
هذا الإيمانُ خَلْطٌ للماءِ والزَّيْتِ بالحِيْلَة، أمثالُ هؤلاءِ لَيْسُوا كُفُواً لِذَرَّةٍ مِنَ النُّور؛
لا الذَّرَّةِ الَّتي هِيَ جُزْءٌ حَقِيْرٌ مُنْجَسِم، ولا الذَّرَّةِ الَّتي هِيَ شارِقٌ لا يَنْقَسِم؛
قَوْلُ ذَرَّةٍ لَهُ مُرادٌ خَفِيّ، لَسْتَ مُحْرِمَ البَحْرِ هذِهِ اللَّحْظَةَ كفاكَ؛
شَمْسُ إيْمانِ الشَّيْخِ النَّيِّرَةُ، إذا أَظْهَرَتِ الوَجْهَ مِنْ شَرْقِ رُوحِ الشَّيْخ؛
كُلُّ وَهْدٍ يَأْخُذُ الكَنْزَ حَتَّى الثَّرى، كُلُّ نَجْدٍ يَأْخُذُ الخُلْدَ أَخْضَراً؛
لَهُ رُوحٌ مِنَ النُّورِ المُنير، وَلَهُ بَدَنٌ مِنَ التُّرابِ الحَقير؛
أَيْ عَجَباً هُوَ هذِهِ أو ذاك، أنا عَجِزْتُ في هذا المُشْكِلِ أَيْ عَمّ؛
إنْ كانَ هُوَ هذا أَيْ أخِيْ فما تِلْك، فالسَّمواتُ السَّبْعُ مِنْ نُورِها امْتَلأَتْ؛
أَوْ كانَ هُوَ تِلْكَ أَيْ صَدِيْقُ ما هذا البَدَن، أيْ عَجَباً مِنَ الاثْنَيْنِ أيُّ واحِدٍ وَمَن؛

حِكايَةُ تِلْكَ المَرْأَةِ الَّتي قالَتْ لِزَوْجِها أنَّ القِطَّةَ أَكَلَتِ اللَّحْمَ فَوَزَنَ القِطَّةَ بالمِيزانِ فكانَتْ نِصْفَ مَنٍّ فقالَ أَيْ امْرَأَةُ كانَ اللَّحْمُ نِصْفَ مَنٍّ وَأَكْثَر فإنْ كانَ هذا هُو اللَّحْمَ فأيْنَ القِطَّةُ، وإنْ كانَ هذا هُوَ القِطَّةَ فَأَيْنَ اللَّحْم

كانَ هُناكَ رَجُلٌ مُتَزَوّجٌ عِنْدَهُ امْرَأة، هازِلَةٌ جِدّاً وَنَجِسَةٌ وَسارِقَة؛
كُلَّ شَيْءٍ أتى بِهِ أَتْلَفَتْهُ المَرْأَة، وكانَ الرَّجُلُ مُضْطَرّاً لِضَبْطِ النَّفْس؛
جاءَ باللَّحْمِ للضُّيُوفِ ذاكَ المُعِيْل، إلى البَيْتِ مِنْ بَعْدِ مِئَةِ جُهْدٍ طَويل؛
أَكَلَتْهُ المَرْأَةُ مَعَ الكَبابِ والشَّراب، وَجاءَ الرَّجُلُ وَقالَتْ رَدّاً باطِلاً؛
قالَ لها الرَّجُلُ أَيْنَ اللَّحْمُ وَصَلَ الضَّيْف، يَجِبُ تَقْديمِ الطَّعامِ اللّائقِ للضَّيْف؛
قالَتِ المَرْأَةُ القِطَّةُ أَكَلَتْ ذلِكَ اللَّحْم، فاشْتَرِ لَحْماً آخَرَ إذا كانَ عَلَيْكَ التَّأهِيْل؛
قالَ أَيْ غُلامُ هاتِ المِيْزان، أنا سَأَرى وَزْنَ القِطَّةِ بالعيار؛
وَزَنَها فكانَتِ القِطَّةُ نِصْفَ مَنّ، فقالَ ذلِكَ الرَّجُلُ للمَرْأَةِ أَيْ مُحْتالَة؛
كانَ اللَّحْمُ نِصْفَ مَنٍّ وَزائداً قَلِيْلاً، والقَطَّةُ أَيْضاً كانَتْ نِصْفَ مَنٍّ أَيْ سَيِّدَة؛
إذا كانَ هذا هُوَ القِطَّةَ أَيْنَ ذلِكَ اللَّحْم، وإنْ كانَ هذا هُوَ اللَّحْمَ فَأَيْنَ هِيَ القِطَّة؛
إنْ كانَ هذا بايزيد فما تِلْكَ الرُّوح، أو كانَ تِلْكَ الرُّوحَ فهذا الصُّورَةُ مَنْ تَكُون؛
حَيْرَةٌ في حَيْرَةٍ أَيْ عَزيزي، هذا لَيْسَ مِنْ شَأْنِكَ ولا مِنْ شَأني؛
لَهُ كِلا الاِثْنَيْنِ ولكِنْ مِنْ رَيْعِ الزَّرْع، الحَبُّ هُوَ الأَصْلُ والقَشُّ هُوَ الفَرْع؛
الحِكْمَةُ رَبَطَتْ هذِهِ الأضْدادَ ما بَيْنَها، أي قَصّابُ اجْمَعْ هذِهِ الفَخِذَ إلى الرَّقَبَة؛
الرُّوحُ بلا قالَبٍ لا تَعْرِفُ تَعْمَلُ العَمَل، وَقالَبُكَ مِنْ غَيْرِ رُوحٍ هامِدٌ وبارِد؛
قالَبُكَ ظاهِرٌ وَرُوْحُكَ خافِيَة، أَسْبابُ الدُّنيا مِنْ هذيْنِ الاِثْنَيْنِ صَحِيْحَة؛
ذَرُّ التُّرابِ على الرَّأْسِ لا يَكْسِرُ الرَّأْسَ، صَبُّ الماءِ على الرَّأْسِ لا يَكْسِرُ الرَّأْس؛

إذا كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَكْسِرَ الرَّأْس، اِمْزِجْ التُّرابَ مَعَ الماءِ مَزْجاً؛
حِيْنَ تَنْكَسِرُ الرَّأْسُ يَذْهَبُ ماؤها للأصْل، وَيَذْهَبُ التُّرابُ للتُّرابِ يَومَ الفَصْل؛
الحِكْمَةُ للحَقِّ مِنْ هذا الازْدِواج، حاصِلَةٌ مِنَ الاِحْتياجِ وَمِنَ اللَّجاج؛
وَسَتَكُونُ آنَذاكَ ازْدِواجاتٌ أُخَر، لَيْسَتْ لِسَمْعِ أُذُنٍ ولا لِعَيْنِ بَصَر؛
لَوْ سَمِعَتْها الأُذُنُ مَتى تَظَلُّ أُذُناً، وَمِنْ أَيْنَ لها بَعْدَها أنْ تَقُومَ بِضَبْطَ الكلام؛
إذا رأى الثَّلْجُ والجَلِيْدُ الشَّمْس، فاقْطَعِ الأَمَلَ عِنْدَها مِنَ الثَّلْج؛
إذَنْ لَصارَ الماءُ بلا عُرُوقٍ ولا عُقَدٍ، وَلَصَنَعَ داؤودُ الهَواءِ دِرْعاً مِنَ الماء؛
فَصارَ دَواءً لِرُوحِ كُلِّ شَجَرَةٍ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ مِنْ قُدُومِهِ حَسَنَةُ البَخْت؛
وذلِكَ الثَّلْجُ المُنْجَمِدُ في النَّفْسِ ظَلَّ، يُخاطِبُ الأَشْجارَ قائلاً لا مساس؛
لَيْسَ يَأْلَفُ لَيْسَ يُؤْلَفُ جِسْمُهُ لَيْسَ إلَّا شُحَّ نَفْسٍ قِسْمُهُ
لَيْسَ ضائعاً وَيَطْرِى مِنْهُ الكَبِد، لكِنَّهُ لَيْسَ رَسُولاً وَسُلْطاناً للخُضَر؛
أيْ إيازُ نَجْمُكَ عالٍ جِدّاً، لَيْسَ كُلُّ بُرْجٍ قابِلاً لِعُبُورِه؛

حِكايَةُ ذلِكَ الأميرِ الَّذي قالَ لِغُلامِهِ اجْلِبِ الخَمْرَ، ذَهَبَ الغُلامُ وَجَلَبَ جَرَّةَ الخَمْرِ ، وكانَ في الطَّرِيقِ زاهِدٌ أَمَرَ بالمَعْرُوف وَرمى حَجَراً على الجَرَّةِ وَكَسَرَها ، سَمِعَ الأَمِيْرُ وَأرادَ تَأْديبَ الزَّاهِد، تِلْكَ القِصَّةُ كانَتْ في عَهْدِ دِيْنِ عِيْسى (عَلَيْهِ السَّلام) ، حَيْثُ لَمْ تَكُنِ الخَمْرُ قَدْ حُرِّمَتْ بَعْد، ولكِنَّ الزَّاهِدَ كانَ يَتَقَزَّزُ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّنَعُّم

كانَ ثَمَّةَ أميرٌ طَيِّبُ القَلْبِ مُحِبٌّ للخَمْر، كانَ كَهْفاً لِكُلِّ مَخْمُورٍ وَلِكُلِّ مِسْكِيْن؛
مُشْفِقاً على المساكِيْنِ مُواسِياً عادِلاً، جَوهَراً واهِباً للذَّهَبِ بَحْراً للقَلْب؛
شاهاً للرِّجالِ سَيِّداً للمُؤمِنين، حارِساً للطَّرِيقِ عالِماً بالسِّرِّ ناظِراً للصَّدِيق؛

شُجاعُ الخَلْقِ ذاكَ وَقَلِيْلُ الأذى والمَلِيْح، كانَ في دَوْرِ عِيْسى وَأَيَّامِ المَسِيْح؛
جاءَهُ ضَيْفٌ بلا مَوْعِدٍ لَيْلَةً، أَمِيْرٌ مِنْ جِنْسِهِ حَسَنُ المَذْهَب؛
كانَتِ الخَمْرُ واجِبَةً لَهُما لِنَظْمِ الحال، والخَمْرُ آنَذاكَ مُباحٌ وَحَلال؛
لَمْ يَبْقَ إلَّا قَلِيْلٌ مِنَ الخَمْرِ فقالَ أي غُلام، اِذْهَبْ وامْلأِ الجَرَّةَ وهاتِ لنا المُدام؛
مِنَ الرَّاهِبِ فُلان الَّذي لَهُ خَمْرٌ خاصّ، لِتَجِدَ الرُّوحُ الخلاصَ مِنْ عامٍّ وَخاصّ؛
إنَّ جُرْعَةً مِنْ جامِ ذاكَ الرَّاهِبِ تَفْعَلُ، فِعْلَ أُلُوفِ الجِرارِ والدِّنان؛
في تِلْكَ الخَمْرِ أَصْلٌ اخْتَفى، كما اخْتَفى السُّلْطانُ في العَبا؛
أَنْتَ فَلْتُقِلَّ النَّظَرَ إلى الخَلَقِ المُرَقَّعِ رُقَعاً، إنَّهُ تَسْويدٌ للذَّهَبِ مِنَ الخارِج؛
لِأَجْلِ عَيْنِ السُّوءِ كَيْ تَصِيْرَ مَرْدُودَةً، ذاكَ الياقُوتُ مُلَوَّثٌ مِنَ الظَّاهِرِ بالدُّخان؛
الكَنْزُ والجَوْهَرُ مَتى كانا وَسَطَ البَيْت، الكُنُوزُ لها ارْتِباطٌ بالخَرابات؛
كَنْزُ آدَمَ لَمَّا كانَ مَدْفُوناً بالخَراب، صارَ طِيْنُهُ رِباطاً لِعَيْنِ ذاكَ اللَّعِيْن؛
لَقَدْ نَظَرَ إلى الطِّيْنِ الضَّعِيْفِ باحْتِقار، والرُّوحُ تَقُولُ لَهُ طِيْني هذا لَكَ سَدّ؛
أَخَذَ الغُلامُ جَرَّةً وَجَرى مَسْرُوراً، في اللَّحْظَةِ وَصَلَ إلى دَيْرِ الرُّهْبان؛
دَفَعَ الذَّهَبَ واشْتَرى الخَمْرَ كالذَّهَب، دَفَعَ الحَجَرَ واشْتَرى الجَوْهَرَ في العِوَض؛
خَمْرَةً إذا وَثَبَتْ إلى رَأْسِ المَلِك، وَضَعَ تاجَ الذَّهَبِ على مَفْرَقِ السَّاقِي؛
خَمْرَةً أَثارَتِ الفِتَنَ والاِضْطِراب، خَلَطَتِ العَبيدَ والمُلُوك؛
العِظامُ ذَهَبَتْ والكُلُّ صارَ رُوحاً، سَرِيرُ العَرْشِ والتَّابُوتُ آنَذاكَ سيَّان؛
وَقْتَ الوَعْيِ هُما كالماءِ والزَّيْت، وَقْتَ السُّكْرِ هُما كالرُّوحِ في البَدَن؛
مِثْلَ الهَرِيسَةِ هُناكَ لا فَرَق، لا فَرْقَ فَفِي ذلِكَ المَكانِ لا غَرَق؛
راحَ يَحْمِلُ مِثْلَ هذِهِ الخَمْرِ ذاكَ الغُلام، لِقَصْرِ الأَمِيْرِ حَسَنِ الصِّيْتِ في الأنام؛
جاءَ أمامَهُ زاهِدٌ ناظِرُ الغَمّ، يابِسُ المُخِّ مُرْتَبِطٌ بالبلاء؛
صَهَرَ البَدَنَ مِنْ نِيْرانِ القَلْب، صَقَلَ القَلْبَ أَخْلاهُ مِنْ غَيْرِ الله؛

عذاباتُ المِحْنَةِ بِلا احْتِراز، الإِحْتِراقاتُ على الإِحْتِراقاتِ بالآلاف؛
يرى كُلَّ ساعَةٍ قَلْبَهُ في اجْتِهاد، النَّهارَ واللَّيْلَ مُلْتَصِقٌ بالإِجْتِهاد؛
السَّنَةَ والشَّهْرَ مَزِيْجُ الدَّمِ والتُّراب، فَرَّ مِنْهُ الصَّبْرُ والحِلْمُ مُنْتَصَفَ ذلِكَ اللَّيْل؛
سَأَلَ الزَّاهِدُ ما الَّذي في الجِرار، قالَ خَمْرٌ قالَ لِمَنْ تِلْكَ الخَمْر؛
قالَ تِلْكَ للأميرِ فُلان الأَجَلّ، قالَ ما يَكُونُ هذا العَمَلُ للطَّالِب؛
طالِبُ اللهِ وآنَذاكَ طَرَبٌ وَشُرْب، خَمْرَةُ الشَّيْطانِ لِمَنْ هُوَ بِنِصْفِ وَعْي؛
وَعْيُكَ مِنْ دُونِ خَمْرٍ هكذا ذابِل، أنواعُ الوَعْيِ بِذاكَ الوَعْيِ مِنْكَ مُرْتَبِطَة؛
فَكَمْ يَكُونُ وَعْيُكَ أَوانَ السُّكْر، أيْ صِرْتَ صَيْدَ شِباكِ السُّكْرِ مِثْلَ طائر؛

حِكايَةُ ضِياء دَلَق الَّذي كانَ طَويلاً جِدَّاً وَأَخِيْهِ تاج الإسلام شَيْخ بَلْخ الَّذي كانَ بِغايَةِ القِصَر ، كانَ شَيْخُ الإسلام هذا يَشْعُرُ بالعارِ مِنْ أخِيْهِ ضِياء، دَخَلَ ضِياءُ في دَرْسِهِ وكانَ جَمِيْعُ صُدُورِ بَلْخ حاضِرِيْنَ في دَرْسِهِ، ألقى ضِياءُ السَّلامَ وَمَرّ، قامَ لَهُ شَيْخُ الإسلام نِصْفَ قِيام، بلا رَوِيَّةٍ قالَ بلى أنتَ طَويلٌ جِدَّاً اِسْرِقْ قِطْعَةً مِنْ طُولِك

ضياءُ الإسلامِ ذاكَ كانَ حَسَنَ الإلهام، كانَ أخاً لِتاج شَيْخ الإسلام؛
تاج شَيْخ الإسلام في دارِ المُلْكِ بَلْخ، كانَ قَصِيْرَ القامَةِ جِدَّاً وَصَغِيْراً كالفَرْخ؛
رَغْمَ كَونِهِ فاضِلاً وَفَحْلاً وذا فُنُون، فإنَّ ضِياءَ هذا كانَ زائداً عَلَيْهِ في الظَّرافَة؛
هُوَ قَصِيْرٌ جِدَّاً وَضِياءُ طَويلٌ جِدَّاً، وكانَ لِشَيْخِ الإسلام مِئَةُ كِبْرٍ وافْتِخار؛
كانَ يَشْعُرُ بالعارِ والخَجَلِ مِنْ هذا الأخ، وَضِياءُ كانَ أَيْضاً واعِظاً وذا هُدى؛
في يَوْمِ المَحْفَلِ دَخَلَ ضِياءُ ذاك، والمَجْلِسُ مَمْلُوءٌ بالقُضاةِ والأَصْفِياء؛

قامَ شَيْخُ الإسْلامِ مِنْ كِبْرٍ تَمام، لأخِيْهِ هذا قَدْرَ نِصْفِ قِيام؛
قالَ لَهُ أَيْ زائِدَ الطُّولِ طَلَباً للأجْر، اِسْرِقْ قَلِيْلاً مِنْ قَدِّكَ السَّرْوِ ذاك؛
مِنْ أَيْنَ لَكَ الوَعْيُ أَمْ أَيْنَ لَكَ العَقْل، لِتَشْرَبَ الخَمْرَ أَيْ أنتَ عَدُوُّ العِلْم؛
وَجْهُكَ جَمِيْلٌ جِدّاً ضَعِ النِّيْلِيَّ أَيْضاً، النِّيْلُ على وَجْهِ الحَبَشِ مَضْحَكَة؛
متى يَدْخُلُ فِيْكَ النُّورَ أَيْ غَوِيّ، ما دُمْتَ باحِثاً عَنِ الظُّلْمَةِ وبلا وَعْي؛
البَحْثُ عَنِ الظِّلِّ في النَّهارِ قاعِدَة، أَنْتَ تَبْحَثُ عَنِ الظِّلِّ في اللَّيْلَةِ الغائِمَة؛
إذا حَلَّتِ الخَمْرُ طَلَباً للقُوتِ للعَوامّ، فإنَّما هِيَ لِطالِبِي الحَبيبِ حَرام؛
خَمْرَةُ العاشِقِيْنَ هِيَ دَمُ القَلْب، عَيْنُهُمْ على الطَّرِيقِ وعلى المَنْزِل؛
في طَرِيقِ الصَّحْراءِ هذا المَخُوف، هذا العَقْلُ والمُرْشِدُ بِهِ مِئَةُ كُسُوف؛
تَنْثُرُ التُّرابَ في عَيْنِ المُرْشِدِيْن، تَجْعَلُ أَهْلَ القافِلَةِ هالِكِيْنَ وَضالِّيْن؛
خُبْزُ الشَّعِيْرِ حَقّاً حَرامٌ وَفِتْنَة، ضَعْ أمامَ النَّفْسِ خُبْزَ النّخالَة؛
عَدُوَّ طَرِيقِ اللهِ اجْعَلْ ذَلِيْلاً، لا تُعْطِ للسَّارِقِ المِنْبَرَ أَعْطِهِ المَشْنَقَة؛
قَطْعُكَ اليَدَ مِنَ السَّارِقِ مُسْتَحْسَنٌ، إنْ كُنْتَ عاجِزاً عَنِ القَطْعِ قَيِّدْ يَدَه؛
إنْ لَمْ تُقَيِّدْ يَدَهُ فإنَّ يَدَهُ تُقَيِّدُك، إنْ لَمْ تَكْسِرْ قَدَمَهُ فإنَّ قَدَمَهُ تَكْسِرُك؛
أَنْتَ تُعْطِيْ العَدُوَّ الخَمْرَ وَقَصَبَ السُّكَّر، قُلْ لِماذا، لِيَشْرَبِ السُّمَّ وَلْيَأكُلِ التُّراب؛
رَمى مِنَ الغَيْرَةِ حَجَراً على الجَرَّةِ وَكَسَرَها، فَرَمى الغُلامُ الجَرَّةَ وَفَرَّ مِنَ الزَّاهِد؛
ذَهَبَ إلى أمامِ الأمِيْرِ قالَ أَيْنَ الخَمْر، فقالَ ما جَرى أمامَهُ مُفَصَّلاً؛

ذَهابُ الأمِيْرِ مُخالَطاً بالغَضَبْ مِنْ أَجْلِ عِقابِ الزَّاهِد

الأميرُ صارَ كالنَّارِ وانْتَفَضَ واقِفاً، قالَ دُلَّني على مَنْزِلِ الزَّاهِدِ أَيْنَ هُوَ؛
حَتَّى بِهذا الدَّبُّوسِ الثَّقِيْلِ أَضْرِبُ رَأْسَهُ، تِلْكَ الرَّأْسَ بلا عِلْمٍ اِبْنُ البَغِيّ؛

هُوَ كَلْبٌ ما يَعْلَمُ مِنَ الأمْرِ بالمَعْرُوف، هُوَ طالِبٌ للشُّهْرَةِ وَطالِبٌ للمَعْرُوف؛

حَتَّى بِخِداعِهِ هذا يَجِدُ المَكان، حَتَّى بِهذا الشَّيْءِ يُظْهِرُ النَّفْس؛

إذْ هُوَ لا يَمْلِكُ مِنَ الفَضْلِ إلَّا ذلِكَ القَدْر، يَقُومُ بالخِداعِ مَعَ هذا وَذاك؛

إذا كانَ مَجْنُوناً وَطالِباً للفِتْنَة، فإنَّ دَواءَ المَجْنُونِ كَيُّ الثَّوْر؛

حَتَّى يَخْرُجَ الشَّيْطانُ خارِجَ رَأْسِهِ، بلا لَطْمَةِ سائقِ الحِمار كَيْفَ يسيرُ الحِمار؛

وَثَبَ الأمِيْرُ خارِجاً بِيَدِهِ الدَّبُّوس، جاءَ مُنْتَصَفَ اللَّيْلِ للزَّاهِدِ نِصْفَ سَكْران؛

أرادَ قَتْلَ الرَّجُلِ الزَّاهِدِ مِنَ الغَضَب، الرَّجُلُ الزَّاهِدُ اخْتَفى تَحْتَ الصُّوف؛

الرَّجُلُ الزَّاهِدُ كانَ يَسْمَعُ مِنَ الأمِيْرِ ذاكَ، مُخْتَفِياً تَحْتَ صُوفٍ لِغازِلِ حِبال؛

قالَ القَوْلُ للرَّجُلِ أَنْتَ قَبيحٌ في الوَجْه، المِرْآةُ تَسْتَطِيْعُ أَنْ تُقَسِّيَ القَلْبَ وَتَقُولَه؛

يَجِبُ وَجْهٌ حَدِيْدِيٌّ كالمِرآة، لِيَقُولَ لَكَ انظُرْ إلى وَجْهِكَ القبيح؛

حِكايَةُ غَلَبَةِ هازِل لِسَيِّد شاه ترمد (بالشطرنج)

كانَ الشَّاهُ يَلْعَبُ الشَّطْرَنْجَ مَعَ مُهَرِّج، غَلَبَهُ المُهَرِّجُ سَرِيعاً فَثَارَ غَضَبُ الشَّاه؛

قالَ ماتَ المَلِكُ فَضَرَبَهُ مَلِكُ الكِبْر، بِقِطَعِ الشَّطْرَنْجِ واحِدَةً واحِدَةً على الرَّأْس؛

قالَ خُذْ دُوْنَكَ أَيْ دَيُّوث، صَبَرَ ذلِكَ الهازِلُ وَهُوَ يَقُولُ الأمان؛

اِلْعَبْ نَوْبَةً أُخْرى قالَ لَهُ الأمير، وَهُوَ يَرْتَجِفُ ارْتِجافَ العُرْيانِ مِنَ الزَّمْهَرير؛

لَعِبَ نَوْبَةً أُخْرى وَغَلَبَ المَلِكَ، وَصارَ وَقْتُ وَمِيْقاتُ قَوْلِ ماتَ المَلِك؛

فَرَّ ذلِكَ الهازِلُ وَمَضى إلى رُكْنٍ، وَوَضَعَ سِتَّةَ لبابيدَ على نَفْسِهِ مِنَ الخَوْف؛

تَحْتَ الوَسائِدِ وَتِحْتَ سِتَّةِ لبابيد، نامَ مُخْتَفِياً لِيَنْجُوَ مِنْ ضَرْبِ المَلِك؛

قالَ المَلِكُ ما تَفْعَلُ ما هذا انْتَبِهْ، قالَ أَيْ مَلِكي المُخْتارُ ماتَ ماتَ المَلِك؛

متى يُمْكِنُ قَوْلُ الحَقِّ إلَّا تَحْتَ اللِّحاف، مَعَكَ أَيْ ذا الغَضَبِ نارَ السِّجاف؛

أنتَ مِتَّ وأنا مِنْ ضَرْبِ الشَّاهِ مِتُّ، أَقُولُ لَكَ مِتَّ أَيْ مَلِكُ مِنْ تَحْتِ المَتاع؛
حِيْنَ امْتَلأَتِ المَحَلَّةُ مِنْ ضَوضاءِ الأمير، وَمِنْ رَكْلِ الأبوابِ وَمِنْ شَدٍّ وَجَذْب؛
خَرَجَ الخَلْقُ للخارِجِ مِنْ يَسارٍ وَمِنْ يَمِيْن، أنْ أَيْ مُقَدَّمُ هذا وَقْتُ العَفْوِ والرِّضا؛
مُخُّهُ يابِسٌ وَعَقْلُهُ الآن، أَقَلُّ مِنْ عَقْلِ وَفَهْمِ الصِّبيان؛
الزُّهْدُ والشَّيْخُوخَةُ ضَعْفٌ على ضَعْف، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ زُهْدِهِ ذاكَ فَتْح؛
رأى الأَلَمَ لَمْ يَرَ الكَنْزَ مِنَ الصَّديق، عَمِلَ الأعْمالَ وَلَمْ يَرَ أَجْرَ العَمَل؛
أو أنَّ عَمَلَهُ ذاكَ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْل، أو أنَّ وَقْتَ المُكافاةِ مِنَ القَدَرِ لَمْ يَحِنْ؛
أو أنَّ سَعْيَهُ ذاكَ كانَ كَسَعْيِ اليَهُود، أو أنَّ جَزاءَهُ كانَ مُرْتَبِطاً بِمِيْقاتٍ مَوعُود؛
كفاهُ ما عِنْدَهُ مِنَ المُصِيْبَةِ والأَلَم، لا شَخْصَ لَهُ في هذا الوادي المَمْلُوءِ بالدَّمّ؛
العَيْنُ مِلْؤها الأَلَمُ وَهُوَ جالِسٌ بِرُكْن، عابِسَ الوَجْهِ واقِعَ الشَّفَة؛
وما مِنْ كَحَّالٍ لِيَأْكُلَ غَمَّهُ، وما لَهُ عَقْلٌ لِيَطْلُبَ بِهِ الكُحْل؛
يَعْمَلُ الاِجْتِهادَ بالحَزْرِ والظَّنّ، يَعْمَلُ العَمَلَ أنْ عسى أنْ يَصِيْرَ حَسَناً وَلَعَلَّ؛
مِنْ ذلِكَ طَرِيقُهُ لِرُؤيَةِ الحَبيبِ طَويل، فَهُوَ لا يَطْلُبُ الرِّئاسَةَ رِئاسَتُهُ أُمْنِيَة؛
هُوَ ساعَةً مَعَ اللهِ في عِتاب، أنْ نَصِيبِي الأَلَمُ مِنَ الحِساب؛
وَساعَةً مَعَ بَخْتِ نَفْسِهِ في جِدال، أنِ الكُلُّ يَطِيْرُونَ وَجَناحُنا مَقْصُوص؛
كُلٌّ مَحْبُوسٍ في العَبيرِ واللَّون، وَلَو كانَ في زُهْدٍ هُوَ في ضيقٍ تماماً؛
ما لَمْ يَخْرُجْ مِنْ ضِيْقِ هذا المُناخ، مَتى يَصِيْرُ حَسَنَ الطَّبْعِ واسِعَ الصَّدْر؛
للزَّاهِدِيْنَ في الخلاءِ قَبْلَ الفَتْح، لا يَجِبُ إعطاءُ السِّكِّيْنِ والمِقَصِّ أَبَداً؛
فَمِنْ ضَجَرِ النَّفْسِ يُمَزِّقُونَ البَطْن، الغُصَّةُ والغَمُّ نَصِيْبُ أولئكَ الخائبين؛

إلقاءُ المُصْطَفى عَلَيْهِ السَّلامُ بالنَّفْسِ مِنْ جَبَلِ حِراءَ مِنْ وَحْشَةِ تَأَخُّرِ ظُهُورِ جَبْرائيل عَلَيْهِ السَّلام وإظْهارُ جبرائيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ نَفْسَهُ لَهُ أنْ لا تُلْقِ بِنَفْسِكَ ، الدُّوَلُ أمامَكَ

المُصْطَفى حِيْنَ زادَ لَهُ الهَجْر، كانَ يُلْقِيْ بالنَّفْسِ مِنْ أَعلى الجَبَل؛
إلى أنْ قالَ لَهُ جَبرائيلُ لا تَفْعَلْ، مِنْ أمْرِ كُنْ أنتَ كَثيرُ الدُّوَل؛
فَصارَ المُصْطَفى ساكِناً عَنِ الإلقاء، ثُمَّ عادَ وجاءَ بالهُجْرانِ الصَّعْب؛
وَمِنْ جَدِيْدٍ دَلَّى النَّفْسَ مِنَ الجَبَل، يُسْقِطُ النَّفْسَ مِنْ غَمِّهِ والحَزَن؛
وَمِنْ جَدِيْدٍ ظَهَرَ لَهُ جبرائيل، أَنْ لا تَفْعَلْ أَيْ مَلِكاً بلا بَديل؛
وَهَكذا ظَلَّ إلى كَشْفِ الحُجُب، إلى أنْ وَجَدَ ذلِكَ الجَوْهَرَ مِنَ الجَيْب؛
إذا كانَتِ النَّفْسُ تُقْتَلُ مِنْ أَجْلِ كُلِّ مِحْنَة، أَصْلُ المِحَنِ هذا كَيْفَ يُرْفَع؛
للنَّاسِ في الفِداءِ حَيْرَة، كُلُّ واحِدٍ مِنَّا فِداءٌ لِسِيْرَة؛
أَيْ سَعِدَ ذاكَ الَّذي جَعَلَ البَدَنَ فِداءً، يَفْعَلُ مِنْ أَجْلِ ذاكَ الَّذي يَسْتَحِقُّ الفِداء؛
ما دامُ كُلُّ واحِدٍ يَكُونُ فِدائِيَّاً لِشَيْء، فَفي ذلِكَ الطَّرِيقِ صَرْفُ العُمْرِ والقَتْل؛
إلى قَتْلٍ في الغُرُوبِ أو في الشُّرُوق، لا شائقٌ يَبْقى آنَذاكَ ولا مَشُوق؛
إلَّا هذا المُقْبِلُ المُضَحِّيْ لأَجْلِ هذا الفَضْل، فَفِيْهِ مِئَةُ حَياةٍ تَكُونُ بالقَتْل؛
عاشِقٌ وَمَعْشُوقٌ وَعِشْقُهُ على الدَّوام، رابِحٌ في العالَمَيْنِ وَحَسَنُ الاِسْم؛
يا كِرامُ اِرْحَمُوا أَهْلَ الهَوى شَأْنُهُم وِرْدُ التَّوى بَعْدَ التَّوى
فاعْفُ أَيْ أَمِيْرُ عَنْ جَرِيرَتِه، أُنْظُرْ في أَلَمِهِ وَفِيْ سُوءِ بَخْتِه؛
حَتَّى يَعْفُوَ اللهُ عَنْ جُرْمِكَ أَيْضاً، وَيَغْفِرَ لَكَ اللهُ زَلَّتَكَ أَيْضاً؛
أَنْتَ مِنَ الغَفْلَةِ كَمْ جَرَّةً كَسَرْت، وَرَبَطْتَ القَلْبَ بِأَمَلِ العَفْو؛

فاعْفُ كَيْ تَجِدَ في الجَزاءِ العَفْوَ، القَدَرُ في الجَزاءِ يَشُقُّ الشَّعْرَة؛

جَوابُ الأمِيْرِ لأولئكَ الشُّفَعاءِ وَلِجِيرانِ الزَّاهِد أنْ لِمَ قامَ بِتِلْكَ الوَقاحَةِ ولِماذا كَسَرَ جَرَّتَنا، أنا في هذا البابِ لا أُريدُ قَبُولَ الشَّفاعَة، أَقْسَمْتُ أنْ أُعْطِيَهُ جَزاءَه

الأمِيْرُ قالَ مَنْ هُوَ حَتَّى رَمى حَجَراً، على جَرَّتِنا وَكَسَرَ الجَرَّة؛
لَوْ قامَ الأسَدُ الفَحْلُ بالمُرُورِ في حَيِّنا، لَمَرَّ خائفاً وَجِلاً بِمِئَةِ حَذَر؛
كَيْفَ آذى القَلْبَ مِنْ عَبْدِنا، وَجَعَلَنا خَجِلِيْنَ أمامَ الضُّيُوف؛
أراقَ شُرْبَةً هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَمِه، والآنَ يَهْرُبُ مِنَّا مِثْلَ النِّساء؛
لكِنْ متى سَيَنْجُو بالرُّوحِ مِنْ يَدِي، حَتَّى وَلَو طارَ عالِياً كالطَّائِر؛
سَأَرْمِي سَهْمَ عِقابِهِ على جَناحِهِ، وَسَأَقْتَلِعُ مِنْهُ الرِّيْشَ والجَناحَ الحَقِيْرَيْن؛
لَوْ ذَهَبَ في صَخْرَةٍ صَمَّاءَ مِنْ سَعْيي، أُخْرِجُهُ الآنَ للخارِجِ مِنْ قَلْبِ الصَّخْر؛
سَأَضْرِبُهُ على بَدَنِهِ ضَرْبَةً، تَكُونُ للقَوَّادِيْنَ عِبْرَةً؛
وِلِكُلِّ نِفاقِهِ مَعَنا كذلِكَ أَيْضاً، أُعْطِيْهِ هذِهِ اللَّحْظَةَ عَطاءَهُ وَمِئَةَ مِثْلَه؛
غَضَبُ سَفْكِ الدَّمِ مِنْهُ صارَ عِناداً، كانَتِ النَّارُ تَخْرُجُ مِنْ فَمِه؛

تَقْبيلُ يَدِ وَقَدَمِ الأمير مَرَّةً ثانِيَةً وَتَضَرُّعُ الشُّفَعاءِ وَجِيرانِ الزَّاهِدِ لَه

أولئكَ الشُّفَعاءُ مِنْ نَفَسِ صَيْحاتِهِ، كَمْ قَبَّلُوا يَدَهُ وَقَدَمَه؛
أنْ أَيْ أميرُ الحِقْدُ مِنْكَ غَيْرُ حَسَن، إنْ ذَهَبَتْ خَمْرُكَ أنتَ بلا خَمْرٍ حَسَن؛
الخَمْرُ أَخَذَتْ مِنْ لُطْفِكَ الثَّرْوَة، لُطْفُ الماءِ يَجْرَعُ مِنْ لُطْفِكَ الحَسْرَة؛

أَظْهِرِ السُّلْطانَ واغْفِرْ أَيْ رَحِيْم   أي كَريمُ بنُ الكَريمِ بْنُ الكَريم
كُلُّ شَرابٍ عَبْدُ هذا القَدِّ والخَدّ، جُمْلَةُ السَّكارى لَكَ حُسَّاد؛
لِسْتَ في حاجَةِ الخَمْرِ بِلَوْنِ الوَرْد، أَتْرُكِ الخَمْرَ بِلَونِ الوَرْدِ أنتَ خَمْرُ الوَرْد؛
أَيْ خَدُّكَ كالزُّهْرَةِ شَمْسُ الضُّحى، الخَمْرُ بِلَونِ الوَرْدِ تَشْحَذُ مِنْ لَوْنِك؛
الخَمْرُ الَّتي تَجِيْشُ في الدَّنِّ في خفاء، مِنْ شَوْقِ وَجْهِكَ هكذا تَجِيْش؛
أَيْ كُلَّ البَحْرِ ما تَفْعَلُ بالنَّدى، أَيْ كُلَّ الوُجُودِ ما بَحْثُكَ عَنِ العَدَم؛
أَيْ قَمَراً مُنيراً ما تَفْعَلُ بالتُّراب، أَيْ مَنِ القَمَرُ أمامَ وَجْهِكَ أَصْفَرُ الوَجْه؛
أَنْتَ حَسَنٌ وَجَمِيْلٌ وَمَعْدِنٌ لِكُلِّ حُسْنٍ، أَنْتَ لِماذا تَحْمِلُ مِنَّةَ الخَمْر؛
تاجُ كَرَّمْنا على مَفْرَقِ رَأْسِك، طَوْقُ أَعْطَيْناكَ مُطَوِّقٌ خَصْرَك؛
الإنسانُ جَوْهَرٌ والفَلَكُ لَهُ عَرَض، الجَمِيْعُ فُرُوعٌ وَدَرَجٌ وَهُوَ الغَرَض؛
أَيْ مَنِ العَقْلُ والتَّدْبيرُ والوَعْيُ لَكَ غُلام، كَيْفَ تبيعُ النَّفْسَ هكذا بِسِعْرٍ بَخْس؛
واجِبُ خِدْمَتِكَ على الجَمِيْعِ مُفْتَرَض، الجَوْهَرُ كَيْفَ يَطْلُبُ النَّجْدَةَ مِنَ العَرَض؛
أَتَبْحَثُ عَنِ العِلْمِ مِنَ الكُتُبِ أَيُّ اسْتِهْزاء، بَحْثُ ذَوْقِكَ يَهْزَأُ مِنَ الحَلْواء؛
أنتَ بَحْرُ عِلْمٍ اخْتَفى في النَّدى، اخْتِفاءَ عالَمٍ في بَدَنٍ مِنْ ثلاثَةِ أَذْرُع؛
ما تَكُونُ الخَمْرُ أو السَّماعُ أو الجِماع، لِتَطْلُبَ مِنْها النَّشاطَ والإِنْتِفاع؛
شَمْسٌ صارَتْ تَطْلُبُ القَرْضَ مِنَ الذَّرَّة، زُهْرَةٌ تَطْلُبُ الجامَ مِنَ الخَمْرَة؛
رُوْحٌ بلا كَيْفٍ مَحْبُوسَةُ الكَيْف، شَمْسٌ في حَبْسِ عُقْدَةٍ هُوَ ذا الحَيْف؛

جَوابُ الأمير لَهُمْ مُجَدَّداً

قالَ لا لا أنا حَرِيْفُ خَمْرَتي تِلْك، أنا بِذَوْقِ هذِهِ اللَّذَّةِ غَيْرُ قانِع؛
أنا أُرِيْدُ أنْ أَكُونَ هكذا كالياسَمِيْن، أَمِيْلُ تارَةً للشِّمالِ وَتارَةً لليَمِين؛

أَصِيْرُ مُتَحَرِّراً مِنْ كُلِّ أَمَلٍ وَخَوْف، أَصِيْرُ مائلاً إلى كُلِّ جِهَةٍ كالصَّفْصاف؛
مِثْلَ غُصْنِ الصَّفْصافِ يَهْتَزُّ يساراً وَيَمِيْناً، لَهُ مِنَ الرِّيْحِ أَلْوانٌ مِنَ الرَّقَصات؛
كُلُّ مَنْ جَعَلَ الطَّبْعَ مَعَ خَمْرِ السُّرور، مَتى اسْتَحْسَنَ هذِهِ اللَّذَّةَ أَيْ سَيِّدَ الدَّنّ؛
الأنبياءُ مِنْ ذاكَ خَرَجُوا مِنْ تِلْكَ اللَّذَّةِ، فَقَدْ كانُوا مَفْطُورِيْنَ على لَذَةِ الحَقّ؛
ذلِكَ أَنَّ رُوْحَهُمْ رَأَتْ تِلْكَ اللَّذَّة، فَبَدَتْ هذِهِ اللَّذَّاتُ عِنْدَهُمْ لَعِباً؛
إذا صارَ شَخْصٌ صَدِيقاً مَعَ الصَّنَمِ الحَيّ ، كَيْفَ يَضُمُّ ذلِكَ المَيِّت ويَحْضِنُه؛

تَفْسيرُ هذِهِ الآيَة أنْ وإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُون، فإنَّ بابَ وَجِدارَ وَعَرْصَةَ ذلِكَ العالَمِ ، والماءَ والكُوزَ والثِّمارَ والشَّجَرَ كُلَّها حَيَّةٌ وناطِقَةٌ وسامِعَةٌ، وَلِجِهَةِ ذلِكَ قالَ المُصْطَفى عَلَيْهِ السَّلام الدُّنيا جِيْفَةٌ وَطُلَّابُها كِلاب ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ للآخِرَةِ حَياةٌ لكانَتِ الآخِرَةُ جِيْفَةٌ أَيْضاً ، الجِيْفَةُ تُقالُ للجُثَّةِ المَيِّتَةِ لا للرَّائِحَةَ القَبيحَةِ والقَذِرَةِ

ذلِكَ العالَمُ ذَرَّاتُهُ حَيَّةٌ، عالِمَةٌ بالمَعاني وَناطِقَةٌ بالكلام؛
لا سُكُونَ لها في عالَمِ المَوتى، هذا العَلَفُ لَيْسَ لائقاً إلّا بالأنْعام؛
كُلُّ مَنْ كانَ لَهُ الرَّوْضُ مَحْفَلاً وَوَطَناً، مَتى يَشْرَبُ الخَمْرَ في المَزْبَلَة؛
الرُّوحُ الطَّاهِرَةُ مَحَلُّها في عِلِّيِّيْن، يكُونُ دُوْدَةً مَنْ كانَ لَهُ البَعْرُ وَطَناً؛
مِنْ أَجْلِ مَخْمُورِ اللهِ الجامُ الطَّهُور، والماءُ المالِحُ لِهذِهِ الطُّيُورِ العُوْر؛
كُلُّ مَنْ عَدْلُ عُمَرِهِ لَمْ يُظْهِرِ اليَد، يكُونُ عادِلاً عِنْدَهُ الحَجَّاجُ السَّفَّاح؛
أعْطَوا للبَناتِ الصَّغيراتِ لُعْبَةً مَيِّتَةً، إذْ هُنَّ عَنْ لَعِبِ الأحْياءِ بِلا خَبَر؛
سَيْفُ الخَشَبِ بالأولادِ أَولى، ما دامُوا لا يَمْلِكُونَ مِنَ الفُتُوَّةِ القُوَّةَ واليَد؛
الكافِرُونَ قانِعُونَ بِصُوْرَةِ الأنبياء، تِلْكَ الصُّوْرَةِ المَنْقُوْشَةِ في الأَدْيِرَة؛
ما دامَ لنا الضِّياءُ مِنْ تِلْكَ البُدُور، لَيْسَ لأحَدٍ مِنَّا اهْتِمامٌ بِصُوْرَةِ ظِلّ؛

هذا واحِدٌ نَقْشُهُ جالِسٌ في الدُّنيا، وَذاكَ واحِدٌ نَقْشُهُ كالقَمَرِ في السَّماء؛
وَهذا فَمُهُ يَقُولُ اللَّطائِفَ للجَلِيس، وَذاكَ واحِدٌ مُتَحَدِّثٌ مَعَ الحَقِّ وَأَنِيْس؛
فاجْعَلِ الأُذُنَ الظَّاهِرَةَ ضابِطَةً للمَقال، واجْعَلِ الأُذُنَ الباطِنَةَ جاذِبَةً للأَسْرار؛
عَيْنُ الظَّاهِرِ ضابِطُ حِلْيَةِ البَشَر، عَيْنُ رَأْسِ الحَيْرانَ *ما زاغَ البَصَر*؛
أَقْدامُ الظَّاهِرِ في صَفِّ المَسْجِدِ صَوافّ، قَدَمُ المَعْنى فَوْقَ الفَلَكِ في طَواف؛
اِعْتَبِرْ أَجْزاءَهُ جُزْءاً جُزْءاً هكذا، هذا داخِلَ الوَقْتِ وَذاكَ خارِجَ الحِيْن؛
هذا الَّذي داخِلَ الوَقْتِ يَكُونُ حَتَّى الأَجَل، وَذاكَ الآخَرُ رَفِيْقُ الأَبَدِ قَرِيْنُ الأَزَل؛
واحِدٌ اِسْمُهُ وَلِيُّ الدَّوْلَتَيْن، واحِدٌ نَعْتُهُ إمامُ القِبْلَتَيْن؛
الخَلْوَةُ أو الأَرْبَعِيْنِيَّةُ لَمْ تَعُدْ لَهُ لازِمَة، وَلَمْ تَبْقَ مِنْ غَيْمَةٍ لَهُ غائِمَة؛
قُرْصُ الشَّمْسِ خَلْوَةُ مَنْزِلِه، لَيْلُهُ الأَجْنَبِيُّ مَتى جاءَ بالحِجاب؛
ذَهَبَتِ العِلَّةُ والتَّقْوى لَمْ يَبْقَ بُحْران، ذَهَبَ الكُفْرُ والإيمانُ لَمْ يَبْقَ كُفْران؛
مِثْلَ الأَلِفِ مِنَ الاِسْتِقامَةِ سارَ للأمام، لَيْسَ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنْ أوصافِ النَّفْس؛
صارَ فَرْداً مِنْ كِسْوَةِ طِباعِ النَّفْس، صارَ عارِياً يَزِيْدُ رُوحاً بِرُوح؛
حِيْنَ ذَهَبَ عارِياً أمامَ الشَّاهِ الفَرْد، أَلْبَسَهُ الشَّاهُ رِداءَ أوصافِ القُدُس؛
لَبِسَ خِلْعَةً مِنْ أوصافِ الشَّاه، طارَ مِنَ البِئْرِ إلى إيوانِ الجاه؛
هكذا يَكُونُ إذا صارَ الثُّفْلُ صافِياً، مِنْ قَعْرِ الإناءِ يَصِلُ إلى أَعْلى الإناء؛
رَغْمَ أَنَّهُ كانَ مُتَأَلِّماً في قَعْرِ الطَّسّ، مِنْ شُؤمِ الاِخْتِلاطِ بأَجْزاءِ التُّراب؛
مُقَيَّدَ الرِّيْشِ والجَناحِ مِنْ رَفِيْقِ السُّوء، وإلَّا لَكانَ ارْتَفَعَ إلى أَصْلِهِ؛
عِنْدَما أَثَّرُوا بِهِ بِعِتابِ اهْبِطُوا، جَعَلُوهُ مُعَلَّقاً مَنْكُوساً مِثْلَ هارُوت؛
كانَ هارُوتُ مِنْ ملائِكَةِ السَّماء، صارَ مُعَلَّقاً مِنَ العِتابِ كذلِك؛
صارَ مَنْكُوساً مِنْ ذلِكَ إذْ تَرَكَ الرَّأْس، وَجَعَلَ النَّفْسَ قائدَاً وَساقَ للأمامِ وَحِيْداً؛
الزَّنبيلُ حِيْنَ رأى نَفْسَهُ مَمْلُوءاً بالماء، انْفَصَلَ عَنِ البَحْرِ وَقامَ بالاِسْتِغْناء؛

لَمْ يَبْقَ على الكَبِدِ مِنْ مائِهِ قَطْرَةٌ، بَحْرُ الرَّحْمَةِ مِنْ جَدِيْدٍ دَعاه؛
رَحْمَةٌ بلا عِلَّةٍ بلا خِدْمَةٍ، تَأْتي مِنَ البَحْرِ في ساعَةٍ مُبارَكَة؛
اللهَ اللهَ ارْجِعْ إلى شاطِئِ البَحْر، رَغْمَ أَنَّ أَهْلَ البَحْرِ يَكُونُون صُفْرَ الوُجُوه؛
حَتَّى يَجِيْءَ لُطْفُ العَطاءِ مَجَّاناً، وَيَصِيْرَ الوَجْهُ الأَصْفَرُ أَحْمَرَ مِنَ الجَوْهَر؛
صُفْرَةُ الوَجْهِ أَفْضَلُ الأَلْوان، لأَنَّها في انتظارِ ذاكَ اللِّقاء؛
لكِنِ الحُمْرَةُ على الوَجْهِ تَكُونُ لامِعة، مِنْ أَجْلِ ذاكَ الَّذي كانَتْ رُوحُهُ قانِعَة؛
فالطَّمَعُ يُنْحِلُ وَيَجْعَلُ أَصْفَرَ وَذَليلاً، صاحِبُهُ لَيْسَ مِنْ عِلَّةِ الأَبْدانِ عَلِيْلاً؛
لَو رأى وَجْهاً أَصْفَرَ بلا سَقَمٍ، لَحارَ فِيْهِ عَقْلُ جالينوس أيضاً؛
إذا رَبَطْتَ الطَّمَعَ في أنوارِ هُوَ، المُصْطفى يَقُولُ أنْ ذَلَّتْ نَفْسُهُ؛
نُورٌ بلا ظِلٍّ لَطِيْفٌ وَعالٍ، وَذاكَ المُشَبَّكُ ظِلُّ غِرْبال؛
العاشِقُونَ يُرِيدُونَ البَدَنَ عُرْياناً، عِنْدَ العِنِّيْنِيْنَ ما اللِّباسُ وما البَدَن؛
للصَّائِمِيْنَ كانَ ذاكَ الخُبْزُ والخُوان، للذُّبابَةِ الحَمْقاءِ ما هُوَ الحِساءُ وما القِدْر؛

طَلَبُ الشَّاه مَرَّةً أُخْرى مِنْ إياز أنْ قُمْ بِتَأْويلِ عَمَلِكَ وَحُلَّ الإشْكالَ للمُنْكِرِيْنَ والطَّاعِنِيْنَ فإنَّ تَرْكَهُم في ذلِكَ الإلْتِباسِ لَيْسَ مُرُوءَةً

هذا الحَديثُ جازَ الحَدَّ والقِياس، حَدِّثْ بِأَحْوالِ النَّفْسِ الآنَ أَيْ إياز؛
أَحْوالُكَ مِنْ مَنْجَمٍ جَدِيْدٍ، أَنْتَ مَتى تَكُونُ راضِياً بِهذِهِ الأَحْوال؛
حَدِّثْ عَنْ تِلْكَ الأَحْوالِ الجَمِيْلَة.كانَ التُّراب على أحْوالِ ودَرْسِ الخَمْسِ والسِّتِّ؛
حالُ الباطِنِ لا يَجِيْءُ في الكلام، أَقُولُ لَكَ حالَ الظَّاهِرِ فَرْداً وَزَوْجاً؛
فَمِنْ لُطْفِ الحَبيبِ تَصِيْرُ مَراراتُ المَمات، أَعْذَبَ للرُّوحِ مِنْ سُكَّرِ النَّبات؛
لَوْ ذَهَبَ مِنْ ذلِكَ النَّباتِ غُبارٌ في البَحْر، لَصارَ البَحْرُ المالِحُ كُلُّهُ عَذْباً؛
مِئاتُ أُلُوفِ الأَحْوالِ تَجِيْءُ هكذا، ثُمَّ تَذْهَبُ نَحْوَ الغَيْبِ أَيْ أَمِيْن؛

حالُ كُلِّ يَومٍ لَيْسَ شَبيهاً بالأمْس، مِثْلَ النَّهْرِ يَسِيْرُ في المَجْرى بلا قَيْد؛
سَعادَةُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْ نَوْعٍ آخَر، فِكْرَةُ كُلِّ يَومٍ لَها أَثَرٌ آخَر؛

تَمْثيلُ بَدَنِ الآدَميّ بِمَنْزِلِ الضِّيافَةِ، وَأَفْكارِهِ المُخْتَلِفَةِ بالضُّيُوفِ المُخْتَلِفِيْن ، والعارِفُ مِنَ الرِّضا بِتِلْكَ الأفْكارِ مِنَ الغَمِّ وَالسُّرُور مِثْلَ شَخْصٍ مُواسٍ للضَّيْفِ مِنْ صَديقٍ وَغَريبٍ كالخَلِيْل ، فَقَدْ كانَ بابُ الخَلِيْلِ مُرْتَبِطاً بِالإكْرامِ لِكُلِّ ضَيْفٍ، للكافِرِ وَالمُؤمِنِ وَالأَمِيْنِ والخائِنِ، وكانَ مُتَهَلِّلَ الوَجْهِ لِجَمِيْعِ الضُّيُوف

هذا البَدَنُ بَيْتٌ للضُّيُوفِ أَيْ شابّ، كُلَّ صَباحٍ يَأْتِيْهِ ضَيْفٌ جَدِيْد؛
ألا لا تَقُلْ هذا الضَّيْفُ بَقِيَ في رَقَبَتي، فالآنَ سَيَطِيْرُ مِنْ جَدِيْدٍ إلى العَدَم؛
كُلُّ ما يَجِيْءُ مِنْ عالَمِ الغَيْبِ شَبِيْهٌ، بِضَيْفٍ في قَلْبِكَ فعامِلْهُ حَسَناً؛

حِكايَةُ ذلِكَ الضَّيْفِ إِذْ قالَتْ زَوْجَةُ رَبِّ المَنْزِلِ تَوَقَّفَ المَطَرُ وَبَقِيَ الضَّيْفُ في رَقَبَتِنا

ذاكَ واحِدٌ جاءَهُ ضَيْفٌ بلا مَوعِدٍ، فَجَعَلَ مِنْهُ مِثْلَ الطَّوْقِ في العُنُق؛
مَدَّ لَهُ الخُوانَ وَأَظْهَرَ الكرامات، وكانَ في الحَيِّ في ذلِكَ اللَّيْلِ حَفْلُ خِتان؛
قالَ الرَّجُلُ للزَّوْجَةِ حَدِيْثاً بالسِّرّ، أنِ اللَّيْلَةَ أَيْ سَيِّدَةُ أَعِدِّي ثَوْبَيْنِ للنَّوم؛
اِفْرِشي لِيَ الفِراشَ إلى جِهَةِ الباب، وافْرِشي الفِراشَ للضَّيْفِ لِلجِهَةِ الأُخْرى؛
قالَتِ الزَّوْجَةُ أَفْعَلُ الخِدْمَةَ أفْعَلُ السُّرُور، سَمْعاً وَطاعَةً أَيْ عَيْنَيَّ المُضِيْئَتَيْن؛
مَدَّتِ المَرْأَةُ الفِراشَيْنِ وَذَهَبَتْ، إلى حَفْلِ الخِتانِ وَأَطالَتِ المَكْثَ هُناك؛

وَبَقِيَ الضَّيْفُ العَزيزُ وَزَوْجُها، وَعِنْدَهُما النُّقْلُ مِنْ يابِسٍ وَطَرِيّ؛
والمُنْتَجَبَانِ يَتَحَدَّثانِ في السَّمرِ، إلى مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ بالذِّكْرياتِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرّ؛
بَعْدَ ذلِكَ مِنَ النُّعاسِ وَمِنَ السَّمَرِ، ذَهَبَ الضَّيْفُ إلى ذلِكَ الفِراشِ جِهَةَ الباب؛
والزَّوْجُ مِنَ الخَجَلِ لَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئاً، أنْ مَحَلُّ نَوْمِكَ أَيْ عَزيزُ مِنْ هذا الصَّوْب؛
أَنْ مِنْ أَجْلِ منامِكَ أَيْ أبا الكَرَم، مَدَدْتُ لَكَ الفِراشَ مِنْ ذلِكَ الصَّوْب؛
وَذَلِكَ القَرارُ الَّذي كانَ أَعْطاهُ للمَرْأَةِ، صارَ مُبَدَّلاً وَنامَ الضَّيْفُ ذلِكَ الطَّرَف؛
وَفِيْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ هَطَلَ المَطَرُ بِغَزارَةٍ هُناك، حَتَّى أنَّ الغُيُومَ تَعَجَّبَتْ مِنْ شِدَّتِه؛
وَأَتَتِ المَرْأَةُ على خَيالِ أنَّ ذلِكَ الزَّوجَ، نائِمٌ جِهَةَ البابِ وذلِكَ العَمُّ تِلْكَ الجِهَة؛
دَخَلَتْ في اللِّحافِ شَبيهَةُ العَرُوسِ عُرْيانَةً، أَعْطَتِ الضَّيْفَ رَغْبَةً بِضْعَ قُبُلات؛
قالَتْ أَيُّها الرَّجُلُ العَظِيْمُ ما كُنْتَ أَخْشاهُ، حَدَثَ عَيْناً حَدَثَ عَيْناً تَماماً؛
الوَحْلُ والمَطَرُ أَمْسَكا الرَّجُلَ الضَّيْف، وَبَقِيَ عالِقاً عَلَيْكَ كالصَّابُونِ السُّلْطانِيّ؛
مَتى يَذْهَبُ وَسَطَ هذا المَطَرِ والوَحْل، لَقَدْ صارَ غُرْماً على رَأْسِكَ وَرُوحِك؛
انْتَفَضَ الرَّجُلُ حالاً قالَ أَيْ امْرَأَةُ دَعِيْنِي، عِنْدِي حِذاءٌ للمَطَرِ لا أُبالي بالطِّيْن؛
أنا ذاهِبٌ كانَ لَكُمُ الخَيْر، لا كانَتِ الرُّوحُ في السَّفَرِ تَسْعَدُ لَحْظَةً؛
حَتَّى تَسِيْرَ أَسْرَعَ إلى جِهَةِ المَعْدَنِ، فإنَّ السَّعادَةَ في السَّفَرِ قاطِعُ طَرِيق؛
صارَتِ المَرْأَةُ نادِمَةً مِنْ ذلِكَ القَوْلِ البارِد، حِيْنَ نَفَرَ وَذَهَبَ ذلِكَ الضَّيْفُ الفَرْد؛
وَكَمْ قالَتْ لَهُ المَرْأَةُ أنْ أَخِيْراً أَيْ أمِيْر، قُلْتُ مُزاحاً فلا تَأْخُذْهُ مِنْ طِيْبِكَ جِدّاً؛
سَجْدَةُ المَرْأَةِ وَضراعَتُها لَمْ يُجْدِيا نَفْعاً، رَحَلَ الضَّيْفُ وَتَرَكَهُما في تِلْكَ الحَسْرَة؛
لَبِسَ الثَّوبَ الأَزْرَقَ مِنْ ذلِكَ والرَّجُلُ والمَرْأَةُ، رَأَيا صُوْرَتَهُ شَمْعَةً بلا شَمْعَدان؛
يَرُوحُ والصَّحْراءُ مِنْ نُوْرِ شَمْعِ الرَّجُل، انْفَصَلَتْ عَنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَغَدَتْ كالجَنَّة؛
حَوَّلَ الرَّجُلُ مَنْزِلَهُ إلى مَنْزِلِ ضِيافَةٍ، مِنَ الغَمِّ وَمِنَ الخَجَلِ هذا ما جَرى؛

وَلِخَيالِ الضَّيْفِ في كُلِّ لَحْظَةٍ حَدِيثٌ، في داخِلِ كِلا الاِثْنَيْنِ مِنْ طَرِيقٍ خَفِيّ؛
أَنْ أنا رَفيقُ الخِضْرِ كُنْتُ سَأَنْثُرُ لَكُما ، مِئَةَ كَنْزِ جُوْدٍ لكِنَّها لَمْ تَكُنْ لكُما رِزْقاً؛

تَمْثِيْلُ الفِكْرِ الَّذي يَجِيْءُ كُلَّ يَومٍ في القَلْب بالضَّيْفِ الجَدِيْد ،
الَّذي مِنْ أَوَّلِ يَومٍ يَحِلُّ فيهِ بالمَنْزِلِ يَقُومُ بالتَّحَكُّمِ وَسُوءِ الطَّبْعِ
مَعَ رَبِّ البَيْت ، وَفَضِيْلَةُ إكْرامِ الضَّيْف وَتَحَمُّلِ دلالِ الضَّيْف

في كُلِّ لَحْظَةٍ فِكْرٌ كالضَّيْفِ العَزيز، يَأْتِيْ إلى صَدْرِكَ في كُلِّ يَوم؛
اعْتَبِرْ الفِكْرَ أَيْ عَزيزٌ بِمَنْزِلَةِ شَخْص، الشَّخْصُ مِنَ الفِكْرِ يَمْلِكُ القَدْرَ والرُّوح؛
فِكْرُ الغَمِّ وإنْ قَطَعَ طَرِيقَ السُّرُور، فإنَّهُ يَقُومُ بِتَهْيِئَةِ الأَسْبابِ للسُّرُور؛
فإنَّهُ يَكْنِسُ المَنْزِلَ بِسُرْعَةٍ مِنَ الغَيْر، لِيَطْلَعَ سُرُوْرٌ جَديدٌ مِنْ أَصْلِ الخَيْر؛
يَنْثُرُ الوَرَقَ الأَصْفَرَ عَنْ غُصْنِ القَلْب، حَتَّى يَنمُوَ الوَرَقُ الأَخْضَرُ المُتَّصِل؛
يَقْتَلِعُ الجَذْرَ القَدِيْمَ للسُّرُور، لِيَخْتالَ ذَوْقٌ جَدِيْدٌ مِنَ الماوراء؛
الغَمُّ يَقْتَلِعُ الجَذْرَ المائِلَ المُهْتَرِئ، حَتَّى يَظْهَرَ الجَذْرُ الَّذي كانَ أَخْفى الوَجْه؛
كُلَّ ما أراقَ الغَمُّ أو أَخَذَ مِنَ القَلْب، يَجِيْءُ بِما هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ حَقَّاً في العِوَض؛
خاصَّةً لِذاكَ الَّذي يَكُونُ لَهُ اليَقِيْن، بِأَنَّ الغَمَّ كانَ عَبْداً لأَهْلِ اليَقِيْن؛
لَوْلا عُبُوسُ وَجْهِ الغَيْمِ والبَرْق، لاحْتَرَقَ الكَرْمُ مِنْ بَسَماتِ الشَّرْق؛
السَّعْدُ والنَّحْسُ في قَلْبِكَ ضَيْفٌ، مِثْلَ نَجْمٍ يَسيرُ مِنْ مَنْزِلٍ إلى مَنْزِل؛
إذا صارَ مُقيمَ بُرْجِكَ فذلِكَ الزَّمان، كُنْ مِثْلَ طالَعِهِ عَذْباً وَنَشِيْطاً؛
حَتَّى إذا ما صارَ مُتَّصِلاً بالقَمَر، يَذْكُرُ الشُّكْرَ عَنْكَ إلى سُلْطانِ القَلْب؛
سَبْعَ سِنِيْنَ أَيُّوبُ ذُو الصَّبْرِ والرِّضاء، كانَ سَعِيْداً مَعَ ضَيْفِ اللهِ البلاء؛
حَتَّى إذا أدارَ البلاءُ الشَّدِيْدُ الوَجْه، شَكَرَهُ أمامَ الحَقِّ بِمِئَةِ لَوْنِ شُكْر؛
أَنْ أَيُّوبُ لَمْ يُقَطِّبِ الوَجْهَ لَحْظَةً مَعِي، مِنَ المَحَبَّةِ وَأَنا قاتِلُ المَحْبُوب؛

مِنَ الخَجَلِ مِنْ عِلْمِ اللهِ والوَفاء، كانَ مِثْلَ اللَّبَنِ والعَسَلِ مَعَ البلاء؛

الفِكْرُ يَدْخُلُ في الصَّدْرِ تِباعاً تِباعاً، فَكُنْ أمامَهُ ضاحِكاً مُتَهَلِّلَ الوَجْه؛

أنْ أَعِذْنِيْ خالِقِيْ مِنْ شَرِّهِ لا تُحَرِّمْني أَنِلْ مِنْ بِرِّهِ

رَبِّ أوْزِعْني لِشُكْرِ ما أرى لا تُعَقِّبْ حَسْرَةً لِيْ إنْ مَضى

فازْرَعْ ذاكَ الضَّمِيْرَ عابِسَ الوَجْه، عُدَّ ذاكَ العُبُوسَ عَذْباً كالسُّكَّر؛

إذا ظَهَرَ الغَيْمُ عابِسَ الوَجْه، فإنَّهُ يَجِيْءُ بِرَوْضِ الوَرْدِ وَيَقْتُلُ المَوات؛

اِعْتَبِرْ فِكْرَ الغَمّ مِثالَ الغَيْم، أَقِلَّ عُبُوسَ الوَجْهِ مَعَ العَبُوسِ هكذا؛

فَعَسى أنْ يَكُونَ ذاكَ الجَوْهَرُ في يَدِهِ، فاجْتَهِدْ أنْ يَذْهَبَ وَهُوَ عَنْكَ راضٍ؛

وإنْ لَمْ يَكُنْ جَوْهَراً وَلَمْ يَكُنْ غَنِيّاً، فَزِدْ مِنْ هذِهِ العادَةِ الجَمِيْلَةِ مِنْك؛

فإنَّ عادَتَكَ تَنْفَعُ في مكانٍ آخَرَ، وَتَطْلَعُ حاجَتُكَ يَوماً فَجْأَةً؛

الفِكْرَةُ الَّتي كانَتْ لَكَ مَانِعَ سُرُور، إنَّما كانَتْ بِأَمْرِ وَحِكْمَةِ صانِع؛

فلا تَعْتَبِرْها زَهِيْدَةً أَيْ شابّ، فَقَدْ تَكُونُ نَجْماً وَصاحِبَ قِران؛

لا تَعْتَبِرْها فَرْعاً بَلِ اعْتَبِرْها أَصْلاً، حَتَّى تَصِلَ ظافِراً إلى المَقْصُود؛

وَإذا رَأَيْتَ ذاكَ فَرْعاً وَمُضِرّاً، تَكُونُ عَيْنُكَ مُنْتَظِرَةً لِلأَصْل؛

والاِنْتِظارُ في مَذاقِهِ سُمٌّ، وَتَكُونُ في هذا المَسْلَكِ دائماً في مَوْت؛

اِعْتَبِرْ ذاكَ أَصْلاً وَضُمَّهُ إِلَيْك، الاِنْتِظارُ دائماً يَفْتَحُ الطَّرِيقَ للمَوت؛

مُلاطَفَةُ السُّلْطان لإياز

أَيْ إياز المَمْلُوءُ بالإِفْتِقارِ صادِقُ المَذْهَب، إنَّ صِدْقَكَ زائِدٌ على البَحْرِ والجَبَل؛

في وَقْتِ الشَّهْوَةِ لا يَكُونُ لَكَ العِثار، لِيَصِيْرَ عَقْلُكَ الَّذي كالجَبِلِ كأنَّهُ القَشَّة؛

أَلْوانُ صَبْرِكَ وَقْتَ الغَضَبِ والحِقْدِ، لا تَصِيْرُ واهِيَةً في القَرارِ وفي الثَّبات؛

هذِهِ هِيَ الرُّجُولَةُ لا اللِّحْيَةُ والذَّكَر، وإلّا لَكانَ ذُو عُضْوِ الحِمارِ شاهَ الرِّجال؛
قَومٌ وَصَفَهُمُ الحَقُّ في القُرْآنِ بالرِّجال، متى يكُونُ لِهذا الجِسْمِ هُناكَ مجال؛
ما قَدْرُ رُوحِ الحَيَوانِ أَيْ أَبّ، أَخِيْراً مُرَّ في بازارِ القَصّابين؛
مِئاتُ الأُلُوفِ مَوْضُوعَةُ الرَّأْسِ على البَطْن، قَدْرُها أَقَلُّ مِنَ الأُلْيَةِ وَمِنَ الذَّنَب؛
يَكُونُ عاهِراً مَنْ مِنْ جَوَلانِ الذَّكَر، يَصِيْرُ عَقْلُهُ فَأْراً وَشَهْوَتُهُ كالأَسَد؛

وَصِيَّةُ الأَبِ للبِنْتِ أَنْ انْتَبِهِي لا تَحْمِلِي مِنْ زَوْجِكِ

كانَ هُناكَ رَجُلٌ وَجِيْهٌ وَكانَتْ لَهُ بِنْتٌ، زَهْرِيَّةُ الخَدِّ قَمَرِيَّةُ الوَجْهِ فِضِّيَّةُ الصَّدْر؛
صارَتِ البِنْتُ بالِغَةً وأَعْطاها للزَّوج، والزَّوْجُ لَمْ يَكُنْ في الكِفايَةِ كُفُواً لَها؛
البِطِّيْخَةُ إذا بَلَغَتِ النُّضْجَ تَمْتَلِئُ ماءً، فإنْ لَمْ تُشَقَّ تَصِيْرُ تَلَفاً وَهَلاكاً؛
وَلَمَّا كانَتْ ضَرُورَةٌ أَعْطى البِنْتَ، إلى غَيْرِ كُفُوٍ لها مِنْ خَوْفِ الفَساد؛
قالَ للبِنْتِ أنْ مِنْ هذا الصِّهْرِ الجَدِيْد، اِعْمَلِي الوِقايَةَ لا تَحْمِلِيْ مِنْه؛
عَقْدُكِ على هذا الشَّحّاذِ كانَ مِنْ ضَرُورَةٍ، هذا الغَريبُ عَدِيْمُ الأَخْلاقِ بلا وفاء؛
فإنَّهُ يَفِرُّ فَجْأَةً وَيَتْرُكُ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَبْقى طِفْلُهُ مَظْلَمَةً عَلَيْكِ؛
قالَتِ البِنْتُ أَيْ أَبُ أطِيْعُكَ، نُصْحُكَ مَقْبُولٌ للقَلْبِ وَمُغْتَنَم؛
وَكُلَّ يَوْمَيْنِ وَثلاثَةٍ ذلِكَ الأب، يَقُولُ للبِنْتِ أنْ أَيْ بِنْتُ الحَذَر؛
صارَتِ البِنْتُ فَجْأَةً حامِلاً مِنْهُ، فَقَد كانا شابَّيْنِ الزَّوْجَةُ والزَّوج؛
وَحافَظَتْ عَلَيْهِ مَخْفِيّاً عَنِ الأب، وَصارَ عُمْرُ الطِّفْلِ خَمْسَةَ شُهُورٍ وَسِتَّة؛
وَلَمّا صارَ ظاهِراً قالَ الأبُ ما هذا، أَلَمْ أَقُلْ لَكِ اخْتاري البُعْدَ عَنْه؛
وَصاياي هذِهِ ذَهَبَتْ في الرِّيْح، فَلَمْ يَكُنْ لَكِ مِنْ نُصْحِي وَوَعْظِيْ أَيُّ نَفْع؛
قالَتْ أَيْ أَبِي كَيْفَ أَعْمَلُ الوِقايَة، الرَّجُلُ والمَرْأَةُ كالنّارِ والقِطْنِ بلا شَكّ؛

مِنْ أَيْنَ للقِطْنِ أنْ يَحْتَرِزَ مِنَ النَّار، أو متى يُمكِنُ الحِفاظُ والتُّقى في النَّار؛ قالَ أنا قُلْتُ لا تَذْهَبي إلَيْه، لا تَكُونِيْ قابِلَةً للمَنِيّ مِنْه؛ في لَحْظَةِ الحالِ والإنْزالِ واللَّذَّة، يَجِبُ عَلَيْكِ أنْ تَسْحَبِي النَّفْسَ مِنْه؛ قالَتْ مَتى أَعْلَمُ مَتى يَكُونُ إنْزالُهُ، هذا خَفِيٌّ وَبَعِيْدُ المَنالِ للغايَة؛ قالَ عِنْدَما يَتَغَيَّرُ لَوْنُ عَيْنَيْهِ مِنَ اللَّذَّة، اِفْهَمِي أنَّ ذاكَ وَقْتُ إنزالِه؛ قالَتْ عِنْدَما يَتَغَيَّرُ لَوْنُ عَيْنِهِ مِنَ اللَّذَّةِ، تَكُونُ عَيْنايَ العَمْياوَيْنِ قَدْ عَمِيَتا؛ فَما كُلُّ عَقْلٍ حَقِيْرٍ يَكُونُ ثابِتاً ، وَقْتَ الحِرْصِ وَوَقْتَ الغَضَبِ وَوَقْتَ الحَرْب؛

وَصْفُ ضَعْفِ قَلْبِ وَوَهَنِ صُوْفِيٍّ تَرَبَّى في الدَّلالِ وَلَمْ يَقُمْ بمُجاهِدَةِ الأَلَمِ وَلَمْ يَذُقْ حُرْقَةَ العِشْق وَصارَ مَغْرُوراً بِخُضُوعِ العَوامِّ لَهُ وَتَقْبيلِ يَدِهِ والنَّظَرِ إلَيْهِ باحْتِرام ، والإشارَةِ إلَيْهِ بالبَنان ، أنْ هذا في يَوْمِنا صُوْفِيُّ الزَّمان، وَمَرَضُهُ بالوَهْمِ مِثْلَ ذلِكَ المُعَلِّمِ الَّذي قالَ لَهُ الأولادُ أنتَ مَريضٌ؛ وَعلى هذا الوَهْمِ أنْ أنا مُجاهِدٌ وأنا أُعَدُّ بَطَلاً في هذا الطَّريق ، ذَهَبَ مَعَ الغُزاةِ في الغَزْوِ ، أنْ سَأُظْهِرُ الفَضْلَ فِيَّ ظاهِراً أَيْضاً ، أنا في الجِهادِ الأكْبَرِ لَسْتُ مُعْفىً مِنَ الجَهادِ الأَصْغَرِ ، وَما مَحَلُّ الجِهادِ الأَصْغَرِ عِنْدِي ، رأى خَيالَ أَسَدٍ وَأَبْدَى شَجاعَةً، وَصارَ سَكْرانَ تِلْكَ الشَّجاعَة، وَوَجَّهَ الوَجْهَ إلى الأَجَمَةِ قاصِداً الأَسَدَ ، قالَ لَهُ الأَسَدُ بِلِسانِ الحال كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُون ، ثُمَّ كلَّا سَوْفَ تَعْلَمُون

ذَهَبَ صُوْفِيٌّ في الجَيْشِ للغَزْو، جاءَتْ قَعْقَعَةُ السِّلاحِ والوَغى فَجْأَةً؛ بَقِيَ الصُّوفِيُّ مَعَ الزَّادِ والخِيامِ والضِّعاف، وصارَ الفُرْسانُ إلى صَفِّ المَصافّ؛ المُثَّاقِلُونَ إلى الأرْضِ بَقَوا في المَكان،والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ تَقَدَّمُوا للنِّزال؛ خاضُوا المَعارِكَ وَنالُوا الظَّفَرَ، وَعادُوا ظافِرِيْنَ وَغانِمِيْن؛

أَعْطَوا للصُّوْفِيّ هَدِيَّةً أنْ أَيْ صُوْفِيُّ هذِهِ لَكَ، فَأَلْقاها للخارِجِ وَلَمْ يَأْخُذْ شَيْئاً؛
فقالُوا لَهُ أَنْتَ غاضِبٌ لِماذا، قالَ لأنّي بَقِيْتُ مَحْرُوماً مِنَ الغَزْو؛
وَلَمْ يَسْعَدِ الصُّوفِيُّ مِنْ ذلِكَ التَّلَطُّفِ أَبَداً، لأنَّهُ لَمْ يَسُلَّ خِنْجَراً في الغَزْو؛
فقالُوا لَهُ لَقَدْ جِئْنا بِأَسْرى، فَخُذْ واحِداً مِنْ أَجْلِ القَتْلِ واقْتُلْهُ؛
اِقْطَعِ الرَّأْسَ مِنْهُ حَتَّى تَصِيْرَ غازِياً، فَصارَ الصُّوفِيُّ سَعِيْداً قَلِيْلاً وَقَوِيَّ قَلْب؛
إذا كانَ للماءِ في الوُضُوءِ مِئَةُ ضِياء، حِيْنَ لا يُوْجَدُ ذلِكَ الماءُ فالْعَمَلُ التَّيَمُّم؛
أَخَذَ الصُّوفِيُّ ذاكَ الأَسِيْرَ مَغْلُولاً، إلى ما وراءَ الخِيامِ كَيْ يَقُومَ بالغَزْو؛
تَأَخَّرَ الصُّوْفِيُّ هُناكَ مَعَ الأسِيْر، القَوْمُ قالُوا لَقَدْ تَأَخَّرَ الفَقِيْر؛
الكافِرُ مُقَيَّدُ اليَدَيْنِ وَحُكْماً مَقْتُول، فما المُوْجِبُ للتَّأخِيْرِ مِنْهُ في ذَبْحِهِ؛
جاءَ واحِدٌ في إِثْرِهِ للتَّفَحُّص، فَرَأى الكافِرَ نائِماً فَوْقَهُ؛
مِثْلَ الذَّكَرِ فَوْقَ الأُنْثى كانَ ذاكَ الأَسِيْر، نائماً كالأَسَدِ فَوْقَ ذاكَ الفَقِيْر؛
كانَ يَعَضُّهُ وَهُوَ مُقَيَّدُ القَدَمَيْن، يَعَضُّ حَلْقَ الصُّوْفِيّ مِنْ شِدَّةِ الغَضَب؛
الكافِرُ يَعَضُّ حَلْقَ الصُّوفِيّ بِأَسْنانِهِ، والصُّوفِيُّ واقِعٌ تَحْتَهُ فاقِدَ الوَعْي؛
الكافِرُ مُقَيَّدُ اليَدِ كَأَنَّهُ القِطّ، جَرَحَ حَلْقَ الصُّوفِيّ بلا حَرْبَة؛
كادَ يَقْتُلُهُ بالأَسْنانِ ذاكَ الأَسِيْر، امْتَلأَتْ لِحْيَتُهُ بالدَّمِ مِنْ حَلْقِ ذاكَ الفَقِيْر؛
مِثْلَ حَالِكَ مَنْ يَدِ النَّفْسِ مَغْلُولَةِ اليَد، صِرْتَ مِثْلَ ذاكَ الصُّوفِيّ ذلِيْلاً بلا وَعْي؛
أَيْ مَنْ مَذْهَبُكَ صارَ عاجِزاً مِنْ تَلَّةٍ، وَمْنْ أمامِكَ مِئاتُ أُلُوفِ الجِبال؛
مِتَّ مِنَ الخَوْفِ مِنْ تَلَّةٍ قَدْرَ خَيْمَةٍ، فَكَيْفَ تَعْبُرُ العَقَباتِ كَأَنَّها الجَبال؛
قَتَلَ الغُزاةُ الكافِرَ بالسَّيْفِ، مِنَ الحَمِيَّةِ في السَّاعَةِ بلا أَسَف؛
وَرَشُّوا على وَجْهِ الصُّوفِيّ الماءَ والجُلَّاب، لِيَعُودَ للوَعْي مِنَ الإغْماءِ والسُّبات؛
حِيْنَ عادَ للنَّفْسِ رأى أولئكَ القَوْمَ، فَسَأَلُوهُ عَنِ القِصَّةِ وما جَرى؛
اللهَ اللهَ ما هذِهِ الحالُ أيْ عَزِيْز، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ غِبْتَ عَنِ الوَعْي هكذا؛

أَمِنْ أَسِيْرٍ نِصْفِ مَقْتُولٍ مُقَيَّدِ اليَد، وَقَعْتَ هكذا غائِباً عَنِ الوَعْيِ وَذَلِيْلاً؛
قالَ عِنْدَما قَصَدْتُ رَأْسَهُ بِغَضَبٍ، نَظَرَ إِلَيَّ ذلِكَ الوَقِحُ النَّظَرِ نَظَرَ الغضَب؛
فَتَحَ العَيْنَ واسِعَةً إلى جِهَتِي، وَأَدارَ العَيْنَ فغابَ وَعْيِي عَنِ البَدَن؛
دَوْرَةُ عَيْنِهِ أَظْهَرَتْ لِيْ جَيْشاً، لا أَعْرِفُ التَّعْبيرَ كَمْ كانَ مَليئاً بالهَوْل؛
ولأُقْصِرِ القِصَّةَ فَمْنْ تِلْكَ العَيْنِ هكذا ، غِبْتُ عَنِ النَّفْسِ وَوَقَعْتُ على الأرْض؛

نَصِيْحَةُ المُبارزِينَ لَهُ أنْ بِهذا القَلْبِ والجُرْأَةِ الَّتي تَمْلِكُ بِحَيْثُ
صِرْتَ مِنْ تَغَيُّرِ حالِ عَيْنِ الكافِرِ المَأْسُورِ وَمُقَيَّدِ اليَدَيْنِ مُغْمىً
عَلَيْكَ وَسَقَطَ الخَنْجَرُ مِنْ يَدِكَ ، حذارِ حَذارِ كُنْ مُلازِمَ مَطْبَخِ
الخانِقاه، ولا تَذْهَبْ للحَرْبِ كَيْ لا تَفْتَضِحَ

قالَ لَهُ القَومُ لا تَطْلُبِ الحَرْبَ والقِتالَ، بِمِثْلِ هذِهِ الشَّجاعَةِ الَّتي تَمْلِك؛
ما دُمْتَ مِنْ عَيْنِ أَسِيرٍ مُقَيَّدِ اليَدَيْن، صِرْتَ غارِقاً وانْكَسَرَتْ سَفِيْنَتُك؛
في وَسَطِ حَمْلَةِ ذُكُورِ الأُسُودِ، الَّذِيْنَ تَكُونُ الرُّؤوسُ عِنْدَ سُيُوْفِهِمْ كالأُكَر؛
مَتى تَسْتَطِيْعُ السِّباحَةَ في الدَّمِ، إنْ لَمْ تَكُنْ على عِلْمٍ بِحَرْبِ الرِّجال؛
إنَّهُ عِنْدَ طَقْطَقَةِ دَقِّ الرِّقاب، تَكُونُ مُمْتَهَنَةً طَقْطَقَةُ دَقِّ الثِّياب؛
كَمْ مِنْ بَدَنٍ بلا رَأْسٍ لَهُ اضْطِراب، وَمِنْ رَأْسٍ بلا بَدَنٍ علا فَوْقَ الدَّمِ كالحُباب؛
وَتَحْتَ أَيْدِيْ وَأَقْدامِ الجِيادِ في الوغى، مِئاتُ المُفْنِيْنَ غَرِقُوا في الفَنا؛
مِثْلُ هذا الوَعْيِ الَّذي طارَ مِنْ فَأْرٍ، كَيْفَ سَيَتَحَمَّلُ السَّيْفَ في ذلِكَ الصَّفّ؛
تِلْكَ حَرْبٌ وَلَيْسَتْ أَكْلَ جَرْجِيْر، حَتَّى تُشَمِّرَ أَكْمامَ الثَّوْبِ للأَكْل؛
لا أَكْلَ للجَرْجِيْرِ هُنا انْظُرِ السَّيْفَ، لِمِثْلِ هذا الصَّفِّ مِنَ الحَدِيْدِ يَجِبُ حَمْزَة؛
القِتالُ لَيْسَ شُغْلاً لِكُلِّ رَقِيْقِ قَلْبٍ، يَفِرُّ مِنْ خَيالٍ كَأَنَّهُ الخَيال؛

إنَّهُ شُغْلُ التُّرْكِ لا شُغْلُ النِّساء، مَحَلُّ النِّساءِ في البَيْتِ بَيْتِ الزَّوجِ؛

حِكايَةُ العيَّاضي رَحِمَهُ اللهُ وكانَ قَدْ غزا سَبْعِيْنَ غَزْوَةً عارِيَ الصَّدْر، وقامَ بالغَزْوِ على أَمَلِ أنْ يَصِيْرَ شَهِيْداً، وَعِنْدَما صارَ يائساً مِنْ ذاكَ تَوَجَّهَ مِنَ الجَهادِ الأَصْغَرِ إلى الجِهادِ الأَكْبَر ، واخْتارَ الخَلْوَةَ ، فَجْأَةً سَمِعَ طَبْلَ الغَزاة والنَّفْسُ مِنَ الدَّاخِلِ راحَتْ تُمَزِّقُ الأَغْلالَ طَلَباً للغَزْو، واتِّهامُهُ النَّفْسَ في هذِهِ الرَّغْبَة

قالَ العَيَّاضِيُّ جِئْتُ تِسْعِيْنَ مَرَّةً، عارِيَ البَدَنِ أنْ عَسى أنْ تَجِيْئَني طَعْنَة؛
صِرْتُ أمامَ السِّهامِ عارِيَ البَدَنِ ، أنْ عَسى أَنْ أُصابَ بِسَهْمٍ مُسْتَقِرّ؛
سَهْمٍ يَجِيْءُ في الْحَلْقِ أَوْ في المَقْتَل، لا يَجِدُهُ غَيْرُ شَهِيْدٍ مُقْبِل؛
لَيْسَ في بَدَنِيْ مَوْضِعٌ بلا جُرْح، بَدَنِي مِنَ السِّهامِ كالغِرْبال؛
لكِنَّ السِّهامَ لَمْ تَجِئْ في المَقْتَل، الأَمْرُ بالحَظِّ لا بالصَّبْرِ والدَّهاء؛
لَمَّا لَمْ تَكُنِ الشَّهادَةُ رِزْقاً لِرُوحِي، أَسْرَعْتُ للخَلْوَةِ والأَرْبَعِيْنِيَّة؛
أَلْقَيْتُ البَدَنَ في الجِهادِ الأَكْبَر، في عَمَلِ الرِّياضَةِ وإنحالِ البَدَن؛
جاءَ صَوْتُ طَبْلِ الغُزاةِ في أُذُني، أنِ الغُزاةُ في الجَيْشِ يَسْعَونَ مُخْتالِيْنَ للغَزو؛
أَرْسَلَتْ لِيَ النَّفْسُ النِّداءَ في الباطِن، نِداءً سَمِعْتُهُ بِأُذُنِ الحِسِّ مَعَ الفَجْر؛
اِنْهَضْ وامْضِ جاءَ وَقْتُ الغَزْو، واجْعَلِ النَّفْسَ رَهِيْنَةً في الغَزْو؛
قُلْتُ أَيْ نَفْسِيَ الخَبيثَةَ بلا وَفاء، مِنْ أَيْنَ لَكِ المَيْلُ للغَزْوِ مِنْ أَيْن؛
قُولي الصِّدْقَ أَيْ نَفْسُ هذِهِ حِيْلَة، وإلَّا فَنَفْسُ الشَّهْوَةِ مِنَ الطَّاعَةِ بريئَة؛
إنْ لَمْ تَقُولي الصِّدْقَ سَوْفَ أَحْمِلُ عَلَيْكِ، وَسَأَضْغَطُ عَلَيْكِ في الرِّياضَةِ أَشَدّ؛
فَصَرَخَتِ النَّفْسُ مِنَ الدَّاخِلِ تِلْكَ اللَّحْظَةَ، بِفَصاحَةٍ مِنْ غَيْرِ فَمٍ في سِحْر؛

أنْ أنتَ هُنا تَقْتُلَني كُلَّ يَومٍ، تَلْطِمُ رُوحِي كَأنَّها رُوحُ المَجُوس؛
وما لأيِّ شَخْصٍ عَنْ حالِيْ خَبَر، عَنْ قَتْلِكَ لِيْ بالجُوعِ والسَّهَر؛
في الغَزْوِ أَقْفِزُ مِنْ ضَرْبَةٍ مِنَ البَدَن، وَيَرى الخَلْقُ مُرُوءَتِيْ وإيثاري؛
قُلْتُ أَيْ نَفْسِيَ الحَقِيْرَةَ عِشْتِ في النِّفاق، وَتَمُوتِيْنَ في النِّفاقِ أنتِ مَنْ تَكُونين؛
أَنْتِ كُنْتِ في كِلا العالَمَيْنِ مُرائِيَةً، أنتِ في كِلا العالَمَيْنِ هكذا بلا فائِدَة؛
نَذْراً لَنْ أَرْفَعَ الرَّأْسَ مِنَ الخَلْوَة، أَبَداً ما دامَ هذا البَدَنُ حَيَّاً؛
لأنَّ كُلَّ ما يَفْعَلُ هذا البَدَنُ في الخَلْوَة، يَفْعَلُ لا مِنْ أَجْلِ وُجُوهِ الرِّجالِ والنِّساء؛
حَرَكَتُهُ وَسُكُونُهُ للحَقِّ في خَلْوَتِه، إلَّا مِنْ أَجْلِ الحَقِّ لا تَكُونُ نِيَّتُه؛
هذا الجِهادُ الأَكْبَرُ وَذاكَ الأَصْغَر، كِلاهُما شُغْلُ رُسْتَمٍ وَحَيْدَر؛
لا شُغْلَ ذلِكَ الشَّخْصِ بلا عَقْلٍ وَوَعْي، طارَ مِنَ البَدَنِ إذْ تَحَرَّكَ ذَنَبُ فَأْر؛
مِثْلَ ذاكَ الرَّجُلِ يَجِبُ وَضْعُهُ كالنِّساء، بَعِيْداً عَنِ المَصافِّ وَبَعِيْداً عَنِ السِّنان؛
أَذاكَ صُوفِيٌّ وهذا صُوْفِيٌّ يا لَهُ حَيْف، وذاكَ مَقْتُولٌ بإبْرَةٍ وهذا طُعْمَةُ السَّيْف؛
إنَّ لَهُ صُورَةَ الصُّوفِيِّ لا الرُّوح، مِنْ هؤلاءِ الصُّوفِيِّيْنَ ساءَتْ سُمْعَةُ الصُّوفِيِّيْن؛
على بابِ وَجِدارِ جِسْمٍ جُبِلَ مِنْ طِيْنٍ، رَسَمَ الحَقُّ مِنَ الغَيْرَةِ نَقْشَ مِئَةِ صُوفِيّ؛
مَتى تَتَحَرَّكُ تِلْكَ الصُّوَرُ مِنَ السِّحْر، ما دامَتِ العَصا المُوسَوِيَّةُ مُخْتَفِيَةً؛
صِدْقُ العَصا يَبْتَلِعُ النُّقُوشَ، فَعَيْنُ فِرْعَونَ مَمْلُوءَةٌ بالحَصى والتُّراب؛
صُوفِيٌّ آخَرُ وَسَطَ صَفِّ الحِراب، دَخَلَ عِشْرِيْنَ مَرَّةً مِنْ أَجْلِ الضِّراب؛
مَعَ المُسْلِمِيْنَ على الكافِرِيْنَ وَقْتَ الكَرّ، وَلَيْسَ مَعَ المُسْلِمِيْنَ راجِعاً في الفَرّ؛
أُصِيْبَ بالجُرْحِ وَرَبَطَ ذاكَ الجُرْح، وَمَرَّةً أُخْرى حَمَلَ الحَمْلَةَ في الوَغى؛
حَتَّى لا يَمُوتَ البَدَنُ مِنْ طَعْنَةٍ واحِدَة، وَلِيَنالَ عِشْرِيْنَ طَعْنَةً في المَصافّ؛
يَجِيْئُهُ الحَيْفُ أَنْ يُسْلِمَ الرُّوحَ مِنْ طَعْنَة ، الرُّوحُ مِنْ يَدِ صِدْقِهِ سَهْلَةُ التَّحَرُّر؛

حِكايَةُ ذلِكَ المُجاهِد الَّذي كانَ يُلْقِيْ مِنْ هَمْيانِ النُّقُود دِرْهَماً في الخَنْدَقِ كُلَّ يَوم، فَرَّقَ ذلِكَ مُعانَدَةً للحِرْصِ وَرَغْبَةِ النَّفْسِ وَوَسْوَسَةِ النَّفْس، أَنْ لِماذا تُلْقِيْ الدَّراهِمَ في الخَنْدَقِ على مَرَّاتٍ، أَلْقِها دُفْعَةً واحِدَةً حَتَّى أَجِدَ الخلاص، إذِ اليَأْسُ إحْدى الرَّاحَتَيْن، فقالَ حَتَّى هذِهِ الرَّاحَةَ لَنْ أُعْطِيَكِ

ذاكَ واحِدٌ كانَ مَعَهُ أَرْبَعُونَ دِرْهَماً، وكانَ يُلْقي بِدِرْهَمٍ في اليَمِّ كُلَّ لَيْلَة؛
حَتَّى يُصَعِّبَ الأمْرَ على النَّفْسِ المَجازِيَّةِ، فَبالتَّأَنِّيْ يَكُونُ أَلَمُ نَزْعِ الرُّوحِ طَويلاً؛
تَقَدَّمَ مَعَ المُسْلِمِيْنَ في الكَرّ، وَلَمْ يَرْجِعْ عَنِ الخَصْمِ مُسْرِعاً وَقْتَ الفَرّ؛
طَعِمَ جُرْحاً آَخَرَ وَرَبَطَ ذاكَ أَيْضاً، عِشْرِيْنَ مَرَّةً انكَسَرَ رُمْحُهُ وسَهْمُهُ؛
بَعْدَ ذلِكَ لَمْ تَبْقَ لَهُ قُوَّةٌ فَسَقَطَ للأمام، في مَقْعَدِ صِدْقِهِ مِنْ صِدْقِ عِشْقِه؛
الصِّدْقُ بَذْلُ الرُّوحِ هَيَّا سابِقُوا، أُتْلُ في الذِّكْرِ رِجالٌ صَدَقُوا؛
هذا لَيْسَ مَوْتاً بَلْ صُورَةَ مَوْت، إنَّ هذا البَدَنَ للرُّوحِ مِثْلُ الآلَة؛
كَمْ مِنْ ساذَجٍ أراقَ في الظَّاهِرِ دَمَهُ، لكِنَّ نَفْسَهُ الحَيَّةَ أَسْرَعَتْ إلى ذاكَ الجانِب؛
انْكَسَرَتْ آلَةُ عابِرِ الطَّرِيقِ وَظَلَّ حَيّاً، النَّفْسُ حَيَّةٌ رَغْمَ أَنَّ المَرْكَبَ مَسْفُوكُ الدَّمّ؛
قَتَلَ الفَرَسَ وَلَمَّا يَنْتَهِ مِنْ قَطْعِ الطَّرِيق، وَلَمْ يَصِرْ غَيْرَ خامٍ وَقَبيحٍ وَمُضْطَرِب؛
لَوْ كُنْتَ بِكُلِّ دَمٍ تُرِيقُ تَصِيْرُ شَهِيْداً، كانَ الكافِرُ المَقْتُولُ صارَ أَيْضاً سَعِيداً؛
رُوحُ قاطِعِ الطَّرِيقِ مَيِّتَةٌ وبَدَنُهُ الَّذي هُوَ سَيْفُهُ، باقٍ في كَفِّ طالِبِ الغَزْوِ ذاك؛
السَّيْفُ ذاكَ السَّيْفُ والرَّجُلُ لَيْسَ ذاكَ الرَّجُلَ، لكِنَّ هذِهِ الصُّوْرَةَ جَعَلَتْكَ حَيْراناً؛
فإذا بُدِّلَتِ النَّفْسُ صارَ سَيْفُ البَدَنِ هذا، مُتَقَلِّباً في يَدِ صُنْعِ ذي المِنَن؛
ذاكَ رَجُلٌ قُوَّتُهُ كُلُّها مِنَ الأَلَم، وَذاكَ رَجُلٌ آخَرٌ فارِغُ الجَوْفِ كالغُبار؛

وَصْفُ غَمَّازٍ لِجارِيَةٍ وَعَرْضُهُ صُوْرَتَها مُصَوَّرَةً على الوَرَقِ على خَلِيْفَةِ مِصْرَ وَإِرْسالُ الخَلِيْفَةِ أَميراً مَعَ جَيْشٍ ثَقِيْلٍ إلى بابِ المَوْصِلِ وَقِيامُهُ بالقَتْلِ الكَثيرِ والتَّخْريبِ مِنْ أَجْلِ هذا الغَرَض

غَمَّازٌ قالَ لِخَلِيْفَةِ مَصْر، إنَّ شاهَ المَوْصِلِ عِنْدَهُ جارِيَةٌ حَوراء؛
يَملِكُ جارِيَةً مِنَ الجَواري بلا مِثال، ولا نَظِيْرَ لها في العالَمِ في الجَمال؛
حُسْنُها بلا حَدٍّ ولا يَجِيْءُ في البيان، هاكَ صُوْرَتَها مَرْسُومَةً على هذِهِ الوَرَقَة؛
عِنْدَما رأى ذلِكَ المَلِكُ صُورَتَها على الوَرَق، طاشَ وَوَقَعَ الجامُ مِنْ يَدِه؛
أَرْسَلَ في اللَّحْظَةِ قائداً بَطَلاً، إلى جِهَةِ المَوصِلِ بِجَيْشٍ ثَقِيْل؛
أنْ إذا لَمْ يُعْطِكَ ذلِكَ القَمَرَ، فاقْتَلِعْ مِنَ الأَصْلِ بابَهُ ذاكَ والقَصْر؛
وإنْ أَعْطاكَها اتْرُكْهُ واجْلِبِ القَمَر، حَتَّى أَحْضِنَ القَمَرَ وَأنا على الأرْض؛
ذَهَبَ البَطَلُ نَحْوَ المَوصِلِ مَعَ الحَشَم، مَعَ أَلْفِ رُسْتَمٍ وَطَبْلٍ وَعَلَم؛
مِثْلَ الجَرادِ حَوْلَ الزَّرْعِ بلا عَدَد، مَضى قاصِداً إلى المَدِيْنَةِ لإهلاكِ أَهْلِها؛
جَعَلَ في كُلِّ ناحِيَةٍ مَنْجَنيقاً، مِثْلَ جَبَلِ قاف وَبَدَأَ بالعَمَل؛
رَمْيٌ للسِّهامِ وَحِجارَةِ المَنْجَنيق، السُّيُوفُ صارَتْ كالبَرْقِ مِنَ البَريق؛
أُسْبُوعاً يَفْعَلُ هذا يُرِيقُ الدِّماء، بُرْجُ الحَجَرِ صارَ واهِياً كالشَّمْعِ النَّاعِم؛
شاهُ المَوصِلِ رأى القِتالَ المَهُول، فَأَرْسَلَ إلَيْهِ مِنَ الدَّاخِلِ رَسُولاً؛
أنْ ما مُرادُكَ مِنْ دِماءِ المُؤمِنِين، يَصِيْرُونَ قَتْلى مِنْ هذِهِ الحَرْبِ الثَّقِيْلَة؛
إنْ كانَ مُرادُكَ مُلْكَ مَدِيْنَةِ المَوصِل، فَهُوَ لَكَ حاصِلٌ بلا هذِهِ المَقْتَلَة؛
دُونَكَ المَدِيْنَةَ أنا خارِجٌ فادْخُلْ، كَيْ لا تُطَوِّقَكَ دِماءُ المَظْلُومِيْن؛
وإنْ كانَ مُرادُكَ المالَ والذَّهَبَ والجَوْهَرَ ، فهذا يَكُونُ أَسْهَلَ مِنْ تَمَلُّكِ المَدِيْنَة؛

إيثارُ صاحِبِ المَوْصِلِ الخَلِيْفَةَ بِتِلْكَ الجارِيَة
حَتَّى لا يَزِيْدَ سَفْكُ دَمِ المُسْلِمِيْنَ أَكْثَر

عِنْدَما جاءَ الرَّسُولُ إلى ذلِكَ البَطَل، أَعْطاهُ الوَرَقَةَ بِها الصُّورَةُ والإشارَة؛
أُنْظُرْ في الوَرَقَةِ أنا لِهذِهِ طالِب، أعْطِنيها سَرِيعاً أَو أنا الآنَ غالِب؛
حِيْنَ جاءَ الرَّسُولُ قالَ ذاكَ المَلِكُ الشُّجاع، أَقِلَّ مَسْكَ الصُّوْرَةِ واجْلِبِ المَطْلُوبَة؛
أنا لَسْتُ في عَهْدِ الإيمانِ عابِدَ صَنَم، عابِدُ الصَّنَمِ أَولى بالصَّنَم؛
وَعِنْدَما جاءَ بِها الرَّسُولُ لِذلِكَ البَطَل، صارَ في اللَّحْظَةِ عاشِقاً لِجَمالِها؛
العِشْقُ بَحْرٌ والسَّماءُ فَوْقَها كَفيّ، مِثْلَ زَلِيخا في الهَوى اليُوْسُفِيّ؛
دَوْرَةُ الأفْلاكِ مِنْ مَوْجِ العِشْق، لَوْلا وُجُودِ العِشْقِ لَجَمُدَ الكَون؛
متى كانَ الجَمادُ صارَ مَحْواً في النَّبات، وَمتى صارَتْ فِداْءً للرُّوحِ النَّامِيات؛
ومَتى صارَتِ الرُّوحُ فِداءَ ذاكَ النَّفَسِ، الَّذي مِنْ نَسِيْمِهِ مَرْيَمُ صارَتْ حامِلاً؛
كانَ كُلُّ واحِدٍ جَمُدَ في المَكانِ كالثَّلْج، متى كانَ صارَ طائراً وَمُحَلِّقاً كالجَراد؛
ذَرَّةً ذَرَّةً عاشِقُو ذلِكَ الكَمال، يُسْرِعُونَ للأعْلى مِثْلَ الأَغْصان؛
سُرْعَتُهُمْ مِنْ سَبَّحَ لله، يُنَقُّونَ البَدَنَ مِنْ أَجْلِ الرُّوح؛
البَطَلُ ظَنَّ البِئْرَ كالطَّرِيْق، رأى الأَرْضَ البُوْرَ جَمِيْلَةً فَزَرَعَ الحَبّ؛
كَخَيالٍ رَآهُ ذلِكَ النَّائِمُ بالنَّوم، لِعَرُوسٍ اجْتَمَعَ بِها وَسالَ مِنْهُ الماء؛
حِيْنَ ذَهَبَ ذلِكَ النَّومُ صارَ مُسْتَيْقِظاً، رأى أنَّ تِلْكَ العَرُوْسَ لَمْ تَكُنْ في اليَقَظَة؛
قالَ لَقَدْ جَعَلْتُ مائي على لا شَيْء، أَسَفاً أَكَلْتُ خِداعَ إغْراءِ ذاتِ الدَّلالِ تِلْك؛
كانَ بَطَلاً بالجَسَدِ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ الرُّجُولَة، زَرَعَ بِذْرَةَ الرُّجُولَةِ في مِثْلِ ذاكَ الرَّمْل؛
مَرْكَبُ عِشْقِهِ مُمَزَّقٌ بِمِئَةِ لِجام، وَهُوَ يَصْرُخُ لا أُبالي بالحِمام؛
لا أُبالي بالخَلِيْفَةِ في الهَوى اِسْتَوى عِنْدِي وُجُودِي والتَّوى

مِثْلَ هذا المُحْرِقِ والحارِّ لا تَزْرَعْ، قُمْ بالمَشْوَرَةِ مَعَ واحِدٍ يَكُونُ صاحِباً؛
أَيْنَ المَشْوَرَةُ وَأَيْنَ العَقْلُ وَسَيْلُ الحِرْصِ ذاكَ، أَنْشَبَ مَخالِبَهُ الطِّوالَ في الخَراب؛
مِنْ بَيْنِ الأَيْدِي سَدٌّ وَمِنَ الخَلْفِ سَدّ، لَمْ يَرَ الأمامَ والخَلْفَ ذاكَ المَفْتُونُ بالخَدّ؛
سَيْلٌ أَسْوَدٌ جاءَ في قَصْدِ الرُّوح، أَسْقَطَ الثَّعْلَبُ مِنْهُ الأَسَدَ في البِئْر؛
أَظْهَرَ مَعْدُومَ الخَيال في الجُبِّ، فَأَلْقى الأُسُودَ كالجِبالِ فِيْه؛
لا تَجْعَلْ أَيَّ شَخْصٍ مَعَ النِّساءِ مَحْرَماً، هذانِ الاثْنانِ مِثالُ القِطْنِ والشِّرار؛
اِغْسِلِ النَّارَ مِنْ ماءِ الحَقّ، مِثْلَ يُوسُفَ المُعْتَصِمِ مِنَ الرَّهَق؛
فَمِنْ زَليخا لَطِيْفَةِ الرَّأْسِ والقَدّ، سَحَبَ النَّفْسَ فِعْلَ الأَسَد؛
عادَ البَطَلُ مِنَ المَوْصِلِ وَسارَ في الطَّريق، حَتَّى نَزَلَ في مَوضِعِ أَجَمَةٍ وَمَرْج؛
وَنارُ عِشْقِهِ مُشْتَعِلَةٌ إلى حَدٍّ، أَنَّهُ لا يَعْرِفُ الأَرْضَ مِنَ السَّماء؛
قَصَدَ ذلِكَ القَمَرَ في خَيْمَتِهِ، أَيْنَ العَقْلُ وَأَيْنَ الخَوْفُ مِنَ الخَلِيْفَة؛
حِيْنَ تَقْرَعُ الشَّهْوَةُ في هذا الوادِي الطَّبْل، أيْ فُجُلُّ بْنُ الفُجُلِّ ما هُوَ العَقْل؛
مِئَةُ خَلِيْفَةٍ صارُوا أَقَلَّ مِنْ ذُبابَةٍ، أَمامَ عَيْنِهِ النَّارِيَّةِ تِلْكَ اللَّحْظَة؛
حِيْنَ قَلَعَ السِّرْوالَ وَجَلَسَ بَيْنَ قَدَمَيِ المَرْأَةِ ذلِكَ العابِدُ للمَرْأة؛
وَحِيْنَ كانَ الذَّكَرُ ذاهِباً للمَقَرّ، اِرْتَفَعَ ضَجِيْجٌ وَغَوْغاءٌ مِنَ المُعَسْكَر؛
فَنَهَضَ مُسْرِعاً عارِيَ العَوْرَةِ إلى الصَّفّ، مُمْسِكاً بالسَّيْفِ كالنَّارِ في الكَفّ؛
فَرَأى أَسَداً أَسْوَدَ مِنْ مَزْرَعَةِ القَصَب، أَقْبَلَ فَجْأَةً وَحَمَلَ على قَلْبِ الجَيْش؛
وَأَغارَ كالشَّيْطانِ يَجِيْشُ مُقْبِلاً، وَيَهْدِمُ كُلَّ خَيْمَةٍ وَكُلَّ حَظِيْرَة؛
أَسَداً ذَكَراً يَعْلُو على الخِيامِ وَيَسْقُطُ، كَمَوْجِ البَحْرِ علا عِشْرِيْنَ ذِراعاً في الهَواء؛
الرَّجُلُ كانَ بَطَلاً بلا حَذَر، جاءَ سَكْرانَ كالأَسَدِ أمامَ الأَسَد؛
ضَرَبَهُ ضَرْبَةً بالسَّيْفِ وَشَقَّ رَأْسَهُ، وَأَسْرَعَ مُسْرِعاً إلى جِهَةِ خَيْمَةِ القَمَر؛
حِيْنَ عَرَضَ النَّفْسَ لِتِلْكَ الحَسْناءَ كالحُور، كانَ ذَكَرُهُ لا يَزالُ واقِفاً؛

لَقَدْ قامَ بالمُبارَزَةِ لِذلِكَ الأَسَد، وَظَلَّ ذَكَرُهُ واقِفاً وَلَمْ يَنَمْ؛
تِلْكَ الحَسْناءُ حُلْوَةُ اللِّقاءِ قَمَرِيَّةُ الوَجْه، بَقِيَتْ في العَجَبِ مِنْ رُجُولَتِه؛
فاجْتَمَعا عَنْ شَهْوَةٍ ذلِكَ الزَّمان، لِبُرْهَةٍ اتَّحَدَتْ بِها تِلْكُما الرُّوحان؛
مِنْ اتِّصالِ هاتَيْنِ الرُّوْحَيْنِ بِبَعْضِهِما، تَصِلُ مِنَ الغَيْبِ لَهُما رُوحٌ أُخْرى؛
تُظْهِرُ الوَجْهَ مِنْ طَرِيقِ الوِلادَة، إنْ لَمْ يَكُنْ لِعُلُوقِها قاطِعُ طَرِيق؛
حَيْثُما اجْتَمَعَ شَخْصانِ عَنْ حُبٍّ أو بُغْضٍ، اجْتَمَعَ لَهُما ثالِثٌ يُولَدُ يَقِيْناً؛
لكِنَّ تِلْكَ الصُّوَرَ تُوْلَدُ في الغَيْب، وَتُرى بالنَّظَرِ حِيْنَ تَذْهَبُ تِلْكَ الجِهَة؛
تِلْكَ النَّتائِجُ مِنْ قِراناتِكَ وُلِدَتْ، اِنْتَبِهْ لا تَصِرْ مِنْ كُلِّ قَرِيْنٍ سَعِيْداً سَرِيعاً؛
وَكُنْ مُنْتَظِراً ذلِكَ المِيْقات، واعْتَبِرْ صِدْقاً إلْحاقَ الذُّرِّيّات؛
فإنَّها مَولُوْدَةٌ مِنَ العَمَلِ وَمِنَ العِلَل، وَلِكُلٍّ مِنْها صُورَةٌ وَنُطْقٌ وَطَلَل؛
وَتَصِلُ أَصْواتُها مِنْ جَمِيْلاتِ الحِجال، أنْ أَيْ غافِلُ أَسْرِعْ لنا تَعال؛
أرواحُ الرِّجالِ والنِّساءِ مُنْتَظِرَةٌ في الغَيْب، ما التَّأْخِيْرُ بَعْدَ التَّأْخِيْرِ أَسْرِعِ الخَطْوَ؛
لَقَدْ أَضاعَ الطَّرِيقَ مِنَ الصُّبْحِ الكاذِب ، وَقَعَ مِثْلَ الذُّبابَةِ في قِدْرِ اللَّبَنِ الرَّائِب؛

نَدَمُ قائِدِ الجَيْشِ على تِلْكَ الجِنايَةِ الَّتي فَعَلَ وَأَخْذُهُ اليَمِيْنَ مِنْ تِلْكَ الجارِيَة على أنْ لا تَقُولَ ما جَرى للخَلِيْفَة

ثُمَّ مَرَّتْ بِضْعَةُ أَيَّامٍ مِنْ بَعْدِ ذلِك، وَصارَ نادِماً مِنْ ذلِكَ الجُرْمِ الثَّقِيْل؛
أَقْسَمَ عَلَيْها أنْ أَيْ وَجْهَ الشَّمْس، لا تَقُولي رَمْزاً مِمَّا حَصَلَ للخَلِيْفَة؛
لَمَّا رَآها الخَلِيْفَةُ صارَ سَكْراناً، وَسَقَطَ طَسْتُهُ عَنِ السَّطْحِ هُوَ أَيْضاً؛
رأى مِئاتِ أَضْعافِ ما كانَ وُصِفَ لَهُ، وَمَتى كانَ النَّظَرُ شَبيهاً بالسَّمْع؛
وَصْفُ التَّصْويرِ مِنْ أَجْلِ عَيْنِ الوَعْي، الصُّورَةُ لِتِلْكَ العَيْنِ لا لِتِلْكَ الأُذُن؛
سَأَلَ سائِلٌ عالِماً بالكلامِ سُؤالاً، ما الحَقُّ وما الباطِلُ أَيْ حَسَنَ المَقال؛

فَأَمْسَكَ بالأُذُنِ وَقالَ هذِهِ باطِل، والعَيْنُ حَقٌّ واليَقِيْنُ مِنْها حاصِل؛
تِلْكَ جاءَتْ باطِلَةً بالنِّسْبَةِ أمامَ هذِه، أَغْلَبُ الأحاديثِ نِسْبَةٌ أَيُّها الأَمِيْن؛
إذا كانَ الخَفَّاشُ احْتَجَبَ عَنِ الشَّمْس، فإِنَّهُ لَيْسَ مَحْجُوباً عَنْ خَيالِ الشَّمْس؛
خَيَالُها يُعْطِيْهِ الخَوْفَ مِنْها، ذلِكَ الخَيالُ يَسْحَبُهُ إلى الظُّلْمَة؛
خيالُ النُّورِ ذاكَ يُرْعِبُهُ، يَجْعَلُهُ مُلْتَصِقاً بِلَيْلِ الظُّلُمات؛
مِنْ خيالِ العَدُوِّ وَتَصْويرِهِ ، قُمْتَ بالاِلْتِصاقِ بالرَّفيقِ وبالصَّدِيْق؛
مُوْسَيا كَشْفُكَ نَشَرَ اللُّمَعَ على الجَبَل، ذاكَ المُخَيِّلُ لا يَمْلِكُ قُدْرَةَ تَحْقيقِك؛
أَلا لا تَغْتَرَّ بِذلِكَ الَّذي أَنْتَ قابِل، لِخَيالِهِ وَمِنْ هذا الطَّريقِ أَنْتَ واصِل؛
مِنْ خَيالِ الحَرْبِ لا شَخْصَ يِرْتَعِد، لا شَجاعَةَ قَبْلَ الحَرْبِ اعْلَمْ هذا وَحَسْب؛
المُخَنَّثُ على خَيالِ الحَرْبِ في الفِكَر، يَفْعَلُ فِعْلَ رُسْتَمَ وَمِئَةَ كَرٍّ وَفَرّ؛
صُورَةُ رُسْتَمَ المَنْقُوشَةُ في الحَمَّام، قَرِيْنَةٌ لِحَمْلَةِ الفِكْرِ مِنْ كُلِّ خام؛
خَيالُ السَّمْعِ هذا حِيْنَ يَصِيْرُ مُبْصَراً، ما يَكُونُ المُخَنَّثُ وَرُسْتَمُ يَصِيْرُ مُضْطَرّاً؛
فاجْتَهِدْ أَنْ يَذْهَبَ مِنْ أُذُنِكَ لِعَيْنِكَ، وَكُلُّ ذاكَ الَّذي كانَ باطِلاً يَصِيْرُ حَقّاً؛
بَعْدَ ذلِكَ تَصِيْرُ الأُذُنُ بِطَبْعِ العَيْن، وَتَصِيْرُ الأُذُنانِ جَوْهَراً بَعْدَ أَنْ كانَتا صُوفاً؛
بَلْ جُمْلَةُ البَدَنِ يَصِيْرُ كالمِرْآة، والكُلُّ يَصِيْرُ عَيْناً وَجَوْهَرَ صَدْر؛
الأُذُنُ أثارَتْ خَيالاً وذلِكَ الخَيال، هُوَ دَلَّالَةُ الوِصالِ إلى ذلِكَ الجَمال؛
فاجْتَهِدْ لِيصِيْرَ هذا الخَيالُ زائداً، حَتَّى تَصِيْرَ الدَّلَّالَةُ مُرْشِدَ المَجْنُون؛
وَذَلِكَ الخَلِيْفَةُ الأحْمَقُ لِبِضْعِ مَرَّاتٍ أَيْضاً، أَسْعَدَ النَّفْسَ حُمْقاً بِتِلْكَ الجارِيَة؛
خُذِ المُلْكَ وامْلِكِ الغَرْبَ والشَّرْق، ما دامَ لا يَبْقى فاعْرِفْ ذاكَ كالبَرْق؛
وَتِلْكَ المَمْلَكَةُ الَّتي لا تَدُومُ للأبَد، أَيْ نائِمَ القَلْبِ اعْتَبِرْها مَناماً؛
فإلامَ تَفْعَلُ ذاكَ التَّكَبُّرَ والغُرُور، الَّذي يَأْخُذُ بِحَلْقِكَ كَأَنَّهُ الجَلَّاد؛
واعْلَمْ أنَّ في هذا العالَمِ مَأْمَناً أَيْضاً ، وَأَقِلَّ الإِسْتِماعَ للمُنافِقِ فلا قَوْلَ لَه؛

حُجَّةُ مُنْكِرِي الآخِرَةِ وَبيانُ ضَعْفِ تِلْكَ الحُجَّةِ ذلِكَ أَنَّ حُجَّتَهُمْ تَرْجِعُ إلى هذا : أَنْ لا نرى غَيْرَ هذا

حُجَّتُهُ هذِهِ يَقُولُها كُلَّ لَحْظَةٍ، لَوْ أَنَّ هُناكَ شَيْئاً آخَرَ لَرَأَيْتُه؛
إذا لَمْ يَرَ طِفْلٌ أَحْوالَ العَقْل، فإنَّ العاقِلَ لا يَرْحَلُ أَبَداً عَنِ العَقْل؛
وَإِنْ لَمْ يَرَ عاقِلٌ أَحْوالَ العِشْق، فَلَنْ يَنْقُصَ القَمَرُ الجَمِيْلُ المُبارَكُ للعِشْق؛
حُسْنُ يُوسُفَ الَّذي لَمْ تَرَهُ عُيُونُ إِخْوَتِه، مَتى كانَ مَخْفِيّاً عَنْ قَلْبِ يَعْقُوب؛
عَيْنُ مُوسى رَأَتِ العَصا خَشَبَةً، عَيْنُ الغَيْبِ رَأَتْها أَفْعى وَفِتْنَةً؛
عَيْنُ الرَّأْسِ وَعَيْنُ السِّرِّ في حَرْب، وَقَدْ غَلَبَتْ عَيْنُ السِّرِّ وَأَظْهَرَتِ الحُجَّة؛
عَيْنُ مُوسى رَأَتْ يَدَهُ يَداً، وَعِنْدَ عَيْنِ الغَيْبِ ظَهَرَتْ نُوراً؛
هذا الحَديثُ لا نِهايَةَ لَهُ في الكَمال، وَهُوَ عِنْدَ كُلِّ مَحْرُومٍ كالخَيال؛
بِما أَنَّ الحَقِيْقَةَ عِنْدَهُ الفَرْجُ والحَلْق، أَقِلَّ الحَدِيْثَ عِنْدَهُ عَنْ أَسْرارِ الحَبيب؛
الفَرْجُ والحَلْقُ عِنْدَنا خَيال، الرُّوحُ لا جَرَمَ تُظْهِرُ كُلَّ لَحْظَةٍ الجَمال؛
وَذاكَ الَّذي مَذْهَبُهُ وَطَبْعُهُ الفَرْجُ والحَلْق، مِنْ أَجْلِهِ قُلْ لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِي؛
مَعَ مِثْلِ ذاكَ الإنكارِ أَقْصِرِ الحَدِيْثَ ، أَحْمَدا أَقِلَّ الحَدِيْثَ مَعَ المَجُوْسِيِّ القَدِيم؛

مَجِيْءُ الخَلِيْفَةِ إلى حَسْناءِ الوَجْهِ تِلْكَ مِنْ أَجْلِ الجِماع

ذلِكَ الخَلِيْفَةُ أَجْمَعَ الرَّأْيَ، ذَهَبَ إلى جِهَةِ تِلْكَ المَرْأَةِ لأَجْلِ الجِماع؛
لَقَدْ ذَكَرَها وَجَعَلَ ذَكَرَهُ واقِفاً، وَقَصَدَ الجِماعَ مَعَ تِلْكَ المُزيدَةِ للحُبّ؛
عِنْدَما جَلَسَ بَيْنَ قَدَمَيْ تِلْكَ السَّيِّدَة، جاءَ القَضاءُ وَأَغْلَقَ طَرِيقَ فَرْحَتِه؛
وَصَلَ صَوْتُ خَشْخَشَةِ فَأْرَةٍ إلى أُذُنِه، فَنامَ عُضْوُهُ وَخَمِدَتْ كُلُّ شَهْوَتِه؛
على وَهْمِ أَنَّ تِلْكَ حَيَّةٌ وَهذا الصَّرير ، صَوتُها تَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ مِنَ الحَصِير؛

إمساكُ تِلْكَ الجارِيَةِ للضَّحِكِ مِنْ ضَعْفِ شَهْوَةِ الخَلِيْفَةِ وَقُوَّةِ شَهْوَةِ ذاكَ الأمِيْر وَفَهْمُ الخَلِيْفَةِ مِنْ ضُحْكَةِ الجارِيَة

رَأَتِ المَرْأَةُ ذاكَ الضَّعْفَ مِنْهُ وَمِنَ العَجَب، جاءَها الضَّحِكُ وَأَمْسَكَتِ الضُّحْكَة؛
لَقَدْ تَذَكَّرَتْ رُجُولَةَ ذلِكَ البَطَل، الَّذي قَتَلَ الأَسَدَ وَعُضْوُهُ على حالِه؛
غَلَبَتِ الضُّحْكَةُ المَرْأَةَ فكانَتْ ضُحْكَةٌ طَويلَةٌ، جاهَدَتْ لِكَتْمِها فَلَمْ تَنْغَلِقْ الشَّفَة؛
راحَتْ تَضْحَكُ بِشِدَّةٍ كَمَنْ أَخَذَ البِنْجَ، غَلَبَ الضَّحِكُ على الضُّرِّ والنَّفْع؛
وَكُلَّما فَكَّرَتْ بِكَتْمِ ضُحْكَتِها زادَتْ، مِثْلَ السَّدِّ يَفْتَحُهُ السَّيْلُ فَجْأَةً؛
البُكاءُ والضَّحِكُ وَغَمٌّ وَسُرُورُ القَلْب، كُلُّ واحِدٍ مِنْها لَهُ مَعْدِنٌ مُخْتَلِفٌ؛
لِكُلِّ واحِدٍ مِنْها مَخْزَنٌ وَمِفْتاح، وَذاكَ المِفْتاحُ أَيْ أَخِيْ في يَدِ الفَتَّاح؛
لَمَّا لَمْ يَصِرْ ساكِناً ذلِكَ الضَّحِكُ مِنْها، صارَ المَلِكُ مُتَطَيِّراً وَحادَّ المِزاج؛
فَجَرَّدَ السَّيْفَ مِنْ غِلافِهِ سَرِيْعاً، قالَ قُولي سِرَّ الضَّحِكِ أَيَّتُها النَّجِسَة؛
لَقَدْ وَقَعَ في قَلْبي مِنْ هذِهِ الضُّحْكَةِ ظَنٌّ، قُولي الصِّدْقَ لَنْ تَقْدِري على الخِداع؛
وإنْ خَدَعْتِني بِخِلافِ الصِّدْقِ، أَو بِعُذْرٍ كاذِبٍ تَأْتِيْنَ بِهِ بالكلام؛
فَسَوْفَ أَعْلَمُهُ فإنَّ في قَلْبِيَ نُوْراً، فَيَنْبَغِيْ لَكِ قَوْلُ كُلِّ ما يَجِبُ قَوْلُهُ؛
في قُلُوبِ المُلُوكِ قَمَرٌ كَبيرٌ اعْلَمِيْ، وإنْ صارَ مِنْ غَفْلَةٍ تَحْتَ الغَيْمِ حِيْناً حِيْناً؛
في القَلْبِ سِراجٌ وَقْتَ الطَّواف، وَوَقْتَ الغَضَبِ والحِرْصِ يَصِيْرُ تَحْتَ الطَّسْت؛
تِلْكَ الفَراسَةُ هذِهِ اللَّحْظَةَ لِي رَفيق، إنْ لَمْ تَقُولِي ذلِكَ الَّذي قَوْلُهُ حَقّ؛
فإنَّني سَأَقْطَعُ رَقَبَتَكِ بِهذا السَّيْف، وَلَنْ يَنْفَعَكِ التَّعَلُّلُ بالأَعْذارِ الكاذِبَة؛
وإنْ قُلْتِ الصِّدْقَ أَجْعَلُكِ حُرَّةً، لا أَنْكِلُ وَحَقِّ اللهِ وَأُسْعِدُكِ؛
وَجاءِ بِسَبْعَةِ مَصاحِفَ مَوْضُوعَةً فَوقَ بَعْضِها، وَأَقْسَمَ عَلَيْها على ما كانَ قَرَّرَ ؛

إفْشاءُ تِلْكَ الجارِيَةِ ذلِكَ السِّرَّ للخَلِيْفَةِ خَوْفاً مِنْ ضَرْبِ السَّيْف
وبِإكْراهِ الخَلِيْفَةِ أنْ قُولِيْ سَبَبَ هذا الضَّحِكِ بِصِدْقٍ أو أَقْتُلُكِ

لَمَّا صارَتِ المَرْأَةُ عاجِزَةً قالَتِ الحَال، عَنْ رُجُولَةِ ذاكَ البَطَلِ كَرُسْتَم وَمِئَةِ زال؛
وعَمَّا جَرى في تِلْكَ الخَيْمَةِ في الطَّريق، واحِداً واحِداً فَصَّلَتْ ذاكَ للخَليفة؛
وَقَتْلَهُ الأَسَدَ والرُّجُوعَ إلى الخَيْمَة، وَذاكَ الذَّكَرُ واقِفٌ كَقَرْنِ الكَرْكَدَنّ؛
ثُمَّ هذا الوَهَنُ مِنْ هذا الذَّكَرِ، الَّذي خَمَدَ مِنْ خَشْخَشَةَ فَأْر؛
الحَقُّ يَجْعَلُ الأَسْرارَ ظاهِرَةً، لا تَزْرَعْ بِذْرَةَ السُّوءِ ما دامَتْ سَتَطْلَع؛
الماءُ والغَيْمُ والنَّارُ وَهذِهِ الشَّمْس، تَجْعَلُ الأَسْرارَ تَطْلَعُ مِنَ التُّراب؛
وَهذا الرَّبيعُ الجَدِيْدُ مِنْ بَعْدِ الخَريف، هُوَ بُرْهانٌ على وُجُودِ البَعْث؛
في الرَّبيعِ تَصِيْرُ تِلْكَ الأَسْرارُ ظاهِرَةً، وَكُلَّ ما أَكَلَ هذا التُّرابُ يَفْتَضِح؛
يَطْلَعُ ذاكَ مِنْ لِسانِهِ وَشَفَتِهِ، حَتَّى يُظْهِرَ ظاهِراً ضَمِيْرَهُ وَمَذْهَبَه؛
سِرُّ جَذْرِ كُلِّ شَجَرَةٍ وما أَكَلَتْ، كُلُّ ذلِكَ يَصِيْرُ ظاهِراً على رَأْسِها؛
أَنْتَ مِنْ ذاكَ مُتَأَلِّمُ القَلْبِ كُلَّ عامٍ، مِنْ خُمارِ تِلْكَ الخَمْرِ الَّتي كُنْتَ قَدْ شَرِبْت؛
لكِنْ متى تَعَلَمُ مِنْ أَيَّةِ خَمْرٍ، طَلَعَ ظاهِراً أَلَمُ الخُمارِ ذاك؛
هذا الخُمارُ بُرْعُمَةُ تِلْكَ الحَبَّةِ، يَعْرِفُ ذاكَ مَنْ كانَ عارِفاً وَذَكِيّاً؛
الغُصْنُ والبُرْعُمُ لا يُشْبِهانِ الحَبَّةَ، مَتى أَشْبَهَتِ النُّطْفَةُ بَدَنَ الرِّجال؛
لَيْسا شَبيهَيْنِ الهَيُولى والأَثَر، مَتى كانَتِ البِذْرَةُ شَبيهَةً بالشَّجَر؛
النُّطْفَةُ مِنَ الخُبْزِ متى تَكُونُ كالخُبْز، النَّاسُ مِنَ النُّطْفَةِ متى يَكُونونَ كالنُّطْفَة؛
الجِنِّيُّ مِنَ النَّارِ مَتى أَشْبَهَ النَّار، والغَيْمُ مِنَ البُخارِ ولا يُشْبِهُ البُخار؛
مِنْ نَفَسِ جِبْرِيْلَ صارَ ظاهِراً عِيْسى، فَمَتى كانَ بالصُّوْرَةِ مِثْلَهُ أَيْ نَدِيْد؛
آدَمُ مِنَ التُّرابِ مَتى أَشْبَهَ التُّراب، وَما مِنْ عُنْقُودٍ يُشْبِهُ شَجَرَةَ العِنَب؛

وَمَتى كانَتِ السَّرِقَةُ على شَكْلِ المَشْنَقَة، وَمتى كانَتِ الطَّاعَةُ مِثْلَ الخُلْدِ الدَّائم؛
ما مِنْ أصْلٍ شَبيهٍ بالأَثَرِ، لِذا لا تَعْرِفُ أَصْلَ وَجَعِ الرَّأْسِ والصُّداع؛
لكِنَّ هذا الجُزْءَ لا يَكُونُ بلا أَصْل، مَتى عَذَّبَ اللهُ بلا ذَنْب؛
ذاكَ الَّذي هُوَ أَصْلٌ وَحامِلٌ لِذلِكَ الشَّيْء، وإنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَبيهاً هُوَ مِنْه؛
فاعْلَمْ إِذَنْ أنَّ وَجَعَكَ نَتيْجَةُ زَلَّة، آفَةُ هذِهِ الضَّرْبَةِ لَكَ مِنَ الشَّهْوَة؛
إنْ لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ ذلِكَ الذَّنْبَ مِنَ الاِعْتِبار، تَضَرَّعْ مُسْرِعاً ابحَثْ عَنِ الاِغْتِفار؛
اُسْجُدْ مِئَةَ مَرَّةٍ وَقُلْ أَيْ اَللهُ، لَيْسَ هذا الغَمُّ غَيْرَ جَزاءٍ وَوِفاق؛
أَنْتَ سُبْحانَكَ مُنَزَّهٌ عَنِ الظُّلْمِ والجَوْر، مَتى أَعْطَيْتَ للرُّوحِ بلا جُرْمٍ الأَلَمَ والغَمّ؛
أنا لا أَعْرِفُ الجُرْمَ مُعَيَّناً ولكِنْ، كُلُّ جُرْمٍ لَهُ أَذىً جَزاءً بِحَقّ؛
فإنَّ الجَزاءَ كانَ الإظْهارَ لِجُرْمِي، مِنَ العِقابِ صارَ ظاهَراً أَنِّيَ سارِق؛

عَزْمُ الشَّاهِ حِيْنَ صارَ واقِفاً على تِلْكَ الجِنايَةِ أنْ يَسْتُرَها وَيَعْفُوَ وَأَنْ يَهَبَهُ الجارِيَةَ وَعِلْمُهُ أنَّ تِلْكَ الفِتْنَةَ كانَتْ جَزاءً لَهُ، وَجاءَتْهُ مِنْ ظُلْمِهِ لِصاحِبِ المَوْصِل ، أنْ وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها ، إنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَاد ، وَخَوْفُهُ لَو انتقَمَ أنْ يَحِلَّ بِهِ الاِنْتِقامُ أَيْضاً ، مِثْلَما حَلَّ بِهِ جَزاءُ الظُّلْمِ والطَّمَع

رَجَعَ الشَّاهُ إلى النَّفْسِ وَقامَ بالاِسْتِغْفار، وَتَذَكَّرَ جُرْمَهُ والزَّلَّةَ مِنْهُ والإصْرار؛
قالَ للنَّفْسِ كُلَّ ما فَعَلْتُ بالنَّاسِ، صارَ جَزاءً وَوَصَلَ ذاكَ إلى رُوحِيْ؛
قَصَدْتُ زَوْجَ آخَرٍ بِما أَمْلِكُ مِنَ الجاه، فَارْتَدَّ ذلِكَ عَلَيَّ وَوَقَعْتُ في البِئْر؛
أنا طَرَقْتُ بابَ مَنْزِلِ شَخْصٍ آخَر، وَهُوَ طَرَقَ باب مَنْزِلِيْ لا جَرَم؛
كُلُّ مَنْ كانَ طالِبَ الفِسْقِ بأَهْلِ الآخَرِيْن، اِعْرِفْهُ قَوَّاداً إلى أَهْلِ نَفْسِه؛

ذاكَ أنَّ مِثْلَ ذاكَ يَصِيْرُ جَزاءً لِذاك، ما دامَ جَزاءُ السّيِّئَةِ يَكُونُ مِثْلَها؛
لَمَّا جَعَلْتَ سَبَباً سَحَبْتَهُ إلى النَّفْسِ، فَأَنْتَ دَيُّوثٌ مِثْلُ ذاكَ وَأَكْثَر؛
غَصَبْتُ مِنْ شاهِ المَوْصِلِ جارِيَةً، فَغُصِبَتْ مِنِّي سَريعاً أَيْضاً؛
هذا الَّذي كانَ أمِيْني وكانَ تابِعِي، جَعَلَتْهُ خائِناً تِلْكَ الجِناياتُ مِنِّي؛
الوَقْتُ لَيْسَ وَقْتِ إِمْضاءِ الحِقْدِ والاِنْتِقام، أنا بِيَدِ نَفْسِيْ جَعَلْتُ العَمَلَ فَجّاً؛
إذا حَمَلْتُ الحِقْدَ على ذلِكَ الأمِيْرِ والحَرَم، ذاكَ التَّعَدّي سَيَرْجِعُ لِرَأْسِيْ لا جَرَم؛
هذا الَّذي جاءَنِي في الجَزاءِ مِثْلُ ذلِك، لَنْ أُجَرِّبَهُ ثانِيَةً فَقَدْ جَرَّبْتُه؛
تَعْذيبي لِصاحِبِ المَوْصِلِ كَسَرَ رَقَبَتِي، أنا لَنْ أَجْعَلَ هذا الآخَرَ مُعَذَّباً أيضاً؛
لَقَدْ أَعْطانا الحَقُّ عِلْماً عَنِ المُكافاة، قالَ إنْ عُدْتُمْ بِهِ عُدْنا بِهِ؛
فَعَمَلُ الزِّيادَةِ هُنا غَيْرُ نافِع، ولا مَحْمُودَ غَيْرُ الصَّبْرِ والمَرْحَمَة؛
رَبَّنا إنَّا ظَلَمْنا وَكانَ مِنَّا السَّهْوُ، اِرْحَمْنا رَحْمَةً فَرَحَماتُكَ عَظِيْمَة؛
لَقَدْ عَفَوْتُ فاعْفُ أَنْتَ عَنِّيَ أَيْضاً، عَنِ الذَّنْبِ الجَدِيْدِ وَعَنِ الزَّلّاتِ القَدِيْمَة؛
قالَ أي جارِيَةُ الآنَ لا تَذْكُري ثانِيَةً، هذا الحَدِيْثَ الَّذي سَمِعْتِهِ مِنِّي؛
أنا سَوْفَ أُزَوِّجُكِ بِأَمِيْرِكِ، اَللهَ اَللهَ لا تَكَلَّمِيْ بِهذِهِ الحِكايَة؛
كَيْلا يَصِيْرَ خَجِلاً مِنْ وَجْهِي، فَقَدْ أَساءَ سَيِّئَةً واحِدَةً وَأَحْسَنَ مِئَةَ أَلْفِ حَسَنَة؛
لَقَدْ قُمْتُ بامْتِحانِهِ لِمَرَّاتٍ، وَجَعَلْتُهُ مَأْمُوناً على أَفْضَلِ مِنْكِ؛
وَجَدْتُهُ تامَّاً في الأمانَةِ تَماماً، وَهذا القَضاءُ الَّذي كانَ مِنْهُ مِنْ فِعْلِي؛
ثُمَّ دَعا إِلَيْهِ ذاكَ الأَمِيْر، وَقَدْ أَخْمَدَ في النَّفْسِ غَضَبَ الاِنْتِقام؛
وَتَعَلَّلَ لَهُ بِعِلَّةٍ يَقْبَلُها القَلْب، أنْ أنا صِرْتُ نافِراً مِنْ هذِهِ الجارِيَة؛
وَأُمُّ الوَلَدِ كَثِيْرَةُ الحُقُوق، وَلَيْسَ جزاءً لها مِثْلُ هذا الجَوْرِ والجَفاء؛
تَحْمِلُ الحَسَدَ والغَيْرَةَ وَتُعاني العَذابَ، وَتُعانِي المَرارَةَ الشَّدِيْدَةِ مِنْ هذِهِ الجارِيَة؛
وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَهَبَ الجارِيَةَ لِشَخْصٍ، فَأَنْتَ أولى بِها يا أَيُّها العَزِيْز؛

فَأَنْتَ خاطَرْتَ بالرُّوحِ مِنْ أَجْلِها، فلا يَحْسُنُ إِعْطاءُ تِلْكَ إلّا لَك؛
فَعَقَدَ لها على الأمِيْرِ وَأَسْلَمَهُ إيَّاها، وَحَطَّمَ وَقَتَلَ الحِرْصَ والغَضَب؛

بيان نَحْنُ قَسَمْنا، وَأَنَّهُ أُعْطِيَ لِواحِدٍ شَهْوَةُ وَقُوَّةُ الحَمِيْر،
وواحِدٌ أُعْطِيَ الكياسَةَ وَقُوَّةَ الأنبياءِ والملائِكَة:
إضاءَةُ الرَّأْسِ مِنَ الهَوى مِنَ العَظَمَة، تَرْكُ الهَوى قُوَّةُ الرَّسُول
البُذُورُ الَّتي لا تَكُونُ عَنْ شَهْوَةٍ، ثَمَرُها لا يَكُونُ غَيْرَ القِيامَة

إنْ كانَ بِهِ ضَعْفٌ مِنْ ذُكُورِيَّةِ الحَمِيْر، فَقَدْ كانَتْ لَهُ الرُّجُولَةُ مِنْ رُجُولَةِ الرُّسُل؛
تَرْكُ الغَضَبِ والشَّهْوَةِ والحِرْص، هُوَ رُجُولَةٌ وَعِرْقُ نُبُوَّة؛
قُلْ لا كانَتْ ذُكُورِيَّةُ الحَمِيْرِ في عِرْقِهِ، الحَقُّ يَدْعُوهُ عَظِيْماً وَأَمِيْراً وَرَئيساً؛
أنْ أَكُونَ مَيِّتاً وَيَنْظُرَ إِلَيَّ الحَقُّ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ أكُونَ حَيَّاً مُبْعَداً وَمَرْدُوداً؛
هذا لُبُّ الرُّجُولَةِ اعْلَمْ والقِشْرُ ذاكَ، ذاكَ يَحْمِلُ للنَّارِ وذا يَحْمِلُ للجِنان؛
لَقَدْ جاءَ *حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمكارِهِ*، كما جاءَ حُفَّتِ النَّارُ بالهَوى؛
أَيْ إياز أَسَدُ الأُسُودِ قاتِلُ الشَّيْطان، أَقِلَّ ذُكُورِيَّةَ الحَمارِ وَزِدْ رُجُولَةَ الوَعْي؛
ذاكَ الَّذي لَمْ يُدْرِكْهُ كَثِيْرٌ مِنْ صُدُورِ القَوم ، لُعْبَةُ أطْفالٍ أَمامَكَ، هُوَ ذا الرَّجُل؛
أَيْ مَنْ رَأَيْتَ لَذَّةَ أَمْري، أَسْلَمْتَ الرُّوحَ في الوَفاءِ لأَمْري؛
قَصَّةُ ذَوقِ الأَمْرِ وَلَذَّةِ الأَمْر، اِسْتَمِعْ لها الآنَ في البيانِ المَعْنَوِيّ؛

إعْطاءُ الشَّاهِ جَوْهَرَةً وَسَطَ الدِّيْوانَ والمَجْمَعِ أنْ كَمْ تُساوي هذِه وَمُبالَغَةُ الوَزيرِ في تَقْديرِ قِيْمَتِها وَأَمْرُ الشَّاهِ لَهُ أنِ اكْسِرْها الآنَ، وَقَولُ الوَزير كَيْفَ أَكْسِرُ هذِهِ إلى آخِرِ القِصَّة..

أَسْرَعَ الشَّاهُ يَوماً إلى الدِّيْوان، فَوَجَدَ في الدِّيْوانِ جُمْلَةَ الأَرْكان؛
أَخْرَجَ للخارِجِ جَوْهَرَةً مُسْتَنيْرَةً، ثُمَّ وَضَعَها مُسْرِعاً في كَفِّ الوَزير؛
قالَ ما هذِهِ الجَوْهَرَةُ وَكَمْ قِيْمَتُها، قالَ إنَّها تُساوي مِنَ الذَّهَبِ حُمُولَةَ مِئَةِ حِمار؛
قالَ اكْسِرْها فَقالَ كَيْفَ أَكْسِرُها، وَأَنا المُخْلِصُ لِمَخْزَنِكَ وَلِمالِكَ؛
وَكَيْفَ أَسْمَحُ لِمِثْلِ هذِهِ الجَوْهَرَةِ، الَّتي هِيَ بلا ثَمَنٍ أنْ تَضِيْعَ؛
قالَ أَحْسَنْتَ وَأَعْطاهُ خِلْعَةً، وَأَخَذَ مِنْهُ الجوهَرَةَ ذلِكَ الشَّاهُ والفَتى؛
وَشاهُ الجُودِ ذاكَ آثَرَ الوَزيرَ، بِكُلِّ لِباسٍ وَحُلَّةٍ كانَ يَرْتَدِيْها؛
وَجَعَلَ القَومَ مَشْغُوليْنَ بالحَديثِ ساعَةً، مِنْ قَضِيَّةٍ جَديدَةٍ وَسِرٍّ قَديْم؛
بَعْدَ ذاكَ وَضَعَ الجَوْهَرَةَ في يَدِ حاجِب، أنْ كَمْ تُساوي هذِهِ عِنْدَ الطَّالِب؛
قالَ إنَّها تُساوي نِصْفَ المَمْلَكَة، كانَ اللهُ حافِظاً لَها مِنَ المَهْلَكَة؛
قالَ اكْسِرْها قالَ أَيْ مَنْ سَيْفُكَ الشَّمْس، كَمْ مِنْ أَسَفٍ يَكُونُ في كَسْرِها وَحَسْرَة؛
خَلِّ القِيْمَةَ وانْظُرْ إلى الضِّياءِ واللُّمَع، إنَّ نُورَ الشَّمْسِ لِنُورِ هَذِهِ تَبَع؛
مَتى تَتَحَرَّكُ في كَسْرِها يَدِي، متى أَكُونُ عَدُوّاً لِخَزِيْنَةِ الشَّاه؛
فَأَعْطاهُ الشَّاهُ خِلْعَةً وَزادَهُ عَطاءً، ثُمَّ فَتَحَ الفَمَ في مَدْحِ عَقْلِه؛
وَبَعْدَ ساعَةٍ وَضَعَها في يَدِ أمير، اِمْتَحِنْ ذلِكَ الدُّرَّ أَقِمِ العَدْل؛
قالَ وَكُلُّ الأُمَراءُ قالُوا عَيْنَ القَوْل، فَأَعْطى كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمْ خِلْعَةً ثَمِيْنَةً؛
وزادَ الشَّاهُ في عَطائِهِمْ كَثيراً، وَحَمَلَ أولئكَ الأَخِسَّاءَ مِنَ الطَّريقِ للبِئْر؛
خَمْسُونَ وَسِتُّونَ هكذا وَكُلُّ أمِيْر، جُمْلَةً واحِداً واحِداً قالَ قَوْلَ الوَزير؛

رَغْمَ أنَّ التَّقْلِيْدَ عِمادُ العالَمِ ، كُلُّ مُقَلِّدٍ يَصِيْرُ مَفْضُوحاً مِنَ الإمْتِحان؛

انتِقالُ الجَوْهَرَةِ مِنْ يَدٍ لِيَدٍ ، وَوُصُولُها آخِرَ الدَّوْرِ لِيَدِ إياز وَكياسَةُ إياز وَعَدَمُ تَقْلِيْدِهِ لَهُمْ وَعَدَمُ اغْتِرارِهِ بِعَطاءِ المَتاعِ والمالِ ولا بِزِيادَةِ الخِلَعِ والمَراتِبِ مِنَ الشَّاه ، أو مَدْحِهِ لِعُقُولِ المُخْطِئين ، إذْ لا يَجُوزُ اعْتِبارُ المُقَلِّدِ مُسْلِماً ولكِنَّهُ مِنْ هذِهِ الإمْتِحاناتِ في سلامَةٍ إذْ هُوَ لا يَمْلِكُ ثَباتَ المُبْصِرِيْن ، إلَّا مَنْ عَصَمَ الله، ذلِكَ أنَّ الحَقَّ واحِدٌ وَذاكَ الحَقُّ لَهُ أَضْدادٌ كُثُرٌ يُوقِعُونَ في الغَلَطِ وَمُشابِهِ الحَقّ، فإذا لَمْ يَعْرِفِ المُقَلِّدُ ذلِكَ الضِّدَّ يَكُونُ لَمْ يَعْرِفِ الحَقَّ مِنْ ذلِكَ الوَجْه ، لكِنَّ الحَقَّ يَقُومُ بِرِعايَتِهِ بِعِنايَتِهِ رَغْمَ جَهْلِهِ ذاكَ، فلا يَضُرُّهُ جَهْلُهُ ذاك

أَيْ إيازُ الآنَ انْظُرْ هذِهِ الجَوْهَرَةَ، كَمْ تُساوي بِهذا الضِّياءِ بِها والفَنّ؛
قالَ هِيَ تَزِيدُ على كُلِّ ما أَسْتَطِيْعُ قَوْلَهُ، قالَ الآنَ اكْسِرْها واجْعَلْها فُتاتاً مُسْرِعاً؛
كانَتْ في جَيْبِهِ حِجارَةٌ فَأَسْرَعَ في كَسْرِها، فَتَّتَها وكانَ ذاكَ عِنْدَهُ هُوَ الصَّواب؛
أو أنَّ ذاكَ المَمْلُوءَ صَفاءً رأى هذا في النَّوم، فَجَعَلَ تَحْتَ إبْطِهِ حَجَرَيْنِ اثْنَيْن؛
أو مِثْلَ يُوسُفَ الَّذي في قَعْرِ الجُبّ، صارَ كَشْفاً لَهُ نِهايَةُ أَمْرِهِ مِنَ الإله؛
كُلُّ مَنْ أَعْطاهُ الفَتْحُ والظَّفَرُ الرِّسالَةَ، يَسْتَوِي عِنْدَهُ المُرادُ واللّامُراد؛
كُلُّ مَنْ صارَ وَصْلُ الحَبيبِ ضامِنَهُ، ما خَوْفُهُ مِنَ الإنْكِسارِ وَمِنَ القِتال؛
بِما أَنَّهُ صارَ لَهُ اليَقِيْنُ بالإنْتِصارات، فَوْتُ الحِصانِ والفِيْلِ عِنْدَهُ تُرَّهات؛
إنْ سَلَبَ جَوادَهُ كُلُّ طالِبِ جَواد، هُوَ قائِدُ القافِلَةِ، قُلْ فَلْيَذْهَبِ الجَواد؛
الرَّجُلُ متى كانَ لَهُ القَرابَةُ مَعَ الجَواد، عِشْقُهُ للجَوادِ كانَ مِنْ طَلَبِهِ للسَّبْق؛
مِنْ أَجْلِ الصُّوَرِ لا تَحْمِلِ العناءَ الكَثير، خُذِ المَعْنى بلا صُداعِ الصُّورَة؛

الزَّاهِدُ عِنْدَهُ غَمُّ نِهايَةِ الأَمْر، وماذا سَيَكُونُ حالُهُ يَومَ الحِساب؛
العارِفُونَ مِنَ البِدايَةِ لِذلِكَ مُدْرِكُون، وَمِنْ غَمّ وَأَحْوالِ الآخِرِ فارِغُون؛
كانَ للعارِفِ أَيْضاً مِثْلُ هذا الخَوْفِ والرَّجاء، مَعْرِفَتُهُ السَّابِقَةُ أَكَلَتْ كِلا الاثْنَين؛
رأى أَنَّهُ زَرَعَ نَبْتَةَ الماش سابِقاً، فَهُوَ يَعْرِفُ ما سَيَكُونُ طَعْمُها سَلَفاً؛
إنَّهُ عارِفٌ وَمُتَحَرِّرٌ مِنَ الخَوْفِ والوَجَل، سَيْفُ الحَقِّ شَقَّ ضَوضاءَهُ نِصْفَيْن؛
كانَ لَهُ خَوْفٌ مِنَ اللهِ وَرَجاءٌ، صارَ الخَوْفُ فانِياً وَصارَ ذاكَ الرَّجاءُ عِياناً؛
لَحْظَةَ كَسَرَ الجَوْهَرَ الخاصَّ ، خَرَجَتْ مِنْ أولئكَ الأُمَراءِ مِئَةُ صَيْحَةٍ وَصَرْخَة؛
أَنْ أَيُّ تَهَوُّرٍ هذا واللهِ إِنَّهُ لَكافِر، مَنْ كَسَرَ هذِهِ الجِوْهَرَةَ المَمْلُوءَةَ بالنُّورِ كافِر؛
وَتِلْكَ الجَماعَةُ جُمْلَةً مِنَ الجَهْلِ والعَمى، قامَتْ بِكَسْرِ دُرِّ أَمْرِ الشَّاه؛
قِيْمَةُ الجَوْهَرَةِ النَّاتِجَةِ عَنِ الحُبِّ والوِداد، كَيْفَ خَفِيَتْ على أمثالِ تِلْكَ الخَواطِر؛

تَشْنيعُ الأُمَراءِ على إياز أَنْ لِمَ كَسَرْتَها وَجَواب إياز لَهُم

قالَ إياز أَيْ عُظَماءُ مَشْهُورُون، أمْرُ الشَّاهِ أفضَلُ قِيْمَةً أَمِ الجَوْهَرة؛
أَأَمْرُ السُّلْطانِ كانَ أَحْسَنَ عِنْدَكُم، أَمْ هذِهِ الجَوْهَرَةُ الجَمِيْلَةُ بِحَقِّ الله؛
أَيْ ناظِرُونَ إلى الجَوْهَرِ لا إلى الشَّاه، قِبْلَتُكُمُ الغُولُ وَلَسْتُمْ على جادَّةِ الطَّريق؛
أنا لا أَرْفَعُ نَظَري عَنِ الشَّاه، أنا لا أُحَوِّلُ وَجْهِي إلى الحَجَرِ كالمُشْرِك؛
تَكُونُ رُوحاً بلا جَوْهَرٍ تِلْكَ الرُّوحُ، الَّتي اخْتارَتِ الحَجَرَ المُلَوَّنَ وَأَخَّرَتِ الشَّاه؛
فَأَدِرِ الظَّهْرَ للُّعْبَةِ بِلَوْنِ الوَرْد، واجْعَلِ العَقْلَ حائراً بِجاعِلِ اللَّوْن؛
أُدْخُلِ النَّهْرَ وارْمِ الجَرَّةَ على الصَّخْر، وَأَشْعِلِ النَّارَ في العَبيرِ وَفي اللَّون؛
إنْ لَمْ تَكُنْ في طَريقِ الدِّيْنِ مِنْ قُطَّاعِ الطَّريق، لا تَعْبُدِ الرِّيْحَ واللَّونَ كالنِّساء؛
لَقَدْ طَأْطَأَ أولئكَ العُظَماءُ الرُّؤوسَ، طالِبينَ العُذْرَ بالرُّوحِ مِنْ ذلِكَ النِّسْيان؛
وَمِنْ قَلْبِ كُلِّ واحِدٍ صَعَدَتْ مائتا آه، تَعْلُو إلى السَّماءِ كالدُّخانِ تِلْكَ اللَّحْظَة؛

أَشَارَ الشَّاهُ إلى جَلَّادِهِ القَدِيْم، أَبْعِدْ هؤلاءِ الأَخِسَّاءَ عَنِ الصَّدْر؛
ما لِياقَةُ هؤلاءِ الأخِسَّاءِ بالصَّدْر، لَقَدْ كَسَرُوا أَمْري مِنْ أَجْلِ حَجَر؛
أَمْرُنا عِنْدَ هكذا أَهْلِ فَساد، مُمْتَهَنٌ مِنْ أَجْلِ حَجَرٍ مُلَوَّنٍ وَفَساد؛

قَصْدُ الشَّاه قَتْلَ الأُمَراءِ وَشَفاعَةُ إياز
عِنْدَ عَرْشِ السُّلْطان أنِ العَفْوُ أولى

نَهَضَ إيازُ زائِدُ المَحَبَّةِ سَريعاً، وَجَرى إلى أمامِ تَخْتِ ذلِكَ السُّلْطانِ العَظِيْم؛
قامَ بالسُّجُودِ وَأَخَذَ بِحَلْقِ نَفْسِهِ وَقالَ،أيْ مَلِكاً عَظِيْماً تَعَجَّبَ الفَلَكُ مِنْكَ؛
أَيْ طائِرَ هَماً أَعْطى لِكُلِّ طائِرِ هَما، اليُمْنَ وَأَعْطى السَّخاوَةَ لِكُلِّ سَخِيّ؛
أَيْ كَريماً عِنْدَ إيْثارِكَ الخَفِيّ، كُلُّ كَرَمٍ في الدُّنيا يَصِيْرُ مَحْواً؛
أَيْ لَطِيْفاً رَآكَ الوَرْدُ الأَحْمَرُ، فَمَزَّقَ مِنَ الخَجَلِ مِنْكَ القَمِيْص؛
مِنْ غُفْرانِكَ عَيْنُ الغُفْرانِ مُشْبَعَةٌ، مِنْ عَفْوِكَ تَحَكَّمَتِ الثَّعالِبُ بالأُسُود؛
كُلُّ مَنْ كانَتْ لَهُ جُرْأَةٌ مَعَ أَمِرِكَ، لا يَكُونُ لَهُ مِنْ سَنَدٍ غَيْرُ عَفْوِكَ؛
غَفْلَةُ وَوَقاحَةُ هؤلاءِ المُجْرِمِيْنَ كانَتْ ، مِنْ وُفُورِ عَفْوِكَ أَيْ مَعْدِنَ العَفْو؛
الغَفْلَةُ دائماً تَطْلَعُ مِنَ الوَقاحَة، فَقَدْ سَلَبَ الرَّمَدُ التَّعْظِيْمَ مِنَ العَيْن؛
غَفْلَةُ وَنِسْيانُ مُتَعَلِّمِ السُّوء، يَصيرانِ مُحْتَرِقَيْنِ مِنْ نارِ التَّعْظِيْم؛
هَيْبَتُهُ تُعْطي اليَقْظَةَ والفِطْنَةَ، فَيَخْرُجُ السَّهْوُ والنِّسْيانُ مِنْ قَلْبِهِ فِراراً؛
وَقْتَ الغارَةِ لا يَجِيْءُ النَّومُ لِشَخْص، حَتَّى لا يَخْطِفَ شَخْصٌ الدَّلْقَ مِنْه؛
ما دامَ النَّومُ يَهْرَبُ خَشْيَةَ دَلْق، متى يَكُونُ نَومُ النِّسْيانِ مَعَ الخَوْفِ على الحَلْق؛
لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِيْنا شاهِدٌ، على أَنَّ النِّسْيانَ كانَ مِنْ وَجْهٍ ذَنْباً؛
لأَنَّ النَّاسِيَ لَمْ يَقُمْ باسْتِكْمالِ تَعْظِيْمِه، وإِلَّا فالنِّسْيانُ لا يَسْتَجْلِبُ الحَرْبَ؛

رَغْمَ أَنَّ الإنسانَ مُضْطَرٌّ في النِّسْيان، فَهُوَ مُخْتارٌ في العَمَلِ بأَسْبابِ النِّسْيان؛
فَقَدْ قامَ بالتَّهاوُنِ بالتَّعْظِيْم، حَتَّى وُلِدَ النِّسْيانُ أو السَّهْوُ والخَطَأ؛
مِثْلَ سَكْرانٍ ارْتَكَبَ الجِناياتِ، وَيَقُولُ كُنْتُ مَعْذُوراً كُنْتُ فاقِدَ الوَعْي؛
فَيُقالُ لَهُ لكِنَّ السَّبَبَ أَيْ قَبيحَ الفِعْل، كانَ مِنْكَ في ذهابِكَ لِذلِكَ الإِخْتيار؛
فَقْدُ الوَعْيِ لَمْ يَأْتِ مِنْ ذاتِهِ أَنْتَ دَعَوْتَهُ، اخْتِيارُكَ لَمْ يَرُحْ مِنْ نَفْسِهِ أَنْتَ طَرَدْتَهُ؛
لَو كانَ وَصَلَ لَكَ سُكْرٌ بلا جُهْدِكَ، لقامَ ساقِي الرُّوحِ بِحِفْظِ عَهْدِكَ؛
لكانَ صارَ لَكَ الظَّهِيْرَ وَطَلَبَ لَكَ العُذْرَ، أنا غُلامُ زَلَّةِ سَكْرانَ الإله؛
كُلُّ عَفْوٍ مِنَ العالَمِ كُلِّهِ ذَرَّةٌ، مِنْ عَكْسِ عَفْوِكَ أَيْ مَنْ مِنْهُ كُلُّ نَفْع؛
أنواعُ العَفْوِ ناطِقَةٌ بالثَّناءِ على عَفْوِكَ، لا كُفُواً لَهُ أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا؛
هَبْ لَهُمُ الرُّوحُ ولا تَطْرُدْهُمْ عَنْكَ، أنتَ مَطْلُوبُهُمُ العَذْبُ أَيُّها السَّعِيْد؛
اِرْحَمْ ذلِكَ الَّذي رأى وَجْهَكَ، كَيْفَ سَيَتَحَمَّلُ فِراقَكَ المُرّ؛
عَنِ الفِراقِ والهَجْرِ تَقُولُ الحَديثَ، اِفْعَلْ ما تشاءُ ولكِنْ هذا لا تَفْعَلْ؛
مِئاتُ الأُلُوفِ مِنَ المَوْتِ المُرِّ عَنْ يَدِكَ، لا تَعْدِلُ مَرارَةَ فِراقِ وَجْهِكَ؛
أَبْعِدْ عَنِ الذُّكُورِ وَعَنِ الإناث، مرارَةَ الهَجْرِ أنتَ للمُجْرِمِيْنَ المُسْتَغاث؛
على أَمَلِ وَصْلِكَ يَعْذُبُ المَوت، مَرارَةُ هَجْرِكَ فَوْقَ النَّار؛
المَجُوسِيُّ يَقُولُ وَسَطَ تِلْكَ السَّقَر، ما الغَمُّ وَقَدْ وَقَعَ عَلَيَّ مِنْكَ النَّظَر؛
فذاكَ النَّظَرُ يَجْعَلُ الآلامَ عَذْبَةً ، هُوَ للسَّاحِرينَ ثَمَنُ دَمِ القَطْعِ " لليَدِ والقَدَم" ؛

تَفْسير قَولِ السَّاحِرينَ لِفِرْعَونَ وَقْتَ العِقاب أنْ لا ضَيْرَ إنَّا إلى رَبِّنا مُنْقَلِبُون

سَمِعَتِ السَّماءُ صَرْخَةَ لا ضَيْرَ، صارَ الفَلَكُ كُرَةً لِذلِكَ الصَّولَجان؛
مِنْ ضَرْبَةِ فِرْعَونَ لنا لا ضَيْر، لُطْفُ الحَقِّ غالِبٌ على قَهْرِ الغَيْر؛

لَوْ عَلِمْتَ سِرَّنا أَيْ مُضِلُّ، لَقَدْ حَرَّرْتنا مِنَ الأَلَمِ أَيْ أَعْمى القَلْب؛
هَيَّا تَعالَ مِنْ هذِهِ الجِهَةِ وانْظُرِ الأرْغَنُون، يَعْزِفُ لَحْنَ *يا لَيْتَ قَومي يَعْلَمُون*؛
لَقَدْ أَعْطانا فَضْلُ الحَقِّ فِرْعَونِيَّةً، لَيْسَتْ كَفِرْعَوْنِيَّتِكَ وَمُلْكِكَ فانِيَةً؛
اِرْفَعِ الرَّأْسَ وانْظُرِ المُلْكَ الحَيَّ والجَلِيْل، أَيُّها المَغْرُورُ بِمِصْرَ وَنَهْرِ النِّيْل؛
لَوْ قُمْتَ بِتَرْكِ هذِهِ الخِرْقَةِ النَّجِسَة، لأغْرَقْتَ هذا النِّيْلَ في نِيْلِ الرُّوح؛
هيَّا انْزَعْ مِنْ مِصْرَ أَيْ فِرْعَونُ اليَدَ، فَفِيْ وَسَطِ مِصْرِ الرُّوحِ مِئَةُ مِصْر؛
تَظَلُّ قائلاً أنا الرَّبُّ للعوامّ، غافِلاً عَنْ ماهِيَّةِ هذَيْنِ الإثْنَيْن؛
الرَّبُّ مَتى كانَ يَرْتَجِفُ للمَرْبُوب، متى كانَ عارِفُ الأنا في قَيْدِ الجِسْمِ والرُّوح؛
نِعْمَ الأنا مِنَّا نَحْنُ تَحَرَّرَتْ مِنَ الأنا، مِنَ الأنا المَمْلُوءَةِ بالبلا والمَمْلُوءَةِ بالعَنا؛
تِلْكَ الأنا مِنْكَ لَكَ أَيْ كَلْبُ شُوم، وَهِيَ في حَقِّنا المُلْكُ المَحْتُوم؛
لَوْ لَمْ تَكُنْ لَكَ هذِهِ الأنا حامِلَةُ الحِقْد، ما وَقَعَ عَلَيْنا مِثْلُ هذا الإقْبالِ الجَميل؛
شُكْراً لِتَحَرُّرِنا مِنْ هذِهِ الدَّارِ الفانِيَة، نُعْطِيْكَ مِنْ على هذِهِ المِشْنَقَةِ النَّصِيْحَة؛
مِشْنَقَةُ قَتْلِنا بُراقُ الرِّحْلَة، مِنْ دارِ مُلْكِ الغُرُورِ مِنْكَ والغَفْلَة؛
هذِهِ حَياةٌ خَفِيَّةٌ في صُورَةِ المَمات، وَذاكَ مَماتٌ خَفِيٌّ في قِشْرِ الحَياة؛
يُظْهِرُ النَّارَ نُوراً وَيُظْهِرُ النُّورَ، ناراً هِيَ الدُّنيا دارُ الغُرُور؛
لا تَقُمْ بالتَّعْجِيْلِ أَوَّلاً صِرْ عَدَماً، حِيْنَ تَقُومُ بالغُرُوبِ اطْلَعْ مِنْ شَرْقِ الضَّوء؛
مِنْ أنا الأَزَلِ احْتارَ القَلْبُ، فَصارَتْ هذِهِ الأنا بارِدَةً وَصارَتْ عاراً؛
مِنَ الأنا بلا أنا سَعِدَتِ الرُّوح، صارَ عالَمُها مِنْ أنانِيَةَ العالَم؛
ما دامَتْ تَحَرَّرَتْ مِنَ الأنا صارَتِ الآنَ أنا، كُلُّ الثَّناءِ على الأنا بلا عنا؛
فَهُوَ هارِبٌ والأنا في طَلَبِهِ، تَجْري مُسْرِعَةً إذْ رَأَتْهُ مِنْ دُونِها؛
ما دُمْتَ تَطْلُبُها لا تَصِيْرُ لَكَ طالِبَةً، فإذا مِتَّ صارَ مَطْلَبُكَ طالِبَك؛
متى يَغْسِلُكَ غاسِلُ المَوْتى وَأَنْتَ حَيّ، وَأَنْتَ طالِبٌ مَتى يَبْحَثُ عَنْكَ مَطْلَبُك؛

في هذا البَحْثِ لَو كانَ العَقْلُ يَرى الطَّريق، كانَ فَخْرُ الرَّازي عالِماً بِسِرِّ الدِّيْن؛
لكِنْ بِما أَنَّ الأَمْرَ كانَ مَنْ لَمْ يَذُقْ لَمْ يَدْرِ، عَقْلُهُ وَتَخْييلاتُهُ زادَتِ الحَيْرَة؛
متى تكُونُ هذِهِ الأنا كَشْفاً للتَّفَكُّر، تِلْكَ الأنا تَصِيْرُ مَكْشُوفَةً بَعْدَ الفَنا؛
تَسْقُطُ هذِهِ العُقُولُ في الإفْتِقاد، في مُنْحَدَرِ الحُلُولِ والإتِّحاد؛
أَيْ إياز الفانِيْ مِنَ الإقْتِراب، مِثْلَ النَّجْمِ في شُعاعِ الشَّمْس؛
بَلْ كالنُّطْفَةِ بُدِّلَتْ بالبَدَن، لا مِنْ حُلُولٍ أَو اتِّحادٍ مُفْتَتَن؛
أُعْفُ أَيْ مَنِ العَفْوُ في صَنْدُوقِك، أنتَ سابِقُ اللُّطْفِ والكُلُّ مَسْبُوقُك؛
أنا مَنْ أَكُونُ كَيْ أَقُولَ لَكَ اُعْفُ، أَيْ مَنْ أَنْتَ السُّلْطانُ وَخُلاصَةُ أَمْرِ كُنْ؛
أنا مَنْ أَكُونُ حَتَّى تَكُونَ أنايَ مَعَ أناكَ ، أَي مَنْ كُلُّ أنا مَأْخُوذَةٌ مِنْ رِدائك؛

اعْتِبار إياز نَفْسَهُ مُجْرِماً في هذِهِ الشَّفاعَة ، وَطَلَبُهُ العُذْرَ لِهذا الجُرْم واعتبارُ نَفْسِهِ مُجْرِماً بِاعْتِذارِهِ ذاكَ ، وهذا الإنْكِسار جاءَ مِنْ مَعْرِفَةِ عَظَمَةِ الشَّاه أنْ أنا أَعْلَمُكُمْ بالله وأخْشاكُم لله ، وقالَ اللهُ تعالى إنَّما يَخْشى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماء

متى أَحْمِلُ الرَّحْمَةَ للمُخالَطِ بالغَضَب، متى أُبْدي طَريقَ الحِلْمِ للمَمْزوجِ بالعِلْم؛
مِئاتِ أُلُوفِ المَرَّاتِ أَسْتَحِقُّ الصَّفْعَ، لَوْ أَرَدْتَ تَجْعَلُني مُعاقِباً بالصَّفْع؛
أنا ما أَقُولُ أمامَكَ وَأَجْعَلُكَ تَعْلَم، أو أُذَكِّرُكَ لِتَذْكُرَ شَرْطَ الكَرَم؛
ذاكَ الَّذي لَيْسَ مَعْلُوماً لَكَ ما يَكُون، أَيْنَ ذاكَ الغائبُ عَنْ عِلْمِكَ في العالَم؛
أَيْ مُنَزَّهاً عَنِ الجَهْلِ وَعِلْمُكَ مُنَزَّهٌ، عَنْ أَنْ يُخْفِيَ عَنْهُ النِّسْيانُ شَيْئاً؛
لَقَدْ صَوَّرْتَ مَنْ لَيْسَ شَيْئاً شَخْصاً، وَجَعَلْتَهُ مُشِعَّاً بالنُّورِ كالشَّمْس؛
ما دُمْتَ جَعَلْتَني شَخْصاً فإذا شَكَوْتُ، اسْتَمِعْ إلى شَكْوايَ مِنَ الكَرَم؛
ذاكَ أَنَّكَ حِيْنَ أَخْرَجْتَني خارِجَ صُورَتي، كُنْتَ أنتَ نَفْسَكَ الشَّافِعَ لِتِلْكَ الشَّفاعَة؛

وَقَدْ صارَ خالِياً مِنْ مَتاعي هذا الوَطَن، لا أَمْلِكُ مِنْ مَنْزِلي أَخْضَراً أو يابِسَاً؛
حَتَّى الدُّعاءَ أَجْرَيْتَ مِنِّي كالماء، فاجْعَلْهُ ثابِتاً واجْعَلْهُ مُسْتَجاباً؛
فَقَدْ كُنْتَ أَنْتَ مَنْ جاءَ بالدُّعاءِ أوَّلاً، فَكُنْ أنتَ الرَّجاءَ للإجابَةِ آخِراً؛
حَتَّى أَتَباهى بِأَنَّ شاهَ العالَم، قَدْ عفا عَنِ المُجْرِمِيْنَ إكْراماً للعَبْد؛
كَنْتُ أَلَماً كُلِّي أنا المُعْجَبُ بالنَّفْس، فَجَعَلَني الشَّاهُ دَواءً لِكُلِّ ذي أَلَم؛
كُنْتُ ناراً مَمْلُوءَةً مِنَ الفِتْنَةِ والشَّرّ، فَجَعَلَتْني يَدُ فَضْلِهِ كَوثَراً؛
كُلَّ مَنْ أَحْرَقَتْهُ النَّارُ في القَوَد، أُنْمِيْهِ مَرَّةً أُخْرى مِنَ الجَسَد؛
ما عَمَلُ الكَوْثَرِ إنَّ كُلَّ مُحْتَرِقٍ، يَصِيْرُ مِنْهُ نابِتاً وَمُجْتَمِعاً؛
كُلُّ قَطْرَةٍ مِنْهُ مُنادِي كَرَمْ، أنْ أنا أُعِيْدُ كُلَّ ما أَحْرَقَتْ جَهَنَّم؛
النَّارُ مِثْلَ بَرْدِ الخَريف، الكَوْثَرُ مِثْلَ الرَّبيعِ أَيْ رَوْض؛
النَّارُ مِثْلَ المَوْتِ وَتُرابِ القَبُور، الكَوْثَرُ على مِثالِ نَفْخِ الصُّور؛
أَيْ مَنْ احْتَرَقَتْ مِنَ النَّارِ أَجْسامُكُمْ، نَحْوَ الكَوْثَرِ يَسْحَبُكُمْ إكرامُكُم؛
خَلَقْتُ الخَلْقَ كَيْ يَرْبَحَ عَلَيّ، قَرارُ لُطْفِكَ أَيْ قَيُّومُ حَيّ؛
لا *لأَنْ أَرْبَحَ عَلَيْهِمْ* جُودُكَ، الَّذي صارَ مِنهُ كُلُّ ناقِصٍ صَحِيحاً؛
أُعْفُ عَنْ هؤلاءِ العَبيدِ عابِدِي الجَسَد، العَفْوُ مِنْ بَحْرِ العَفْوِ أولى؛
عَفْوُ الخَلْقِ مِثْلَ الجَدْوَلِ وَمِثْلَ السَّيْل، إنَّهُمْ إلى البَحْرِ يَسُوقُونَ الخَيْل؛
كُلُّ عَفْوٍ مِنْ قِطَعِ القُلُوبِ هذِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ، يَجِيْءُ مِثْلَ الحَمامَةِ نَحْوَكَ أَيْ مَلِك؛
فَتُعِيْدَها طائِرَةً في وَقْتِ السَّحَر، إلى أنْ تَجْعَلَها مَحْبُوسَةَ هذِهِ الأبْدانِ في اللَّيْل؛
ثُمَّ تُرَفْرِفُ مَرَّةً أُخْرى في وَقْتِ المَساء، وَتَطِيْرُ مِنْ عِشْقِ ذلِكَ الإيوانِ والسَّقْف؛
إلى أنْ تَقْطَعَ خَيْطَ الوُصْلَةِ مِنَ البَدَن، وَتَجيءُ نَحْوَكَ إذْ مِنْكَ إقْبالُها؛
مُرَفْرِفَةً بِأَجْنِحَتِها آمِنَةً مِنَ الرَّجْعِ المَعْكوس، في الهوى أنْ إنَّا إِلَيْهِ راجِعُون؛
نِداءُ تَعالَوا يَجِيْءُ مِنْ ذلِكَ الكَرَم، بَعْدَ تِلْكَ الرَّجْعَةِ لا يبقى الحِرْصُ ذاكَ والغَمّ؛

كَمْ غُرْبَةً تَحَمَّلْتُمْ مِنَ الدُّنيا، صِرْتُمْ عالِمينَ بِقَدْري أَيُّها العُظَماء؛
تَحْتِ ظِلِّ شَجَرَتي هذِهِ في سُكْرٍ وَدَلال، هَيَّا مُدُّوا الأَرْجُلَ على طُولِها؛
أَرْجُلاً امْتَلأَتْ بالعَنا مِنْ طَريقِ الدِّيْن، في جِوارِ وَأَحْضانِ الحُوْرِ خالِدِيْن؛
والحُورُ العَطُوفاتُ يَتَغامَزْنَ، أَنْ عادَ هؤلاءِ الصُّوفِيُّونَ مِنَ السَّفَر؛
الصُّوفِيُّونَ الصَّافُونَ كَنُوْرِ الشَّمْسِ، وَقَعُوا مُدَّةً على التُّرابِ والقَذَر؛
عادُوا راجِعِيْنَ بلا أَثَرَ مِنَ القَذَر، عَلَوا مِثْلَ نُوْرِ الشَّمْسِ إلى قُرْصِ الشَّمْس؛
وَهذِهِ الجَماعَةُ المُجْرِمَةُ أَيْ مَجِيْد، ارْتَطَمَتْ رُؤوسُهُمْ جَمِيْعاً بالجِدار؛
صارُوا واقِفِيْنَ على الخَطَأِ والجُرْم، رَغْمَ أَنَّهُمْ مَغْلُوبُونَ في النَّرْدِ للشَّاهِ كَعْبَتَيْن؛
وَجَّهُوا إِلَيْكَ الوَجْهَ الآنَ نادِمِيْن، أَيْ مَنْ لُطْفُكَ يَفْتَحُ الطَّريقَ للمُجْرِمِيْن؛
أَعْطِ الطَّريقَ للمُلَوَّثِيْنَ العَجَل، في فُراتِ العَفْوِ وَالعَيْنِ المُغْتَسَل؛
حَتَّى يَغْتَسِلُوا مِنْ ذلِكَ الجُرْمِ الطَّويل، وَيَذْهَبُوا في الصَّلاةِ في صَفِّ المُطَهَّرين؛
الغارِقُونَ في نُوْرِ نَحْنُ الصَّافُّون، لا يُعَدُّونَ في تِلْكَ الصُّفُوفِ ولا يُحْصَرُون؛
لَمَّا وَصَلَ الحَديثُ لِوَصْفِ هذِهِ الحالَة، أَيْضاً القَلَمُ انكَسَرَ وَأَيْضاً الوَرَقُ تَمَزَّق؛
فَهَلْ احْتَوَتْ أَيَّةُ جَرَّةٍ البَحْرَ، وَهَلْ صادَ أَيُّ حَمَلٍ الأَسَد؛
إنْ كانَ لَكَ حِجابٌ اخْرُجْ مِنَ الاحْتِجاب، لِكَيْ تَنْظُرَ المُلْكَ العُجاب؛
رَغْمَ أَنَّ القَوْمَ السُّكارى كَسَرُوا جامَكَ، ذلِكَ السَّكْرانُ مَعْذُورٌ مِنْكَ؛
سُكْرُهُمْ كانَ مِنَ الإِقْبالِ والمال، لا مِنْ خَمْرَتِكَ أَيْ حَسَنَ الفِعال؛
أَيْ مَلِكَ المُلُوكِ هُمْ سكارى تَخْصِيْصِكَ، أُعْفُ عَنِ السَّكْرانِ بِكَ أَيْ عَفُوّ؛
لَذَّةُ تَخْصِيْصِكَ وَقْتَ الخِطاب، تَفْعَلُ ما لا يَفْعَلُ مِئَةُ دَنِّ شَراب؛
بِما أَنَّكَ أَسْكَرْتَني لا تُقِمْ عَلَيَّ الحَدَّ، الشَّرْعُ لا يَرى إقامَةَ الحَدِّ على السَّكْران؛
حِيْنَ أَصِيْرُ صاحِياً آنَذاكَ حُدَّني، فإِنَّني لا أُريدُ أَنْ أَصِيْرَ صاحِياً؛
كُلُّ مَنْ شَرِبَ مِنْ جامِكَ أَيْ ذا المِنَن، نَجا للأَبَدِ مِنَ الوَعْيِ وَمِنْ إقامَةِ الحَدّ؛

خالِدِيْنَ في فَناءِ سُكْرِهِم، مَنْ تفانى في هَواكُمْ لَمْ يَقُمْ؛
فَضْلُكَ قائلٌ لِقَلْبِنا أنْ اِمْضِ، أَيْ مَنْ صِرْتَ في لَبَنِ عِشْقِنا رَهِيْنَة؛
وَقَعْتَ في رائِبِ لَبَنِنا كالذُّبابَة، أَنْتِ لَسْتِ سَكْرانَةً أَيْ ذُبابَةُ أَنْتِ خَمْرَة؛
صارَتِ النُّسُورُ سَكْرى مِنْكِ أَيْ ذُبابَة، وَأَنْتِ تَسُوقِيْنَ الفَرَسَ نَحْوَ نَهْرِ العَسَل؛
الجِبالُ مِثْلَ الذَّرَّاتِ مَدْهُوْشَةٌ مِنْكِ، النُّقْطَةُ والمَدارُ والخَطُّ في يَدِكِ؛
الفِتْنَةُ الَّتي يُرْتَعَدُ مِنْها تَرْتَعِدُ مِنْكِ، كُلُّ جَوْهَرٍ غالي الثَّمَنِ رَخِيْصٌ عِنْدَكِ؛
لَوْ أنَّ اللهَ أَعْطاني خَمْسَمائةَ فَمٍ، لَقُمْتُ بالشَّرْحِ عَنْكَ أَيُّها الرُّوحُ والعالَم؛
عِنْدِي فَمٌ واحِدٌ وَأَنا أَيْضاً مُنْكَسِر، في الخَجَلِ مِنْكَ أَيْ عالِماً بالسِّرّ؛
لكِنَّني لَسْتُ أَكْثَرَ انكِساراً مِنَ العَدَم، وَمِنْ فَمِهِ أَقْبَلَتْ هذِهِ الأُمَم؛
مِئَةُ أَلْفِ أَثَرٍ غَيْبِيٍّ مُنْتَظِر، لِيَثِبَ خارِجَ العَدَمِ باللُّطْفِ والبِرّ؛
مِنْ طَلَبِكَ إيَّايَ صارَتْ رَأْسي دائرَة، أَيْ مَنْ أنا مَيِّتٌ أمامَ كَرَمِكَ ذاك؛
رَغْبَتُنا تَكُونُ مِنْ اسْتِدْعائكَ أنتَ، رَغْبَةُ الحَقِّ سالِكَةٌ في كُلِّ مَكان؛
التُّرابُ متى يَرْتَفِعُ للأعلى دُونَ ريح، وَهَلْ تَسِيْرُ سَفينَةٌ في الطَّريقِ بلا بَحْر؛
أَمامَ ماءِ الحَياةِ لَمْ يَمُتْ شَخْص، أَمامَ مائكَ ماءُ الحَياةِ ثُقْل؛
ماءُ الحَياةِ قِبْلَةُ رُوحِ الصِّبْيان، مِنَ الماءِ يَصِيْرُ أَخْضَرَ وَضاحِكاً البُسْتان؛
شارِبُو المَوْتِ مِنْ عِشْقِهِ أَحْياء، نَزَعُوا القَلْبَ مِنَ الرُّوحِ وماءِ الرُّوح؛
ماءُ عِشْقِكَ حِيْنَ أَعْطانا العَطاء، ماءُ الحَياةِ صارَ عِنْدَنا كَساداً؛
لَكُلِّ رُوحٍ مِنْ ماءِ الحَياةِ تَجَدُّدٌ ، لكِنَّ ماءَ ماءِ الحَياةِ هُوَ أَنْت؛
كُلَّ لَحْظَةٍ تُعْطِيْني مَوتاً وَحَشْراً، حَتَّى أَرى قُدْرَةَ ذلِكَ الكَرَم؛
صارَ هذا المَوْتُ لي كَأَنَّهُ النَّوم، مِنْ اعْتِمادِي على البَعْثِ أَيْ اَلله؛
لَوْ غَدَتِ البِحارُ السَّبْعُ كُلَّ لَحْظَةٍ سراباً، تَجْلبُها تَجُرُّها مِنَ الأُذُنِ أَيْ ماءَ الماء؛
العَقْلُ مُرْتَعِدٌ مِنَ الأجَلِ والعِشْقُ جَسُور، متى خافَ الحَجَرُ مِنَ الماءِ كالطِّيْن؛

هذا هُوَ الخامِسُ مِنْ صِحافِ المَثْنَوِيّ، كَأَنَّهُ الأَنْجُمُ في بُرُوجِ فَلَكِ الرُّوح؛
ما كُلُّ الحَواسِّ تَجِدُ طَرِيْقَ الأَنْجُمِ، إلَّا حواسُّ مَنْ كانَ مَلَّاحاً عارِفاً بالأَنْجُم؛
نَصِيْبُ الآخَرِيْنَ لَيْسَ غَيْرَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، غافِلِيْنَ عَنْ سُعُودِهِ وَعَنِ القِران؛
خُذِ العِلْمَ اللَّيالِيَ إلى النَّهار، بِمِثْلِ تِلْكَ الأَنْجُمِ حارِقَةِ الشَّيْطان؛
كُلُّ مَنْ هُوَ في دَفْعِ الشَّيْطانِ سَيِّئُ الظَّنّ، يَقُومُ بِرَمْيِ النَّفْطِ على قَلْعَةِ السَّماء؛
النُّجُومُ للشَّيْطانِ كَأَنَّها العَقْرَب، وَهِيَ للمُشْتَرِي الوَلِيُّ الأَقْرَب؛
القَوْسُ إذا أَصابَ الشَّيْطانَ بالسَّهْم، الدَّلْوُ المَمْلُوءُ بالماءِ زَرْعٌ وَثَمَر؛
الحُوتُ رَغْمَ أَنَّهُ يَكْسِرُ سَفِيْنَةَ الغَيّ، يَزرَعُ للصَّدِيْقِ زَرْعاً كَأَنَّهُ الثَّور؛
الشَّمْسُ إِذا مَزَّقَتِ اللَّيْلَ كَأَنَّها الأَسَدُ، تَصِلُ للياقُوتِ مِنْها خِلْعَةُ الأَطْلَس؛
كُلُّ وُجُودٍ رَفَعَ الرَّأْسَ مِنَ العَدَمِ، هُوَ لِواحِدٍ سُمٌّ ولآخَرَ سُكَّرٌ؛
فَصِرْ صَديقاً وابْرَأْ مِنْ طَبْعِ السُّوء، لِتَشْرَبَ مِنْ خَمْرَةِ السُّمِّ سُكَّراً أَيْضاً؛
مِنْ ذاكَ لَمْ يَكُنْ للفارُوقِ أذىً مِنَ السُّمِّ ، فَقَدْ كانَ ذاكَ قَنْداً لِتِرياقِهِ الفارُوقِيّ؛

تَمَّ المُجَلَّدُ الخامِسُ مِنَ المَثْنَوي المَعْنَوِيّ